الشيعه فى العصر المغولى‏

نويسنده: طريحى، محمد سعيد

زبان: عربى‏

تعداد جلد: 1

ناشر: أكاديمية الكوفة

مكان چاپ: هند

سال چاپ: 1427 ه. ق‏

نوبت چاپ: اول‏

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص7**

ص:7

تمهيد

إن سلسلة الجبال الآسيوية الرئيسية العظمى التي تمتد من الصين شرقا إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط غربا، و التي تبلغ غايتها من الارتفاع في منطقة التبت، و بجبال الهملايا التي تعرف بسقف الدنيا على وجه التحديد هي في تشعبها و تفريعاتها، كانت تعد بحق، في القديم، حاجزا بين الشعوب المتحضرة و القبائل التي لا تزال بآسيا على البداوة في الغالب، فما من شعب سكن إلى الجنوب من هذه الجبال إلا و كان له في التاريخ دور هام و في الحضارة و الثقافة نتاج قوى و إسهام كبير، و لدينا في الهند القديمة و علومها و فلسفتها، و فارس و ما كان لها من ملك عتيد و ماض تليد، ما يؤيد هذه الدعوى و يقوم دليلا عليها.

و في حين كانت الأراضي الواقعة إلى الجنوب من سلسلة الجبال الآسيوية تعج بالمدن الكبيرة و الوديان الخصبة. كانت المناطق الواقعة إلى ما ورائها شمالا- باستثناء الصين و بلاد ما وراء النهر و ما حول نهري سيحون و جيحون- ما تزال تتجول في أغلب مناطقها مجموعات عديدة من قبائل البدو، ثروتها قطعان الأنعام، و مدنها و ديارها صفوف من الخيام، و دستورها العرف القبلى البدائي المتوارث.

و عرفت هذه المناطق الشمالية عند القدماء باسم بلاد السيث ثم أطلق عليها أهل الصين من بعد ذلك اسم بلاد التتار، و يعنون بذلك بلاد الغرباء و الشعوب البعيدة و الجماعات غير المتمدينة و اللصوص، و ظل لفظ التتار يطلق على كافة القبائل التي تجاور الصين و تقطن الأقاليم الممتدة في أواسط آسيا إلى الجنوب الشرقي من أوروبا حتى ظهور جنكيز خان في القرن الثاني عشر الميلادي. و برغم اشتهار أمر المغول من بعد جنكيز خان فقد ظل صيت التتار القديم غالبا، و صار اسمهم ساريا على المغول أنفسهم في بعض بلاد أواسط آسيا و في سوريا و مصر، و قد أطلق التسمية عليهم التجار من المسلمين الذين نقلوها بدورهم عن جيرانهم من الصينين و الاتراك.

و قد سلك كثير من المؤرخين سكان هذه المناطق الشمالية في عروق ثلاثة هي: العرق المنشورى أو المنغورى، ثم العرق المنغولي المعروف خطئا بالمغولي، ثم العرق التركي.

ص:8

أما المنشوريون فهم أغلب سكان الصين، و إلى الغرب منهم منازل المغول ثم مواطن الأتراك الذين يجاورون الصينيين في بعض المناطق.

و إلى الجنسين الأخيرين ينتمي سلاطين الدولة المغولية و كثير من القادة و الجند الذين دخلوا معهم الهند و استقروا بها، و قد حكمت هذه الدولة الهند قرابة قرون ثلاثة فشهدت هذه البلاد على عهدهم أعظم نهضة و حضارة عرفتها في تاريخها تمتزج في عروقهم دماء الترك و المغول فأبوهم ظهير الدين محمد بابر، فاتح الهند و مؤسس هذه الدولة، ينتهى نسبه من ناحية أبيه الى الخاقان التركي تيمور لنك و يمتد عرقه من ناحية أمه الى خان المغول الأعظم جنكيز.

و المغول و الترك كلاهما قد سبق إلى غزو شبه القارة الهندية. و كان لهما شأن خطير و دور هام، في تاريخ آسيا الوسطى بعامة و بلاد الشرق الإسلامي بخاصة، و كان لغزواتهم الأولى السئ الصدى في ذاكرة الشعوب، فكم من مدن اسلامية زاهرة انتهبها برابرة الترك و المغول ثم دمروها، و كم من حصون و قلاع أفنوا حامياتها ذبحا، ثم لم يتركوها حتى سووا أبنيتها بالأرض، و كم من ألوف كثيرة من السكان المسلمين نهبوا متاعهم ثم ساقوهم في الغالب إلى حتوفهم، و ناهيك بالعدد الوفير من أصحاب الحرف الذين كانوا يسوقونهم من بعد ذلك للعمل عندهم.

على أن هؤلاء المخربين، حين دخلوا في دين اللّه أفواجا و تمكن اتصالهم بالحضارة و الثقافة الإسلامية، ما غدوا أن انقلبوا في الغالب إلى حماة للعلوم و الفنون و الآداب، و إن لم يتخلوا أبدا عن ميلهم إلى سفك الدماء و إعمال السلب و النهب. فكنت تراهم في الغالب يكدسون هامات ضحاياهم على هيئة المنائر و الأهرامات ثم ينصرفون من بعد ذلك إلى تعمير المنشآت النافعة الكثيرة و يبذلون المال و التشجيع للعلماء و الأدباء و أرباب الفنون. حتى كان منهم من شارك أهل المعرفة نشاطهم و دروسهم، لتشهد من بعد ذلك على أيديهم جملة من المدن، التي خربها أجدادهم من قبل، نهضة ثقافية، و حضارة فذة.

و بالعودة الى الظروف التاريخية التي حتمت على اسلافهم الاتصال بالاسلام نجد ان الانظار تتجه نحو تأثير قوافل التجار المسلمين التي كانت تتوغل في مسالك آسيا الوسطى‏

ص:9

حتى بلغت الصين شرقا و حوض الفولغا غربا، فكان هؤلاء التجار من انشط الوسطاء في نشر تعاليم الدين الاسلامي، الا ان ذلك التأثير لم يكن حاسما و قويا الّا مع اسلام الترك الجماعي في العهد الساماني في القرن الرابع الهجري حين أسلم خان قشغر ساتوك بغراخان امير القرن خانيين و تسمى باسم هرون بن سليمان، و دخل معه في دين أهل بلاده و فريق من سكان التركستان الشرقية و أقليم خطان، ثم اعتنق الاسلام السلاجقة و استطاعوا فيما بعد أن يحكموا بلاد ما وراء النهر و فارس و القوقاز، و نفذت عروق منهم و من جيرانهم الى آسيا الصغرى فقضوا على الدولة البيزنطية الشرقية بها، و في القرنين الخامس و السادس للهجرة قامت الدولة الخوارزمية من هذه العناصر الذين كانوا يحلمون بمدّ نفوذهم حتى حدود الصين مع حلفائهم من القبجاق لو لا ظهور شخصية قوية استطاعت ان تضع بصماتها على مسيرة التاريخ، انه (تيموجين) او يسوغاي ذلك الفتى المغولي الذي اختارته قبيلة خانا عليها، و لقب بجنكيز، و سرعان ما نال الدعم و التأييد من كافة القبائل المغولية و استولى بشخصيته الساحرة و نشاطه و حيويته على مشاعر المغول و استثار فيهم الهمم و زرع في نفوس اعداءه الرهبة و الخوف حتى اقبل عليه فريق من زعماء الترك في اواسط آسيا يخطبون ودّه، و فيهم نفر من القبجاق، حلفاء شاه خوارزم و اصهاره، و معهم فريق من التجار المسلمين الذين عاونوا الخان المغولي، فيما بعد، على فتح كثير من البلاد الاسلامية و تنظيم شؤونها و سرعان ما انتشرت سمعة جنكيز خان و سادت أنظمته و تعاليمه في طول البلاد و عرضها، خلال جميع اصقاع منغوليا، و شعر أفراد الشعب المغولي بأنهم أصبحوا أصحاب رسالة عالية و أنهم جبلوا في طاقة عظمى، فأصبحوا جسما واحدا طاغيا، سرعان ما برهن بأنه قوة متفوقة على جميع الامبراطوريات المجاورة و لم يحتج تيموجين أكثر من بضعة سنوات لإتمام التنظيمات الداخلية لدولته و للحصول على الاسلحة و التجهيزات عن طريق فتح علاقات تجارية جديدة. ثم بدأ بتسيير الحملات الحربية التي أثمرت في ارساء دعائم الامبراطورية المغولية العالمية، و توجه شرقا في أول الأمر ضد الصين، تلك البلاد التي كانت دائما تدغدغ آمال المغول، بسبب العلاقات الثقافية و التجارية منذ القدم. و توغلت قواته فيها، حتى أصبحت أمام عاصمة أسرة كين بعد حملتين متواليتين عام 1215 م و استسلمت له تلك العاصمة أخيرا ثم انهارت الامبراطورية

ص:10

الصينية الشمالية، و بدأ المغول يوطدون سلطتهم في النصف الشمالي للمملكات الصينية الهائلة، أما الأمبراطورية الجنوبية فقد بقيت دون أن تمس إنما مؤقتا فقط.

ان سرعة الانتصارات في الشرق قد عنت الكثير بالنسبة للمغول، فقد زادت مواردهم و ملكوا الفرصة و تشجعوا بمغامرات جديدة، و فوق كل شئ بثت روح الثقة بالنفس بهم و بقوتهم، فامبراطورية الصين الشمالية مهما كانت ضعيفة، بدت قوية و عظيمة في أعين ساكني السهوب، و إذا كانوا قد نجحوا في كسر هذه الامبراطورية بسرعة فائقة، فلم يكن ذلك إلّا اشارة إلهية بأن السماء قامت بإسناد حكم العالم للمغول.

و كان موقف الصينيين بالنسبة للغزو المغولي على العموم هو نفس الموقف الذي وقفه الصينيون دائما خلال تاريخ بلادهم الطويل، فقد خضعوا لسلطة الحكم الاجنبي، و لكنهم اغرقوا هذا الحكم بقوة حضارتهم الهائلة، التي سرعان ما استسلم لها ذلك الحكم استسلاما تاما، و لكن الصينيون لم ينسوا أبدا أن هؤلاء الغزاة كانوا أجانب، و أن حكمهم لا يتفق مع مبدأ السيادة الصينية في المملكة المتوسطة، إنما مع ذلك فقد التحق الصينيون بخدمة المغول، و بصورة خاصة في العاصمة قراقورم التي ظهرت خلال تلك الفترة على الأرخون الأعلى، و أصبح أحد أبناء أسرة الخطا المهزومة و هو (بي- لو- تشو- تساي) وزيرا للخانات، و أنجز أعمالا هامة في بناء الامبراطورية المغولية، و من المؤكد انه لم يكن وحيدا في عمله، بل كان معه عددا كبيرا من الصينيين الذين كانوا يساعدونه كزملاء أو مرؤوسين في الادارة، أو عاملين كحملة لرسالة الحضارة الصينية و التجارة، و كان لتسرب الثقافة الصينية أثره المثمر على المغول، فقد وجدت الأفكار الصينية طريقها، إلى الياسا أي إلى لب الحياة المغولية، و أصبح المغول يستعملون المفاهيم الصينية في فنون الحرب، كما أنهم استعملوا الأسلحة الصينية- بما في ذلك البارود- في حملاتهم الحربية التالية.

ان النجاح في الصين كان مؤشرا و نقطة انطلاق لانتصارات تالية مستمرة للمغول، فبعد سنتين فقط من انتهاء الحملة الصينية وجه جنكيز خان إهتمامه إلى الغرب حيث كانت في تلك المنطقة دولة خوارزم شاه، و كان يحكمها محمد الثاني الذي وصل آنذاك إلى قمة مجده، لكن ما أن خضع الغوريون طواعية لحكم جنكيز خان سنة 1207، حتى ظهرت دولة خوارزم شاه بمظهر الخصم المرعب للمغول كما كانت صورة الصين‏

ص:11

الشمالية، و كانت العلاقات المغولية الخوارز مشاهية غير واضحة المعالم، و قد ذكرت المصادر الشرقية المتأخرة أن خليفة بغداد النشيط الناصر لدين اللّه (1180- 1225 م) اتصل عندما تأزمت الأمور بينه و بين محمد الثاني، بالحاكم المغولي، و حرضه على الهجوم على خوارزم شاه من المؤخرة، و تدل هذه الرواية على أن الخليفة نفسه الذي كان لا يزال- إسميا على الأقل- هو الرئيس الأعلى للمسلمين، هو الذي جلب عليهم أعظم كارثة حلت بهم في التاريخ و لم تمر الأيام حتى اكتسح المغول مراكز المدن العظيمة في خراسان و ماوراء النهر مثل مرو و بخارى و سمرقند ثم سقطت جميع ممتلكات الدولة الخوارزمية بعد مقاومة عنيفة، و لهذا ذاق أهل تلك البلاد المآسي و المذابح الرهيبة من قبل المغول بل ادت هذه الكارثة التي حلت بهم جراء هذا الغزو الى تحطيم الازدهار الاقتصادي و الثقافي في عموم آسيا الوسطى، فلم تستطع تلك المدن، منذ تلك الكارثة ان تستعيد مكانتها السابقة كمراكز حيوية في صرح الحضارة الاسلامية، و كان من سياسة المغول أن لا يعتدو على العلماء و الفنانين و الحرفيين الذين يمكن ان يستفيدوا منهم و من خدماتهم، و كذلك النساء و الأطفال كيما يستخدمونهم عبيدا، و لقد تركوا بعض الرجال في سن الجندية أحياء أيضا لكي يستخدموهم كبش فداء في حصار تال، أو أي هجوم. حيث كان يقذف بهم أمام الجنود المغول، و يجبرون على صدام بني جلدتهم. و لم يكن هنالك أي مهرب أو منجى لهم من تلك الورطة فإما أن يهاجموا أسوار بلدانهم أو يحصدوا حصدا دونما شفقة أو رحمة.

و كان جنكيز خان يخطط للقيام بهجوم جديد على الأقاليم الشرقية، لكن في حوالي 18 آب عام 1227 و افاه الأجل المحتوم، فتعطلت خططه مؤقتا، و لكن الامبراطورية التي اسسها بقيت، ففي الأزمة التي تبعت موته لم يتجرأ أي عدو من أعدائه على رفع النير المغولي، و التخلص من تحكمه، و لكن وحدة الامبراطورية لم يحتفظ بها تماما، فقد كان قرار جنكيز خان و وصيته أن تقسم الامبراطورية بين أبناء زوجته الرئيسية الأربعة، الذين كانوا قد اشتركوا اشتراكا فعليا في الحكم أثناء حياته، و طبقا للتقاليد المغولية القديمة كان الابن الأصغر هو الوارث الرئيسي و الوصي على أملاك والده، و أخذا بهذا المبدأ فقد اصبحت الأراضي المغولية الأساسية من نصيب الأبن الأصغر. الذي كان يدعى تولوي، و أما الأبناء الثلاثة الباقون فقد كان توزيع المملكة بينهم كما يلي: أخذ جغتاي الأراضي الواقعة شمال‏

ص:12

و شمال شرق نهر جيحون و التي دعوها السكان في الغرب منطقة ما وراء النهرين، و أخذ أو كتاي الأراضي الواقعة في أقصى الشرق، و أما الأكبر جوجي فقد نال الأراضي الواقعة في الغرب، أي روسيا و لم يكن هذا التقسيم دقيقا تماما لأن الامبراطورية لم تكن قد وصلت إلى الاتساع الذي كان يتصوره جنكيز خان، فقد كان يطمح بالتقدم نحو البحر الغربي مع أن معلوماته عن جغرافية الغرب، كان يشوبها الغموض، و فوق ذلك فقد توفي الابن الأكبر جوجي قبل موت والده بستة أشهر، و هكذا أصبح أبناؤه الورثة المباشرون لجدهم.

لم يترك جنكيز خان قبل وفاته أية تعليمات بالنسبة لوحدة الامبراطورية، فهو لم يكن يقصد أن تتمزق الامبراطورية بعد وفاته، بل كان يرغب أن يمارس أحد ابنائه السيادة على اخوته كحاكم أعظم أو «خان اعظم» و كان من الواجب أن يملأ هذا المركز طبقا لرغبة الامبراطور المتوفى، و لكن بما أن المؤسس لم يخصص أحدا باسمه، اتفق على أن يجري الاختيار عن طريق الانتخاب، و هكذا فبعدما تم عقد الجمعية الوطنية العامة «القوريلتاي» عام 1229 اتفق الأخوة دونما أية صعوبات على تنصيب أوكتاي، و لكن هذا لم يرث أيا من مواهب والده الحربية، و في الروايات التاريخية التي وصلتنا يوصف بأنه كان هادئا، و لا يميل لاستعمال القوة و كان ذا ضمير حي، و داهية ثاقب النظر، وسّع عاصمة ملكه قره قورم و زينها بالمباني و الصروح الفخمة، و عمل على استحداث زراعة الخضروات و الفواكه في ضواحيها، و نظم استيراد المؤن من الصين إلى منغوليا، و أقام علاقات تجارية بين بلاده و بلاد الهند و غربي آسية، و كان مهتما بتوسيع أراضي امبراطوريته طبقا لتخطيط والده، و لهذا فقد سمح لأخوته بامتلاك حصصهم من الأملاك المقطعة لهم، كما تابع تدريبات جيوشه بصورة عملية، و ذلك باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، و كذلك بالمطاردات التي كانت باخضاع الأجزاء الصينية الشمالية الباقية، و كذلك بالمطاردات التي كانت مستمرة و منظمة، حتى أصبحت جزء من التدريبات العسكرية اللازمة للجيش.

و في حوالي عام 1236 اكتسح المغول اوربة الشرقية بعد ان استولوا على مملكة البلغار و في 6 كانون الثاني 1240 سقطت مدينة كييف قلب دولة الروس القديمة و سقطت بذلك روسيا و احتلوا بولنده و مورافيا و اشتبكوا في 1 نيسان 1241 م (639 ه) مع‏

ص:13

الهنكاريين فهزم ملك هنغاريا و استولى المغول على بلادهم و فيما هم عند الدانوب توفي الخان الأعظم في قره قورم و ذلك في 11 كانون الثاني 1241 ه فعيّن كبراء الدولة توراكينا ارملة اوكتاي وصية على العرش حتى يكبر ولدها (كيوك)، فقاومها (باتو) لكونه من أولاد أكبر أبناء جنكيز خان.

و في نيسان 1248 توفي (كيوك)، و لم تعد الظروف مهيئة (لباتو) في تولّي العرش لكنه في العام 1251 تقرر اختيار منكو مونكا و هو أحد اولاد تولوي الأبن الأصغر لجنكيز خان و كان مؤيدا لباتو على الدوام، و وجه عنايته للاستيلاء على الصين بالرغم من اشتباكاته مع أخيه (قوبيلاي) التي انتهت بوفاته في 6 ايلول 1259 أثناء حصار أحد الحصون الصينية. لكن الحملة الى غربي آسيا التي بدأت باحتلال هولاكو للقوقاز عام 1255 ه، استمرت و ما برح أن واصل زحفه على المنطقة الجبلية جنوبي بحر الخزر حيث البلاد الخاضعة لنفوذ الطائفة الاسماعيلية الشيعية.

و حينما أدرك الاسماعيلية ما يتعرضون له من الخطر، بعد أن اجتاحت جيوش المغول، الصين و أروربا و خراسان و العراق العجمى و آسيا الصغرى، التمسوا من الوسائل ما يدرأ عنهم هذا التهديد، و حاولوا أن يؤلفوا من جميع الشعوب المعرضة للخطر المغولي، حتى أولئك الذين يناصبونهم العداء، جبهة متحدة لمقاومة المغول. و لم تقتصر جهود الاسماعيلية على اجتذاب الأمراء المجاورين، بل امتدت الى أوربا. ففي سنة 1238 أرسلوا الى ملكى انجلترا و فرنسا يطلبون مساندتهما، غير أنهم لم يلقوا أذانا صاغية، و من الدليل على ذلك أن أسقف مدينة و نشستر بانجلترا أشار إلى عدم التدخل فيما ينشب من قتال بين المسلمين و المغول، لما سوف يترتب عليه من القضاء على الجانبين، و في ذلك انتصار للمسيحية.

و لا شك أن المغول وقفوا على أحوال الاسماعيلية، و كراهية الناس لهم، فحينما أوفدوا رسلهم الى قراقورم أثناء اختيار كيوك خانا، لم يلقوا معاملة طيبة. و رفع المسلمون، في قزوين الخاضعة لحكم المغول الشكوى الى مونكو خان، لما يتعرضون له من الأذى و الضرر من قبل الاسماعيلية و أشاروا الى أن أفراد هذه الطائفة يخالفون في عقيدتهم، ديانات المسيحين و المسلمين و المغول!.

حاول ركن الدين خور شاه، الذي يعتبر آخر مقدمى الاسماعيلية أن يتجنب الخطر

ص:14

المغولي بما لجأ اليه من أساليب دبلوماسية، و قد اعتصم في قلعة ميمون دز المنيعة. فلم يسع هولاكو آخر الأمر ألا أن يبعث اليه برسالة، يطلب منه التخلى عن المقاومة، و القدوم عليه في معسكره، و يهدده بالمضى في القتال اذا رفض هذا العرض. و اذ أدرك ركن الدين خور شاه أنه لا سبيل الى المقاومة و أن اليأس تطرق الى نفوس رجاله المحاصرين، توجه الى هولاكو، و أعلن طاعته و اذعانه، في نوفمبر 1256 و استسلمت قلعة آلموت في ديسمبر سنة 1256.

و اذ كفل هولاكو لركن الدين الابقاء على حياته، أراد ركن الدين أن يتوجه الى مونكو، لعله يحصل على ما يأمل من شروط حسنة. غير أنه حينما وصل إلى مقر الخان، صحبة جماعة من المغول، رفض أن يستقبله، و قال ما كان لكم أن ترهقوا الجياد في سفارة غير مجدية. و اذ بقى من قلاع الاسماعيلية، اثنتان لم تستسلما للمغول، تقرر الاستعانة بركن الدين خور شاه في تدبير أمر اذعانهما. و في أثناء عودته، لقى مصرعه، مع جميع رفاقه، و صدرت الأوامر الى هولاكو بالتخلص نهائيا من هذا المذهب. فتم الاجهاز على طائفة كبيرة من أقارب خور شاه، بينما تقرر حشد عدد كبير من الاسماعيلية، بناء على طلب المغول، لإحصاء عددهم، فتعرض من هؤلاء الالوف للقتل، و لم يبق على قيد الحياة الا من اعتصم بجبال فارس. و أدرك الاسماعيلية في الشام ما سوف يتعرضون له من مصير.

و احتفظ الاسماعيلية في آلموت، بمكتبة ضخمة زخرت بالمخطوطات النفيسة في شتى انواع العلوم، و عهد هولاكو الى امينه الجويني مؤلف تاريخ جهانكشاي، بأن يفحص ما بها من الكتب فاحتفظ لنفسه ما اراد منها و احرق جميع ما بقي منها و خاصة ما يتعلق بالمذهب الاسماعيلي و من الكتب التي عثر عليها الجوينى كتاب بعنوان «سر كذشت سيدنا» الذي يعالج عقائد الاسماعيلية و سير قادتهم و ماذا كان يدري هولاكو بما في تلك الكتب لو لا عزم الحقود المتعصب عطاء اللّه الجويني على إفناء تلك الثروة العلمية، مثلما فعل صلاح الدين الايوبي في حرقه و تدميره لمكتبات الفاطميين في القاهرة المعزية[[1]](#footnote-1).

ص:15

و يحاول الجويني نفسه ان يوهن من عظمة و هيبة الاسماعيلية فيرجع سبب التفاف الناس حولهم الى الخوف من رعاعهم قل «فتبدد بما جرى من القضاء عليهم- أيام هولاكو».

يقول (الجويني) في كتابه (جهان كشاي) الذي سبق الاشارة اليه و هو في غاية الفرح من فتوحات سيده هولاكو:

«لقد كان ملوك الروم و الفرنجة، خوفا من هؤلاء الملاعين، صفر الوجوه، و يدفعون لهم الجزية، لم يخجلوا من هذه الخزية. و الآن استراح سكان العالم، و لا سيما أهل الايمان، من شر مكيدتهم و خبث عقيدتهم. بل إن الأنام من خاص و عام، كرام و لئام سعداء الآن.

و غدت هذه الحكايات أشبه بحكاية رستم الخرافية القديمة، يقدرها أهل البصر، و يدركون قيمة هذا الفتح المبين، و النور الذي حل، و الزينة التي عمت».

و لم تكن المذابح التي قام بها هولاكو لاستئصال الاسماعيلية بما فيهم الأطفال و النساء و العجزة، لم تكن لتثير ضمير (الجويني) المأجور بل كان مسرورا لإفناء هؤلاء الابرياء الذين و صمهم بالالحاد و الكفر قال:

«و قد كان في أصل قانون جنكيز خان و أمر منكوقا أن لا يتركوا واحدا منهم حيا، حتى من كان في المهد، و كان خدمه و حشمه محاطين بمئات بل بآلاف الموكلين الأذكياء.

و قد صدر في أثناء هذه الأقوال و الأفعال (مع منكوقا آن) أن: عجلوا بالخلاص من الداعية، و أريقوا دماء تلك الطائفة. فصدر الأمر بإرسال الكتائب و الوفود إلى كل من يحتفظ بجماعة منهم، ليقتل من عنده. و ذهب قراقاي بيتكجي إلى قزوين فأحرق البنين و البناء و الإخوة و الأخوات، و كل من لاذ به أو كان من صلبه. و سلموا أثنين أو ثلاثة منهم (من أهل ركن الدين) إلى بلغان ليقتص منهم و يثأر لدم أبيه جغتاي الذي طعن بخنجر الفدائيين.

و هكذا محى أثرهم، و أفنوا عن بكرة أبيهم.

و أعطي أوتا كوجينا، الذي كان قائد الجيش في خراسان، و مشغولا بمحاصرة قهستان أمر قتل الجماعة الذين ما زالوا على الإلحاد، على أن يخرجهم بحجة جمعهم أو سخرتهم.

فقتل منهم اثني عشر ألفا، و لم يبق هناك لهم أثرا.»

ص:16

ثم يقول متشفيا بعد مقتل الزعيم ركن الدين:

«ذاق و بال الموت و العذاب الذي لقيه قومهم من آبائه و اجداده، فكان خبره و خبر اقربائه حديث السمار و رواة الاخبار. و هكذا تطهر العالم الملوث بخبثهم، و عاش الناس بعد ذلك بأمن و هدوء، بلا خوف و عناء، و هم يلهجون بالثناء على الملك السعيد [هولاكو] الذي أشاد لهم هذا الخير بافناء هذه الفئة و كذلك كان هذا العمل مرهم جراحات المسلمين، و تدارك خللها الديني. و الذين سيأتون بعدنا سيدركون مدى أذى هذه الجماعة. و مدى ما كانوا يغرسون من الفوضى، و يبثون من الرعب منذ أول ظهورهم حتى آخرهم».

لكن الواقع التاريخي يثبت خلاف ذلك، فقد لقي الناس من هولاكو ما هو اشد من الخوف و الرعب الذي نسبه الجويني ظلما و حقدا للطائفة الاسماعيلية بل ان انتصار هولاكو عليهم مهد الطريق للجيش المغولي نحو اجتياح عاصمة الخلافة- العباسية فقد هاجم بغداد في 10 شباط 1258 م و احتل دار الخلافة، و اعدموا الخليفة، لكن جيش هولاكو هزم في معركة عين جالوت في 3 أيلول 1260 م و لم يكن تحت قيادته ذلك انه كان مشغول البال بأمر خلافة الخان الأعظم و مادبّ من خلافات في اسرته حول هذا الأمر، الذي انتهى بتنصيب (قوبيلاي) الذي كان يحظى بدعم (هولاكو) نفسه و كان قوبيلاي قد هزم أخاه (بوقا) و نفاه عن المسرح السياسي، و لكن هذا الانتصار لم يدم طويلا ذلك ان احداث العنف و المعارك المستمرة بين اطراف التراع على خلافة الخان الأعظم شتت شمل مجتمع العشائر المغولية الذهبية حتى اختفى اسم الخان الأعظم من على قطع العملة المسكوكة في مناطق تلك العشائر.

و استقرت مجموعة كبيرة من القبائل الغازية في سهوب موغان التي تقع شمال تبريز و قد اصبحت مدينتا تبريز و مراغة حيث استقر هولاكو عاصمتي الأقليم الجديد في ايران حتى موته في 8 شباط 1265، و قد اصبح ابنه (أباقا) الحاكم الجديد، و شهد بداية عهده معركة مع (بركا) في القوقاز، و اثناء الحملة مات بركا في حدود كانون الثاني 1267 ثم خضعت لسيطرته سلطنة سلاجقة الروم في آسية الصغرى و اشتبك جيش أباقا مع جيش بيبرس و لم يحسم امر تلك المعارك، و قد شهد عهده تسامحا و انفتاحا و خاصة مع البوذيين‏

ص:17

و المسيحيين و سمح لعدد من الامارات الصغيرة الاحتفاظ باستقلالها في بلاد فارس و بالتالي استسلم للموت في 1 نيسان 1282، و استلم السلطة نيكودار اخو الايلخان المتوفى الذي اسلم و اتخذ لنفسه اسم (أحمد) و قد توفى بعد سنتين سنة 1284 م.

و استلم السلطة (اراغون) و كان بوذيا، و كان عهده محنة للمسلمين، و بعد وفاته في 9 آذار 1291 استلم الحكم (كيخاتو) أحد أخوته، لكن أقصى عن العرش في آذار 1295 فاعتلى العرش (غازان) و كان هذا الحدث نقطة فاصلة في تاريخ دولة المغول في ايران لأنه حالما اعتلى العرش اعلن عن اعتناقه الاسلام رسميا و بالرغم من ان المذهب السني كان هو مذهب الأغلبية من السكان فقد عامل (غازان) الشيعة بتسامح كبير و لم يظهر ضدهم أيّ تعصب اعمى كان يتسم به أهل السنة غالبا في معاملتهم للشيعة في خلال التاريخ الاسلامي، و المعروف عنه انه زار العتبات المقدسة الشيعية في العراق و دعم المؤسسات الشيعية في بلاده و لهذا اعتبره البعض شيعيا، و كان يجري هذا في الوقت الذي يخضع له (غازان) و العرش الالكخاني في ايران للسلطة المغولية العظمى التي كان يمثلها قوبيلاي الرأس المبجل لمغول الدنيا في عصره، و لما مات قوبيلاي في بكين سنة 1294، خف حماس الكخانات ايران لمركز القوة المغولية حتى أصبحوا انفسهم يعرفون باسم الخان، و كان حكم غازان مفعما بالنشاط الاصلاحي للبلاد التي يحكمها حتى وفاته شابا في الحادية و الثلاثين من عمره في 30 آيار 1304، فخلفه في الحكم أخوه أولجايتو الذي اتخذ نفسه اسما اسلاميا ايرانيا و هو خدا بنده و قد كان مسيحيا في صباه ثم اسلم و اعلن انضمامه لأهل السنة مع أخيه، ثم عمد الى دمج مذهبين من مذاهب السنة ثم عاد و تحول الى المذهب الشيعي حدود سنة 1310 و في هذا الوقت كان عدد الشيعة قد ازداد في بلاد فارس و ما بين النهرين و كان مقر سلطنته مدينة (السلطانية) قرب قزوين و عرف بتذوقه للعلوم و الفنون كغازان من قبله و كلاهما قدّما خدمات جلّى في تشجيعهما للعلوم و الفنون و تأييدهما له كما أهتما بالتاريخ و شجعا الادب الفارسي و في عهدهم انتشرت تواريخ رشيد الدين فضل اللّه احد أشهر رجال الادارة المغولية المقتول في 16 جمادى الأولى 718 ه/ 1319 م و كتابه جامع التواريخ من المصادر المهمة عن تلك الفترة.

مات اولجايتو في 9 كانون الأول 1316 م و خلفه ولده (أبو سعيد) و كان قاصرا

ص:18

فتسلط عدد من الزعماء، و كان أول أعمالهم قتل رشيد الدين المذكور و ظهرت في عهده دولة التركمان الشيعية (القراقوينلو) و سخطت حاشية السلطان على السلطان، نفسه و سادت الفوضى في ايران و خلعت قبائل القوقاز الذهبية الطاعة للسلطان و في خضم تلك الاضطرابات اذا بأبي سعيد يموت فجأة في 30 تشرين الثاني 736 ه/ 1335 م دون أن يكون له وارث شرعي و جرت بعد وفاته أحداث كثيرة انتهت الى تفتت الملك المغولي تماما في بلاد فارس. و ظهرت عدة امارات متنازعة كالدولة المظفرية في خراسان و الدولة السرابدارية الشيعية في سبزوار.

أما في العراق فقد تمكن الشيخ حسن الجلائري أن يستقل بالعراق سنة 739 ه/ 1338 م و يؤسس الدولة الجلائرية، و اتخذ من بغداد عاصمة له. و في سنة 757 ه/ 1356 م تولى ابنه الشيخ أويس الذي بسط نفوذه على منطقة أذربيجان الغنية، و نقل عاصمته الى تبريز، و أصبح العراق ولاية جلائرية، و لما خلفه ابنه حسين سنة 776 ه/ 1374 م، و كان صغير السن ضعيفا تسلط امراء الجيش على شؤون الحكم و انضم فريق منهم الى أخيه الشيخ علي حاكم بغداد، و مال فريق آخر الى أخيه الثاني أحمد و كان حاكما على ولاية البصرة و نشب صراع على السلطة بين الأخوة الثلاثة انتهى سنة 784 ه/ 1382 م بمقتل السلطان حسين و استيلاء أحمد على العرش الجلائري لكن السلطان أحمد هذا اختلف مع اخوته ايضا و تمكن من قتل أخيه الآخر الشيخ علي لكن الأمور لم تستتب له كما لم تستتب للدويلات المذكورة القائمة في بلاد فارس حيث شهد العالم الاسلامي في عهده موجة مغولية جديدة اندفعت من اواسط آسيا بقيادة تيمور لنك.

\*\*\*

ص:19

تيمور لنك‏

ينتسب تيمور الى احدى القبائل المغولية التركية، و اوصل بعضهم نسبه الى اسرة جنكيز و لكن هذا الأمر مورد شك حتى في ان يكون جده الخامس قرا جانويان لكنه على كل حال عاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس، و نشأ نشأة اسلامية في مدينة كش في ما وراء النهر (جيحون)، و صاحب نظراءه من أولاد الأمراء و الوزراء، و تدرب على فنون القتال، و قد مكنته شجاعته العسكرية من ضم القبائل المغولية تحت لوائه، و التخلص من الأمراء المنافسين على السلطة واحدا بعد الآخر، و أصبح حاكما على ماوراء النهر سنة 771 ه/ 1369 م، و اتخذ سمرقند عاصمة له. و كان الأوضاع الاقتصادية المتردية في بلاد ما وراء النهر، و رغبة تيمور في السيطرة، و عدم اعترافه نحو الغرب، لا سيما و قد اعتبر نفسه وريثا لاملاك المغول، و الامبراطورية الايلخانية الواسعة التي كانت تضم خراسان و بلاد الجبل و العراق العربي و اذربيجان و الاحواز و فارس و ديار بكر و آسيا الصغرى.

و هكذا غزا خوارزم أربع مرات بين عامي 773 ه و 781 ه ثم غزا أرض المغول و صحراء القبيجاق في (776- 779 ه) و في السنوات (782- 783 ه) و (784- 785 ه) غزا خراسان، و في (786- 787 ه) استولى على مازندران و استراباد، و في أواخر 789 ه دخل تيمور شيراز و استمر صراعه مع توقتمش خان و ذلك في سني (790- 793 ه)، و في شوال 795 ه تحرك تجاه بغداد و أخلاها فهرب السلطان أحمد الى الشام فدخل تيمور الى قلعة تكريت التي صارت وقتها عشا للمفسدين و المطاردين و لصوص القوافل و قد فتحها بعد لأي شديد و جعل من رؤوس المدافعين عنها منارات، و استمر في فتوحاته فاخضع بلاد ارمينية و الكرج و دخل روسيا و أحمد الفتن في آذربيجان و خلف عليها ميران شاه ثم قصد سمرقند في شوال 798 ه و حول في السنة التالية حكم خراسان و هراة الى شاه رخ ابنه الثاني.

و في سنة 801 ه عاد تيمور لنك من هجوم السنين الخمس و كان أول ما فكر فيه‏

ص:20

بعد ذلك أن يغزو الخطا و الختن أي ماوراء كاشغر و الصين الأصلية، لكنه لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو فتح الهند في هذا الآن، و وصل الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد في غزة ذي الحجة (800 ه) و بعد قتال مع الأفغانيين في جبال سليمان عبر وادي خيبر ثم عبر السند أوائل (801 ه).

و كان حكم السند و البنجاب في هذا الحين للسلطان محمود الثاني من ملوك التغلقيين أو أسرة أبناء محمد تغلق و كان مقره مدينة دهلى.

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب الهامة و بعد ستة أيام اجتاحها في السابع و العشرين من صفر و قتل نحو عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله الى دهلى.

و تواجه جيش تيمور و السلطان محمود في السابع من ربيع الثاني (801 ه) في (باني بت) على مقربة من دهلى، و في هذه المعركة التي كان النصر الكلى فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده و هرب السلطان محمود الى دهلى و دخلها تيمور في العاشر من ذلك الشهر و أخذ جنوده ينهبون المدينة و مكثوا بها خمسة عشر يوما. و حين بلغ تيمور أنباء ثورات نشبت بايران عجل بترك دهلى فقسم بلاد آل تغلق بين قواد جيشه و عاد الى سمرقند عن طريق افغانستان.

و حينما انقلب تيمور الى سمرقند انبئ أن ابنه سقط من على جواده فأصيب بارتجاج شديد في مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة و لهذا سلك الرعايا المغلوبون في الكرج و آذربيجان و العراق طريق العصيان، فتأهب تيمور بحملة جديدة على أيران و بلادها الغربية و زحف اليها. و غزواته هذه التي تسمى بهجوم السنوات السبع (802- 808 ه) و هي آخر حروب له.

و مات تيمور عام 807 ه- 1405 م في إحدى حروبه مع جيوش الصين عند أترار[[2]](#footnote-2)، فاقتسم ملكه من بعده ولداه جلال الدين شاهرخ و معين الدين ميرانشاه. حتى‏

ص:21

إذا ما قتل الأوزبك ثاني الأميرين التيموريين و استولوا على أجزاء من بلاده، طفق الأول يصطنع الحيلة معهم حتى أبعد خطرهم عنه، ليعيد اليه بلاد أبيه إلى حظيرته من جديد فيما عدا الشام و جنوب فارس.

و خلف الغ بك أباه شاهرخ عام 850 ه 1446 م، فدخل في منازعات و حروب متواصلة من أهل بيته من الأمراء، و لم يقف الأمر عند ضياع الكثير من أراضيه حتى قضى عليه ابنه عبد اللطيف ميرزا بنفسه ليقتل هو بدوره بعد قليل.

و لئن خبت عن الغ بك ملكته الحربية فقد تلألأ عنده نور المعرفة، حتى هدته بصيرته إلى أن يقيم مدرستيه الجامعتين، في سمرقند و بخارى، التي كتب على أبوابهما «طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة».

و أدى اشتغال هذا الأمير بالعلم و شغفه به إلى أن وفد إليه كثير من علماء فارس و طلبتها، فكان يشاركهم في الدرس بنفسه و يدرس معهم حركات الكواكب في مرصده الذي أقامه بسمرقند.

و قد نظمت باسمه جداول للهيئة كانت آخر كلمة لهذا العلم في وقته.

و برغم اعتزاز هذا الأمير بتركيته فقد كان شديد التعلق بكل ما يرجى فيه رقى الإنسانية و الفكر البشري عامة.

و جلس على عرش سمرقند من بعده الأمير التيمورى أبو سعيد ميرزا. بعون من الأوزبك، ليقيم له من بعد ذلك ملكا واسعا ضم أجزاء من السند و خراسان و سيستان و امتد إلى العراق. حتى إذا ما هزم التركمان فاقتحم آذربيجان لينحدر منها إلى العراق، استطاع أوزن حسن زعيم التركمان أن يتسلل إلى جبال آذربيجان فيقطع عنه الإمدادات، لتفشى المجاعة في الجيش من بعد ذلك و ينفرط عقد الجند و ينتهي الأمر بالسلطان أبي سعيد نفسه الى الوقوع في أسر القبائل التركمانية الشيعية المعروفة باسم قراقوينلو و أخيرا قرروا قتله و ترك أبو سعيد عشرة من الأولاد، و لكن لم يخلفه في ملكه الواسع، الذي كان يمتد من العراق إلى السند سوى أربعة منهم فولى أحمد ميرزا إقليم سمرقند و بخارى، و ولى ألغ بك إقليم غزنة، و ولى محمود ميرزا استراباد و هراة، ليغتصبها منه ابن عمه السلطان حسين‏

ص:22

بايقرا، فيستقر من بعد ذلك في الصاغانيان و بدخشان.

و كان هذا الأمير حسين بايقرا يسكن في (هراة) و حارب عدة سنوات حتى استطاع أن يوحد تحت صولجانه قسما من ميراث الأجداد، و كان مشجعا للعلوم و الفنون، و في أثناء حكمه الطويل (1469- 1506) وجدت العبقرية الايرانية ملاذا و ملجأ في أفغانستان و عندما تقدم العمر بالسلطان حسين أصيب ببعض الأمراض المؤلمة مما سبب انحرافه و لجوئه إلى حياة الانحلال الخلقي، مما خلق الفوضى الداخلية في اقليمه، كما سبب ثورة بعض أولاده ضده، و هكذا لم يستطع أن يكبت الميول تجاه توحيد بلدان ايران التي حرضها ظهور اسماعيل الصفوي في غربي إيران، و قد كان اسماعيل هذا يعتمد على تأييد التيارات الدينية التي يرأسها، أكثر من اعتماده على القوة العسكرية، و أدى هذا الى انتصار الشيعة الاثني عشرية نهائيا فوق اراضي جميع بلاد إيران، و قد فاز اسماعيل بالسيطرة على بلاد إيران الأصلية أثناء حياة (حسين بايقرا)، و عندما توفي حسين هذا أصبح نفوذ الأسرة التيمورية ضعيفا جدا في (هراة)، حتى اضطر ابن حسين للاعتراف بسلطة الأسرة الصفوية، و قد مات هذا أخيرا في بلاط السلطان العثماني.

و هكذا انتهت سلطة ممثلي الحكم المغولي على أراضي إيران، إذ أن أسرة تيمور لا يمكن أن ندعوها مغولية، فحكمه و حكم أبناءه يمثل الخصائص و المظاهر التركية، و ان انتصار الأسرة الصفوية عام 1502 لم يغير شيئا من طبيعة الأمور، فقد كان هؤلاء أيضا من أصل تركي، و ظلت لغتهم مدة قرن من الزمن في بلاطهم في قزوين أولا، ثم في أصفهان العاصمة الفارسية الجديدة هي اللغة التركية، و هكذا فلم تكن هذه الأسرة أسرة وطنية بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح، و قد أجبرتهم العوامل الجغرافية كما أجبرت (الإلكخانات) قبلهم أن يهتموا بالمصالح الوطنية و بلاد العجم، و بعد عدة عقود من الانقسامات و الحروب الأهلية تم إعادة توحيد الأراضي الفارسية في ظل حكومة ذات قاعدة و طنية مما سبب فتح الطريق نحو انبعاث قومي، و كانت الدولة الصفوية هي الأخرى تهي‏ء نفسها للفتوحات خارج بلاد فارس و قد نجحت في بعضها و لو الى حين من الدهر، كما وصل عدد من المغامرين و رجال العلم الذين نشأوا في ظل هذه الدولة الى الهند و كان لهم التأثير البالغ في حياة المسلمين فيه و منهم من صنع الممالك المستقلة كما ان منهم من‏

ص:23

صبغ الثقافة الهندية بلون هندي لن يبلى مع كرّ السنين، و مؤسس الدولة الصفوية هو الشاه اسماعيل بن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم، و صدر الدين ابراهيم المتوفى عام (851 ه) هو ولد سلطان خواجه على.

كان سلطان جنيد معاصر الأوزون حسن و قد لاقاه في ديار بكر، و قد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكم لسلطان جنيد فأولدها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل، أما حيدر فقد بنى بأبنة خاله أوزون حسن و كانت من أسرة أمراء يونان و اسمها مارتا او علمشاه خاتون أو (بكى آغا)، فولد الشاه اسماعيل من هذه المرأة، اليونانية و على هذا فنسب السلاطين للصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطر ابزون و بأمراء التركمان الآق قويونلو من ناحية الجدة.

و قد نسب مؤرخو العصر الصفوى هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم و أنشأوا لهم شجرة هذا النسب، الا أن هذه النسبة كاذبة و لم ترد في المؤلفات التي ألفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول و في أيام الشاه اسماعيل و أجداده.

و قتل الجنيد في (860 ه) في حربه أمير شروان فخلفه سلطان حيدر و تقدم الى شروان كما سبق يطلب ثأر أبيه و علا في اول الأمر على أمير شروان لكن الأمير استمد الأمير يعقوب التركماني فأمده يعقوب برغم نسبته لسلطان حيدر، و قتل حيدر في تلك الواقعة في عام (893 ه).

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم على و ابراهيم و اسماعيل و أرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لحبسهم بقلعة اصطخر بفارس فظلوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك في عام (898 ه) باحضارهم. و قتل على في حوالى أردبيل و هاجر ابراهيم و اسماعيل الى جيلان و أصاب القتل ابراهيم أيضا في هذا الأوان و بقى اسماعيل و أمضى نحو ستة أعوام بين السادات القواميين بجيلان.

و في أوائل (905 ه) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آستار بعون مريدين كثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه و قد انبثت جماعاتهم باسم (الصوفية) في جميع بلاد آذربيجان و أران و أرمنية و الجزيرة، و بعد ستة شهور قصد أرزنجان و فيها التف حوله نحو سبعة آلاف‏

ص:24

منهم و كانوا من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو و الأستاجلوا و القاجار و التكلو و ذى القدر و الأفشار. و كان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من (السقرلاط) و هو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القزلباش أى ذوو الرؤوس الحمراء و لهذا السبب أيضا سموا من هذا الوقت بالقزلباش و القزلباشية و شملت التسمية أتباعهم و جنودهم حتى ملوك الصفويين.

لم يزد الشاه اسماعيل الذي ولد في الخامس و العشرين من رجب (892 ه) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبعث للثأر لوالده و تأسيس أسرة حاكمة، و لما اتصل به القزلباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده و رؤية أمه، ثم سلك منها طريقه الى شروان، و غلب في ولاية شماخي في قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه و قتله و استولى على مدينة (باكو) أيضا. و سمع اذ ذاك أن ألوند بيك التكماني قد جرد جيوشه لقصده فتقدم اليه و احتاز فتحا باهرا في المعركة التي جرت بينهما في (شرور) قرب نخجوان أوائل (907 ه) و قتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق قويونلو في هذه الواقعة و لاذ ألوند بالفرار الى ديار بكر. و دخل الشاه اسماعيل تبريز مظفرا موفقا و آختار هذه المدينة عاصمة له و اعتلى عرش السلطنة رسميا و سك العملة باسمه و أقر مذهب الشيعة الاثني عشرية مذهبا رسميا لدولته و ارتدى علامة هذا الرسم تاجا من السقرلاط الأحمر.

و بعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيوشه على عراق العجم و قاتل مراد بيك الآق قوينلو خلف ألوند بيك على مقربة من همدان و ألحق به الهزيمة فلما فر مراد الى شيراز أتاها الشاه اسماعيل يتعقبه و في ربيع الأول (909 ه) دخل هذه المدينة، و سقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق قوينلو تماما من ايران و ضمت عراق العجم و فارس و كرمان الى بلاد الشاه اسماعيل.

و مع أن التراكمة الآق قوينلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا يدعون السلطة في عراق العرب، و فر مراد بيك من فارس و أتى بغداد و تمكن من الأمور بها. فقصد الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران في طاعته و فتح ديار بكر و قضى على من بقى من الآق قوينلو فيها و في (914 ه) سيطر على جميع العراق العربي بلا قتل أو اراقة دماء تذكر و تقدم بعد ذاك لفتح قلاع شوشتر و الحويزة و سخّر أيضا خوزستان و عاد الى آذربايجان عن‏

ص:25

طريق أصفهان و امضى الشتاء في قراباغ و الدربند و باكو و بعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز.

فتح خراسان في (916 ه):

كانت خراسان هي البلد الوحيدة التي لم تدخل حتى ذاك الوقت في طاعة الشاه اسماعيل و كانت تحت سيطرة اولاد تيمور أولا ثم استولى عليها الأوزبك أثناء نهضة الشاه اسماعيل.

و الاوزبك‏[[3]](#footnote-3) جماعة من أخلاف المغول أخرجوا في حدود عام (904 ه) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف تيمور و وفقوا في أنشاء دولة بها و يسمون بالأمراء الشيبانيين نسبة الى شيبغان أو شيبان أحد أولاد جوجي بن جنكيز و كانوا من نسله، و شيبان بكسر الشين و سكون النون لا تتصل قط بقبيلة بني شيبان العرب‏[[4]](#footnote-4).

و كان مؤسس أسرة الأوزبك هو (محمد شاهي بيك) أو (شيبك خان) الذي استصفى في (913 ه) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا بايقرا، و كان شديد التعصب‏

ص:26

للمذهب السنى لذا فقد آذى الشيعة، فضلا عن أنه أرسل الى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها الى ترك التشيع و هدده أنه اذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم الى آذربايجان و يدخله في المذهب السنى بقوة السيف. و لم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ الأوزبك يهاجمون حدود كرمان فقصد اسماعيل هذه المرة في أواسط عام (916 ه) الى خراسان و بعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبك الذين لاذو بمرو. و هاجم اسماعيل في السادس و العشرين من شعبان (916 ه) قلعة مرو و على أثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة الآف من الأوزبك فتح على اسماعيل فتح مبين و لفظ شيبك خان آخر أنفاسه في المعركة.

و يعدّ فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت فما بعده أمحت فتنة عظمى كانت تتهدد ايران و الهند من جانب الاتراك و نجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق في ايران بعد و كان شيبك خان الا يألوا جهدا في محوه، كما نجا الشاه اسماعيل و ظهير الدين بابر الذي كان أسس في نفس الوقت دولة كبرى في الهند من شر خصم قوى و لهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين الصفويين بايران و الملوك الجورجانيين بالهند المودة و الألفة، و لكي يحكم الشاه اسماعيل أواصر هذه الصداقة أرسل أخت بابر باحترام عظيم الى أخيها بالهند و كانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبك و أطلق سراحها نتيجة لفتح مرو.

و بعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هراة و أمضى الشتاء بها هانئا ثم أعد جيوشه لضم ماوراء النهر و في ربيع عام (917 ه) وجه عنان عزمه اليها فتقدم حتى حدود جيجون لكنه لم يتجاوزها و كر راجعا الى أذربايجان.

غزو ماوراء النهر في (918 ه):

و نتيجة للمودة التي قرت بين ظهير الدين بابر و الشاه اسماعيل قرر الطرفان مهاجمة ما وراء النهر يعاون أحدهما الآخر فيجتثا جرثومة تسلط الأوزبك كلية من هذه الأصقاع فأنفد الشاه اسماعيل أمير أمرائه المسى أحمد يار أحمد الاصفهاني و الملقب النجم الثاني بجيش اليها و قدم بابر معينا بدوره الا انه بعد عبورهما جيجون و بخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان و قتل النجم الثاني و عاد الاثنان من هذه الغزوة بخفى حنين.

ص:27

و تساقط الأوزبك بعد هذا الفتح على خراسان و هراة و سببوا انشقاقات بالغة لاسماعيل و لم يعد فتح مرو بعد هزيمته شيئا الا ان اسماعيل وصل معجلا الى خراسان، و كان ان اطلع الاوزبك بتحرك اسماعيل فاخلوا هراة و خراسان و هربوا الى ماوراء النهر فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيحون و عادت الى ملكية اسماعيل.

و علينا العودة الآن الى الفاتح الكبير بابر أحد أحفاد (تيمور) و قد مرّ ذكره غيره مرة فيما سبق من ما جريات الاحداث التي تعبّر عن الثقة المتبادلة بينه و بين الصفويين، و الواقع أن بابر هو الابن البارز لعمر شيخ ميرزا رابع اولاد السلطان ابي سعيد حفيد تيمور و قد مرّ ذكره قبل تحدثنا عن أحوال الصفوية، و قد ولي عمر شيخ ميرزا والد بابر امارة فرغانه وادى به طموحه الى ان يدخل مع جيرانه من المغول اصهاره و الاتراك اخوته في حروب متواصلة ابتغاء توسيع رقعة ملكه، ليمضي عام 899 ه، على اثر سقوطه من اعلى حصن له، فيحمل عبئ خصوماته من بعده ابنه الصبي ظهير الدين محمد بابر الذي قيض له ان يقيم أعظم دولة عرفتها شبه القارة الهندية في تاريخها.

\*\*\*

ص:28

() جنكيز خان‏

ص:29

بابر

ولد في 6 محرم سنة 888 (1483 م) و نشأ في نعمة ابيه و حرص ابوه على تعليمه، فقرأ معظم العلوم الشائعة في عصره و تمهر في الفنون الحربية و توفي ابوه و هو صغير و كان ذكيا فطنا حاد الذهن سريع الادراك قوي الحفظ فنبغ في الفروسية كما في الادب و الشعر و الانشاء و الخط، و جلس على العرش و سنه اثنا عشر عاما يوم الثلاثاء 5 رمضان سنة 899 ه (1494 م) في اندجان من بلاد ماوراء النهر و قد لقي الكثير من الشدائد و الصعوبات منذ بداية عهده لكنه قهر اعداءه حيث كان ذا شجاعة لا تبارى فعندما تسلق اسوار سمرقند و استولى عليها للمرة الثانية لم يكن معه الا 240 رجلا و كان عبوره لجبل هند و كش في وسط الشتاء القارص من الاعمال الفظيعة، و قد استولى على افعانستان سنة 910 ه (1504 م) و انطلق منها لتوسيع مملكته، و كانت الهند هدفه الاساسي فدخلها غازيا في قلة من الجند و واجه جيوشا كثيفة في ارض مترامية الاطراف واسعة الثراء، و كانت الهند قد سادها التفكك حتى تقاسم اغلب ولاياتها الامراء الافغان المسلمون و الامراء الهنادكة، و صار الحال الى ان سعى اللودي حاكم لاهور في الاستنجاد ببابر ضد ابن عمه ابراهيم اللودي حاكم دلهي، و لم يتردد بابر في تلبية تلك الدعوة الى الأرض التي سبقه اليها من قبل جداه جنكيز و تيمور فسار الى دلهي باثني عشر الف مقاتل فقط، لكنهم كانوا مزودين بالمدافع التي لم يعرفها حاكم دلهي الذي اعتمد على كثرة جنوده و كانوا مائة ألف من الفرسان مزوّدين بالفين من فيلة الحرب، و التقى الجيشان في (بانيابت على مسيرة عشرة اميال شمال دهلي) في يوم الجمعة 8 رجب 932 ه يوم الجمعة (20 ابريل 1526) و لم تنفع الكثرة شيئا أمام تنظيم بابر و مدافعه و بنادقه التي لم تكن الهند تعرف نظيرها فضلا عن شجاعة رجاله و تساندهم معا، و هكذا دارت الدوائر على جيش دلهي و قتل ابراهيم اللودي كما قتل معه الآلاف من جنده و فرّ الباقون فدخل بابر دهلي ظافرا و جلس على سرير الملك يوم الجمعة 15 رجب 932 ه (ابريل‏

ص:30

1526 م) فأخذ في توزيع ما وقع بيده من كنوز الهند الكثيرة على رجاله، و بلغ من كرمه أن بعث الى العلماء و الفقراء في أغلب المزارات الاسلامية بالعالم الاسلامي بنصيب منها، كما خص كذلك كل قاطن بكابل بقطعة من النقود الفضية تذكارا لانتصاراته هذه.

و كانت هذه الكنوز تضم فيما تضم ماسة كوهينور أكبر ماسة عرفتها الدنيا، و هي التي سرقها البريطانيون فيما بعد و زينوا بها تاج ملكتهم فيكتوريا.

ثم سار ابنه همايون على رأس جيش الى (اكرا) فاستولى عليها، و لم يرق هذا الانتصار إلى عدد من الامارات الهندوسية التي كانت ما تزال تحتفظ ببعض قوتها فتجمع ملوك الهندوس «رانا سنك» ملك جيتور و سيد الراجبوتانا و أكبر امراء الهنادكة و أعظم ابطالها حتى لا تزال الهند تترنم في اغانيها الشعبية بذكر بطولته الى اليوم، و كان معه في تلك الحملة ملوك مار قار و آمير، و أجمير، و كواليار و تشنديري «جند يري»، و انظم إليهم محمود اللودي أخو السلطان المقتول، و وجد بابر نفسه أمام تكتل عظيم من قوى المسلمين و الهندوس معا، و هنا برزت مواهبه الحربية، و قدرته في تعبئة قواته نفسيا و حربيا، فوقف يخطب فيهم مذكرا أياهم بالنصر القريب، و مخوفا لهم عاقبة التخاذل أمام هذه القوى المتجمعة، و تقدم في التعبئة النفسية خطوة أخرى، حيث أعلن أمام جنده أنه سيطهّر نفسه من شرب الخمر، و حطم كؤوسها و أراق ما كان عنده منها، ثم قال لهم: هلموا بنا إذن نقسم باللّه و كتابه ألا نبرح مكاننا حتى ننتصر أو نهلك جميعا. و جابه جنده، فرفعوا المصاحف و أقسموا، و غلت دماؤهم، و لعب الحماس بنفوسهم، و تقدموا للقتال، فكانت الغلبة للمدفع و النفس القوية، و التنظيم المحكم، و بذلك تشتت شمل هؤلاء المتجمعين، و أخذ بابر يتعقب من بقي منهم و يأتي على ملكه، و بذلك انكسرت قوة المقاومة أمامه، و استقامت له الأمور، لا سيما بعد أن طارد محمود اللودي الذي فر إلى البنغال و كانت تحكمها اسرة افغانية، و تابعه بابر حتى استولى على بيهار و بهذه الواقعة تم لبابر اخضاع الهند كله و حين بدأت الأمور تستقر له شرع ببعض الاصلاحات فمهد الطرق و حفر الترع و أهتم بالزراعة و نظم الضرائب و أقام مراكز البريد على الطريق بين اكره و كابل لكن القدر لم يمهله طويلا فمات في 6 جمادى الأولى سنة 939 ه (26 ديسمبر سنة 1530 م) بمدينة اكره و دفن في كابل، و له خمسون سنة، و لم يكن قد امضى أكثر من سنوات ستة في بلاده الجديدة.

ص:31

و ما من شك ان بابر كان أحد عظماء التاريخ فقد استطاع ان يحقق انتصاره التاريخي في موقفه (باني بت) المذكورة بما لم يحققه من سبقوه من غزاة الهند المسلمين من الغزنزويين و الغزنويين الذين كانوا لا يسيرون في أقل من مائة الف من الجند، و استطاع بحزمه و قوة عزيمته أن يتغلب على تذمر رجاله الشديد من حرّ الهند الذي أضاع من قبل على الاسكندر المقدوني و محمود الغزنوي من بعده ثمرة فتوحاتهم الهندية فأسس ملكا اسلاميا عامرا ازدهر اكثر من قرنين من الزمان بعده.

و كان بابر أديبا شاعرا، كتب باللغة التركية الجغتائية مذكراته المسماة (بابر نامه) أو الوقائع البابرية و هي سيرة ذاتية له ذكر فيها، قصة حياته و طفولته إلى آخر سنوات عمره، كان فيها صريحا كل الصراحة فتحدث عن ضعفه و أخطائه و هزائمه، كان فيها واقعيا بعيدا عن الانفعالات النفسية، و لم يكن القصد منها الدفاع عن النفس.

و قد اعتبرها بعض الدارسين بما فيها من قوة الملاحظة و القدرة على التحليل و الفهم لنفسية الشعوب و الافراد. و ما في لغتها من صفاء و بساطة و وصف حافل بالألوان الجياشة بالحياة- اعتبرها من روائع النثر التركي.

و يظهر من اختلاف الأسلوب كما أشارtrauH أنّ هذه المذكرات لا بد و أن يكون أملاها المؤلف على كتّاب ثلاثة. و قد نشر نصها إلمنسكي‏iksnimlI في قزان سنة 1857 من نسخة نسخهاrheK في سنة 1737، و نشرت السيدة، «أنيت بفردج»:srM .ettennA egdireveB .S مخطوطا كان يملكه السير سالار جنك الحيدر ابادي (انظرlairomeM bbiG ج 1، سنة 1905، و معه فهرسان). و ترجم «بابر نامه» الى الفارسية عبد الرحيم ميرزا خان بن بيرام خان سنة 1590 ثم ترجمت هذه الترجمة الى الانجليزية بواسطة ليدن و إزسكين‏eniksrE .W وnedyeL .J سنة 1826 أما الترجمة الفرنسية التي قام بها بافيه ده كورتيى‏ellietruoC ed tevaP و طبعها في باريس سنة 1891 فهي مأخوذة عن نسخة إلمنسكي‏iksnimlI . و في مذكرات بابر فراغ يرجع إما إلى رغبة المؤلف في إغفال ذكر بعض الحوادث التي ليس في صالحه ذكرها و اما الى الحوادث نفسها التي حدثت له خلال حياته الحافلة بالمغامرات و قد نهج ابناؤه من بعده نهجه هذا في تدوين سيرهم و كانوا جميعا يقتدون في ذلك بما فعله جدهم الأكبر تيمور.

ص:32

و كان بابر كما ذكرنا شاعرا مقتدرا على الشعر الفارسي و التركي و له ديوان باللغتين يشتمل على الغزل و المثنوي و الرباعي و القطعة و المعمى و المفرد، و يدل هذا الديوان على أن بابر لم يكن دون أيّ من الشعراء الجغتائيين في القرن الخامس عشر. و في الديوان نقرأ أغاني الحب الصوفّي و الخمريات إلى جانب موضوعات الحياة اليومية. عدا عن أن قصائد الديوان هي في الأصل باللغة التركية، فإن فيه ما يزيد على عشرين قصيدة باللغة الفارسية.

و يجهر في الديوان بأنه تركيّ مشيدا بشجاعة الأتراك، و إذا عدّ بابر في التاريخ السياسي بين الملوك المظفرين المؤسسين الناجحين، فإنه يعد و لا شك في التاريخ الأدبي في أول الشعراء الأتراك، و لا يسبقه إلا الشاعر نوائي.

و لبابر رسالة في العروض اكتشفت سنة 1923 مخطوطة في ملحق المكتبة الأهلية في باريس.

و له منظومة في المعارف الالهية نظم فيها رسالة الخواجة أحرار و مجموعة من المثنويات تسمى (مبين) و من مخترعاته خط سماه بالخط البابري كتب بذلك الخط القرآن الكريم و بعث به الى مكة المكرمة، و شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نوروز و نور بهار دمي دلبرى خوش أست‏ |  | بابر بعيش كوش كه دنيا دو باره نيست‏ |
|  |  |  |

كلبدن بكم ابنة بابر شاه (930 ت 1010 ه)

و قد انجب (همايون) الذي خلفه في الحكم و كان شيعيا و سيأتي تفصيل حياته، كما أنجب (كلبدن بيكم) من زوجته دلدار بيكم 1523 م، و التي كانت على مذهب أخيها و من فضليات زمانها علما و أدبا ولدت سنة (930 ه/ 1523 م) في خراسان و قدمت الهند سنة 936 ه و نشأت في ظل والدها و صنوها همايون بن بابر شاه، و تعلمت الخط و الإنشاء في اللغة التركية و الفارسية و بعض الفنون آخر، و تزوجت بخضر خان الخواجة الجغتائى و ولدت له بنت اسمتها رقية سلطان ثم زوجتها فيما بعد بالامبراطور أكبر، ثم رحلت الى الحرمين الشريفين للحج و الزيارة في أيام أبن أخيه أكبر بن همايون و كانت معها بنت أخته «سليمة سلطان بيكم» سنة أثنتين و ثمانين، فحجت أربع حجات ثم رجعت إلى الهند، و غرقت سفينتها فأقامت بمدينة عدن سنة كاملة و دخلت الهند سنة تسعين و تسعمائة.

ص:33

و كانت فاضلة شاعرة عفيفة صاحبة العقل و الرأي، و من الزاهدات العابدات لها «همايون نامه» كتاب ضخم في أخبار أبيها و صنوها همايون، و من أبياتها قولها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تو يقين ميدان كه هيج از عمر برخوردار |  | هر برى روى كه او با عاشق خود يار نيست‏ |
|  |  |  |

توفيت سنة عشر و ألف (1603 م) في أيام أكبر شاه، كما في «إقبالنامه» و كان من علماء عصرها العالم المجتهد السيد أبي البقاء بن عبد الباقي بن تقي الدين محمد الحسيني الخراساني أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية قدم الهند مصاحبا لبابر شاه و سكن بآكره و درّس و افاد بها مدة من الزمان ثم خرج مع صاحبه همايون شاه الى ايران و أقام بارض السند معه زمانا، و كان معه حين تزوّج همايون بحميده بيكم فقرأ خطبة النكاح و أعطاه همايون مائتي ألف من النقود الفضّية ثم بعثه الى بهكّر بالرسالة الى صاحبها فقتل بها سنة ثمان و اربعين، ذكرته كلبدن بيكم في «همايون نامه» و قال مرزا نظام الدين في الطبقات (ان همايون بعثه بالرسالة الى يادكار ناصر و كان قاصدا الى قندهار ليرجعه الى معسكره فذهب ابو البقاء اليه ثم رجع الى همايون، فلما وصل تحت قلعه بهكر خرجت طائفة من أهلها و رموا اليه بالنشاب فاصابه سهم و مات بها سنة سبع و اربعين) و الصواب انه قتل يوم الأربعاء لتسع عشرة خلون من جمادى الاخرى سنة ثمان و اربعين و تسع مائة.

خان زاده بيكم:

شقيقة بابر و كانت تكبره بخمس سنوات، عاشت معه في سمرقند، و يقال إنها أحبت شيباني (انظر محمد صالح: شيباني نامه، طبعة فامبرى‏yrebmaV ( و قد اضطر بابر الى السماح بهذا الزواج كي يفر من سمرقند. و قد طلق شيباني عمتها ليتزوج منها، ثم طلقها هي بعد ذلك لارتيابه أنها تحابى أخاها.

و قد أعقبت منه ولدا هو خان شاه الذي أصبح والى بلخ و لكنه توفى صغيرا. ثم تزوجت بعد طلاقها من السيد شيخ هادي بيد أنه قتل في وقعة مرو التي قتل فيها شيباني أيضا. و قد بعث بها الشاه إسماعيل إلى بابر و تزوجت بعد ذلك المهدى (انظر حبيب السير، ج 2، ص 372، في رواية لمحمد زمان) و توفيت خان زاده بيكم في أفغانستان عام 1545 و عهد إليها من قبل برعاية أكبر حفيد أخيها عندما كانت أمه في فارس، و الظاهر أن خان‏

ص:34

زاده بيكم كانت امرأة عظيمة يحترمها الناس كثيرا. و قد سرها أن الطفل أكبر كان يشبه أخاها بابر (أنظرnuyamuH fo sriomeM :nadabluG ، الترجمة ص 37).

()

ص:35

همايون‏

و كان لبابر أربعة أولاد، كان همايون أقربهم الى قلبه، و لذا عهد إليه بالملك في الهند، على أن يكون أخوه «كمران» واليا على كابل و قندهار، ثم أضاف إليه همايون ولاية شمال البنجاب أيضا، على أن يكون تابعا إسميا لدلهى، و أما أخواه الصغيران «هندال مرزا، و عسكرى مرزا» فقد أعطاهما ولايات في الهند، و كان همايون شديد العطف على إخوته حسن المعاملة معهم، لكنهم لم يكونوا معه كذلك، بل ظاهروه بالعداوة، و تفرق شملهم حتى طمع فيهم أعداؤهم، و أصبحت حياة همايون سلسلة من المصائب و المصاعب كما سيأتي.

ولد همايون ليلة الثلاثاء 4 ذو القعدة سنة 913 ه بقلعة كابل و نشأ في رعاية والده و أتقن الفنون الحربية و السياسية ما يليق بابناء الملوك و أضاف إلى ذلك معرفة اللغة التركية و الفارسية و علم الهيئة و الهندسة و النجوم و الشعر و الالغاز و تبحر في علم الاصطرلاب أخذ عنه نور الدين السفيدونى و هو أخذ عن السفيدوني غيرها من الفنون و أخذ عن الشيخ جلال التتوى السندى و الشيخ أبى القاسم الجرجاني و مولانا الياس الاردبيلى قرأ عليهما درة التاج للعلامة قطب الدين الرازي و كان دائم الاشتغال بمطالعة الكتب و مذاكرتها.

و قد جلس على العرش بعد أبيه في 9 جمادى الأولى سنة 937 ه بمدينة آكره فأرخ له بعض العلماء «خير الملوك» و وزع الأموال الطائلة على الخاصة و العامة ثم نفذ وصية والده و حاصر قلعة كالنجر الشهيرة بالمناعة و فتحها، و بينما هو في سعيه للسير على خطى والده و تطوير الامبراطورية اذا بشحناء الحسد تظهر في أعمال عدد من أمراء الجيش في البلاد و قد أثارتهم كثرة الغنائم و الاطماع بالملك الواسع الذي سيطر عليه الغزاة الجدد ذلك ان بابر و بسبب المدة القصيرة التي قضاها على عرش الهند لم يستطع القضاء التام على جميع الخارجين عليه و مما فتّ في عضده ان اخوانه كانوا في طليعة من تآمروا عليه مع اولئك الامراء.

ص:36

فقد اسرع ميرزا كامران بالمجئ الى الهند مدعيا انه أتى لتهنئة أخيه بالملك، و لكنه لم يأت، في الواقع الا ليحرض أمراء البنجاب على أخيه، و قد علم همايون بالأمر و لكنه تغاضى عن فعل أخيه، لا بل فإنه زاد في إكرامه إذ أقطعه من البنجاب حتى نهر ستلج و عهد إلى إخوانه الآخرين بوظائف رفيعة في الدولة. و بينما همايون يعمل لإطفاء هذه الفتنة العائلية قبل أن تظهر للملأ و يعسر إطفاؤها و إذا بالأنباء تأتيه منبئة بأن محمود لودهي، الذي كان فرّ من أمام بابر و أختبأ في بعض نواحي البنغال، قد ظهر ثانية إلى الميدان، و استولى، بمساعدة بعض الأمراء الأفغانيين، على مدينة جونبور، فسار همايون إليهم و قاتلهم و استرد منهم ما أخذوه، و كان ينوي استئصال شأفتهم ليرتاح، و لكن الذي كان يخشاه من الشرق أتاه من الجنوب، و كانت ثورة الجنوب أعظم شأنا و أشد خطرا و ذلك لأن منافسه لم يكن ثائرا عاديا بل كان ملكا عظيما ألا و هو بهادر شاه عاشر ملوك كجرات، الذي كانت سلطنته تضم خانديس و برار و أحمد نكر و مالوي و ميوار و غيرها، كما كانت بلاده أصبحت ملجأ للناقمين و الفاريّن و الملتجئين من الأمراء الأفغانيين و من المغول الموتورين و لكثير من أمراء الأسرة اللودهية، و لكل واحد من هؤلاء أنصاره و أتباعه.

و قد حرض هؤلاء السلطان بهادر شاه على الاستيلاء على شمال الهند، فأصابوا من نفسه غرضها، فجهز جيشا يضم أربعين ألف مقاتل و أرسله سنة 1534، بقيادة تاتار خان بن علاء الدين لودهي للاستيلاء على آكره، و خرج همايون للقاء هذا العدو، و نشبت بين الفريقين معركة على الحدود الراجبوتانية سحق فيها جيش بهادر شاه سحقا و قبض على قائده تاتار خان فقتل. و تقدم همايون ينوي القضاء على سلطنة بهادر شاه فاستولى على سارنكبور في إمارة مالوي التابعة لبهادر شاه بينما كان بهادر شاه يحاصر قلعة جتور، الكائنة في امارة ميوار، لقمع ثورتها عليه، فلما سمع بهادر شاه بزحف همايون إليه لم يرفع الحصار عن القلعة، و لأمر ما لم يشأ همايون أن يهاجمه و هو مشتبك مع عدوه بل أخذ ينتظر، و لما فتح بهادر شاه هذه القلعة كرّ، سنة 1535، على همايون و التقى الفريقان في ضواحي مند سور، على حدود راجبوتانه، فلما رأى الكجراتيون الجيش المغولي خارت قواهم، لا سيما و أن حصار جتور كان قد انهكهم. و قد أدرك بهادر شاه أن لا طاقة له بهمايون و جيشه فأراد اللجوء إلى الحيلة و لكنه فشل و حاصره همايون من كل جانب و منع‏

ص:37=PAGEص:

عنه المدد و الأقوات حتى هلك الناس و الحيوانات و أصبحت الغنيمة بالفرار، فأخذ الناس يفرون، و فرّ بهادر شاه نفسه، و انتصر همايون نصرا حاسما مؤزرا من غير أن يلجأ إلى حرب سافرة و أخذ يطارد الكجراتيين حتى استولى على مالوي ثم تقدم فاستولى على محمود آباد، و بهادر شاه يفرّ أمامه من مكان إلى مكان. فلما سقطت محمود آباد بين يدي همايون لم يعد بهادر شاه يأمن على نفسه البقاء في بلاده فذهب ملتجئا إلى المستعمرة البرتغالية «ديو» الكائنة في رأس كجرات الجنوبي.

أما همايون فإنه بعد أن تجول في أكثر أنحاء كجرات و عيّن لها الولاة، نصب أخاه عسكري ميرزا واليا عاما عليها، و ظنّ أنّ الفتح قد تمّ له، فأخذ يرتاح في خانديس.

غير أن عوامل الثورة كانت لا تزال موجودة و بهادر شاه ما زال حيا و أنصاره ما زالوا يؤيدونه و ولاته لم يقروا بالهزيمة بل كانوا لا يزالون يشتبكون بمعارك مع ولاة همايون و يدفعونهم جهد طاقتهم، ثم إن عسكري ميرزا لم يكن مخلصا لأخيه همايون بل كان يطمع بانتزاع كجرات منه ليكون هو عليها ملكا مستقلا.

و بينما الأمور تجري في الخفاء و الناس يستعدون للعصيان من جديد و إذا بالأنباء ترد إلى همايون معلنة موت و اليه على جونبور جنيد برلاس، و هو الوالي الاداري الحازم المخلص الذي كان همايون يعول عليه في الملمات و يتخذه درعا يقيه الأعداء.

إزاء كل هذا رأى همايون أن يسرع الخطى نحو آكره ليرتق ما انفتق، و بمغادرته كجرات طارت من يده البلاد، إذ خرج بهادر شاه من مخبئه و استعاد ملكه و وجد أنصاره ما زالوا على ولائهم له، فطرد عمال همايون، و فرّ عسكري ميرزا بعد شهور لا حقا بأخيه في آكره.

عاد همايون إلى آكره ليواجه صعابا لم تكن في حسبانه و ذلك أن الأفغانيين في شرق الهند اغتنموا فرصة انهماكه في كجرات و ساروا، بقيادة زعيم اسمه شير خان، فاستولوا على قلاع كثيره منيعة، و حدث أن مات سنة 1556 أمير البنغال نصرت شاه، الذي كان مواليا لهمايون و خلفه أمير تلقّب بالسلطان محمود شاه، و لما كان لهذا الأمير أنصار و أعداء فقد اهتبل شير خان هذه الفرصة و زحف إليه فحاصره في عاصمته كور و ظل يوالي عليه‏

ص:38

الضربات حتى ألجأه إلى الفرار ففرّ ملتجئا إلى همايون الذي كان آنذاك في بهار، فكان على همايون أن يقضي على ثورة شير خان و أن يعيد أمير البنغال إلى عرشه، و بعد أن استعاد سنة 1537 قلعة جنار من أيدي رجال شير خان تقدم سنة 1538 إلى كور لاسترجاعها من الأفغانيين فالتقت طلائع جيشه في بعض الطرقات الجبلية بالجيش الأفغاني الذي كان يقوده ابن شير خان، و لما رأى الأفغانيون أنهم لا يقدرون على الوقوف في وجه الجيش المغولي تراجعوا ملتجئين إلى الجبال و سار همايون متقدما حتى قارب قلعة رهتاس و كان الواجب عليه أن يستولى عليها ليضمن لنفسه خط الرجعة، و لكنه لم يفعل، و كانت خطيئة استراتيجية ارتكبها همايون و قطف ثمارها شير خان إذ أنه لما علم بإهمال همايون هذه القلعة ترك كل شي‏ء وراءه و رجع بطريق جبلي فاستولى عليها.

أما همايون فإنه سار حتى دخل كور و جاء فصل الشتاء فلم يعد يستطيع حراكا و بينما هو في هذه الحال و إذا بالأنباء تأتيه مخبره بأن أخاه هندال ميرزا اهتبل فرصة غيابه عن العاصمة و أعلن نفسه ملكا على البلاد، و تحرك أخوه الثاني كامران ميرزا، والي البنجاب، يقصد آكره لينتزع الملك من أخيه، مدعيا أنه آت لنصرة همايون، و لما علم هندال بمسير أخيه إليه ترك آكره و فرّ إلى الوز و هكذا فقد أصبحت البلاد في فوضى و اضطراب لا حدود لهما و أصبح همايون و كأنه محصور في البنغال إذ أنه لم يعد يستطيع أن يطلب نجدات من آكره و لا يستطيع العودة إليها و هو على حالته تلك لا سيما بعد أن أفنت الأوباء، التي تفشت في جنده، عددا كبيرا منهم.

و في هذه الفترة التي كان همايون لا يستطيع أن يأتي بحركة، كان شير خان يستولي على البلاد و يقيم عليها الولاة مكان الولاة المغول. فلما رأى همايون أن لا بد له من العودة إلى آكره ترك كور و سار حتى وصل مدينة بنارس و هناك التقى ب شير خان و دارت بينهما معركة في (جوسه) على خمسين ميلا من مدينة آره، و انهزم همايون هزيمة منكرة، و غرق آلاف من رجاله في ماء (الكانج) و اشرف همايون على الغرق و لكنه نجا بمساعدة نظام السقاء و كان ذلك سنة 946 ه و هكذا كان النصر حليف شير خان و بذلك أصبح سيد البنغال و بهار غير منازع. و لما رأى الأمراء الأفغانيون ذلك بايعوا شير خان ملكا على البنغال و تلقب ب شير شاه سور. أما همايون فإنه استطاع الفرار من المعركة و رجع إلى‏

ص:39

أكره مهيض الجناح كسير الفؤاد و توالت الهزائم على المغول حتى خرجت من يد همايون أكثر البلاد الكائنة ما بين نهر جمنا و نهر الكانج و كثير غيرها.

غير أن كل هذه الهزائم لم توهن من عزم همايون و لا فتت من عضده و لا أفقدته الثقة بنفسه بل أخذ يجمع الجموع، من جديد، ليحارب شير شاه، و في سنة 1539 سار همايون إلى بلاد ما بين النهرين- جمنا و الكانج- يريد استئصال الأفغانيين فالتقى ب شير شاه عند قنوج، و كانت الظواهر تدل على أن الغلبة ستكون لهمايون على خصمه، و لكن حدث أن جاءت السماء بأمطار غزيرة أغرقت معسكر همايون، إذ كان في منخفض من الأرض، فشلّت حركاته و دارت الدائرة عليه و مني بهزيمة شنعاء كانت القول الفصل في تقرير مصير همايون الذي استطاع أن يفلت من أيدي أعدائه، و لكنه لم يعد يستطيع البقاء في آكره أو في دهلي لأن جيوش شير شاه كانت تطارده، فأخذ يضرب في الأرض بين السند و البنجاب عله يستطيع تأليف جيش ليجابه عدوه و لكن جهوده ذهبت عبثا و لم يجد له ناصرا بل لم يكن يملك الا بعيرا ركبه مع زوجه و هي حامل حتى وصل الى عمر كوت حيث ولد ابنه جلال الدين اكبر، و اما قومه من المغول فحين ادركوا، أنهم أصبحوا غرباء في البلاد أخذوا يغادرونها إلى البنجاب حتى ليقال بأن لاهور و ضاقت بهم، ثم لما علموا بأن شير شاه ما زال يطاردهم تركوا لاهور إلى كابل و كشمير. و كانت كابل إمارة مغولية منذ زمن بعيد، و أما كشمير فقد استولى عليها حيدر ميرزا ابن خالة بابر و مشير همايون و أسس فيها إمارة أصبحت ملجأ لكل مغولي، و قد دعا حيدر ميرزا همايون مرات عديدة إليه، و لكن همة همايون أبت عليه، بعد أن كان أمبراطور الهند، أن يعيش ضيفا على قريبه، و ظل أكثر من سنتين يضرب ما بين السند و الهند محاولا استعادة ملكه دون جدوى، لما يئس غادر البلاد إلى كابل لكنه ما كاد أن يستقر فيها حتى بلغه أن أخاه خرج إليه ليأسره، ففرّ بنفسه تاركا أبنه مع أمه في (قندهار) و التجأ الى امبراطور إيران الشاه طهماسب الصفوي الذي أكرم مثواه و أحسن ضيافته.

و في سنة (947 ه- 1540 م) أصبح شير خان أو شير شاه السوري كما عرف فيما بعد هو السلطان الحقيقي للهند.

ص:40=PAGEص:

[[5]](#footnote-5)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص40**

و ما غدا أن أخضع مالوه و البنغال لحكمه كما أنزل بالأمراء الهنادكة الرجبوتيين ضربات متلاحقة شديدة. بيد أنه أصيب في إحدى المواقع بشظية من قذيفة قضى بسببها بعد قليل سنة 1545 م بعد أن حكم الهندستان سنين خمسة تعد من خير أيام هذه البلاد.

فقد قضى على نظام الاقطاع و أنشأ للدولة جيشا قويا تلتزم بدفع نفقاته من بيت المال و مدّ ما يزيد على الألفي ميل من الطرق المعبدة لتي تظللها الأشجار و زودها بمنازل للمسافرين و الدواب مما ساعد على رواج أحوال صغار التجار تبعا لذلك. كذلك أنشأ المدارس الكثيرة و المساجد و رتب الأجور للطلبة و المعلمين على السواء، و أقام مطاعم شعبية كثيرة في انحاء متفرقة من البلاد و أباحها للفقراء بالمجان.

و قد خلفه ابنه الأكبر، و لكن أخاه الأصغر ازاحه عن العرش و تولى الملك و تلقب بالسلطان سليم شاه و سار على خطى والده في الإصلاح، إلا أنه أصيب بالغرور و العتو، فأمر بأن توضع له منصة في مركز كل ولاية توضع عليها نعلاه فيأتي الناس يوم الجمعة ينحنون أمامها تعظيما و خضوعا. ثم ازداد غرورا و رعونة و فسقا، فثار عليه والي البنجاب هيبة خان فقضى السلطان على ثورته و لكنه لم يستطع أن يقضي على غضبة الشعب.

فأنقسم الناس أحزابا و طرائق، منهم من يؤيده و منهم من ينكر عليه، فلما مات سنة 1554، ماتت معه الوحدة الأفغانية، التي عمل أبوه جاهدا كل حياته لخلقها و إحيائها، و استقلت أكثر المقاطعات، لا بل و انقرضت اسرة شير شاه لأن السلطنة انتقلت بعد ذلك إلى خاله مبارز خان الذي أزاح فيروز شاه بن سليم شاه عن العرش و تولاه هو و تلقب بالسلطان العادل لكي يستر ما كان عليه من ظلم و جور.

و لما تولى العادل ثار عليه الولاة في بهار و ما بين نهري جمنا و الكانج فقاتلهم حتى تغلب عليهم، و ما كاد ينتهي من قتالهم حتى فوجئ بوالي البنجاب أحمد خان و هو يسير إلى آكره و يعلن نفسه ملكا على البلاد و يلقب نفسه ب سكندر شاه. و السبب الذي حدا سكندر شاه إلى ذلك هو أنه من أسرة شير شاه، و كان أحق بإرث فيروز شاه من غيره، بيد أن نتائج هذا الاختلاف لم تعد على أحد بنفع، بل أدت الى ما تؤدي إليه جميع الاختلافات من هذا النوع إلى خسران الجميع، و هكذا كانت هذه الانشقاقات هو الباب الذي ولج منه همايون للعودة الى عاصمة ملكه، و خلال خمسة عشر سنة من اقامته في بلاد

ص:41

فارس كان يضع الخطط المدروسة لذلك و قد حظي خلال تلك الفترة بقائد عسكري خطير و مفكر عظيم الشأن و هو بيرم خان التركماني الشيعي الذي قاد عملية رجوع همايون الى الهند ببراعة فائقة، فما ان تنامى الى سمع همايون و قائده بيرم نبأ الفوضى التي عصفت بخلفاء شير شاه السوري حتى انطلقا بجيش جرار من بضعة آلاف محارب جهزها لهم الامبراطور الصفوي، و ساروا الى الهند و اصطدموا أولا بميرزا كاميران و عسكري في ارض كابل و السند حتى ظفروا بهم، و من ثم سمح همايون لأخويه بالهجرة الى الحجاز فبقيا هناك حتى آخر حياتها.

ثم انطلق جيش همايون و على مقدمته القائد بيرم خان للالتقاء بجيش سكندر شاه الذي اعدّ جيشا قواه ثلاثون ألف مقاتل، فلما التقى الجيشان شتت بيرم خان، قائد جيش همايون، شمل هذا الجيش و صدعه و فتح لنفسه باب الهند، إذ أخذ المغول يستولون على القلاع القائمة على الطريق ما بين البنجاب و دهلي. و لكن سكندر شاه جمع جموعه، من جديد، و سار على رأس جيش كبير لطرد المغول، و سار همايون بكامل جيشه، فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة سمرقند، و دارت رحى معركة شديدة انتهت بانتصار همايون، و كان ذلك سنة 1554، و فرّ سكندر شاه إلى قلعة حصينة تقع ما بين «رهتاس» و كانكرى و هي القلاع التي بناها شير شاه و اتخذها مركزا لتأديب قبائل الحدود، و من هناك أخذ يناوش ولاة شمال البنجاب و يزعجهم، و قد تركه همايون في قلعته هذه حتى فرغ من تطويع الهند ثم سار إليه بنفسه و حاصر القلعة حتى استسلم بشرط أن تترك له حياته و يسمح له بالذهاب إلى البنغال. و باستسلام اسكندر شاه زال آخر حصن أفغاني في البنجاب.

و إذا كان القدر قد أسعف همايون بأن جعله يرى الهند ثانية و أن يدخلها فاتحا منصورا بعد أن فرّ منها خائفا يترقب، فأنّه لم يسعفه بأن ينعم بهذا النصر إذ سقط، قضاء و قدرا من الطابق ألأول، في قصره، إلى الأرض فمات. و في تاريخ فرشته يروي قصة وفاته على هذه الصورة، قال كان ينزل من مكتبته، و اثناء نزوله سمع الآذان فجلس على السلم و وقع مغشيا عليه، و أدركه خدمه و نقلوه الى الحرم الملكي، و جاءوا له بالأطباء، فأفاق قليلا، و لكن ساعته كانت قد حانت، فلم يجد الاطباء شيئا و توفي في 12 ربيع الأول سنة

ص:42

963 ه (يناير 1556 م) و هو في الواحد و الخمسين من عمره و خلفه ابنه جلال الدين و تلقب ب «أكبر» و هو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره، و بالنظر الى صغر سنه فقد تولى إدارة الملك القائد الحازم الأمين «بيرم خان» بوصفه نائبا عن الملك.

مات همايون و لم يسيطر إلا على الهند المركزية، و كان شرق الهند ما زال بيد أمرائه، و كان الأمراء في قتال و احتراب مستمر، و في الفترة التي مات فيها همايون كان عادل شاه، الذي ادعى حق وراثة عرش البنغال، قد فرغ من حروبه الأهلية و انتصر على جميع الأفغانيين الثائرين، فجمع قواه و تقدم لقتال المغول حتى وصل دهلي فتصدى له و اليها «تردي بيك» بكل ما لديه من جنود و لكنه انهزم أمام جيش عادل شاه الذي كان يقوده القائد «هيمو» و دخل البنغاليون دهلي فخرجت هذه المدينة من يد المغول للمرة الثانية.

أمام هذه الهزيمة المغولية الجديدة، التي كادت نتائجها تكون خطيرة على المغول لو لم يكن فيهم قادة عظام أو لو كان قائد عادل شاه قائدا عليما بفنون الحرب و أسرارها.

و لكن من حسن حظ «أكبر» أن «هيمو» لم يكن جنديا محترفا بل كان بدّالا وصل إلى مقام القيادة بذكائه و ماله، بينما كان قائد المغول من أحسن القواد، و هو القائد الشيعي و الأمير الكبير علي قلي ابن حيدر سلطان الشيباني، و لذلك فلم تكن نتائج هذه الهزيمة لتؤثر على مركز المغول الذين تلقوا النبأ برباطة جأش، و حينما علموا بأن «هيمو» أرسل مدفعيته كلها مع عدد قليل من الرجال إلى باني بت، أرسلوا فرقة مغولية تقدمتها فاستولت عليها. و لما بلغ الخبر «هيمو» أسر الى الميدان، و هناك استعمل المغول فنونهم الحربية فحطموا عدوهم في بضع ساعات، و فرّ هيمو، و لكنه أخذ و قتل، و عادت دهلي إلى المغول بفضل قيادة علي قلي الشيباني المذكور، فزاد اكبر في منصبه و لقبه بخان زمان، و انقرضت بذلك الدولة الأفغانية من شمال الهند و لم تقم لهم بعدها قائمة، و كان ذلك سنة 1556. و أما عادل شاه فقد ظل في قلعة جنار مدة من الزمن لا يخرج منها خوفا من الحرب الأهلية. ثم إنه قتل بيد الأفغانيين.

استولى المغول على ما استولوا عليه من الهند و ظلت مالوي بيد ولاة أفغانيين من قبيلة «سور» و كان نظام الحكم فيها إرثيا، فلما رأى الوالي «باز بهادر» اضطراب البلاد أعلن، سنة 1555، استقلاله، فأرسل المغول جيشا استولى على «أجمير» و «بيانه» و «كواليار»

ص:43

و لم يحرك «باز بهادر» ساكنا بدعوى أن هذه المناطق ليست داخلة في بلاده، فلما دخل المغول مالوي نهض باز بهادر لقتالهم فغلبوه في معركتين، فلما رآى أنه لا طاقة له بهم استنجد بأمير خانديس «ميران مبارك شاه الفاروقي» فأنجده بجيش كبير استطاع أن يدحر به المغول و لكن المغول أعادوا الكرة و سحقوا جيش مالوي و فرّ باز بهادر هائما على وجهه بضع سنوات ثم إنه أتى إلى «أكبر» خاضعا طائعا فأكرمه.

لقد قضى همايون و لكن صيته في الفضل و الفروسية و الجود لم ينقضي و بقي لمدة طويلة مثالا للأفذاذ من الرجال، و كان مع المعيته في الحرب و التدبير بارعا في عدد من العلوم شغوفا بالعلم دائم الصحبة للعلماء كما و كان ديّنا تقيا محافظا على الوضوء و يكره ان يسمّى اللّه على غير وضوء، ذكر في تاريخ فرشته: انه كان أحد كبار رجاله المسمى عبد الحي، و مرة كان همايون بدون وضوء فلما ناداه همايون لم يجترى على ذكر اسم اللّه (الحي) و قال (عبد ال) فقط، فتعجب الحاضرون و سألوه، فقال: لم أكن متوضئا فكرهت أن أذكر اسم اللّه و أنا على هذه الحالة، و أما عن طبيعته في الكرم فقد نسب ألى الاسراف جدا، و أما عن رحمته باخوانه فقد كان ذلك من اسباب نكبته مرارا، و كانوا يغدرون به دائما و هو يصفح عنهم و يوليهم الأعمال الجليلة و لهذا فقد كجرات و البنجاب مرتين و كان شاعرا أديبا و سيما اسمر اللون مات في قلعة دهلي القديمة و دفن في كيلو كهري، و شيد ولده اكبر علي قبره بناءا فخما يعد اليوم من الأثار الفنية الرائعة.

()

ص:44

جلال الدين أكبر 949- 1014 ه/ 1542 م- 1605 م‏

السلطان المؤيد المظفر ابو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري، ثالث أباطرة الاسرة التيمورية في بلاد الهند.

ولد في قلعة امركوت‏tokramU من ارض السند في ثاني ربيع الأول سنة تسع و أربعين و تسعمائة الموافق للخامس عشر من اكتوبر عام 1542 م، من بطن حميده بانو ابنة أحد العلماء الايرانيين الذين كانوا بصحبة هندال أصغر أبناء جده بابر.

و كانت ولادته في المنفى في الوقت الذي انهزم فيه والده من شير شاه و لم يبق معه الا القليل من الجند، فقصد ايران و ترك ولده هذا عند أخيه كاميران ميرزا بمدينة كابل، و لما عاد بعد مدة الى افغانستان و فتح قندهار و كابل لحق أكبر بأبيه، حتى اذا تم فتح الهند جعله أبوه حاكما على البنجاب، و معه بيرم خان خانان مستشارا له و موجّها، و عندما وقعت لهمايون حادثة السلم ارسل الامراء رسولا الى أكبر في البنجاب يخبرونه بمرض والده، و لكن همايون توفي قبل أن يعود أكبر، فاعلن في البنجاب المنادى به سلطانا على عرش ابيه سنة (سنة 963 ه) في الرابع عشر من فبراير سنة 1556 م. و كان سنه في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة و تسعة شهور و كان هذا الحدث ايذانا بظهور أعظم من عرفته شبه القارة الهندية من الحكام على الاطلاق منذ القدم، بل إن المؤرخين ليجمعون على أنه كان أبعد حكام العالم صيتا و أخلدهم ذكرا في عصره.

و لقد ولى أكبر العرش و هو في الرابعة عشرة من عمره عام 964 ه «1556 م» و لكن كان من حسن طالعه أن لقى إلى جانبه قائد أبيه المذكور بيرم خان التركماني الذي أبى إلا أن يلازم همايون طوال محنته بالمنفى دون رجاله جميعا.

و بهمة بيرم خان هذا قضى على قوات هيمو الكثيفة قائد السلطان محمد عادل سورى‏

ص:45

بعد أن كانت قد استولت على دهلى ثم دخلت آجرا نفسها عقب موت همايون، حتى رآى بعض رجال الدولة الارتداد من جديد عن الهند إلى كابل. إذ أمكن لهذا القائد التركماني القدير، بقواته التي لم تكن تعدو العشرين ألفا من الجند، أن يترل آخر الأمر بعدوه و جنوده المائة ألف هزيمة حاسمة ألقت الرعب في قلوب جميع الخارجين على السلطان الجديد من بقايا أسرة شير شاه سورى جميعا.

و التفت بيرم خان من بعد ذلك في عزم إلى تنظيم و إدارة الحكم، كما عنى عناية فائقة بتثقيف أميره و حضه على طلب المعرفة، ثم بعث من بعد ذلك بالجند لاسترداد ما فقدته الدولة من أراض، فلم يمض عامان حتى عادت لها حدودها القديمة التي كانت لها أيام مؤسسها.

و قد نشأ أكبر في ظروف عصيبة، فلم يحظ بعناية من أبيه البعيد عنه، و لم يتعلم مثل أولاد الملوك، و حينما اعتلى العرش لم يكن يحسن القراءة و الكتابة بل انصرف باختياره عن التعلم لكنه كان رجلا فريدا في حدة الذكاء و الالمعية، قويا و دقيقا في ملاحظاته، متعطشا للمعرفة، تشوق منذ صغره للدين و درسه سماعا على المشايخ الذين كانوا يحضرون عنده أو يلتقيهم في المواسم الدينية و ما أكثرها في الهند يومذاك، و قد روى المؤرخون الكثير من النوادر التي تدل على اصالته الدينية و تعلقه بالاسلام و من ذلك:

أنه تجشم الملك عناء السفر مشيا على الأقدام إلى «أجمير» شكرا للّه تعالى على ولادة ابنه سليم و عرّج على دهلى في الرجوع منه، و زار قبور الأولياء و الصالحين.

توجه إلى «أجودهن» و زار شيخ المشايخ فريد الدين كنج شكر، «سافر إلى» أجمير «في اوائل شعبان، و مشى سبعة فراسخ على الأقدام، حتى زار الضريح، و نذر الطبول، و قضى وقتا طيبا في مصاحبة العلماء و الصالحين، و حضور مجالس الذكر».

«و كان يشتغل- باستغراق- في ذكر «يا هو» و «يا هادي» في مصلاه، و جاء في حوادث عام 980 ه حديث أمره لبناء ثلاث عمارات خاصة بعبادته».

«كان يطلب- كل ليلة الجمعة في مصلاه، الأشراف و المشايخ و العلماء و يحضر الملك حلقة من العلماء، و يباحثهم في المسائل و الأحكام، و صدر الأمر في هذه الفترة إلى القاضي جلال و غيره من العلماء بتفسير القرآن الكريم».

ص:46

و جاء في وقائع عام 986 ه مصاحبته للعلماء و المشايخ و مجالستهم، و إحياء ليلة الجمعة، في مصلاه ب «فتح بور سيكري».

و لما خرج خان زمان على الملك أكبر، و أعلن الثورة، قام الملك إلى قبور الأولياء و الصالحين للدعاء عندها قبل أن يتوجه لمقاومة خان زمان و محاربته.

«و أطلق رجل كان يدعى فولاذا سهما على الملك بإشارة شرف الدين حسين عند مروره بمدرسة «خير المنازل» التي أسستها خاضنته: «ما هم آنكه» و أصيب الملك بجرح خفيف، برئ منه- بعد معالجته لأيام قليلة- فكان يعدّ النجاة من هذه الحملة الباغته- كرامة أولياء دهلى، و تنبيها غييبا له».

و حضر- مرة في طريقه إلى أجمير، في خدمة الشيخ نظام النارنولي، الذي كان من المشايخ الصالحين المعروفين، و ذاع صيت زهده و ورعه في الآفاق.

«و زار سنة 980 ه ضريح السيد حسين خنك سوار في أجمير، ثم زار- بعد سنوات- قبر الشيخ قطب جمال في إعتقاد و حب و إكبار، و قرأ الفاتحة».

«و كان يعظم الشيخ سليم الجشتي و يعتقد فيه، و بنى على قبره قبة فخمة باهتمام بالغ، و لأجل هذا الإجلال و التعظيم للشيخ سليم الجشتي سمى ولي عهده (جهانكير) الذي ولد- كما يقال- بدعائه، «سليم»، و كان الملك بعث بعقيلته الملكة «جودها بائي» إلى بيت الشيخ قبل الولادة، حتى تكون موضع عناية الشيخ و ولد ابنه مراد كذلك في بيت الشيخ سليم، و لما أصبح ولي عهده، سليم (جهانكير) في سن يبدأ فيها القراءة و أول ما يقرأ الطفل يكون «بسم اللّه الرحمن الرحيم» و هي عادة تسمى «باحتفال التسمية» في الهند- طلب من المحدث الشيخ مير كلان الهروي أن يشرف بهذه المناسبة فحضر و أقرأ «سليم» «التسمية» بحضور الملك مع جمع من أعضاء الدولة و أركان المملكة.

و حينما بدأ ولي العهد يشدو في القراءة و الكتابة، أمره أن يذهب إلى بيت الشيخ عبد النبي، و كان الملك أكبر يبالغ في تعظيم الشيخ عبد النبي- حفيد الشيخ عبد القدوس الكنكوهي و المتبوأ على منصب «صدر جهان» في عهد الملك أكبر حتى كان يقصد بيته، و يحضر درسه، و قام- مرتين- بوضع نعليه عند احتذاء الشيخ لهما.

ص:47

«و أقطع الشيخ محمد غوث الكوالياري- الذي كان شيخ الطريقة الشطارية المعروف- أرضا كان دخلها السنوي عشرة ملايين «دام» لينفقه على نفسه، و كان يتلقى ابنه الشيخ ضياء اللّه- بعد وفاة والده- بالإكرام و الإجلال.

و قد كان الملك أكبر ورث هذا الإجلال للمشايخ الحفاوة بهم من آبائه و أجداده، فكان سلفه التيموريون يعتقدون في الشيخ ناصر الدين عبيد اللّه أحرار، و يعظمونه، و كان جد الملك بابر، السلطان أبو سعيد، يذهب إليه ماشيا لا يركب، تأدّبا معه و احتراما له، و لم يكن يقدم على عمل أو ينجز قرارا إلا بعد أخذ رأيه، و كان والد الملك بابر عمر شيخ مرزا كذلك، يجل الشيخ عبيد اللّه و يحترمه، و يذكره الملك بابر نفسه في كتابه «تزك بابر» بتقدير و إعظام، و لما قدم الشيخ يحيى- و هو من أعقاب الشيخ عبيد اللّه أحرار- إلى الهند، استقبله الملك أكبر بحفاوة بالغة، و رفع قدره، و وهبه أرضا لنفقته، و بعثه أميرا على قافلة الحجاج إلى مكة المكرمة، و لما عاد من سفر الحج، جهز له الإقامة الدائمة في مدينة «آكره».

و كان الملك أكبر عيّن سبعة أئمة للأيام السبعة من الأسبوع يتناوبون الإمامة في الأيام المعينة لهم، و كانت الإمامة- يوم الأربعاء- موكولة إلى الشيخ عبد القادر البدايوني.

كان يبعث- كل عام- عددا كبيرا من الحجاج إلى الحرمين الشريفين على نفقة الدولة، و يبعث مع أمير الحجاج الهدايا و التحف إلى والي مكة المكرمة و يبعث النقود و الغلات لأهل الحرمين الشريفين، و كان يشيع الحجاج عند توديع قوافلهم محرما كإحرام الحج، مقصرا للشعر، ملبيا حاسر الرأس، حافي القدمين، و كان هذا المشهد المؤثر يحدث هزة في النفوس، تلين القلوب، و تدمع العيون.

و لما قدم شاه أبو تراب إلى الهند بحجر عليه أثر قدم الرسول (صلى اللّه عليه و سلم)، كما يقولون- و وصل قرب مدينة «آكره» خرج الملك مع حشد عظيم من العلماء و المشائخ، و الأمراء و الوزراء، و مشى معهم أربعة فراسخ على الأقدام لاستقبال الشيخ أبو تراب، و إجلال مقام الرسول (صلى اللّه عليه و سلم).

و نختم الشواهد على تدينه و تعبده بهذا التصريح، الذي جاء في «مآثر العلماء»

ص:48

لمؤرخ الدولة المغولية الشهير مير عبد الرزاق خافي خان المعروف بصمصام الدولة شاه نواز خان (1111- 1171 ه) كان الملك أكبر يبذل جهودا كبيرة في تنفيذ الأحكام الشرعية، و التأكيد على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، كان يؤذّن بنفسه، و يؤم الناس في الصلاة، حتى إنه كان يكنس المسجد، احتسابا و طلبا لمرضاة اللّه.

و كل تلك الأخبار عن تدين أكبر مستقاة من مصادر سنية لا سيما عن معاصره العالم السني عبد القادر البدايوني، و لكن ما الذي دعا الكتاب السنة بشكل خاص ان يحولوا نظرتهم و يغيروا رأيهم في هذا الأمبراطور المسلم المتسامح، الذي كانت حياته تفيض بالنشاط العقلي، و هو الذي ملأ الهند مآثر و مفاخر، وادار السلطنة الاسلامية ادارة قلّ من سدد لمثلها في الأوائل و الأواخر حتى جعلت بفردج‏egdireveB .S .A أن يعدّ إدارته الحازمة مثلا لم يتكرر و أنها في مستوى أرقى من ادارة ملكة الانجليز في ذلك العهد، و لا شك ان هذا التحول في النظرة الى الامبراطور اكبر هو اعتناقه المذهب الشيعي و تقريبه لعلماء الشيعة الذين حفل بهم بلاطه و بلاده و سنأتي على عدد منهم بعد الانتهاء من ترجمتنا لأكبر، و هكذا اتخذ من تشيعه وصمة لأن التشيع بزعم هؤلاء المتعصبين خرج به عن جادة الصواب الذي يعنونه مع أن التشيع كما لا يخفى يقتضي الاسلام الاصيل لأن الشيعة لم يخرجوا قط عن كونهم مسلمين، بل لقد كان والده همايون نفسه شيعيا و جاء بعد همايون اكبر و نشأ في وسط اكثره من القادة الشيعة و بفضل هؤلاء استتب له العرش ثم انه كان في ذاته بعيدا عن التعصب الذميم متمسكا بروح الدين الاسلامي و لهذا عامل جميع أهل الديانات في بلاده معاملة متسامحة كريمة و حارب التمييز بين الناس في الحقوق بسبب الدين ثم انه بسبب تشيّعه قرب إليه علماء الشيعة كما تقدم و كان من الطبيعي أن تثار ضده كل تلك الضجة من العلماء المتعصبين و خاصة من الشيخ عبد اللّه السلطانبوري و الشيخ عبد النبي بن أحمد الكنكوهي اللذان عفا عنهما و اخرجهما للحجاز، كما اخرج القاضي جلال الدين الملتاني الى أرض الدكن و نقل محمد بن المنتخب الامر هوي الى حكومة بكر و سيوستان، و كان بامكان اكبر و هو السلطان المقتدر ان يسئ معاملتهم أو حتى قتلهم جراء و مؤامرتهم ضده لكنه خفض لهم جناح الرحمة فأبعدهم بهدوء كما هي عادته في التسامح مع معارضيه أو من اختلف معه من سائر الاديان الاخرى.

ص:49

و المشهور عنه انه حارب التمييز بين جميع الناس في الحقوق بسبب الدين و في سنة 1593 أصدر أمرا بأن كل من أجبر على الاسلام من الهنود في مدة أسلافه يمكنه الرجوع الى دينه، و عوضا عن أن تكون هذه الصفات النبيلة مدار اعتزاز من شيوخ المسلمين فقد اتخذوها سببا للتشنيع على اكبر و الطعن فيه لأنه لم ير رأيهم في اضطهاد الناس بسبب الدين و المذهب و لأنه بالاخص لم يضطهد الشيعة كما لم يضطهد السنة و كما لم يضطهد غيرهم من أصحاب الأديان.

و لكن جميع خطواته كانت من أجل استتباب الأمن و النظام و الطمأنينة بين الشعب الذي يحكمه حتى اذا كان ذلك على حساب ابناء طائفته الشيعية كما في حربه للقادة الازابكة الشيعة و مقدمهم علي قلي خان و قد قتلهم و انتصر عليهم بعد ان اعانوه في سلطنته بل و ماذا نقول في خذلانه للرجل الثاني في مملكته و من كان بمثابة والده و قد حافظ عليه و رباه و قاد المعارك الفاصلة من أجل حكمه و هو القائد التركماني الشيعي بيرم خان، حين آخذه بهفوة صدرت منهم، و لم يعف عنه على الرغم من كل المعاذير التي توسل بها اليه، و من يدري لعل لأولئك الشيوخ الذي نفاهم أكبر فيما بعد أثرا في حبك تلك المؤامرات ضد هذا القائد العظيم الذي خسره اكبر حتى أن بيرم خان هذا لم تعد تطيب له الاقامة في آكره و لهذا طلب من اكبر ان يسمح له بقتال مالوه و البنغال للاستيلاء عليهما و لما لم يوافق أحد من القادة للذهاب معه الى هناك طلب من اكبر ثانية أن يسمح له بالذهاب الى الحجاز ليقضي باقي حياته مجاورا، فأذن له، و غادر آكره ترافقه حاشية كبيرة، و قتله بعض الافغانيين في الطريق الى كجرات سنة 1560 م و حينها أدرك أكبر المدين هو و أبوه من قبله بعرشيهما لبيرم خان التركماني الشيعي مقدار الجحود فيما فعله ببيرم، فاحتضن ولده اليتيم ميرزا عبد الرحيم خان الذي أصبح بعد ذلك يحمل لقب أبيه خانان، كما سيأتي في ترجمته مفصلا.

حروب أكبر:

بعد أن سيطر أكبر على عصيان قائده الازبكي علي قلي خان زمان توجهت انظاره الى راجبوتانه، حيث كان لا يزال فيها بعض الامراء الذين لم يخضعوا له ففتح قلعة

ص:50

«رنتهنبور» و سار متقدما نحو رنتهنبور و إذا به يفاجأ بخبر استيلاء بعض الأمراء الثائرين على ماندور فسار إليهم ففروا من وجهه إلى كجرات فطاردهم و استولى على مالوي من غير قتال ثم استولى على ميوار و قلعتها جتور، و هي أمنع قلعة في راجبوتانه، و كان يدافع عنها «جي مل»، و هي قلعة يضرب بها المثل في المناعة، ذهب إليها على رأس جيشه، و أخذوا يهدمون أسوارها بالمتفجرات، و في إحدى الليالي أطل «جي مل» من فوق أسوار القلعة، فلمحه أكبر و سدد إليه رمية أطاحت به، فدبّ الذعر و الخوف في جنوده و أهله، و أخذوا يقتلون أنفسهم و يحرقونها، ثم فتحوا أبواب القلعة و وقفوا عندها ليقاتلوا المهاجمين حتى آخر قطرة من دمائهم، و فطن أكبر لهذا فساق إليهم الفيلة فمزقتهم إربا إربا، و دخل المدينة سنة 976 ه- 1568 م.

و لم يجد المغول بعدها أية صعوبة في الاستيلاء على امارات راجبوتانه كلها، و ما أتت سنة 1571 حتى كانت جميع امارات راجبوتانه تابعة للامبراطورية المغولية و تؤدي إليها الخراج.

ثم اتجه اكبر الى كجرات بعد فتن و اضطرابات شهدتها عاصمتها (أحمد آباد) فدعا سلطانها مظفر شاه الثالث دعا أكبر للاستيلاء على كجرات و القضاء على الاضطرابات فلبّى «اكبر» هذه الدعوة و سار بنفسه الى كجرات فاستقبله مظفر شاه باحترام و قدم إليه خضوعه و طاعته، و أصبح قائدا من قواده و كان يرافق السلطان أكبر إلى كجرات والي جونبور، و قد أحب هذا الوالي مظفر شاه، فدعاه إلى ولايته، فلبى مظفر شاه الدعوة و نزل في ضيافة الوالي، ثم أنه زوجه ابنته، و يبدو أن مظفر شاه لم يكن مخلصا في نيته و قد زين له بعض امراء كجرات ان يفرّ اليها ليسترجع ملكه فاستجاب لهم و فرّ من أكرا و حين وصل إلى هناك التف حوله كثير من الأمراء و المحاربين فعيّن أكبر عبد الرحيم خان خانان ابن بيرم خان على رأس حملة لاخضاعه فلما وصل إلى كجرات انهزم أمامه مظفر شاه الى سورت لكنه لم يسلم بل ظل عدة سنين يحارب حرب عصابات حتى استسلامه و مقتله سنة (1001 ه- 1592 م).

أما في هضبة الدكن في الجنوب فقد حدث أن اختلف بعض قواد إمارة أحمد نكر مع أميرهم مرتضى نظام شاه كما اختلف معه أخوه من قبل فتركوه مغاضبين و ذهبوا

ص:51

سنة 1584، إلى «أكبر» ملتجئين يحرضونه على الاستيلاء على إمارة أحمد نكر، فرأى «أكبر»، بهذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق رغبة طالما اعتلجت في صدره و جهز جيشا بقيادة أخيه من الرضاع «ميرزا عزيز». و كان «أكبر» يظن بأن إرسال هذا الجيش إنما هو رمز لإرادته لأن أهل الجنوب سيتولون بأنفسهم تنفيذ ما اعتزمه، و ذلك بأن يثور سكان إمارة أحمد نكر على أميرهم و يؤيدونه هو، و يهبّ راجه علي خان بجيشه لمساعدة الجيش المغولي، و لكنه كان مخطئا فيما ذهب إليه لأن أمير خانديس علي خان أدرك بأن القضاء على إمارة أحمد نكر إنما يعني القضاء على استقلال الجنوب الهندي كله، و لذا فإنه خيب ظن «أكبر» و هبّ إلى نصرة أحمد نكر لقتال المغول. فلما رأى ميرزا عزيز هذا التضامن عدل عن مهاجمة الإمارة و اخذ يستعد لكنه لم يقدم على عمل. و اتفق أن مات مرتضى نظام شاه و حدثت في البلاد اضطرابات استمرت من سنة 1586 إلى سنة 1595، فعجز الأمراء الثلاثة، الذين توالوا على عرش أحمد نكر، عن إخمادها، و لم ير ثالثهم بدا من الاستنجاد ب «أكبر» لإطفاء نار الثورة، فأنجده بجيش قوامه ثلاثون ألف جندي بقيادة ابنه الأصغر الأمير مراد و القائد ميرزا عبد الرحيم خان خانان. و هنا تغيرت سياسة أمير خانديس، إذ أنه أدرك أنه لم يعد بالمستطاع إصلاح ما فسد في أحمد نكر و أن مصلحة بلاده تقضي عليه بأن ينضم في هذه المرة، إلى المغول. و هكذا سار الجيشان لنجدة أمير أحمد نكر في ظاهر الأمر، و للقضاء عليه في الواقع، و إزاء هذه الحقيقة المرة عاد الثوار إلى السكينة، و لم تعد الإمارة بحاجة إلى نجدة، و لكن الجيش لم يرجع لأنه لم يكن آتيا للنجدة بل للاستيلاء و ما النجدة إلا ستارا، و هنا أسقط في يدي الأمير و ندم على ما فرط و رأى من الحكمة أن يذهب بنفسه للاستنجاد بأميري بيجابور و كولكنده و عهد بإدارة أمر البلاد من بعده إلى الأميرة جاند سلطان، التي كانت متزوجة من أمير بيجابور علي عادل شاه، فلما مات زوجها سنة 1580 و خلفه ابنهما إبراهيم عادل شاه الثاني، رعته و أشرفت على سير أمور البلاد حتى كبر، ثم إنها عادت إلى بلادها أحمد نكر، و كانت هذه الأميرة مشهورة بعقلها و حنكتها السياسية و كانت شجاعة جريئة تقاتل بنفسها ان اقتضى الأمر فلما تولت إدارة أمور إمارة أحمد نكر رأت من الحكمة ألا تترك العرش شاغرا، فأعلنت إمارة ابن أخيها بهادر بن إبراهيم، و كان طفلا، و أخذت تقاتل المغول الذين كانوا

ص:52

يحاصرون أحمد نكر، و لكنها لما رأت عجزها عن الاستمرار في القتال و رأت أن النجدات لم تصل، صالحت المغول، على أن تتنازل لهم عن مقاطعة برار و أن تقاتل معهم إمارتي بيجابور و كولكنده.

فلما رحل المغول انقلب أعوان جاند سلطان عليها و أرسلوا يستدعون المغول إلى بلادهم فأجابوا الدعوة و كروا راجعين، و كانت نجدة بيجابور في طريقها إلى أحمد نكر، فالتقى الجيش المغولي، عند ضفة نهر كوداوري، بجيش بيجابور الذي كان يقوده سهيل خان، و نشبت بين الفريقين معركة حامية الوطيس انتهت بانتصار المغول و قتل أمير خانديس راجه علي خان في المعركة، و لكن من حسن حظ أحمد نكر أن وقع اختلاف بين الأمير مراد و بين القائد خان خانان فلم يستوليا عليها بل تركا لها استقلالها، كما سلم لإمارة خانديس استقلالها بعد أن سارت في ركاب المغول و نصرتهم على أعدائهم و قتل أميرها في سبيل قضيتهم، هذا بالإضافة إلى ما كان من صهر و نسب بين أسرة خانديس و أسرة «أكبر» إذ كان «أكبر» متزوجا من أميرة خانديسية و ابنه الأمير مراد متزوجا من حفيدة راجه علي خان.

بيد أن كل هذه الأمور لم تنفع بهادر خان الذي خلف أباه، راجه علي خان، على عرش الإمارة، لأنه ظنّ أن هذه الأمور وحدها كافية للإبقاء على حياة إمارته من غير أن يعززها بين حين و آخر بآية من آيات الولاء و يشفعها بدليل من دلائل الإخلاص للأمبراطورية المغولية، لا بل فإنه أتى من الأعمال ما ينفر المغول منه، و ذلك أنه لما مرّ والي الدكن المغولي ببلاده، قاصدا مقر عمله، لم يخرج إلى لقائه و لا رحب به، فساء عمله هذا الوالي، و أراد تأديبه بغير هذا الأدب و لكن اتفق أن أتى «أكبر» سنة 1599 إلى هاندور لترتيب أمور الدكن، فكان في برنامجه القضاء على كل من خانديس و أحمد نكر، و قد تمّ له ما أراد من خانديس بالاستيلاء على قلعة أسير كره، سنة 1601، بعد أن حاصرها المغول سنة كاملة فقاوم أميرها بهادر خان حتى عجز عن المقاومة، استسلم و تنازل عن العرش و عاش بعدها في حاشية «أكبر» في بلاط آكره.

و سيّر «أكبر» سنة 1599، خان خانان للاستيلاء على أحمد نكر، فلما حاصرها أرادت جاند سلطان الاستسلام، فاتهمتها حاشيتها و قوادها بالخيانة و قتلوها، و امتنعوا في‏

ص:53

قلعتهم سنة كاملة حتى فتحها المغول سنة 1600 عنوة، و أعملوا السيف في رقاب أهلها.

و يقال أنه لم ينج منهم أحد إلا الأمير بهادر نظام شاه الذي أخذ أسيرا فمات في أسره بقلعة (كواليار) و بهذا قضي على هذه الامارة، و لكن بعض امرائها ظلوا نحو اربعين سنة يقاتلون هنا و هناك و المغول يطاردونهم، حتى انعدمت كل مقاومة.

في أيار 1589 اتجه الامبراطور اكبر إلى كشمير على ظهر جواد، و ركز علمه في مدينة سرينا كار في 5 حزيران 1589 و قد ذكر البانديت جوكه انه وزع على الأطفال بعض الهدايا المصنوعة من الذهب ثم ذهب الى مارتاندا فأعطى البراهميين بقرا مزينة باللآلئ و الذهب.

مكث أكبر شهرا في كشمير زار خلاله كل بلدة و قرية و القيت أمامه القصائد حيثما حل.

و قد فتش أكبر شؤون الدولة و الرعية في هذه الجولة فأمر بمنع الجنود عن الاعتداء على الأهلين و مساس عواطفهم و احساساتهم بأي وجه، و قد بحث في شكاوى تقدير الضرائب و جبايتها و عين لجنة لتحقق ما يشكو منه الأهلون فترفع إليه تقريرا. و عند ما عاد الامبراطور رافقه في سفره السيد يوسف خان الرضوي المشهدي بعد أن ترك يادكار ميرزا «ناظما» يدير شؤون البلاد و قد انتهز يادكار هذه الفرصة فأعلن نفسه ملكا على كشمير. و بهذا الحادث عادت الاضطرابات إلى كشمير مرة اخرى و لكنها لم تدم أكثر من 51 يوما فقضي عليه و اعتقل يادكار ثم قطع عنقه. ثم عين أكبر قليج خان حاكما على كشمير، و حكم هذا ست سنوات كافح خلالها بعض الاضطرابات.

و قد أمر أكبر في زيارته الأولى لكشمير أن ينشأ حصن «ناكار- ناكار» العظيم بالحجارة الضخمة و قيل أنه أنشأ هذا الحصن لمجرد تشغيل السكان العاطلين و قيل انه أراد انشاء هذا الحصن ليأوي إليه المغول فلا يستطيع الجند الاعتداء على الاهلين. كذلك أمر بانشاء القصور الملكية و اقامة الحدائق الرائعة مما أضاف إلى جمال البلد الطبيعي جمالا جديدا. و في زيارته الثانية لكشمير في 1592 أمر بارسال حملة عسكرية الى التيبت لاخضاع حاكمها الذي استمر على مقاومة حكم الامبراطور.

ص:54

قضى اكبر صيف عام 1597 م في كشمير حيث أخفض ضريبة الأرض و طبق طريقة جديدة للتقدير أكثر ملائمة للسكان و عاد في أول الشتاء إلى لاهور. و في أواخر عهد كشمير حلت مجاعة مخيفة في كشمير اضطرت الامبراطور ان يبعث بالحبوب و الأغذية إلى كشمير من سيالكوت و قد رافق الامبراطور في زيارته لكشمير خلال المجاعة أثنان من القسس الاوربيين فذكرا في مذكراتهما أنهما وجدا الاهلين يبيعون أطفالهم للتخلص من معيشتهم.

و قد زادت الواردات في كشمير نتيجة تطبيق طريقة التقدير الجديدة و اتسعت حدود الاياله إلى ماوراء كابل و قندهار و انشئ طريق امبراطوري يمر بكوجرات و بهيمبار و شوبيان.

و على كل حال فهناك الكثير من التفاصيل التي تستوعب مجلدات ضخمة حول تاريخه الحربي الطويل استطاع في نهايته ان يكون من أعظم قادة التاريخ و بالرغم من أن تلك الاحداث قد جعلت منه جنديا عظيما و لكن طريقته في الحكم هي التي اذاعت صيته حتى اصبح من اخلد حكام العالم صيتا في عصره.

أكبر في أوامره و وصاياه:

الامبراطور جلال الدين محمد أكبر لعب دورا مهما في تاريخ الهند فأصلح البلاد و العباد و سن الشرائع و عامل رعيته معاملة العدل و المساواة من غير أن يفرق بين مسلم و غير مسلم و فيما اقتبسه لنا محمود علي خان من الكتب التاريخية نبذة من أوامره و وصاياه أرسلها إلى الحكام و العمال في المملكة لتكون لهم كقانون أساسي يهتدون بها و يعملون بمقتضاها و بهذه الأوامر و الوصايا تتضح لنا مكانة أكبر الامبراطور العظيم بين ملوك الأرض في القرون الغابرة. و هي:

1- لا بد أن تحيط علما بأحوال الرعية و لا تعتزلن في بيتك، لأنك إن اعتزلت يخفى عليك كثير من الأمور التي يجب عليك أن تطلع عليها.

2- قابل كبار قومك بالعزة و احترمهم احتراما يليق بشأنهم.

3- قم بالليل و اعبد ربك صباحا و مساء و بالظهيرة و عند ما ينتصف الليل.

ص:55

4- اشتغل بمطالعة كتب الأخلاق و النصائح و كتب التاريخ لتتحلى نفسك بالأخلاق الحسنة و تستفيد بعلم الأولين، و تعتبر بخطأ الأقدمين.

5- أحسن إلى الفقراء و المساكين الذي اعتزلوا في بيوتهم و اغلقوا أبوابهم دون الناس لئلا يكونوا في مشقة من الحياة و ضنك من العيش، و هيئ لهم ما يحتاجون إليه من حياتهم.

6- تأمل في عقاب المجرمين بالتبصر التام ليتحقق لديك من يستحق العقاب منهم و من يستحق العفو أو الاغماض، إذ يجوز أن أحدا من رجالك يأتي بذنب و المصلحة تقتضى أن تسكت عوضا من أن تعاقب عليه.

7- تشرف بحضورك في خدمة أولياء اللّه و أهل المعرفة من الصوفية و اطلب منهم أن يدعوا لك لأن ربك يسمع نداءهم و يجيب دعائهم.

8- إذا جاءك جاسوس بنبأ فلا تصدقه في أول الأمر بل تبين الخبر بنفسك كي يظهر لك حقيقة الأمر و تعمل حسبما تقتضيه الأحوال.

9- استمع بنفسك لشكوى المستضعفين و لا تكل جميع امورهم إلى عمالك.

10- عامل رعيتك بالمواساة و الأسعاف.

11- ليكن جل مسعاك في ترقية الزراعة و إعانة الفلاحين إعانة مالية، فانها من أهم الواجبات لعمران البلاد و سعادة العباد.

12- عليك أن تتوجه إلى أحوال الأفراد من رعيتك و ليكن كل فرد منها منظورا إليه بعين عنايتك و مراقبتك.

13- لا تقبلن من أحد هدية و لا تقدمة.

14- امنع جنودك أن يدخلوا بيت أحد من رعيتك و يقيموا فيه من غير إذنه و رضاه.

15- شاور دائما أهل الخبرة في إدارة البلاد و لا تكن مستبدا برأيك؟

16- لا تعترضن على الذين يخالفونك في معتقداتهم و تقاليدهم و يتبعون دينا غير دينك، و لا تمسهم بسوء بل عاملهم معاملة الاخوان و الخلان. و أعلم أن أيام الحياة معدودة

ص:56

و الانسان لا يريد أن يحتمل الضر و الأذى في الحياة الدنيا فكيف يحتمل الجور و الاضطهاد في أمر دينه و هو يعتقد أنه على الحق. فلا يخلو إما أن يكون على الحق أو على الباطل. فان كان على الحق فلم تخالفه و إن ظننت أنك على الحق. و ان كان هو على الباطل فهو مريض بجهله و المريض يستحق منك المرحمة و المساعدة لا التعرض و التوبيخ.

17- أكرم أهل الصلاح و الخير و إن كانوا على غير دينك.

18- عليك بالسعي في نشر العلوم و الآداب و الحصول على اكمال و أكرام أرباب العلم لكي لا تضيع ملكاتهم العلمية.

19- عليك بمساعدة العائلات العريقة في المجد و الشرف و هيئ لهم ما يحتاجون إليه في حياتهم ليعيشوا عيشة راضية مطمئنة.

20- لا تغفل عن تعبئة العساكر و الجنود و أعد لهم ما يحتاجون إليه من الأسلحة و أدوات الحرب و غيرها.

21- تعلم الرمى و إطلاق الرصاص و اشتغل بالتمرينات العسكرية و لا تضيع وقتك في الصيد. و ليكن صيدك لقصد التمرين في فنون الحرب لا للترهة و إضاعة الوقت.

22- لا بد أن تضرب الطبول عند طلوع الشمس المنيرة للعالم و كذلك عند نصف الليل، لأن الطلوع الحقيقي للشمس إنما هو في ذلك الوقت. و يلزم إعلام الناس كلهم إذا انتقلت الشمس من برج إلى برج ليشكروا اللّه تعالى و ليكن هذا الاعلام باطلاق البنادق و المدافع.

23- إن لم توجد في بلدتك شرطة فقم أنت بأعمال الشرطة و لا تستحي من هذه الخدمة و أحسبها عبادة للّه تعالى لأنها خدمة لعباده.

24- يجب على ضابط الشرطة في كل بلدة و قرية إحصاء الحارات و البيوت و النفوس و أن يكتب أسماءهم في سجل عنده و يضمن كل واحد من السكان للآخر سلامة نفسه و ماله و صيانة عرضه.

25- ليكن لكل حارة من البلدة رئيس، بيده إدارة شئونها، و كذلك لا بد من الجواسيس‏

ص:57

ليخبروه بكل من ما يجري في الحارة ليلا و نهارا. و يلزم أن يكون على علم تام بكل من يولد و يتوفى و يتزوج و غير ذلك من أحوال الناس. و ليتعين رجال في الشوارع و الأزقة و الأسواق و الجسور و القناطر و المعابر للاستخبار بكل ما يقع هناك. و تكون إدارة الطرق على وجه لا يمكن لمن يريد الفرار من البلدة أن يخرج على حين غفلة من أهلها.

26- يجب على كل واحد أن يساعد جاره في الكشف عن السرقة و إطفاء الحريق و غير ذلك من المصائب. و كذلك رئيس الحارة و كل من يطلع على مصيبته يلزم عليهم أن يسارعوا إلى مساعدته و إنقاذه من نكبته. و من تقاعد عن المساعدة فهو مجرم يعاقب على جرمه.

27- لا يخرج أحد من بلدته مسافرا و لا يأتى أحد في البلدة من الخارج ليقيم فيه إلا باذن من رئيس الحارة. و إذ نزل في البلدة تاجر أو جندي أو مسافر فعلى رئيس الحارة أن يراقبهم و لا يغفل عن أحوالهم. و المسافر الذي لا يضمن له أحد فاجعلوا له في الخان محلا خاصا بعيدا عن غيره من المقيمين. و إن ارتكب أحد منهم ذنبا فلأعيان البلدة أن يعاقبوه. و المسؤولية في هذه الأمور كلها على رئيس الحارة و أعيان البلدة على السواء.

28- عليك مراقبة أموال الناس من ذوي اليسار فمن زاد خرجه على دخله فلا بد أن تكون لدخله وجوه فاسدة. و أعمل بهذه الأحكام لتنفع بها عباد اللّه و لا تجعلنها سببا لجلب المنافع و كسب المال لنفسك.

29- عين الدلالين في الأسواق، و لا يكون بيع و لا شراء إلا باطلاع رئيس الحارة و صاحب أخبار الحارة. و ليسجل اسم البائع و المشترى في «اليومية» أى في دفتر الأعمال اليومية، و من باع أو اشترى خفية يعاقب بغرامة مالية.

30- يلزم أن يكون في كل حارة من البلدة و في كل ناحية من نواحيها خفير بالليل يراقب الأجنبي، حتى لا يبقى للسارق أو النشال أثر في البلاد، و على الخفير أن يقبض على السارق مع المسروق.

ص:58

31- من مات و لم يكن له وارث، أو سافر و انقطع خبره فان كان عليه دين من قبل الحكومة فيلزم أو لا استيفاء دين الحكومة من ماله ثم إعطاء الباقي لورثته، فان لم تجد له وارثا فسلم المال لأمين و بلغ الخبر إلى البلاط الملكي، فإن ظهر له وارث فأد الأمانة إلى أهلها. و ليكن ذلك كله بنية خالصة و أمانة تامة. و لا تكونوا كأهل الروم في مصادرة أموال الناس من غير وجه شرعي.

32- شارب الخمر و بائعها و مشتريها و معصرها كلهم مجرمون، فاقبض عليهم و عاقبهم أشد العقاب. و لكن من يشربها لحكمة خاصة يريد بها تشحيذ الذهن فلا تعترض له.

33- الأعياد كلها أيام سرور و أبتهاج. فليفرح الناس فيها، و لا سيما يوم النيروز فانه أكبر أعياد السنة لأن الشمس المنورة للعالم تنتقل فيه إلى برج الحمل. و هو اليوم الأول من شهر فروردين (21 مارس). و العيد الثاني يكون في اليوم الثالث من اردى بهشت. و يجب تزيين الشوارع و البيوت بالأنوار ليلة النيروز و ليلة الشرف كما تزين البيوت بالأنوار ليلة النصف من شعبان.

34- ليس للمرأة أن تركب الفرس إلا لضرورة.

35- لا يستحم الرجال و النساء على الأنهار في محل واحد بل يجب أن تكون مغتسلاتهم على بعد من مغتسلاتهن. و كذلك يكون للنساء محل خاص على الأنهار لحمل الماء إلى بيوتهن.

36- لا يجوز لتاجر إصدار الخيل إلى الخارج بغير إذن من الحكومة.

37- يكون تعيين الأسعار من قبل الحكومة.

38- لا ينعقد النكاح بغير إطلاع لأعيان الحكومة. و إن كان الزواج بين عامة الناس، لا بد من حضور الزوجين أمام صاحب الشرطة، و إن كانت المرأة أكبر من الرجل باثنتي عشرة سنة أو أكثر فلا تأذن لعقد النكاح بينهما لأن ذلك يورث ضعف الرجل. و يلزم أن يكون عمر الرجل عند الزواج ست عشرة سنة و عمر المرأة أربع عشرة سنة على الأقل. و لا تأذن لعقد الزواج ببنت العم و بنت الخال لأنه سبب لقلة الميل بين الزوجين و تكون أولادهم ضعفاء.

ص:59

39- لا ينبغي للنساء أن يمشين في الأسواق كاشفات عن وجهوهن غير مبرقعات، فمن وجدت منهم على هذه الحال أو كانت دائما على جدال و خصام مع زوجها فأرسلوها إلى حارة الشياطين.

40- يجوز رهن الأولاد إذا مست حاجة شديدة و لم يوجد سبيل غيره. و متى وجد الراهن المال فعليه أن يفك الرهن و يستلم أولاده.

41- لو أجبر ولد هندوسي في صباه على الاسلام فله الخيار متى بلغ سن الرشد، فان شاء رجع إلى دين آباءه و إن شاء بقى على الاسلام.

42- لو التجئت امرأة هندوسية إلى دار مسلم فردوها إلى أهلها.

43- للناس حرية تامة في مسئلة اعتناق الدين. فمن ترك ملة آباءه و دخل في دين آخر فليس لأحد أن يمنعه أو يتعرض له.

أكبر في قفص الاتهام:

\* اتهم الامبراطور (اكبر) دون اثباتات بالغرور و العتو و ادعاء الالوهية و محاربة الاسلام من اعدائه و من ذلك إنّه قد ابتدع دينا جديدا اسمه بالدين الالهي و زعموا ان من معتقدات هذا الدين عبادة الشمس اربع مرات كل يوم و تعداد اسماء الشمس الهندية التي يبلغ عددها ألفا و واحدا، و انه كان يقول كلما ذكرت الشمس: جلّت قدرتها! و ان الشمس هي المتصرفة في العالم، واهبة النعم، المظلة على الملك بظلال ربوبيتها و انه كان يعبد النار و الماء و الحجر و الشجر و سائر مظاهر الطبيعة! و نسب إليه تأليه السيدة مريم بنت عمران! و عبادة الكواكب!

و وضع اعداءه ميثاقا نسبوه الى اكبر، و قالوا انه كان يأخذه على نفسه كلمن أراد أن يدخل في هذا الدين و هو:

«أنا، فلان بن فلان .. أتبرأ من دين الاسلام التقليدي و المجازي الذي ورثته عن آبائي و أدخل في الدين الالهي الأكبر شاهي و أقبل الأركان الاربعة التي هي من مراتب الاخلاص في هذا الدين- و هي ترك المال و النفس و العرض و الدين» قالوا:

و الذين كان يدخلون في هذا الدين يسمون (جيله) أي (المريد) لكنه لم يدخل في‏

ص:60

الدين هذا الا ثمانية عشر رجلا من بطانته كلهم من المسلمين الا واحدا و هو نديمه بيربر و انه امر باستبدال السلام بقلمه اللّه أكبر رمزا الى تأليه نفسه! و ان الردّ عليها يكون بكلمه (جل جلاله) لكون (جلال الدين) لقبا للامبراطور!

\* ألغى التقويم الاسلامي و اتخذ تقويما جديدا و جعل بدأه سنة أعتلائه لسرير الملك و سماه «التاريخ الالهي».

\* ألغى الجزية على المشركين سنة 1564 م، لكي يجعل المسلمين و الهنادك من رعيته سواء في التمتع «بالحقوق المدنية») PihsnezitiC (.

\* ألغى الضرائب التي كان أوجبها من قبله من الملوك على مواسم الهنادك و مواطن اجتماعهم. و كذلك أذن لهم في بناء معابد جديدة، اذا شاؤوا.

و قد كان ذلك محظورا في زمن من تقدمه من ملوك المسلمين. فبنيت معابد جديدة للهنادك و شيدت كنائس للنصارى و بيع للمجوس و دور عبادة لفرق اخرى غيرها من سكان هذه البلاد.

\* أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دينهم و يرجعوا إلى أديانهم الأولى. و كذلك سمح للنصارى أن يدخلوا في دينهم من شاء ذلك عن طيب قلب و صدق طوية.

\* أصدر مرسوما عاما بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين اياها و عبادتهم لها، و كذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة «سنة 991/ 1583» ثم تقدم خطوة أخرى و حظر على الناس أكل لحوم الثيران و الشياه و المعز و الخيول و الجمال سنة 999 ه و أيضا أصدر أمرا ملكيا أن يمتنع الناس عن صيد السمك حينما زار كشمير سنة 1000/ 1593 م.

و نقل البدايوني ان من ذبح المواشي في الأيام المحظور فيها ذبحها، كان يعاقب بالقتل و مصادرة أملاكه، و روى البعض أنه: امتنع بنفسه عن أكل اللحوم و لم يأمر بذلك أحدا.

شارك في أعياد الهنادك و مواسمهم، و من ذلك مشاركته في احتفالات شيوراتري«irtaravihS» - أحد أعياد الهنادك-

ص:61

\* منع المسلمين من تزوج بنات العم و العمة و الخال و الخالة.

\* و كذلك منعهم من الختان.

\* حلل الخمر و أباح بيعها على مرأى من الناس و مسمع.

\* أباح للبغايا و العواهر ان يتعاطين «أشغالهن» تحت رقابة الحكومة.

\* و كذلك أباح الملك لرعيته أن يتعاملوا في ما بينهم بالربا.

\* أباح للناس المقامرة و عقد مجلسا خاصا للمقامرين في القصر الملكي. بل زعموا أن المقامرين يقرضون من الخزانة الملكية بالربا!!

\* أسقط الاغتسال عن الجنابة، بل رأى هو و من تدين بدينه ان الاستحمام قبل الجماع أنسب و أوفق لطبائع البشر.

\* شجع السفور و ذكر البدايوني ان الفتيات أمرن بالكشف عن وجوههن اذا خرجن لحاجة عرضت لهن.

\* أفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول به الشيعة.

\* أصدر أمرا ملكيا بمنع تعليم اللغة العربية، و كذلك بالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة.

\* أمر بسجدة التحية للملك فكان العلماء و المشايخ و الصوفية و الامراء و الاعيان كلهم يخرّون للملك سجدا، كلما دخلوا عليه و عرفت هذه التحية ب (سجدة التحية) و (زمين بوسي) أي تقبيل الأرض و قد روّج من قبله والده همايون التسليم راكعا منحنيا، و هذا الذي كانوا يسمونه ب (كورنش). و قد أصبحت هذه السجدة التكريمية اسلوبا متبعا في التسليم على الملك. و بقي العمل به جاريا زمن جهان كير بن أكبر (1014- 1034 ه) أما شاه جهان بن جهان كير (1037- 1038 ه)، فاعفى العلماء منها، لكن هذه الطريقة بقيت للعامة زمنا قليلا من عصره أيضا.

و قيل أن التحية الملوكية زمن أكبر كانت على ثلاثة اصناف أولها: الكورنش و هي‏

ص:62

ان يضع يمينه على جبينه و يطأطئ رأسه الى الصدر، و ثانيها: التسلم و هو أن يضع ظاهر الكف من يمناه على الأرض و يقوم و يضع باطنه على الرأس، و ثالثها:

السجدة كما يسجد في الصلاة.

و المعروف أن العلماء و العامة كلهم يؤدون السجدة في عصر الملك أكبر.

و المشايخ في عصره أفتوا بجوازها، و قالوا «أن هذه رخصة و العزيمة ترك السجود».

\* اختار طريق الهنادك الوثنيين في الصدقة بان عمل ب (قوله دان)، و ذلك ان الملك كان يوزن بالذهب و الفضة و غيرهما من الجواهر الثمينة و يتصدق بذلك على المساكين و الفقراء، لا فرق فيه بين المسلم و الكافر.

و أن هذه الصدقة تكون لصاحبها ردءا و وقاية من نوائب الدهر.

ثم جرى من جاء بعده على خطته.

\* أوجب على خاصته و رجال حاشيته أن يرتدوا الملابس الحريرية أثناء الصلوات.

\* منع الصلاة و الأذان في دار الشورى الملكية «ديوان خانه‏llaH ylbmessA» .

\* حظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان!

\* منع الناس من أداء فريضة الحج!

\* تعطلت أعياد المسلمين و انقطع الاحتفال بها في عصره.

\* غير أسماء النبي (صلى اللّه عليه و سلم) و الصحابة التي يتسمى بها المسلمون عامة و استبدل بها أسماء أخرى غيرها، و هاك ما قاله عبد القادر البدايوني:

(لقد شق على الكفار و من في بلاطه من الأميرات الوثنيات اسماء أحمد و محمد و مصطفى، حتى انه غير اسماء بعض من كانوا يتسمون بها من خاصته، أمثال بار محمد و محمد خان، فانه كان يدعوهما ب رحمة نطقا و كتابة).

\* تحولت المساجد على عهده الى مرابط للخيول (اصطبلات) و استولت الهنادك على كثير منها!!

\* رغّب الملك رجال مملكته- بل أمرهم في بعض الأحوال- بحلق اللحية. و ذكر

ص:63

المؤرخون ان الملك و رجال حاشيته كانوا يستهزؤون باللحية.

\* أبيح للناس ان يأكلوا لحوم النمر و الخنازير الضواري.

هذا ما قاله البعض، و نحن لا نستطيع، بما لدينا من وثائق، أن نؤيد هذا بل نميل إلى نفي معظم هذه التهم، و دليلنا على ذلك أمران: الأول هو حسن ظن مؤرخين آخرين ب «أكبر» و تبرئته من التهم التي ألصقت به و تأويل بعض أفعاله بأنها ضرورات اقتضاها المحيط و الوسط. و الأمر الثاني هو الفتوى التي أصدرها العلماء في عصره و التي تقول: عن مرتبة السلطان العادل أعظم من مرتبة العلماء العاملين و الفقهاء المجتهدين و لما كان «أكبر» عادلا و عاقلا و يخشى اللّه كان رأيه مقدما على رأي علماء المسلمين و أئمتهم و قوله الفصل في كل الأمور الدينية و أن ممن أثبت توقيعه و تأييده على هذه الفتوى هم أولئك المشائخ الذين عارضوه فيما بعد و أعنى وجوه علماء السنة في عصره الشيخ عبد اللّه مخدوم الملك و الشيه عبد النبي صدر الصدور و القاضي جلال الدين الملتاني قاضي القضاة و الشيخ نظام الدين البدخشي و رجالا آخرين من علمائهم الكبار.

و هذه الفتوى دليل ساطع على أن «أكبر» لم يخالف أحكام القرآن فيما فعل و إنما رماه أعداؤه بما رموه.

فاختلاف الناس بأمر «أكبر» دليل على عظمة هذا الرجل، و أنا شخصيا، و إن كنت لا أنفي عن «أكبر» كل ما ألصق به من تهم، إلا أننا نبرئه من مخالفة الإسلام و دعوى النبوة أو الألوهية، و ذلك لأسباب، منها:

أولا- ما رواه المؤرخون من أن أحد رجال حاشيته قال له ذات يوم أنه سمع الناس يقولون عنه بأنه نبي و أنه إله. فقال «أكبر»: سبحان اللّه كيف جاز لهؤلاء الحمقى أن يعتقدوا بان يكون المخلوق إلها أو أن يؤمنوا بمجئ نبي و قد ختمت النبوة.

ثانيا- إن أكبر لم يكن جاهلا حتى يؤمن بمثل هذه الخرافات بل كان عالما عاقلا من فحول العلماء و الحكماء، و تدل مذكراته التي تركها على علو كعبه في الأمور السياسية و العسكرية و لعله لو كان كتب بالدين لرأيناه لا يقل رفعة من هذه الناحية عن الناحية السياسية، و لكنه لم يفعل، و كونه أهمل هذه الناحية دليل على أن هذه الأمور الدينية لم‏

ص:64

تشغل حيزا كبيرا من تفكيره. كما نعتقد بانّ، دينه الذي أبتدعه، إن صح ذلك، فإنما يكون لرجال القصر و الحاشية الذين كانوا خليطا من الناس و كان من الواجب أن يؤلف بين قلوبهم في نظام خاص لا علاقة له بالمعتقد، أما و أنه لو كان يحرص على نشر هذا الدين خارج القصر لرأيناه يفعل شيئا في سبيل ذلك ثم لرأينا كثيرا من المنافقين و المتزلفين و الانتهازيين و الطامعين يؤمنون بهذا الدين، و هذا مما لم يحدث.

ثالثا- لو صح ما أتهم به لرأينا العلماء يفتون بكفره و بقتله، و هذا ما لم يحدث أيضا.

رابعا- إذا صحّ أن بعض الناس قد نسبوا إليه دعوى النبوة أو الألوهية فإنه هو غير مسؤول عن عقائد الناس، و الهنادكة الذين تعودوا أن يروا آلهتهم تسير على الأرض، يسرهم بأن يؤمنوا بهذا الإله العظيم، فهم إذن الذين نحتوا له صنما و عبدوه.

و أما تقرب «أكبر» من الهنادكة و غيرهم من أهل الهند فقد فعل نابليون بعده مثل فعله، فأسلم في مصر و لبس العمة و عاش عيشة المماليك المصريين، حتى ظن الناس لا بل و ادعى كثير منهم بأنه مسلم، و قاوم البابا و الكنيسة حتى ظنّ كثير من الناس بأنه ملحد، و لكنه لما مات مات مسيحيا مؤمنا بدينه، و لربما لو كان نابليون عاشر الهنادكة أو البوذيين أو غيرهم لصار منهم أو حسبه هؤلاء أنه منهم، فمهمة الملك مهمة عويصة لا يدرك صعابها إلا من يعانيها لا سيما في أيام كان الدين في الحياة كل شئ.

و من الجدير بالذكر أن عصر «أكبر» كان من أزهى العصور، و كانت الهند في زمانه تعج بالعلماء و الفقهاء و المرشدين العاملين و المتصوفين العاكفين، و كانت دعائم الإسلام قوية و ثابتة، و كان الهنادكة يدخلون في الإسلام أفواجا بعد ما رأو من الحرية التي منحها لهم الاسلام في ظل مليكهم المتسامح الفذ، و ما جرى من الاصلاحات في عهده الزاهر فقد أدار الهند ادارة ممتازة قل من سدد لمثلها في الأوائل و الأواخر، لأنه إلى زمانه هو كانت سلطنة الهند غير متركنة على قواعد ثابتة، و لا سائرة بانظمة مقررة، بل كان السيف وحده حكما، و كانت الثورات متصلة، و اهواء الاشخاص هي الغالبة. فبنى أكبر دولته هذه على أصول ادارة جديدة، فارسية مغولية، غاية في الضبط و الدقة، و رفع استبداد الامراء، و ازال الفوضى من البلاد، و جذب الى الابواب السلطانية أولئك الامراء و الملوك‏

ص:65

الذين كانوا يستبدون بالرعايا فأرضاهم و اراح الرعايا من ضررهم، و شكّل الدولة على النسق الحالي المتبع بهذا الوقت في العالم فهناك الوكيل أى رئيس النظار (و الأتراك الى اليوم يسمون الناظر وكيلا و الصدر الأعظم رئيس الوكلاء) ثم الوزير و هو ناظر المالية و خان خانان أي ناظر الحربية. و كان عنده ناظر البلاط السلطاني (نظير مشير المابين الهمايوني عند آل عثمان) و ناظر العدلية و كان اسمه الصدر، و غير ذلك من المناصب.

و أما البلاد فكانت 18 ولاية كبرى كل منها تنقسم الى ما يشبه اليوم الألوية و هلم جرّا. و كانت الادارة الملكية في أيدي الفرس كما أن الجيش كان بايدى المغول و الهنود. و كان عدد الجيش الدائم 140 ألفا و هذا شئ غير معهود في ذلك الوقت و أما دخل الخزانة السلطانية فكان نحو مليارين أى 100 مليون جنيه، و هذا أيضا شئ هائل بالنسبة الى ذلك الزمن. و عامل أكبر الهنود برفق عظيم، و رفع عنهم ضروب الاهانات.

و صدرت الأوامر الى جباة الخراج بأن يصبروا على الفلاحين في استئداء الأموال الأميرية، بل يقوّوهم من بيت المال في سنى القحط. كذلك توسل أكبر بوسائل ناجعة في قتال المجاعات التي تكثر في الهند في الأعوام التي يحتبس فيها الغيث. و كان يعاقب الأمراء الذين يظلمون الا كرة الذين هم قائمون بخدمة اراضيهم. و مع شدة ميله الى البراهمة، و مراعاته لهم، عارضهم في قضية احراق النساء اللاتي مات بعولتهن، و عادة ابقاء النسوة اللاتي تموت ازواجهن و هن في سن العاشرة أرامل طول الحياة لا يحق لهن أن يتزوجن. ثم منع التبكير في الزواج فكان يلا يسمح بزواج الشاب قبل سن 16 و لا بزواج الفتاة قبل سنة 14.

و كانت اللغات المعروفة في الهند، عدا لغات الهنود الاصليين، ثلاثا: العربية لغة الدين الاسلامي، و التركية لغة الأسرة التيمورية، و الفارسية لغة البلاط و الدولة. فوضع «أكبر أو شجّع على وضع» لغة «الأوردو» التي تشتمل على كثير من العربي و الفارسي و التركي مع الهندي. فسهل التفاهم بين الأمم الهندية و اتسعت هذه اللغة تدريجيا حتى انه ليتكلم بها اليوم جل سكان شبه القارة الهندية.

ص:66

أكبر في نظر الغرب:

يزعم البعض بأن أكبر قد حاز رضا الغرب لتجديفه ضد الاسلام في كثير من حالاته، و الواقع ان معظم من كتب عنه من الغربيين اطنبوا في ذكر المحاسن و الاصلاحات التي ظهرت في عصره و خاصة ما تميز به من التسامح الديني و لكن لم تخلو كتب الغربيين من انتقادات و شطط في تفسير كثير من الحوادث المزعومة أو الصحيحة التي ذكرها الباحثون عنه، و كنموذج عن رأى الغرب في أكبر نقتطف بعض ما كتبه عنه المؤرخ ول ديوارنت، و لا يعني بالضرورة اثباتنا لآرائه بأننا نوافقه على جميع تلك الأفكار التي طرحها بل ستجد ان بعض هذه الآراء قد رددنا عليها في مكان آخر ضمن البحث و هو على كل حال لا يطلق احكامه جزافا انما ليس من السهل الوثوق بكل ما اعتمد عليه من مصادر كما اننا لا نخفي ذكره لامور مهمة في سيرة اكبر، قال: «و كانت زوجة همايون قد أنجبت له أثناء نفيه و فقره ولدا أسماه (محمدا) تبركا بهذا الأسم، لكن الهند أطلقت عليه «أكبر»- و معناها «البالغ في عظمته حدا بعيدا»- و لم يدخروا من وسعهم شيئا لتنشئته رجلا عظيما، بل إن أسلافه قد تعاونوا على اتخاذ التدابير كلها ليبلغوا به قمة العظمة، ففي عروقه تجري دماء «بابر» و «جنكيز خان» و أعد له المربون في كثرة، لكنه رفضهم جميعا و أبى أن يتعلم القراءة، و أخذ يعدّ نفسه بدل ذلك لتولي الملك بالرياضة الخطرة التي مافتئ يرتاضها، فأصبح فارسا يتقن ركوب الخيل إلى حد الكمال، و كان يلعب بالكرة و الصولجان لعب الملوك، و مهر في فن سياسة الفيلة مهما بلغت من حدة الافتراس، و لم يتردد قط في ارتياد الغابة لصيد الأسد و النمور و في تحمل المشاق مهما بلغ عناؤها، و في مواجهة المخاطر كلها بشخصه، و لكي يكون تركيا أصيلا، لم يضعف ضعف الإناث فيمج طعم الدماء البشرية: من ذلك أنه لما كان في عامه الرابع عشر، دعى ليظفر بلقب «غازي»- و معناها قاتل الكفار- بأن قدموا له أسيرا هنديا ليقتله، فبتر رأس الرجل بترا في لمحة سريعة و بضربة واحدة من حسامه، تلك كانت البدايات الوحشية لرجل كتب له أن يكون من أحكم و أرحم و أعلم من عرفهم تاريخ الدنيا من ملوك.

و لما بلغ الثامنة عشرة من عمره تسلم مقاليد الأمور من يد الوصى على عرشه، و كانت رقعة ملكه تمتد فتشمل أكثر من ثمن مساحة الهند كلها- فهي شريط من‏

ص:67

الأرض يبلغ عرضه نحو ثلاثمائة ميل، و يمتد من الحدود الشمالية الغربية عند ملتان إلى بنارس في الجانب الشرقي، و أمتلأ بما كان يمتلئ به جده من حماسة و جشع، فشرع يوسع هذه الحدود، و استطاع بسلسلة من الحروب التي لم تعرف الرحمة أن يبسط سلطانه على الهندستان كلها، ما عدا مملكة راجبوت التي تخضع لأسرة موار، فلما عاد إلى دلهي نزع عن نفسه السلاح، و كرس جهده لإعادة تنظيم حكومة ملكه، و كان سلطانه مطلقا فهو الذي يعين الرجال للمناصب الهامة كلها، حتى ما يقع منها في الأقاليم النائية، و كان معاونوه الأساسيون أربعة: رئيس الوزراء و يسمى «فقيرا» و وزير المالية و يسمى «وزيرا» أحيانا، و أحيانا يسمى «ديوانا»، و رئيس للقضاء و يسمى «بخشى» و رئيس للديانة الإسلامية و يسمى «صدرا»، و كان كلما ازداد حكمه استقرارا و رسوخا في القلوب، قل اعتماده على القوة الحربية، مكتفيا بجيش دائم من خمسة و عشرين ألفا، فإذا ما نشبت حرب، زادت هذه القوة المتواضعة بمن يجندهم الحكام العسكريون في الأقاليم- و هو نظام متصدع الأساس كان من عوامل سقوط الإمبراطورية المغولية في حكم «أورنجزيب» و فشت الرشوة و الاختلاس بين هؤلاء الحكام و معاونيهم، حتى لقد أنفق «أكبر» كثيرا من وقته في مقاومة هذا الفساد: و اصطنع الاقتصاد الدقيق في ضبط نفقات حاشيته و أهل أسرته، فحدد أسعار الطعام و سائر الأشياء التي كانت تشترى لهم، كما حدد الأجور التي تدفع لمن تستخدمهم الدولة في شئونها، و لما مات، ترك في خزينة الدولة ما يعادل بليون ريال، و كانت إمبراطوريته أقوى دولة على وجه الأرض طرا.

كانت القوانين و الضرائب كلاهما قاسيا، لكنهما كانا مع ذلك أقل قسوة منهما قبل ذلك العهد، فقد كان مفروضا على الفلاحين أن يعطوا الحكومة مقدارا من مجموع المحصول يتراوح بين السدس و الثلث، حتى لقد بلغت ضريبة الأراضي في العام ما يساوي مائة مليون ريال، و كان الإمبراطور يجمع في شخصه السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية، و كان إذا ما جلس في كرسى القضاء الأعلى، أنفق الساعات الطوال ينصت إلى أقوال المتخاصمين في القضايا الهامة، و كان من قوانينه تحريم زواج الأطفال و تحريم إرغام الزوجة على قتل نفسها عند موت زوجها و أجاز زواج الأرامل، و منع استرقاق الأسرى و ذبح الحيوان للقرابين، و أطلق حرية العقيدة للديانات كلها، و فتح المناصب‏

ص:68

لذوى الكفاءة مهما يكن من أمر عقيدتهم أو جنسهم، و منع ضريبة الرؤوس، التي كان الحكام الأفغان يفرضونها على الهندوسين الذين يأبون الدخول في الإسلام، و كان تشريعه في بداية حكمه يبيح عقوبات من قبيل بتر الأعضاء، أما في نهاية عهده فربما بلغ التشريع في بلاده من الرقى ما لم تبلغه أية حكومة أخرى في القرن السادس عشر، إن كل دولة تبدأ بالعنف ثم تأخذ في طريق المدنية الذي ينتهي إلى الحرية (ذلك إن أمنت على نفسها الخطر).

لكن قوة الحاكم كثيرا ما تكون ضعفا في حكومته، فقد كان بناء الحكم قائما إلى حد كبير على «أكبر» بما كان له صفات عقلية و خلقية ممتازة، و لذلك كان من البديهي أن يتعرض كل ذلك للإنهيار بعد موته، و بالطبع قد تحلّى بمعظم الفضائل ما دام قد استأجر معظم أقلام المؤرخين: فكان خير رياضى و خير فارس و خير محارب بالسيف، و من خير المهندسين في فن العمارة، و كان كذلك أجمل رجل في البلاد كلها، أما الواقع فإنه كان طويل الذراعين، مقوس الساقين، ضيق العينين كسائر المنغوليين، رأسه يميل نحو اليسار، و في أنفه ثؤلول (زائدة جلدية)، لكنه كان يكتسب شكلا محترما بنظافته و وقاره و هدوئه و عينيه اللامعتين اللتين كانتا تتلألآن (كما يقول أحد معاصريه): «تلألأ البحر في ضوء الشمس» أو كانتا تشتعلان على نحو ترتعد له فرائص المعتدي كما حدث لفاندام أما نابليون، كان ساذج الثياب يغطي راسه بغطاء مزركش، و يرتدى صدرا و سراويل، و يرصع نفسه بالجواهر، و يترك قدميه عاريتين، و كان لا يميل كثيرا إلى أكل اللحم، ثم امتنع عنه امتناعا تاما تقريبا في أواخر سنيه قائلا «إنه لا يجمل بالإنسان أن يجعل من معدته مقبرة للحيوان» و مع ذلك فقد كان قوى الجسد قوى الإرادة، و برع في كثير من أنواع الرياضة التي تحتاج إلى حركة و نشاط، و استخف بستة و ثلاثين ميلا يمشيها في يوم واحد، و كان يحب اللعب بالكرة و الصولجان حبا حدا به أن يخترع كرة منيرة ليتمكن اللاعبون من القيام بلعبتهم هذه في ظلمة الليل، و ورث من أسلافه في أسرته ميولها الاندفاعية القوية، و كان في شبابه (مثله في ذلك مثل معاصريه) قادرا على مشكلاته بالاغتيال، لكنه راض نفسه شيئا فشيئا على أن يجلس على بركان نفسه- على حد تعبير و ودروولسن- و امتاز من عصره امتيازا بعيد المدى في ميله إلى العدل، يقول «فرشتا»: إن رحمته لم‏

ص:69

تعرف حدودا بل إنه كثيرا ما ذهب في هذه الفضيلة حتى جاوز بها حدود الحكمة «و كان كريما ينفق الأموال الطائلة إحسانا، أحبه الناس جميعا، و خصوصا الطبقات الدنيا، فيقول عنه مبشر جزويتي «إنه كان يتقبل من أهل الطبقات الدنيا عطاياهم الحقيرة بوجه باسم، فيتناولها بيديه و يضمها إلى صدره، مع أنه لم يكن يفعل ذلك مع أفخر الهدايا التي كان يقدمها له الأشراف، و قال عنه أحد معاصريه إنه كان مصابا بالصرع، و روى عنه كثيرون أن داء السوداء كثيرا ما كان يستولى عليه إلى درجة تسود معها نظرته إلى الحياة اسودادا مخيفا و كان يشرب الخمر و يأكل الأفيون في اعتدال، و لعله فعل ذلك ليكسب واقع حياته المظلم شيئا من البريق، و لقد كان أبوه كما كان أبناؤه يشربون الخمر كما شربها و يأكلون الأفيون كما فعل.

لكنهم لم يكونوا يشبهونه في ضبطه لنفسه و كان له حريم يتناسب مع سعة ملكه، فيروى لنا أحد الرواة «إن له في «أجرا» و في «فتحبور- سكرى»- هكذا يروون بصيغة الصدق- ألف فيل و ثلاثون حصانا و ألف و أربعمائة غزال و ثمانمائة خليلة لكنه لم يكن له فيما يظهر شهوات حسية و لا ميول تدفعه إلى الانغماس فيها، نعم إنه أكثر من زوجاته، لكنه كان زواجا سياسيا، فكان يتودد إلى أمراء الراجبوت بزواج بناتهم، و بهذا كسبهم في تعضيد عرشه، و أصبحت الأسرة الحاكمة المغولية من ذلك الحين نصف وطنية فيما يجرى في عروقها من دماء، و لقد أعلى رجلا من أسرة راجبوت حتى نصبه قائدا أعلى لجيشه، كما رفع أحد الراجات إلى منصب كبير وزرائه، و كانت أمنيته التي يحلم بها أن يوحد الهند.

لم يكن ذا عقل واقعى دقيق له برودة النطق كما كان لقيصر أو نابليون بل كان يترع بعاطفته نحو دراسة الميتافيزيقيا، و لو أنه خلع عن عرشه لكان من الجائز أن يصبح صوفيا معتزلا، كان لا يكف عن التفكير و لا ينقطع عن اختراع الجديد و اقتراح الإصلاح لما هو قائم، و كان من عاداته مثل هارون الرشيد أن يمشي بالليل متنكرا، ثم يعود إلى مأواه و هو جياش الصدر برغبة الإصلاح، و استطاع وسط هذه المناشط الكثيرة أن يفسح بعض الوقت لجمع مكتبة عظيمة تتألف كلها من مخطوطات جميلة الخط و النقش، دبجها له نساخون بارعون كانت لهم عنده مترلة الفنانين، فهم في عينه لا يقلون مكانة عن‏

ص:70

المصورين و المهندسين المعمارين الذين كانوا يزينون ملكه، و كان يزدرى الطباعة باعتبارها آلية تتجلى فيها شخصية الكاتب، و لم يلبث أن استغنى عن العينات المختارة من الرسوم الأوروبية المطبوعة التي قدمها له أصدقاؤه من الجزويت، و لم تزد مكتبته على أربعة و عشرين ألف كتاب، لكن قيمتها بلغت ما يساوى ثلاثة ملايين و خمسمائة ألف ريال عند أولئك الذين حسبوا أن أمثال هذه الكنوز الروحية يمكن تقديرها بأرقام مادية، و أجزل العطاء للشعراء بغير حساب، و قرب أحدهم من نفسه- هو بربال الهندي- تقريبا جعله ذا حظوة كبرى في حاشية قصره، و اخيرا نصّبه في الجيش قائدا، فكان من نتيجة ذلك أن قام «بربال» بحملة حربية أظهر فيها عجزا شديدا، و قتل في جو أبعد ما يكون الجو عن خيال الشعراء: و أمر «أكبر» أعوانه من الأدباء أن يترجموا إلى الفارسية- و قد كانت لغة قصره- آيات الأدب و التاريخ و العلم في الهند، و راجع بنفسه ترجمة «الملحمة الخالدة» «ما ها بهاراتا» و ازدهرت الفنون كلها في ظله و بتشجيعه. فشهدت الموسيقة الهندية و الشعر الهندي في عهده عصرا من أعظم عصورهما و بلغ التصوير- الفارسي منه و الهندي- مرتبة تالية في ارتفاعها للأوج بفضل تشجيعه و أشرف في «أجرا» على بناء الحصن المشهور، و أمر أن يبنى بداخله خمسمائة بناء، عدّها معاصرون من أجمل ما تراه العين في العالم كله، و ليس في مقدورنا أن نحكم عليها استنتاجا من آثار العمارة الباقية من عهد «أكبر» مثل مقبرة «همايون» في دلهي، و الآثار الباقية في «فتحبور- سكرى» حيث أقيم ضريح لصديق «أكبر» المحبوب، الزاهد الشيخ سليم شستى، و هو بناء، من أجمل ما في الهند من بناء.

ثم كان له اتجاه آخر أعمق من هذه الاتجاهات كلها، و هو ميله إلى التأمل، فهذا الإمبراطور أو شك أن يكون قادرا على كل شئ، تحرق فؤاده شوقا إلى أن يكون فيلسوفا كما يشتهى الفلاسفة أن يكونوا أباطرة، و لا يستطيعون، أن يسيغوا حمق القدر في حرمانه إياهم ما هم جديرون به من عروش، فبعد أن فتح «أكبر» العالم، أحسّ شقاء نفسه لأنه لم يستطع فهما لهذا العالم الذي فتحه و قد قال: «على الرغم من أنى أسود هذا الملك الفسيح، و زمام الحكومة كلها في يدي، فلست مطمئن الفؤاد لهذه العقائد الكثيرة و المذاهب المختلفة من حولي، ما دامت العظمة الحقيقية كائنة في تنفيذ إرادة اللّه، فدع‏

ص:71

عنك هذه الأبهة الظاهرة المحيطة بى، و قل لي كيف أطيب بالا، في مثل هذا اليأس، إذا ما حملت عب‏ء الإمبراطورية؟ إنى لأرقب ظهور رجل حصيف ذى مبدأ ليزيح عن ضميرى هذه المشكلات التي يتعذّر على حلها ... إن الحديث في الفلسفة يفتنني فتنة تصرفني عن كل ما عداها، و إنى لأنصرف عن سماعها رغم أنفى حتى لا أهمل واجباتي التي تقتضيها أمور الساعة» و يقول بادوني: «كان يحجّ إلى قصره طوائف العلماء من كل أمة، و الحكماء من كل ملة و مذهب، و كانوا يظفرون لديه بشرف استماعه إليهم، و إذا ما فرغوا من بحثهم و تقصّيهم اللذين كانا شغلهم الشاغل و مهمتهم الأولى ليلا و نهارا تحدثوا في مسائل عميقة في العلم، و نقط دقيقة في الوحي، و أعاجيب التاريخ و غرائب الطبيعة، و يقول «أكبر»: إن سيادة الإنسان تعتمد على جوهرة العقل.

دعوى الدين الالهي:

و لما كان فيلسوفا فلا عجب أن يأخذه شغف شديد بالدين، فقد أغرته قراءته الدقيقة لملحمة «ماهابهارات» و دراسته الوثيقة لشعراء الهنود و حكمائهم بدراسة العقائد الهندية، و لبث حينا- على الأقل- يؤمن بمذهب التناسخ، و خيّب فيه ظن أتباعه من المسلمين حين ظهر على الملأ بعلامات دينية هندية على جبهته، فقد كان له شغف بملاطفة أصحاب العقائد كلها، لذلك تودد إلى الزرادشتين بأن لبس ما يلبسونه من قميص و منطقة مقدستين تحت ثيابه، و انصاع للجانتين حين طلبوا إليه أن يمتنع عن الصيد، و أن يحرم قتل الحيوان في أيام معلومة، و لما سمع بالديانة الجديدة المسماة بالمسيحية، التي جاءت إلى الهند مع بعثة «جوا» البرتغالية، ارسل خطابا إلى هؤلاء المبشرين التابعين لمذهب بولس، يدعوهم أن يبعثوا له باثنين من علمائهم، و حدث بعد ذلك أن قدم جماعة من الجزويت مدينة دلهي، و حبّبوه في المسيح حتى أمر كتابه ان يترجموا له العهد الجديد و اباح لهؤلاء الجزويت كل حرية في أن ينصروا من شاءوا بل عهد إليهم بتربية أحد أبنائه، و في الوقت الذي كان الكاثوليك يفتكون بالبروتستنت في فرنسا، و البروتستنت- في عهد اليصابا- يفتكون بالكاثوليك في إنجلترا، و محاكم التفتيش تقتل اليهود [و المسلمين‏] في أسبانيا و تسلبهم أملاكهم و «برونو» يقذف به في النار في إيطاليا، كان «أكبر» يوجه الدعوة إلى ممثلى الديانات كلها في إمبراطوريته ليعقدوا مؤتمرا، و تعهد لهم بحفظ السلام بينهم و أصدر

ص:72

المراسيم بوجوب التسامح مع المذاهب كلها و العقائد كلها، و لكي يقيم الدليل على حياده، تزوج من نساء البراهمة و من نساء البوذية، و من نساء المسلمين جميعا.

و كان ألذ ما يمنعه بعد أن بردت في نفسه جذوة الشباب المضطرمة، المناقشات الحرة في العقائد الدينية، و ضاق أكبر ذرعا بالانقسامات الدينية في مملكته، و أفزعه الاحتمال بأن تؤدي هذه الديانات المتنافسة إلى تمزيق المملكة بعد موته، فاستقر رأيه آخر الأمر على أن يكوّن منها ديانة جدية، تضم أهم تعاليم العقائد المختلفة في صورة بسيطة و يحكى لنا المبشر الجزويتي هذا النبأ كما يأتي:

«عقد اجتماعا دعا إليه كل رجال العلم البارزين و القواد العسكريين في المدن المجاورة، لم يستثن أحدا إلا الأب «رد لفو» الذي كان من العبث أن ترجو منه شيئا غير مناصبة هذه الدعوة الدينية العداء، فلما أن اجتمعوا جميعا أمامه، خاطبهم بأسلوب سياسي ماهر ماكر قائلا:

«إنه لمن الشر في إمبراطورية يحكمها رأس واحد أن ينقسم الأعضاء بعضهم على بعض و أن يتباينوا في الرأي .. و من ثم نشأ في البلاد أحزاب بمقدار ما فيها من عقائد دينية، و إذن فلزام علينا ان ندمج هذه العقائد كلها في دين واحد، على نحو يجعلها كلها ممثلة في هذا الواحد، و تكون الفائدة الكبرى التي يجنيها كل من هذه الديانات، أنه لن يخسر شيئا من جوانبه الحسنة. ثم يكسب كل ما هو حسن في سائر الديانات، و بهذا وحده نمجد اللّه و نهيئ للناس سلامة و للإمبراطورية أمنا».

و وافق المجلس مرغما، فأصدر «أكبر» مرسوما يعلن نفسه رئيسا دينيا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و هذه الرئاسة الدينية هي أهم ما أثرت به المسيحية على الديانة الجديدة، و كانت هذه العقيدة الجديدة توحيدا يمثل التقاليد الهندية في التوحيد خير تمثيل، مضافا إليه قبس من عبادة الشمس و النار مأخوذا من العقيدة الزردشتية، و فيه عنصر شبيه بالذهب الجانتى في ايثاره للإمتناع عن أكل اللحوم، و عدّ ذبح الأبقار كبيرة من الكبائر، فما أشد ما اغتبط لذلك الهندوس، و ما أقل ما اغتبط له المسلمون، و صدر بعدئذ مرسوم يجعل الاقتصار على أكل النبات إلزاما على الناس جميعا مدى مائة يوم على الأقل‏

ص:73

كل عام، ثم سار مع ميول الوطنيين خطوة أخرى فحرّم الثوم و البصل، و حرّم تشييد المساجد و صيام رمضان و الحج إلى مكة و غير ذلك من شعائر المسلمين، و لما أراد المسلمون مناهضة هذه المراسيم، نفى كثير منهم، و أقيم وسط «محكمة السلام» في «فتح بور- سكرى-» معبد للديانة المتحدة الجديدة (و لا يزال هذا المعبد قائما) رمزا للأمل الذي كان يضطرم في صدر الإمبراطور، و هو أن يكون أهل البلاد جميعا- بفضل العقيدة الجديدة- إخوانا يعبدون إلها لا يختلف من طائفة إلى طائفة.

و لم يكن النجاح حليف «الدين الالهي» باعتباره دينا و وجد «أكبر» أن التقاليد أقوى من أن يهدمها بقوله إنه يجل عن الخطأ، نعم إن بضعة آلاف من الناس التفّوا حول الدين الجديد، كان معظمهم ممن يريدون من وراء ذلك اكتساب حظوة عند الدولة لكن الأغلبية العظمى ما زالت مستمسكة بآلهتها الموروثة، و أما من الوجهة السياسية فقد كان لخطته الدينية بعض النتائج المعينة، فلئن كان «أكبر» بوحيه الديني الجديد قد أبدى شيئا من الأنانية و من الإسراف، فقد عوّض عن ذلك خير العوض بإلغائه لضريبة الرؤوس و ضريبة الحج المفروضتين على الهندوس، و بإطلاقه الحرية للعقائد الدينية كلها، و بإضعافه لروح التعصب الديني و الجنسى و ما يتبع ذلك من جمود الرأي و انقسام الطوائف، و لقد كسب إلى جانبه بفضل دينه الجديد ولاء الهندوس، حتى أولئك الذين لم يعتنقوا منهم تلك العقيدة الجديدة، فاستطاع بذلك أن يحقق غايته الرئيسية إلى حد بعيد، و أعنى بها الوحدة السياسية للبلاد. انتهى كلام ديوارنت، و يظهر انه اسرف اسرافا واسعا في خياله بشأن الدين الالهي، و هذا ما لا يفقدنا الثقة بما قدمناه من رأي فيه.

الخزانة الاكبرية:

من مآثر الامبراطور أكبر أنشائه في أكرا لمكتبة ضخمة تحتوي على معظم ما هو موجود من عصره من مختلف الكتب و في سائر العلوم و الفنون.

و يقول أبو الفضل عن هذه المكتبة قسمت المكتبة الملكية الى عدة أقسام، قسم يحتفظ فيه الكتب في داخل الحريم و قسم آخر يحتفظ فيه خارجه. و رتبت الأقسام على حسب قيمة الكتب و مترلة المواضيع التي كتبت فيها. فنجد لكل من كتب العربية و الفارسية

ص:74

و اليونانية و الكشميرية قسم مختص بها، كذلك خصص لكتب الشعر مكان و لكتب النثر مكان آخر. و يحضر العلماء ببعض الكتب القيمة كل يوم و يقرأونها لجلالة الأمبراطور، و هو يستمع إليها بسرور و شغف و عندما تنتهي قراءة اليوم يعلم جلالته في الصفحة بقلمه الخاص و يمنح القارئ من النقود أو من الجوائز الذهبية أو الفضية جائزة يختلف قدرها باختلاف عدد الصفحات التي قرأها، و قلما نجد من الكتب الهامة كتابا الا و قد تم قراءته أمام جلالة الامبراطور في ردهته الخاصة للقراءة، و كان من سعة أفقه أن لا يخطر على بال المرء موضوع سواء كان علميا أو أديبا الا و كان الامبراطور على علم به، و انه ليس من المواعظ و العبر المستفادة من تاريخ الأمم في العصور الغابرة، إلا و قد وجد الامبراطور قد سبق بها علما، و المعجب أن لم يكن يشعر بملل أوسأم و لو قرئ له الكتاب الواحد أكثر من مرة، بل نراه ينصت و يصغى إليه في المرة الثانية أكثر منه في المرة الأولى.

و يقول الراهب الاسباني الأب سباتشيان متنريك الذي زار آجرا سنة 1641 الميلادية

تشتمل المكتبة الملكية على 24 ألف مجلد تبلغ قيمتها 731، 463، 6 روبية. (ستة ملايين و أربعمائة و ثلاث و ستين ألفا و سبعمائة و واحد و ثلاثين روبية، أو سبعمائة ألف و عشرين ألف جنية استرليني 000، 720).

الحركة التأليفية في عهده:

أمر أكبر بتصنيف و ترجمة الكثير من الكتب و منها على سبيل المثال:

1- ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميرى بالفارسية، ترجمه أبو الفضل بن المبارك الناكوري سنة ثلاث و ثمانين و تسعمائة، 2- ترجمة الانجيل إلى الفارسية، ترجمه أبو الفضل سنة ست و ثمانين و تسعمائة، 3- ترجمة كليلة و دمنة من اللغة الفارسية الغير المتعارفة إلى المتعارفة، نقله أبو الفضل، 4- آئين أكبرى بالفارسية، كتاب ضخم لأبي الفضل، صنفه سنة أربع و ألف، و هو أحسن الكتب المصنفة في أيام أكبر، 5- «أكبر نامه» كتاب في التاريخ لأبي الفضل، ذكر فيه أحوال ملوك الهند من أولاد تيمور كور كان إلى عهد جلال الدين أكبر، 6- ترجمة ليلاوتي في الحساب و المساحة، نقله من سنسكرت إلى الفارسية أبو الفيض بن المبارك بأمر السلطان، 7- نلد من منظومة بالفارسية لأبي‏

ص:75

الفيض المذكور منقولة من اللغة الهندية، 8- ترجمة اتهر ابن ويد رابع الكتب المقدسة في زعم الهنود في لغة سنسكرت، نقل شيئا منه الى الفارسية عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني، و أعانه على ذلك الشيخ بهاون الهندي، و نقل شيئا أبو الفيض بن المبارك المذكور باعانته ثم الحاج إبراهيم السرهندي حتى تم الكتاب، 9- ترجمة «مهابهارات» أحد الكتب التاريخية المقدسة في زعم الهنادك، ترجمه عبد القادر المذكور بشركة غياث الدين القزويني و سماه السلطان «رزم نامه»، 10- ترجمة «رامائن» (الرامايان) أحد الكتب التاريخية للهنادك في لغة بهاكا، ترجمه عبد القادر سنة سبع و تسعين و تسعمائة، 11- منتخبات الجامع الرشيدي في اخبار الخلفاء العباسية في بغداد و مصر و الخلفاء الأموية و الخلفاء الراشدين، صنفه عبد القادر بالفارسية، 12- «تكملة بحر الأسماء» و هو كتاب في الأخبار الهندية، صنف السلطان زين العابدين الكشميرى، و قد فات منه بعض القصص المفيدة فجمعها عبد القادر في كتاب و جعله الجزء الثاني من بحر الأسمار، 13- «منتخبات تاريخ كشمير» لملا شاه محمد الشاه آبادى، انتخبها عبد القادر، 14- ترجمة «تزك بابرى» من التركية إلى الفارسية، ترجمه عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوى سنة سبع و تسعين و تسعمائة، 15- «زيج مرزائى» ترجمه من الفارسية إلى الهندية كشن جوتشى و كناكدهر و مهيش و مهانند أخبار البراهمة باعانة الأمير فتح اللّه الشيرازى و أبى الفضل بن المبارك الناكورى، 16- «الناجك» في «التنجيم»، ترجمه مكمل خان الكجراتي، 17- «هربنس» كتاب في أخبار كشن، ترجمه ملا شيرى بن يحي اللاهوري.

18- ترجمة معجم البلدان من العربية إلى الفارسية، قسم أجزاءه السلطان على اثنى عشر رجلا منهم البدايوني، و التتوي و الشيخ منور و قاسم بيك فترجموه، 19- التاريخ الألفي في أخبار الف سنة، أمر السلطان بتصنيفه أصحابه و اصطفى منهم سبعة رجال: فتح اللّه الشيرازي، غياث الدين القزويني، همام بن عبد الرزاق الكيلاني، الحكيم على الكيلاني، الحاج ابراهيم السرهندي، نظام الدين الأكبر آبادي، عبد القادر البدايوني، لأسبوع كامل ليكتب كل واحد منهم في اسبوع أخبار سنة، فامتثلوا أمره حتى حررت من ذلك أخبار خمس و ثلاثين سنة، ثم أمر السلطان أحمد بن نصر اللّه التتوى فاشتغل به و حرر إلى أيام جنكيز خان ثم قتل، فأمر باتمامه جعفر بيك، فأتمه و حرر الوقائع‏

ص:76

الى عهد السلطان أكبر، و كتب له الخطبة أبو الفضل ابن المبارك الناكوري، 20- «الطبقات الأكبرية» لمرزا نظام الدين بن محمد مقيم الهروى الأكبر آبادي، كتاب جمع فيه أخبار الملوك و السلاطين إلى السنة الثانية و الثلاثين الجلوسية، 21- «منتخب التواريخ» لعبد القادر بن ملوك شاه المذكور في ثلاث مجلدات: الأول في أخبار الملوك من سبكتكين إلى همايون، و هو ما بين الإيجاز و الإطناب، و الثاني في أخبار السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، و الثالث في ذكر السلطان جلال الدين أكبر إلى سنة أربعين الجلوسية، و الثالث في ذكر من عاصره من المشايخ و العلماء و الأطباء و الشعراء، و هو كتاب مفيد جدا، 22- «كتاب التسهيلات في الهيئة» صنفه ملا جاند، و نسخته موجودة في لندن الآن 23- «بهاكوت كيتا» نقله من سنسكرت الشيخ أبو الفيض بن المبارك المذكور، 24- «راك ساكر» كتاب في الموسيقى صنفوه في أيامه كما في راك دربن، 25- حل لنظم شاهنامه، جعله تقى الدين التسترى منثورا بأمره.

الحركة العمرانية و الفنية:

و كان من الطبيعي ان تزدهر الحركة الفنية في هذا العهد فقد اسس اكبر عاصمة جديدة هي فتح بور سكري، و كان يحيط بها من ثلاث جهات سور كبير طوله خمسه كيلو مترات، و تطل من الجهة الرابعة على بحيرة صناعية. و شيدت فيها قصور فخمة و دور للحكومة و مساجد و أسواق. و كان مسجدها الجامع من الرخام النقي الناصع البياض، و يبدو من مباني هذه المدينة انه لم يراعي في تخطيطها وحدة عامة و انما شيد كل بناء منها مستقلا عن غيره. و من هذه المباني الديوان العام و قوامه خمس طبقات مدرجة تفيق كلما ارتفعنا، و منها «الديوان الخاص» للاستقبالات الملكية الخاصة و هو بناء مربع من طابقين له أربعة أبواب و أعمدة تعلوها مقرنصات تحمل السقف، و تبدو من الخارج في أركان البناء أربع قباب صغيرة. و قد كانت هذه الظاهرة المعمارية الأخيرة من مميزات القصور الهندية بوجه عام.

و مبالغة في التفنن في تشييد هذه المدينة أن الإمبراطور قد بنى فيها أبراجا للحمام و طلاها باللونين الأزرق و الأبيض و بنى فيها ساحة كبيرة للعب «البولو» و أخرى لقتال‏

ص:77

الفيلة و بنى كذلك ساحة واسعة مربعة الشكل على هيئة لوح الشطرنج ليتسلى الإمبراطور بهذه اللعبة المحببة إلى نفسه و بدلا من اللعب بقطع الشطرنج و تحريكها تم تخصيص فتيات راقصات يجئن و يذهبن على الطريقة التي يتم فيها نقل قطع الشطرنج. و قد أحيطت هذه المدينة الواسعة بسور عظيم من الحجر الرملي الأحمر. و عندما توفي الشيخ سليم الشيشتي دفن في مدينة فتح بور- سكري و شيد له ضريح فخم من المرمر الأبيض و أصبح مرقده مزارا للنساء العقيمات تبركا به و تيمنا.

و لقد وصف الإنكليزي رالف فتش هاتين المدينتين أجرا و فتح بور- سكري عندما زارهما في عام 1584 (أو العام الذي تلاه) بقوله «إنهما أعظم من مدينة لندن و على نسبة عالية من السكان».

و من الفائدة أن نذكر أن الإمبراطور أكبر عندما شيد مدينة فتح بور- سكري كان قد شيد أيضا جامعا ذا بوابة فخمة تدعى «بلند- دروازة» و معناها «البوابة الشامخة» شيدها تخليدا لانتصاراته و وصفها و ليم فنج الإنكليزي الذي زار مدينة فتح بور- سكري عام 1610 بأنها من «أجمل البوابات و أعلاها». و هذه البوابة تعلوها مجموعة من القباب و من الغريب أن كتب على أعلى البوابة عبارة تقول: «قال عيسى عليه السلام:

هذا العالم مثل الجسر أعبر عليه و لكن لا تبن فيه بيتا و إن هذا العالم باق و لكن لأمد قصير فاقضه في النسك». هذه الكتابة و بألفاظها المذكورة رواهاtnulB dirfliW بالشكل المذكور. و لكن رواها ابن عبد ربه الإندلسي في كتابه العقد الفريد بألفاظ أخرى هي قال المسيح عليه السلام لأصحابه: «اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها و لا تعمروها».

و مع أن الإمبراطور أكبر كان قد بنى هذه المدينة باذلا أقصى العناية و الاهتمام فإنه قد نقل عاصمة ملكه إلى مدينة أجرا و هي العاصمة القديمة و على الرأي الراجح في سنة 1585 و يعزى سبب تحوله عنها بهذه السرعة إلى عجز في الإمدادات المائية التي تروي و تسقي مدينة فتح بور- سكري.

و من آثار الامبراطور أكبر قلعة آكرا المشيدة بالحجر الرملي الأحمر و لهذا عرفت بالقلعة الحمراء (لال قلعه) و لعل أعظم أجزائها الباب الكبير المعروف باسم باب دهلي، و يبدو في‏

ص:78

بناء هذه القلعة مجمع بين الاساليب الفنية الايرانية و الأساليب الهندية المحلية و على صعيد التصوير الفني فقد انشأ اكبر معهدا حكوميا للرسم و التصوير الفني التحق به ما يزيد على مائة فنان كانوا يعملون تحت ارشاد المصورين الايرانيين، و جمعت لهم الصور الفنية الرائعة من ايران ليحاكوها فانتجوا كثيرا منها، كما تم في عهده ما بدأ في عهد أبيه من تصوير قصة الامير حمزة و هي قصة ايرانية شهيرة تضمنت نسختها الاصلية على حدود ألف و اربعمائة صورة رائعة على القماش، و تفرقت هذه الصور في عدد من المتاحف العالمية اليوم.

و شجع أكبر التصوير الاوربي أيضا و كان أول اطلاعه على هذا النوع من الفن بعد أهداء نفر من المبشرين الجزويت نسخة من الانجيل مزينة برسوم السيد المسيح و أمه العذراء و ذلك سنة 1580 م.

و يحتوي متحف المتروبوليتان بأمريكا عدد من صور المخطوطات الجميلة من عصر أكبر و تحمل امضاءات مشاهير الفنانين حينذاك و من بينها ثلاث صور من مخطوطة (رزم نامه) و هي الترجمة الفارسية لملحمة (المهابهاراتا) و أكثر هذه الصور ابداعا صورة تمثل الاله الهندي كرشنا محاولا رفع أحد الجبال في سيلان.

و جاء في (آئين اكبري) قول أكبر عن التصوير:

«أن فريقا من الناس يعادون فن التصوير، و يبينون عيبه و فساده، و لكن القلب لا يقبل أقوالهم و أدلتهم، بل أنّ ما يدل عليه العقل، و تشهد عليه القرائن فالمصوّر يكون أقرب إلى معرفة اللّه تعالى من غيره من الطبقات البشرية المختلفة، لأنه عند تصويره لحيوان يأتي بشبيه لكل عضو من أعضائه، ثم حين يكمل الصورة و ينظر اليها يرى انه رغم هذه الريشة المصورة الساحرة، يعجز تماما عن أن ينفخ فيه الروح، فتتجلى له عند ذاك قدرة الخالق المطلقة، و يسجد أمام هذا الصانع العظيم».

و قد حظى الرسم بالانتعاش و الرقى بفضل عناية أكبر، أكثر مما نال في عهد غيره من الأباطرة المسلمين، و قام المعهد بأداء مهمته خير قيام، و ملأ خزائن الفن ذخرا ثمينا و لم يزل في تقدم و ازدياد مستمر.

ص:79

يقول أبو الفضل «لقد وشيّت الكتب الفارسية نظمها و نثرها بروائع الصور و الاشباه، و حوت عددا و فيرا، من نماذج الفن» و بالاضافة الى «قصة أمير حمزة» المذكورة سالفا، وشيّت كتب أخرى منها جنكيز نامه، و ظفر نامه، و آئين، و رزم نامه، و همايون نامه، و نل دمن، و كليلة دمنة، و عيار دانش و غيرها. و قد كانت الكتب الموشاة بالصور و الرسوم أكثر من أن تحصى كما كانت كثرة عدد الرسامين تدعو إلى الأعجاب، و لعله من أهم المخطوطات الموشاة قدمه هذا المعهد في عهد أكبر، و ما يشهد على الفن فيها مع الحيوية النابضة و النشاط اليقظ، و الروعة المدهشة، هي «بابر نامه» (النسخة المرقمة 3714) و «درب نامه» (4615) و «أنوار سهيلى» (18579) في المتحف البريطاني بلندن، و «تيمور نامه» في المكتبة الشرقية ب «بتنه» و «رزم نامه» في مكتبة الولاية ب «جابور» و «أنوار سهيلى» (النسخة المرقمة 10102) في مكتبة معهد للدراسات الشرقية و الافريقية بلندن و «ليلى مجنون» (أبيات 254) في مكتبة بوديليان بآكسفورد و «أكبر نامه» في القسم الهندي بمتحف «فكتوريا و البرت» بلندن. و كذلك أعدت للكتب الفارسية نسخ أخرى، زينت بصور خلابة تشهد بجودتها. منها «خمسة نظامى» في مكتبة دايسن بيرنس و «نفحات الأنس» لمولانا الجامى (1362) في المتحف البريطاني بلندن.

«أمر جلالة الأمبراطور بتصويره كما أمر بتصوير جميع الأمراء و الرؤساء الذين ضمهم بلاطه فاعدّ «البوم» ضخم يشتمل على صور الذين توفوا من قبل، لتخليد ذكراهم، و اتبع نفس الطريقة لتخليد ذكرى الأحياء منهم، و يعتبر هذا الوقت بدء العصر الزاهي لصنع الصور و التماثيل التي تعبر للفن مساهمة ثمينة قام بها المعهد المغولى.

و نتيجة لاهتمام أكبر بفن الرسم و تشجيعه لذويه أن حاز عدد و فير من الرسامين سمعة كبيرة و طار صيتهم في أرجاء العالم من أقصاه إلى أدناه، و من ابرزهم- كما قرر ذلك أبو الفضل- مير سيد علي من تبريز، و خواجه عبد الصمد، دسونت، و بسوان. و هم بجانب ثلاثة عشر آخرين حازوا السمعة العالمية، و هم كيسولال، و مكند و مشكين، و فرخ، و قلمك، و مادهوم جكن، و مهيش، و خولش كرن، و تارا، و ساولا، و هرى باس، و رام، و أمثالهم. و لا يستبعد أن يكون هؤلاء هم دعاة للرسامين الموجودين في بلاط أكبر.

و يمتاز مير سيد علي و خواجه عبد الصمد اللذين جئ بهما من فارس بأنهما من الرواد

ص:80

[[6]](#footnote-6)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص80**

المجيدين الذين انبثق على ايديهما فجر النهضة الحديثة، اذ قاما في البلاط المغولى ببداية النشاط الفني خير قيام، ثم لم يلبث أن توصل أكبر بفضل عنايته الواسعة الى معرفة الفنانين الهنود أيضا، منهم دسونت و بسوان و كلاهما كانا من الهنود أرومة و جاء ذكرهما في حديث أبي الفضل بمزيد التبجيل و الاحترام، و عدهما أيضا من رواد الفن و قد قيل عن دسونت، انه فاق الأقران طرا، و عدّ أول رسامى عصره. و أما بسوان فكان ممتازا بتخطيط المنظر الخلفي و تنفيذ الملامح و اختيار الألوان و صنع الأشياء، و ما الى ذلك، و يقتصر أبو الفضل عن ذكر ميزات جميع الرسامين الذين سبق ذكرهم في «آئين أكبرى» معتذرا بأنه لو أسهب في سردها جميعا لطال بنا الحديث.

و عن ولع (أكبر) بهذا الفن و ما كان يجري له من المراسيم مع الفنانين ندرج ما ورد أيضا ضمن كتابات أبي الفضل، يقول:

إن التصوير هو صنع ما يضاهى شيئا من الأشياء و كان جلالة الامبراطور مولعا بهذا الفن منذ حداثة سنه. فشجعه أي تشجيع و افرد له كل تسهيل ممكن. و السبب أن هذا الفن كان في رأي الامبراطور من خير وسائل التعليم و ظنه خير ما تشتهيه الأنفس و تقربه الأعين فأصبحت هذه الغرسة بفضل عنايته أصلها ثابت و فرعها في السماء و آتت أكلها من الصيت الذائع لكثير من أهلها.

و كانت من دأب الامبراطور أن يقدم اليه المشرفون و الكتاب (داروغات) جميع النتاجات الفنية كل أسبوع، فيأمر لهم بالجوائز حسب احقيتهم بها. و من ضمن الجوائز أن يأمر لبعضهم بزيادة المرتب الشهري. و أنتج ذلك أن حازت المواد الأولية لهذا الانتاج تقدما ملحوظا و كانت الحاجيات و الأشياء المستعملة في العمل تختار من أرقى الأنواع و أجودها من غير نظر الى ارتفاع ثمنها. فذخر هذا المعهد بنتاج أرفع و أجود منها في العهود السابقة. فحفلت نماذج الرسم و التصوير بالجودة و الروعة التي لم يكن لها عهد بها من قبل، و برز من مهرة الفنانين من لم يوجد لهم ند و مثيل. فها هي ذخائر الفنون لبهزاد التي لا تقل جودتها و بداعتها من انتاجات الرسامين الأوربيين الذين يشهد العالم بفضلهم و لعمري أنك تجد فيها من الانسجام و دقة الصنع و توضيح الملامح، و ما الى ذلك، مما لم يشهد الفن له مثيلا. و حتى صور الأشياء الجامدة قد يخيل إليك أنها تترقرق حركة و حياة،

ص:81

و الذين بلغوا منهم درجة الكمال الفني و حازو الشهرة الفائقة يزيد عددهم عن مائة. أما الذين دونهم أو الذين عدوا من الطبقة المتوسطة فلا يحصى عددهم.

ازدهار الشعر الفارسي في عهده:

كان لأعراض الصفويين عن الشعر، ان كسد الشعر في ايران، فقصد الشعراء بمدائحهم سلاطين الدولة التيمورية في الهند فلقوا من الكرامة و العطاء ما فاتهم في بلادهم و قد عدّ البدايوني مئة و سبعين شاعرا من أصل ايراني مدحوا هؤلاء السلاطين و نالوا جوائزهم.

و ذكر شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحدا و خمسين شاعرا هاجروا الى الهند في عصر الامبراطور اكبر و حظوا بلقاءه و مدحه.

و قد جمع شبلي المذكور ابياتا من الشعر الفارسي تبين عن حنين شعراء الفارسية في ذلك العصر الى بلاد الهند، و تمنيهم ان يظفروا بالسفر اليها، منها قول صائب:

«لا يخلو رأس من الفكر في حبك كما لا يخلو قلب من أمل السفر الى الهند»

و قد كان صائب هذا أحد الشعراء الذين هاجروا الى الهند في صباهم و اتصل بالامبراطور اكبر و توفي في الهند سنة 999 في سن السادسة و الثلاثين، و الواقع ان هنالك مئات الشعراء الفرس الذين قدموا الى الهند لما كانوا يسمعونه من عطايا ملوكها للشعراء ذلك ان الفارسية طبعت الهند المغولية بطابعها الثقافي، فكانت لغة البلاط الرسمي، و لم يكن من المستغرب ان يجد كثير من أهل فارس فرصتهم في الهند و في بلاط اكبر بالذات، فشغلوا مناصب، و كان منهم وزراء و قادة و كانت الهند بارة بأبناء فارس فحققت للكثيرين منهم آمالهم، و اعطتهم في سخاء اكثر مما كانوا ينتظرون في حين كانت تقعد بأمثالهم و ربما (ممن يفوقونهم علما و فكرا و لكن ينقصون عنهم مغامرة) تقعد بهم آمالهم و هم في بلادهم الاصلية عن الوصول الى ما كانوا يتوقون الى تحقيقه من امنيات غالية و شهرة و ثراء و من بين الاسماء اللامعة من أدباء و شعراء الفارسية على عهد اكبر شاه و جهان كير و شاه جهان: ظهوري، نظيرى، طالب الآملي، طالب الاصفهاني، طالب كليم، ميرزا قوام الدين جعفر بيك بن آصف خان، ملا شكيبي الاصفهاني، حياتي‏

ص:82

كيلاني، نواي مشهدي، مير محمد هاشم سنجر الكاشاني، دكالي الاصفهاني، امير الامراء شريف خان فارسي، شيدا، سعيدي الكيلاني، مير محمد أمين، محمد صوفي، حكيم حاذق، خواجه ميرزا أحسن اللّه، مظهري الكشميري، مولانا تقي الشوشتري الغيوري، كمال الدين جشمي، مير اسماعيل شاملو، عبد الباقي، تبيني، حكيم فكفور لا هيجاني، قبلان بيك، مرشد خان، تاج عليا، تقي بيرزاد، حيدر عطاي، شاه نظير بيك، مولانا قدري، نديم كيلاني، رسمي قلندر، محمد كاظم شيرازي، مولانا لطفي، محمد هاشم كيسا، اسكند كيسا خان، محمد شريف معتمد خان، محمد هاشم هند و شاه، عبد الباقي النهاوندي، عبد الحق بن صفي الدين الترك، محمد قوصي بن حسين بن موسى الشطاري، الشيخ اسكندر، حاج محمد جان قدسي، محمد قلي سالم، عبد بركات منير، مير يحيى الكاشي، مير الالاهي، حكيم ركن الدين مسعود مسيح، مولى نسبتي تانيسر، مير حسن بيك رفيع مشهدي، محمد لسان اللّه، درويش حسين ولي هروي، محمد طاهر خاني كشميري، محمد علي ماهر، محسن فاني، سيد خان ملتاني، حسن فاروقي، مولى حاجي لاهوري، خيالي، فاروق، دليري، جاندرا بان برهمان، عبد الحميد اللاهوري، محمد وارث، هلامي سعد اللّه خان، مدار المحامي علاء الملك التوني، محمد صادق، محمد طاهر أسنا، محمد امين بن عبد الحسن القزويني، محمد صالح كنبو، خواجه كمكر خيرات خان، جلال الدين الطباطبائي، الشيخ عنايت اللّه، عبد اللطيف الكجراتي الشكر كاني، ملا توكرا و غيرهم و غيرهم من مئات الأعلام مما لا يسعنا الاحاطه بهم و اخبارهم و ان ذكرنا خلال بحثنا بعض اعلامهم فان الحديث عنهم تفصيلا يخرج عن نطاق استطاعتنا و حرى بمن يتطلع الى المزيد من أخبارهم مراجعة الكتب المختصة[[7]](#footnote-7):

ص:83

الشعر الهندي على عهد أكبر:

كان حكم الامبراطور اكبر «عصرا ذهبيا» لا باعتبار الشعر الهندى فقط بل و بما أنه انتج عددا غير قليل من شعراء الطراز الأول الذين انخرطت دواوين شعرهم و مؤلفاتهم المنظومة الرائعة في سلك المختارات الكلاسيكية. و انما انطبعت بطابعها اساليب الثقافة الهندية كما هي حركت عواطف ملايين من الناس و أثرت في قيمها اكثر من كل شئ آخر في تاريخ العهود الوسطى بالقارة الهندية فمن أشهر مشاهير هذا العصر تلسى داس‏

)sadisiluT(

و سورداس) sadruS (و مان سنكهه) hgnisnaM (و كارنيش) hsenraK (و جانج) gnaG (و كيشب داس) sadvahseK (و تودر مال) laM radoT (و عبد الرحيم خان خانان) nanahK nahK (و راس خان) nahksaR (و تان سين) nesnaT (.

أقام تلسي داس بمدينة بنارس) saranaB (في معزل عن الناس و كان وحيد الطراز، محبا للخلوة، لكنه كان مع ذلك قد حاز على شهرة ادبية طائلة. و كان هو الشاعر الأكبر الذي قرب العقيدة الهندوكية المختصة بقداسة رام و مثله في ذلك مثل المهاراتا برتاب سنكهه) hgniS PatraP anarahaM (بطل ميوار) raweM (.

و من أشهر المؤلفات لتلسى داس كتابه المنظوم المسمى برام جريت مناس) sanaM atirahcamaR (الذي ينعت باسمى النعوت فيقال انه «كالكتاب المقدس لدى ملايين من الهنادكة» و ليس ذلك مثالا اروع للادب الهندي فقط و لكنه في الواقع كان دستور الفلسفة و الأخلاق الذي يقرر في أذهان المواطنين المعاني السامية الفاضلة للحب و الاذعان. أما اللغة التي استعملها تلسى داس فهي لغة سهلة مألفة، لغة جماهير الطوائف الهندكية أو لوك بهاشا) ahsahB koL (هذا و يمثل الكتاب ضروبا شتى من الأفاعيل المألوفة لدى الجمهور، كدوها) ahoD (و سوراتها) ahtaroS (و سوائي) dnahhC (و تشوباى) iaPuhC (ثم انه ينقسم الى سبعة أجزاء، تصور أمام القراء سيرة الورد رام تشندر) maR irS ardnahC (ملك اجودهيا الشهير في أساطيرهم الملفقة. و الذي يعتبر عند الهنادكة مثالا جسدانيا للّه و يقدم اليه تلسى داس أبر التحيات على ما معناه:

«العالم تماما ملآن من الأم المقدسة (سيتا) و من اللورد (رام) فها انا ذا اسلم بالانحناء

ص:84

امامهما، مطبقا لليدين».

و انما يتلو ذلك في الأهمية و يناى بتريكا) akirtaP ayaniV (لتلسى داس ايضا، و هو مجموع يتألف من أناشيد و أغان في الأدعية و التسبيحات. و لقد لاحظ المؤرخ اسمث) htimS (و وافقه على ذلك السير جورج جرييرسون) nosreirG egroeG riS (بان كتاب الرامايانا) anayamaR (لتلسى داس واسطة العقد في الأدب الهندي و ان مؤلفه الكبير تلسى داس نابغ عبقري بلا مدافع. و بموجب رأيهما تطورت أساليب تلسى داس على اختلاف المواضيع و تغاير الشخصيات التي يحوك الكلام حولها. فكل بطل متمايز بشخصية بارزة على وجه التحديد تخاله يعيش و يتحرك أمام عينيك متسما بسمات الكرامة و التمجيد المألوفة في عصر بطولته. لقد كان الامبراطور اكبر المغولي العظيم في ظهور اسم هذا الشاعر.

و هناك شاعر آخر يتلوه شهرة، اسمه سورداس) sadruS (و هو الى جانب الموهبة الشعرية كان ايضا كاتبا قديرا و ربما يفوق تلسى داس و طار صيته و خاصة بعد تأليفه لكتابه الموسوم بسورساكر) ragaS ruS (و ما الى غير ذلك من أناشيده. و ليس هناك احد من شعراء اللغة الهندية قبل سورداس و لا بعده يكون أوسع معرفة منه بسيكلوجيا الاطفال. و لقد رأى بعض النقاد أنه كان أكثر تفوقا من تلسى داس. و كان ملتحقا ببلاد الامبراطور اكبر الى ان اشتهر لدى الجماهير بشاعر اكرا الأعمى. و كان ابوه رام داس ايضا شاعر البلاط المغولي في عصر اكبر.

و كذلك يمتاز عصر الامبراطور اكبر بمساهمة الشعراء المسلمين في حقل الأدب و الشعر باللغة الهندية ينوه جرييرسون من بينهم بهؤلاء: جلال الدين، و قادر بخش، و جمال الدين من سكان هرودوئي) iodraH (و مبارك على و تاج و دلدار و من أكثرهم شهرة عبد الرحيم خان خانان. و ما زال اسمه مذكورا في النهاية متميزا كالكوكب الدرى في قبة الأدب الزرقاء في عهد أكبر. فانه علاوة على تبحره في اللغة الفارسية و العربية و التركية. كان من علماء الطراز الأول في اللغة السنسكرتية و شاعرا مجيدا يفصح عن قرارات صدره باللغة الهندية مرة و باللغة الراجستهانية مرة اخرى. و قد وصلتنا مئات من نفثات قلمه المصبوبة في بوتقة الشعر الهندي و على الخصوص هذه المزدوجات المعروفة في الأدب الهندي بدوها) ahoD (و من بعض اناشيده تعريبه:

ص:85

«ان الحنظل المر ملأ الفم، ينبغي أولا و قبل كل شئ ان يقطع رأسه، و ثانيا ان يملح تماما و هذا هو القول الفصل فيه فإنه على مرارته لا يستوجب الا هذه العقوبة».

و كانت تربطه بتلسى داس صداقة حميمة و اتصل بعضهما بالبعض بتبادل الرسائل و المخاطبات. و عبد الرحيم خان خانان ولد في سنة 1556 للميلاد و كان نجل الأمير الشهير بيرم خان. و كان قائدا كبيرا فاتفق في سنة اربع و ثمانين و خمس مائة و الف للميلاد ان قاد عساكر الامبراطور اكبر ضد كجرات كما قادها في السنة التالية ضد احمد نكر.

و توا بعد ان اختلس ريب المنون الراجا تودر مال، تبوأ عبد الرحيم كرسى الوزارة العظمى في سنة تسع و ثمانين بعد خمس مائة و الف للميلاد. و بقى حيا يرزق و يخدم الامبراطور جهانكير نحو إحدى و عشرين سنة و سنأتي على ذكره بشكل أكثر تفصيلا فيما بعد.

و من نبغاء المسلمين بالهندية راس خان) nahK saR (و كان متحمسا في اعتقاده بقداسة اللورد كريشنا) anhsirK droL (و له منظومات كثيرة تصف جوانب من حياة كريشنا في الغابة الشهيرة وريندابن) nabadnirV (و هذا من بعض أقاويله المنظومة: «انني على تقدير كوني بشرا سويا ارضى فقط بالسكن بقرية جوكل) lukoG (و لو كنت كائنا من الانعام لأحببت ان اسوم في مرعى خصيب كبقرات ناند) dnaN (.

و كان الامبراطور اكبر نفسه يحب الشعر الهندي حبا جما و يقال انه نظم بالهندية أبعاض المقطعات و انتحل اسم اكبر راى) iaR rabkA (و منه ما وصل الينا و طالما انخرط في سلك النخب المودعة في مجاميع الشعر الهندي. و مما يكون اكثر طلاوة من ذلك هاتيك الاقاصيص التي على كثرتها تدور حول العلاقات المتواصلة بين الامبراطور اكبر و بين الشعراء في عصره و بلاطه. و انما يجدر بالذكر ههنا على سبيل المثال ان الامبراطور على اقتراح الشاعر فديابتى) itaPaydiV (تجاوز عن ذنب للراجا شيو سنكهه) hgnis vihS ajaR (صاحب متهيلا) alihtiM (و ذلك بعد ان حكم عليه بالعقوبة. و كذلك يقال عن الشاعر كيشب داس) sadvahseK (انه ذات مرة قام بمثل هذه الخدمة على حساب الراجا اندرجيب صاحب اورتشا) ahhcrO (و بناء على اقصوصة اخرى اتفق ذات مرة انه سافر

ص:86

الامبراطور اكبر و صحبه بيربل فسارا مستقيما من آكرا الى ماروار) rawraM (كيما يسعدهما الحظ برؤية ميرابائي) iabariM (و هناك اقصوصة اخرى تشير الى أن الشاعر دادو) odaD (ارشد الامبراطور و هو معصوب الأعين، الى مركز الغابة و رندابن، حيثما صادفته الموهبة بمنظر اللورد كريشنا. هذه الاقاصيص تروى عن شغف أكبر شاه و تسامحه ازاء الادب الهندي.

و لم تكن هذه الفعاليات الأدبية مقصورة على البلاط الملكي و لا على اعيان الحكومة و لكنها كانت حركة مستمرة للجمهور فكانت توجد في الأرياف المترامية الأطراف أيضا طائفة كبيرة من الأدباء و الشعراء باللغة الهندية و كانوا يتمتعون بتعضيد لجانبهم من كبار الأقطاعيين و الأثرياء الأغنياء و من شاء فليراجع صحائف الكتاب الموسوم ببندهو ونود) doniV uhdnaB (تأليف السيد ميشرا) arhsiM (أو الكتاب المسمى «بهندي ساهتياكا اتيهاش» أى تاريخ الأدب الهندى تأليف السيد رام تشندر شكلا) alkuhS ardnahC maR (و هنالك فقط يمكن للمطالع ان يقدر قيمة الروح التي سادت ذلك العصر الذهبي في تاريخ الشعر الهندي على عهد أكبر.

وفاته و ذريته:

بعد ان ألحق أكبر كلا من خانديس و أحمد نكر بالسلطنة المركزية و رضي من امير بيجابور بالطاعة و الخراج، عهد بولاية الدكن الى ابنه الأمير دانيال و عززه بالقائد خان خانان ليشد به عضده، و رجع الى آكره، و توفي على فراشه في جمادى الثانية سنة اربعة عشرة و الف (16 اكتوبر 1605 م) و دفن في اسكندر آباد قريبا من أكرا تاركا العرش لأبنه سليم (جهانكير) و هو ولده من زوجته البرهمية الأصل بنت بيهاري مل (راجا جيبور) التي كان قد تزوجها سنة 1562 م، و كان لأكبر عدة زوجات أخريات منها بنت راجا بيكانير و بنت راجا جيسلمير و كان قد أقام بذلك الروابط الودية بين المسلمين و الهندوس.

و لم تكن رغبة اكبر ان يتولى العرش من بعده ولده سليم هذا و ذلك بسبب ما خلفه في نفس والده اكبر من عدم الارتياح بعد العصيان الذي أبداه سليم بمدينة اله آباد، بقصد الاستيلاء على الملك ثم تراجع عن ذلك و اعتذر لأبيه، لكنه عاد و خاصم والده الامبراطور

ص:87

و سبب له الما كبيرا بقتله لأحد أكبر رجاله العلامة ابو الفضل و قد كانت بين سليم و بينه جفوة بسبب نصيحته اياه بالانقياد المطلق الى طاعة ابيه، فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والي «بندهيل كند» أن يقتله، فقتله سنة (1011 ه- 1602 م) فغضب أكبر و حزن حزنا صادقا و انتقم من القاتل شرّ انتقام، و في أثناء الحملة على الدكن توفي ولده (مراد) و في سنة 1013 ه- 1604 م) و توفي (دانيال) في الدكن أيضا، فاغتمّ كثيرا، فتسلم (سليم) الملك و لم يكن يخلو الأمر من المتاعب فقد رأى رجال البلاط ان يبعدوه عن العرش و ان يولّوا ابنه خسرو لكن الأمور لم تتفق لولده خسرو و من معه من رجال البلاط بل انتهت الى فراره سنة 1606 م، فأرسل سليم وراءه اثناء عشر الف رجل و لا قوه في لاهور فاقتتلوا ففرّ خسرو من المعركة و لكن ألقي عليه القبض و أتي به الى اكره فسجن فيها، و بقي في سجنه الى أن مات سنة 1621 م، و بذلك استتبت الأمور للامبراطور سليم جهان كير.

من أعلام الشيعة في عهد الامبراطور أكبر:

الأمير علي قلي خان الشيباني الأزبكي ت 974 ه

أمير الأمراء بيرم خان خانان التركماني ت 985 ه

أمير الأمراء عبد الرحيم خان خانان التركماني (964- و ت بعد 1000 ه)

الأمير منعم خان التركماني ت 983 ه

الأميرة خانان بيكم بنت عبد الرحيم خان خانان ت 1070 ه

من العلماء الذين رعاهم أمير الأمراء عبد الرحيم خان خانان:

كاظم بن عبد علي الكيلاني ت بعد 1015 ه

تقي الدين التستري ت 1020 ه

محمد رضا الاصفهاني ت 1023 ه

محمد علي الكشميري ت 1025 ه

عبد الباقي النهاوندي (978- 1046 ه)

و من العلماء في عصر اكبر:

ص:88

العالم الأمير الوزير فتح اللّه بن شكر اللّه الشيرازي (920- 997 ه)

القاضي محمد اليزدي (ت 998 ه)

الوزير العالم شريف الآملي (ت بعد 1003 ه)

الوزير شمس الدين الخوافي (ت 1008 ه)

الوزير الشاعر آصف خان ميرزا بك (958- 1021 ه)

العالم الطبيب صدر الدين بن فخر الدين الشيرازي (ت 1061 ه)

الطبيب مسيح الملك الشيرازي‏

همام بن عبد الرزاق الكيلاني (ت 1004)

تقي الدين الحسيني الشيرازي‏

أسرة آل الناكورى‏

خضر بن موسى اليماني (934- 954 ه)

مبارك اللّه الناكوري (911- 1001 ه)

ابو الفيض الناكوري (954- 1004 ه)

ابو الفضل الناكوري (958- 1011 ه)

ابو المكارم الناكوري (976- .......)

ابو تراب الناكوري (988- .........)

عبد الرحمن بن ابي الفضل (979- 1022)

عبد اللّه بن علي الشيرازي (القرن 10 ه)

نور الدين محمد عبد اللّه الشيرازي (ت بعد 1038 ه)

و من أمراء الشيعة المعروفين في هذا الدور:

علي قلي خان الشيباني قتل سنة 974 ه/ 1567 م‏

الأمير الكبير علي قلي بن حيدر سلطان الشيعي الشيباني أحد الأمراء المشهورين. قدم الهند صحبة همايون شاه التيمورى عند رجوعه عن العراق مع من رجع معه من كبار

ص:89

القادة الازابكة و هم فرع من التيموريين انشقوا عنهم في عهد اميرهم شيباني خان حتى صاروا كأنهم لا ينتسبون إليهم، و قد قام هؤلاء القادة و كلهم من الشيعة و بزعامة علي قلي خان ببذل كل امكاناتهم القتالية من أجل فتح الهند و لذلك أقطعه همايون شاه المذكور البلاد و القلاع بناحية سنبهل، فضبط تلك البلاد و احسن السيرة في الرعية، و لما قام بالملك اكبر شاه و خرج عليه هيمون الهندي و قبض على دهلى تقدم اليه و سار معه الى دهلى، فلما قرب من دهلى خرج من المعسكر و معه عشرة آلاف مقاتلة، فقاتل هيمون المذكور اشد قتال و هزمه فلقبه أكبر شاه بخان زمان و زاد في منصبه، و اقطاعه فرجع الى سنبهل و اقام بها زمانا ثم ولى على جونبور و نواحيها فضبط تلك البلاد و فتح الفتوحات العظيمة و تحسس منه اكبر شاه شيئا لا يرضيه تحسّس على قلى من صاحبه شيئا خاف نفسه فخرج عليه، و التف حوله كثير من الجند و القواد و الأمراء، و انتهز فرصة ذهاب أكبر لأخضاع ثورة البنجاب و هجوم أخيه حكيم مرزا عليها، فاستولى على قنوج و أوده، لكن أكبر رجع بسرعة إلى آكرا، و كان الموسم موسم الامطار و السيول و فيضان الأنهار، و برغم ذلك سار أكبر حتى وصل إلى شاطئ «كنكا»، و كان خان زمان على الشاطئ الآخر غارقا في بحار الأمن، مطمئنا إلى أن أكبر لا يستطيع أن يصل إليه في مثل هذه الأيام، و لكن أكبر كانت له همة تتغلب على كل ما أمامه من صعاب، فعندما وصل إلى الشاطئ و لم يجد سفنا تنقله إلى الشاطئ الآخر ألقى بفيله إلى النهر و هو يركبه، و الأمراء و القواد من حوله يعارضونه في هذه المجازفة الخطيرة، و لكنه لم يبال بالمعارضة و لا بالخطر، و أخذ معه عددا قليلا من الجند، و عبروا النهر ليلا، و ما إن أصبح الصباح و اشرقت الشمس حتى كانت طبول الحرب تدق على أبواب «كره مانك بور» التي كان خان زمان يتحصن فيها، فذهل هو و جنده من هذه المفاجأة، و فقد السيطرة على الموقف، و هجم أكبر بجنده القليلين، فقتل خان زمان و تفرق جنده، و استولى اكبر على البلدة و كانت من أعمال اله آباد و سماها (فتح بور) و غنم الغنائم و قضى على خصم عنيد. و قد أرخ بعض الفضلاء- كعادتهم- لهذا النصر الغريب بهذه الكلمات «مبارك فتح أكبر» سنة 974 ه- 1567 م. و لم تكن معارك أكبر مع هؤلاء القادة معارك بسيطة أو مناوشات كما يحدث بين رجال الأمن و العصابات، بل كانت معارك ذات شأن كبير، اذ

ص:90

بلغ عدد الفيلة التي اشتركت في المعركة الأخيرة نحو ألفي فيل.

و كان الشيباني رجلا شجاعا مقداما باسلا ذا جرأة و نجدة يقتحم في المخاوف و يفتح الأبواب المغلقة عليه بهمته و نجدته و كان يحب العلماء و يحسن إليهم و يقرّبهم إليه و يبذل الصلات الجزيلة عليهم و على الشعراء.

كما كان شاعرا مجيد الشعر، له أبيات رائقة بالفارسية منها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عيسى نفسى كه راز او حيرانم كرد |  | جون طرّه خويشتن بريشانم كرد |
| از كفر سر زلف خودم كافر ساخت‏ |  | وز مصحف روى خود مسلمانم كرد |
|  |  |  |

- مآثر الأمراء، نزهه 4/ 284- 249 رقم 382.

بيرم خان خان خانان استشهد في 985 ه. 1577 م‏

(خان خانان) لقب كان يخلعه أباطرة دهلي على أكبر موظف في الدولة، و هو مقابل اللقب التركي بكلر بك، و كان هذا اللقب مستعملا في عهد بابر فقد منح لدولاور خان ولد دولت خان، و من الألقاب المماثلة لهذا اللقب هو (خان دوران) و (خان جهان) أي سيد العالم، و اشهر رجل حمل لقب خان خانان هو الأمير الكبير بيرم خان بن سيف علي بن يار علي بن شير علي التركماني البلخي الشيعي، و ولده من بعده الأمير عبد الرحيم خان.

كان الأمير الشهير بيرم خان من اسرة تعرف ب (البهارلو) أحدى الفروع القوية لقبيلة قره قويونلو، و هي قبيلة تركمانية شيعية سكنت منذ القديم شمال بحيرة (وان) و عرفت بهذا الأسم نسبة الى لون علمهم و بقول بعض آخر لون خرافهم، لهذا يطلق عليهم هؤلاء أسم قبيلة الخروف الأسود، أو قبيلة الشاة السوداء و التي قاد كتائبها الحربية الزعيم الطموح قره يوسف منذ عام 1390 ثم كان له و لا سلافه الدور الكبير في الأحداث التاريخية التي شهدتها المناطق المجاورة لارمينية و آذربيجان و العراق و غيرها، و كان الجدّ الأكبر للمترجم له بيرم، و المسمى علي شكر التركماني صاحب املاك واسعة في همدان‏

ص:91

و غيرها اما ابنه أو حفيده شير علي المذكور والد جدّ بيرم فكان يعرف أيضا باسم شير علي و هو أحد قادة ميرزا جهان شاه براني الذي تزعم قبيلة قره قويونلو، بعد قتل الزعيم أسكندر القرة قويونلو، و الذي حكم آذربيجان و حصل على اعتراف السلطان شاه رخ التيموري، و رافق بير علي التركماني جميع الخطوات الناجحة التي قام بها الزعيم ميرزا جهان شاه و خاصة بعد وفاة شاه رخ و تقدم قبيلة القره قويونلو باحتلالها مساحات واسعة جنوب و غرب آسية و خصوصا في الفترة ما بين 1452- 1456، و مع أنه اصطدم فيما بعد بمعارضة أبي سعيد التيموري (السلطان الذي خلف شاه رخ) الا انه احتفظ لنفسه بحكم آذربيجان و ميديا و ما بين النهرين (بعد أن كسر شوكة حكامها الذين كانوا من نفس قبيلته) و كذلك كرمان و حتى شواطئ عمان في بلاد العرب الشرقية، و لكن ثورات ابنائه عليه عكّرت صفو حكمه، و مع ذلك بقي صامدا حتى عام 1466، عندما كسره اوزون حسن و قتله و بعد سنتين من هذا الحادث قضي نهائيا على دولة قره قويونلو و بالقضاء على هذه الدولة أصبح شير علي (والد جدّ بيرم) واحدا من قادة السلطان أبي سعيد التيموري و حين قتل ابو سعيد عام 1469 م أصبح شير علي واحدا من قادة ابنه السلطان محمود ميرزا، و مكث معه في حصار (شادمان) حيث تزوج السلطان محمود من ابنته باشا بيكم. و سار شير علي من حصار إلى كابل ثم إلى شيراز حيث هزمه ملكها و حاول الفرار، بيد أن خدم السلطان حسين صاحب هراة قبضوا عليه و قتلوه. و استقر ابنه جان علي بك في بذخشان التي كانت تشمل فندر، و التحق بخدمة بابر و كذلك فعل ابنه سيف علي الذي توفى و هو عامل على غزنة كما ذهب إلى ذلك فرشته. و جان علي هو الذي أشار إليه بابر في مذكراته (طبعةenikarE ، ص 350) عند حديثه عن الأعوام 903 و 905 و 910 و 933 ه. و ولد بيرم في بدخشتان، و يقال إنه التحق هو الآخر بخدمة بابر، و هذا القول إن صح فلا يمكن أن يكون إلا وقت صباه، و تعلم في بلخ، و يظهر أنه كان من طلاب العلم المجدين و المثابرين ثم وفد بعد ذلك على كابل و صحب همايون إلى الهند و حضر وقعة «قنوج» المشئومة، و التجأ مع زميندار الهندى إلى سمبهل التي كانت من أملاك همايون، و لم يسمح له بالبقاء هناك فقد أرسل إليه شير شاه و أغراه على خدمته. بيد أن بيرم أبى و قال في معرض الجواب على شير شاه إنه لا يوجد من يخلص لمولاه ثم يرتضى‏

ص:92

العار- و حاول الفرار صحبة زميل له فقبض عليهما، و لم ينقذ بيرم غير تضحية زميله إذ أقنع الذين قبضوا عليه بأنه بيرم و قيل أن نصير خان أحد قادة شير شاه شفع له، ففر المترجم له إلى كجرات حيث مدّ له السلطان محمود يد المساعدة، و لكنه تظاهر بالرغبة في الحج فسمح له بالتوجه إلى سورت، ثم عاد أدراجه و لحق بهمايون في السند في 7 محرم سنة 950 و حرضه على السفر الى ايران، و برز في بلاط الشاه طهماسب بمهارته في الفروسية، و كان قائد همايون في أفغانستان و الهند. و ليس من شك في أنه كان السبب في استعادة همايون لملكه، و كسب وقعة «ما شيفاره» في إقليم لدهانه عام 1555 م، و ربما يعود إليه كما يعود إلى همايون الفضل في صدور الأمر الرحيم الذي أحال استرقاق نساء الأفغان المدحورين و أطفالهم. و كان بيرم مع أكبر في البنجاب عندما باغت الموت همايون، و ما إن وصل إليه نعيه، و كان في «كلانور» حتى نادى بأكبر سلطانا و أجلسه على العرش في فبراير عام 1556 م (967 ه) و لما حاقت بتردى بك الهزيمة المنكرة على يد «هيمو» في دهلى، أمر بيرم بقتله، و برّر فرشته صنيعه هذا، و شهد بيرم مع أكبر وقعة بانيبت في نوفمبر عام 1556 م. و من المؤسف ان نقول إنه هو الذي قتل بيده الأسير الجريح هيمو الروارى. و نستبين من مسلك بيرم في شأن تردى بك و أوامره الدقيقة فيما يتصل بملاهى أكبر انه لم يخرج على حقوق الوصاية (خافى خان، ج 1. ص 134) و الحق أنه كان يعتبر نفسه في مكان الوالد من أكبر، و لذلك كان يلقب، ب «خان بابا» أي والد الخان.

و في عام 1557 و فى أكبر بما كان أبوه قد وعد فزوج بيرم من ابنة عمه سليمة بيكم، و احتفل بالزفاف احتفالا فخما في جالندر. و كان بيرم قد تزوج قبل ذلك بابنة مسلم هندى اسمه جمال خان المواتى و هي أم ولده المشهور عبد الرحيم (الآتي ذكره)، و لم يكن له و لا لأكبر ولد من سليمة. و قد أدت تصرفات بيرم و تأثير «ماهم أنكه» خاضنة أكبر إلى حدوث وحشة بين الوصى و بين تلميذه، فاضطر بيرم أول الأمر إلى التسليم و التخلى عن سلطته بيد أن سلوك خصومه أدى به إلى العناد. و أخفق بيرم في نضاله فعفا عنه أكبر بما جبل عليه من علو النفس. و سار يقصد الحج الى مكة و لكنه قتل في فتّن من أعمال كجرات في عراك مع رجل من الأفغان، و كان ذلك في سنة 985 ه الموافق (31 يناير عام 1561) و أرخ لعام وفاته بعض العلماء «شهيد شد محمد بيرام» و نقل ابن أخيه رفاته‏

ص:93

إلى مشهد المقدسة بجوار مرقد الأمام الرضا عليه السلام.

قالت‏egdireveB بفردج: كان بيرم شيعيا، و من الأدلة على عظمته أن رجلا سنيا متعصبا مثل البداءوني قد أكثر من مدحه، و كانت له مشاركة في الأدب، و لا يزال ديوانه موجودا. و قد نقل البداءونى و فرشته مختارات من أشعاره، و هناك شى‏ء من أخباره في أكبر نامه و في فرشته (عند تأريخه لوفاته) و في مآثر الأمراء للشاه نوازخان (ج 1، ص 381) و من هذا المصنف الأخير استمد بلوخمان‏nnamhcolB فذلكته في ترجمته لكتاب «آئين أكبرى» (ص 315). و هناك فقرة طويلة هامة عن بيرم في كتاب ألفه بالهندستانية شمس العلماء محمد حسين عنوانه «دربار أكبرى» (ص 157- 196).

و ذكره عبد الحي و اثنى عليه جدا و مما قاله الأمير الكبير صاحب السيف و القلم و الشهامة و الكرم بيرم ... و كان اكبر قواد الدولة التيمورية لم يكن له نظير في الشجاعة و الكرم و جعل إليه همايون شاه ثم ولده اكبر شاه الاشراف على الديوان و استنابه في الحضور مع الحكام عند فصل الخصام و جعل اليه ولاية بعض البلاد، و له من كمال الرياسة و حسن مسلك السياسة و المهابة و الصرامة و الفطنة بدقائق الأمرو و الاطلاع على احوال الجمهور و جودة التدبير و الخبرة بالخفي و الجلى ما لا يمكن وصفه مع النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و بعد الهمة و كثرة المعرفة للأدب و مطالعة كتبه و الاشراف على كتب التاريخ و محبة أهل الفضائل و كراهة ارباب الرذائل و النزاهة و الصيانة و الميل الى معالى الأمور، و كان شاعرا مجيد الشعر بالفارسية و التركية، و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شهى كه بكذرد از نه سبهر افسر او |  | اكر غلام على نيست خاك بر سر او |
|  |  |  |

و هذا في مدح الأمام علي (ع) ترجمته: «ان الملك الكبير الذي يبلغ علمه عنان السماء، اذا لم يكن خدم علي فقد تربت يمينه، و رغم انفه».

- دائرة المعارف الاسلامية 4/ 384- 385، نزهة 4/ 64- 66 رقم 114.

- مستدركات 2/ 70- 71.

ص:94

عبد الرحيم بن بيرم خان (ولد 964 ....)

الأمير الكبير البطل الأعظم صاحب السيف و القلم مبارز الدين ميرزا عبد الرحيم بن بيرم خان الشيعي الدهلوى خانخانان سبهسالار الذي لم ينهض من الهند أحد مثله و لا من غيره من الأقاليم السبعة من يكون جامعا لأشتات الفضائل.

جاء في النّزهة: ولد يوم الخميس الرابع عشر من صفر سنة أربع و ستين و تسعمائة بمدينة لاهور من بطن ابنة الأمير جمال خان الميواتي، فلما طعن في الرابعة من سنة قتل أبوه سنة ثمان و ستين و تسعمائة بمدينة فتن من بلاد كجرات، فحملوه إلى آكره فتربى في مهد السلطنة، و خصه أكبر شاه ابن همايون التيمورى بأنظار العناية و القبول، و قرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا محمد أمين الأندجاني و بعضها على القاضي نظام الدين البدخشى، و استفاد فوائد كثيرة عن الحكيم على الكيلاني و الشيخ العلامة فتح اللّه الشيرازي، و لما وصل إلى كجرات أخذ عن الشيخ وجيه الدين بن نصر اللّه العلوى الكجراتي، و حيث كان مربيا للعلماء جمع لديه من رجال العلم ما لم يجتمع عند غيره من الملوك و الأمراء فلم يزل يستفيد منهم في كل باب حتى تبحر في العلوم.

و كان من أهل التفتن في الفضائل و اللغات، مقدما في المعارف متكلما في انواعها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، و يجمع الى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة و لين الجانب و الحلم و التواضع و الشجاعة و الكرم، جعله أكبر شاه مؤدبا لولده جهانكير سنة اثنتين و سبعين و تسعمائة و لقبه مرزا خان و له ثمان و عشرون سنة، و أعطاه النقارة و أربع قباب من لوازم السلطنة، و زوجه بابنة الأمير الكبير شمس الدين محمد الغزنوي، و لم يزل في ازدياد من الرقى حتى نال منزلة في الإمارة لا يرام فوقها، و فتحت على يده بلاد كجرات و بلاد السند و أقطاع من إقليم الدكن، و لقبه أكبر شاه المذكور بخانخانان أي أمير الأمراء.

و كان له من النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و علو الهمة و الكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب و مطالعة كتبه، و الإشراف على كتب التاريخ، و محبة أهل الفضائل، و كراهة

ص:95

أرباب الرذائل، و النزاهة و الصيانة و الميل إلى معالى الأمور، حتى لم أجد ممن كان قبله أو بعده من يأويه في مجموع كمالاته، و كان مع ذلك لا يعفو نفسه عن مطالعة الكتب، فاذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة أو نهضة رأيت الأجزاء في يده، و إذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خدامه يحاذونه و هو يطالعها و يغتسل.

قال عبد الرزاق الحوافي في «مآثر الأمراء»: إنه كان أوحد أبناء العصر في الشجاعة و الكرم، ماهرا باللغات المتنوعة من العربية و الفارسية و التركية و الهندية و غيرها، و كان يتكلم في كل من تلك الألسنة بغاية الفصاحة و الطلاقة، و ينشئ الأبيات الرائقة، و يكرم العلماء و يبذل عليهم الأموال و يعطيهم الصلات و الجوائز سرا و جهارا، و يرسل إليهم في البلاد النائية، و قال في موضع آخر من ذلك الكتاب: إنه كان مغناطيس القلوب، جمع حوله من العلماء و الشعراء و غيرهم من أرباب الكمال ما لا مزيد عليه- انتهى.

و قال السيد غلام علي الحسيني البلكرامي في الخزانة العامرة: لو وضعت عطاياه في كفة من الميزان و عطايا الملوك الصفوية كلهم في كفة أخرى لرجحت كفته انتهى. و من مصنفاته ترجمة «تزك بابرى» نقله من التركية إلى الفارسية سنة سبع و تسعين و تسعمائة، و من أبياته الرقيقة الرائقة قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شمار شوق ندانسته‏ام كه تا جند است‏ |  | جز اين قدر كه دلم سخت آرزومند است‏ |
|  |  |  |

- نزهة 5/ 221- 223 رقم 235

منعم خان بن بيرم خان خانان ت 983 ه

كان من الأمراء المشهورين في الهند خدم همايون شاه ثم ولده اكبر شاه التيمورى مدة طويلة حتى ولى امرة الامارة و لقبه اكبر شاه خانخانان و معناه امير الأمراء سنة سبع و ستين و تسع مائة فاستقل بها اربع عشرة سنة، و من آثاره جسر على نهر كومتى بمدينة جونبور

ص:96

بناه سنة احدى و ثمانين و تسع مائة و هو من عجائب الزمن و نوادر الهند ارخ لبنائه بعض الناس «صراط المستقيم».

و كان منعم خان موضع ثقة الامبراطور أكبر، و لما كان أمر البنغال لم يستقر بعد لأكبر فقد أوعز (أكبر) لقائده منعم التحرك لضمان خضوع البنغال لسلطته فطلب منعم خان و كان يومها واليا لجونبور، طلب من ملك البنغال سليمان خان كرراني الاعتراف بسيادة «اكبر» على البنغال، فكان سليمان خان لا يرفض صراحة و لا يعترف صراحة بل يساير رغبة منه بإقامة صلات حسنة مع المغول، فلما توفي سليمان خان سنة 1574 و خلفه ابنه داود خان، ترك هذه المصانعة و رفض الاعتراف صراحة، كما أسلفنا، فنشبت بين الفريقين معركة، و لما رأى لودي خان قائد داود خان أنه لا طاقة له بجيش «اكبر» عرض الصلح، فغضب داود خان على قائده و اتهمه بالخيانة و أخذه فقتله، ثم إنه استنفر الناس للقتال فانشق عنه كثير منهم و سار بمن تبعه للقتال، و التقى الفريقان عند ملتقى نهر السون بنهر الكانج، و كان يقود جيش «اكبر» منعم خان فدارت الدائرة على داود خان و جنده ففرّ ملتجئا إلى قلعة بتنه فحاصره منعم خان فطلب الصلح على أن ينزل عن كل شي‏ء في البنغال شريطة أن يظل أميرا على اريسه فقط و على أن يكون تابعا للمغول يؤدي إليهم الخراج، فصالحه منعم خان على ما طلب. لكنه عاد إلى عصيانه بعد وفاة منعم خان و انتهى عصيانه بقتله في معركة كبيرة قرب مدينة بها كليور و بذلك خضعت البنغال للسلطة المركزية.

توفي منعم خان ببلدة تاندة من بلاد بنكاله سنة ثلاث و ثمانين و تسع مائة كما في «مآثر العلماء».

الأميرة جانان بيكم (ت 1070 ه)

بنت الأمير الكبير عبد الرحيم بن بيرم خان خانخانان المشهور، ولدت و نشأت في مهد

ص:97

الأمارة، و بلغت من العلم و الكمال رتبة لم تصل إليها الرجال فضلا عن النساء، زوجها السلطان جلال الدين أكبر بن همايون الكوركاني بولده دانيال و وجهه إلى أرض كجرات فمات بها، فعاشت بعد ذلك مدة طويلة و لم ترغب إلى النكاح قط حتى قيل إن السلطان جهانكير بن أكبر شاه المذكور أراد أن يستنكحها فلم تقبله، و تشرفت بالحج و الزيارة، و لها تفسير على القرآن الكريم و أبيات رائقة بالفارسية منها قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عاشق خلق عشق تو بنهان جان كند |  | بيدا است از دو جشم ترش خون كريستن‏ |
|  |  |  |

توفيت سنة سبعين و الف كما في مرآة كهان نما

المراجع: نزهة 5/ 124 رقم 177.

و من العلماء الشيعة الذين رعاهم عبد الرحيم خان خانان:

كاظم بن عبد علي الكيلاني‏

و هو الشيخ كاظم بن عبد علي الكيلاني التنكابني، المعاصر للشيخ بهاء الدين العاملي (952- 1030 ه) و تلميذه و قد شرح كتاب تشريح الافلاك بأمر استاذه البهائي في 1007 ه و سماه نهاية الادراك أو «برهان الادراك» و كان كثير المناقشة مع المحقق المير الداماد دفاعا عن البهائي، و له أنموذج العلوم الموسوم بالاثني عشر ألفه 1015 باسم الشاه عباس (994- 1038) في اثنى عشر علما ثم اخرج منه الفقه و الحديث 1015 و سماه العشرة الكاملة و أهداه إلى عبد الرحيم خانان، او زاد عليه العلمين في التاريخ المذكور و كان قبله عشرة مهداتا الى أحد امراء الهند. و له الحاشية على «المحصول» للفخر الرازى و كتاب «اللوح المحفوظ» و غير ذلك. ترجمه في «الرياض- 3: 161» و جعل اسمه في «العشرة الكاملة» عبد الكاظم و في «الاثني عشرية» محمد كاظم.

المراجع: طبقات اعلام الشيعة القرن 11 ه (ص 462- 463).

ص:98

تقي الدين التستري (ت 1020 ه/ 1611 م)

الشيخ الفاضل الكبير تقي الدين التسترى، أحد العلماء المشهورين في التاريخ و الإنشاء و الشعر و الفنون الرياضية، قدم الهند و تقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان ثم إلى السلطان جلال الدين أكبر، و تدرج الى الإمارة حتى ولى الصدارة في أيام جهانكير، و لقبه الملك المذكور مؤرخ خان، مات في سنة عشرين و الف، كما في «يد بيضاء».

محمد رضا الاصفهاني (1556- 1614 م/ 964- 1023 ه)

الشيخ الخواجه محمد رضا بن عبد اللّه الأصفهاني الشاعر المشهور المتلقب بالشكيي، كان من ذرية الشيخ عبد اللّه بن أمين الدين حسن الإمامي، ولد سنة أربع و ستين و تسعمائة، و قرأ بعض الكتب الدرسية على أساتذة شيراز و بعضها على أهل اصفهان، ثم قدم الهند و تقرب إلى عبد الرحيم ابن بيرم خان و صاحبه مدة من الزمان، ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار، و رجع إلى الهند بعد ثلاث سنوات، فولى الصدارة بدهلى فاستقل بها مدة حياته، و كان شاعرا مجيد الشعر، من أبياته الرائقة قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| درد است متاغم نه طرب نرخ جه برسى‏ |  | دائم كه تونستانى و من هم نفروشم‏ |
|  |  |  |

مات سنة ثلاث و عشرين و ألف، كما في «نتائج الأفكار».

محمد علي الكشميرى (ت 1025 ه/ 1616 م)

الشيخ الفاضل محمد علي الكشميرى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، سافر الى‏

ص:99

بلاد الدكن و دخل أحمد نكر فتقرب إلى سعادت خان أحد مماليك نظام شاه و لبث عنده زمانا، ثم تقرب إلى برهان شاه ثم إلى عبد الرحيم بن بيرم خان التركماني، فوظف له عبد الرحيم و أقطعه أرضا و أمره أن ينقل الكتاب «حافش» للعلامة ضياء الدين التركماني من العربية الى الفارسية، فنقله سنة خمس و عشرين و ألف، فاستحسنه و قربه إليه قربا لا مزيد عليه، مات في خامس عشر من ربيع الثاني سنة خمس و عشرين و ألف بملكابور، كما في «مآثر رحيمي».

نزهه 5/ رقم 646.

عبد الباقي النهاوندي (978- 1046 ه/ 1570- 1636 م)

الشيخ الفاضل عبد الباقي بن آقا بابا الشيعي النهاوندى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، ولد و نشأ بقرية جولك من أعمال نهاوند و تنبل في ايام أبيه و صنوه آقا خضر، و ولى الأعمال الجليلة بهمدان و لما قتل صنوه المذكور سنة 1016 سافر إلى الحجاز فحج و زار، و قدم الهند سنة 1023 فتقرب إلى عبد الرحيم بن بيرم خان بمدينة برهانيور و صنف في أخباره «مآثر رحيمى» في مجلد كبير، ثم تقرب إلى مهابت خان الجهانكيرى فولى على ولاية بهار.

و كان شاعرا مجيد الشعر، و من أبياته الرقيقة قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تا بكى غلطم بخون ديده مزكان نيستم‏ |  | تا بكى سوزم بحسرت داغ حرمان نيستم‏ |
| عندليب باغ عشقم ليك در كنج قفس‏ |  | سوزشى دارم كه محتاج كلستان نيستم‏ |
| كر بشاخ كل زنم آتش نه بيدادى بود |  | منكه مجنون كلم از باغ و بستان نيستم‏ |
| تا نشان يابم ز ليلى جانب حى ميروم‏ |  |  |

ص:100

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ورنه دلكير از سموم اين بيابان نيستم‏ |  | در عراق بر نفاق اين آرزو مى‏سوزدم‏ |
| كز سخن سنجان بزم خانخانان‏ |  |  |

و هذه الأبيات انشأها بهمدان سنة 1007 قبل قدومه إلى الهند و مات في أيام شاه جهان سنة اثنتين و اربعين و الف، كما في تاريخ محمدي.

نزهه/ 200 رقم 315 و فيه وفاته 1042 ه- مطلع انوار 304، قاموس المشاهير- تاريخ أدبيات فارسي 4/ 508.

و أما العلماء في عصر الإمبراطور أكبر فمنهم:

فتح اللّه الشيرازي (920- 997 ه/ 1514- 1589 م)

الشيخ الفاضل العلامة فتح اللّه بن شكر اللّه الشيعى الشيرازي أحد العلماء المتبحرين في العلوم الدينية و الفلكية و الرياضية و الطبية و الحكمية، ولد و نشأ بشيراز و قرأ العلم في مدرسة العلامة جمال الدين محمود و مولانا كمال الدين الشرواني و مولانا كرد بضم الكاف و المير غياث الدين منصور الشيرازي و لازمهم مدة حتى صار أوحد ابناء العصر و اشتهر ذكرة في الآفاق، فطلبه علي عادل شاه البيجابورى الى بلاد الهند، و طابت له الإقامة بمدينة بيجابور مدة طويلة. و لما قتل علي عادل شاه المذكور و تولى المملكة ابراهيم عادل شاه و كان صغير السن فصار لعبة في ايدى الوزراء فنفى احدهم فتح اللّه الشيرازى عن بيجابور فدخل آكره سنة احدى و تسعين و تسعمائة فنال الحظّ و القبول من اكبر شاه و ولى الصدارة سنة ثلاث و تسعين و تسعمائة، و لقبه اكبر شاه بآمين الملك ثم بعضد الدولة ثم بعضد الملك و ادخله في ديوان الوزارة و كان قدوم هذا العلامة الى الهند بركة على النظام التعليمي الاسلامي و باعثا جديدا، و حافزا على التقدم في التعليم. و أمر راجه نودرمل ان يستصوبه في مهمات الدولة و لكن الموت لم يمهله فاغتم بموته اكبر شاه، و قال‏

ص:101

لو كان وقع في اسر الافرنج و كنت افديه بالاموال و الخزائن كلها لكنت ربحت باطلاقه من ايديهم بتلك الفدية و لكانت هذه الصفقة رخيصة و رابحة.

ذكره اصحاب دانشوران ناصري في اثناء ترجمة الشيخ ابو الفضل ابن المبارك اليماني الهندي و وصفوه بعلامة الزمان الحكيم فانهم بعد ما ذكروا ان الشيخ شمس الدين السلطانبوري الملقب بمخدوم الملك و الشيخ عبد النبي الملقب بالصدر كانت في اوائل سلطنة اكبر شاه في الهند تدبر امور السلطنة برأيهما و كانا في غاية التعصب فتوصل الشيخ ابو الفضل إلى أن صار في اعلى مراتب القرب عند اكبر شاه، و كان علامة الزمان الحكيم فتح اللّه الشيرازي و آخرون من علماء و امراء العراق و شيراز قد جاؤوا بكثرة إلى بلاد اكبر شاه فاتفق الشيخ ابو الفضل مع العلامة المذكور و آخرون من العلماء على طريق واحد و كلمة واحدة لتدارك الشدة و اراقة الدماء من ذينك المتعصبين المذكورين و تحزموا لذلك بحزام همهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبه و عدل عن طريقته الأولى في الانقياد لرأي هذين الرجلين فأرسلهما إلى مكة إلى آخر ما ذكروه و ذلك في سنة 987 ه، و قد مرّ ذكر ذلك الحادث في ترجمة اكبر.

و قال الأمير شكيب ارسلان في كتاب حاضر العالم الاسلامي فيما حكاه عن مؤرخي الافرنجة: انه كان من اكابر علماء الشيعة جاء من فارس و اوطن بيجابور فاستدعاه اكبر شاه جلال الدين محمد بن همايون بن بابر ظهير الدين محمد بن عمر الشيخ بن ميرانشاه ابن تيمور لنك الكوركاني الشهير و صار مستشاره الشرعي (1 ه).

قال ابن المبارك و لم يكن له نظير في الدنيا قال و لو أصبحت أسفار القدماء في العلوم الحكمية كلها لكان مقتدرا على ان يخترع العلوم و يبدع من تلقاء نفسه انتهى.

و قال عبد الرزاق في «مآثر الامراء» ( (انه كان مع اقتداره في العلوم المتعارفة ماهرا بالنيرنجات و الطلسمات، قال و من مخترعاته رحى كانت تتحرك بنفسها بلا تحريك و تدوير يطحن الحبوب، و منها المرآة يتراآى فيها الأشكال الغريبة من القريب و البعيد، و منها انه اخترع بندقية كانت تطلق اثنتى عشرة طلقه في الدورة الواحدة، و منها أنه أحدث التاريخ الجديد و وضعه على الدورة الشمسية انتهى)).

ص:102

قال البلكرامي في «مآثر الكرام» هو الذي دخل الهند بمصنفات المتأخرين كالمحقق الدوانى و الصدر الشيرازي و غياث الدين منصور و مرزا جان فأدخلها في حلق الدرس و تلقاها العلماء بالقبول (انتهى).

و من مصنفاته منهج الصادقين تفسير القرآن بالفارسي و تكملة حاشية الدوانى على تهذيب المنطق و حاشية المنطق و حاشية على تلك الحاشية و شارك في تأليف التاريخ الألفي مات سنة سبع و تسعين و تسعمائة عند رجوعه من كشمير فدفن على جبل سليمان.

(نزهه 4/ 254- 255 رقم 392، اعيان 8/ 393، مآثر الكرام 236 و ما بعدها، مطلع انوار 399- 401، بي بها 278، منتخب التواريخ، تاريخ فرشته، حاضر العالم الاسلامي).

محمد اليزدى (ت 998 ه/ 1589 م)

الشيخ الفاضل القاضي محمد الشيعي اليزدي احد العلماء المبرزين في المنطق و الحكمة، ولد و نشأ بيزد من بلاد الفرس و سافر للعلم فقرأ على الفاضل مرزا جان الشيرازى و قدم الهند سنة ثلاث و قيل اربع و ثمانين و تسع مائة و تقرّب الى اكبر شاه و لبث عنده زمانا ثم ولى القضاء بمدينة جونبور سنة سبع و ثمانين او ما يقرب ذلك قال البدايوني: و كان شديد التعصب على أهل السنة و الجماعة.

و لما خرج محمد معصوم الكابلى على اكبر شاه في بلاد بنكاله و اراد معز الملك بجونبور ان يساعدهم في الخروج عليه افتاه القاضى محمد اليزدى و قيل انه وافقه في ذلك و كان الحكيم ابو الفتح بن عبد الرزاق الكيلانى قدم جونبور عند رجوعه عن بنكاله فوقف على ارادتهما فلما وصل الى الحضرة اخبر اكبر شاه بذلك فأمر السلطان ان يأتوا بهما مقيدين مغلولين فاخذوهما و ركبوا بهما على الفلك في ماء جمن فلما وصلوا الى اتاوه غرق الفلك في الماء، و قيل ان اكبر شاه امر باتلافهما فاغرقوا الفلك في ماء جمن و كان ذلك سنة ثمان و تسعين و تسع مائة.

(مطلع انوار/ 450، نزهه 4/ 329 رقم 494، منتخب التواريخ للبدايونى (الترجمة الاوردية ص 440)، مقالات مولوي محمد شفيع ج 4).

ص:103

شريف الآملى (ت بعد 1003 ه/ 1594 م)

الشيخ الفاضل مير شريف الآملى، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، قدم الهند و تقرب إلى اكبر شاه، و ولى الصدارة بكابل سنة ثلاث و تسعين و تسعمائة فأقام بها زمانا، ثم ولى الصدارة، بأرض بنكاله لعله في سنة تسع و تسعين أو مما يقرب من ذلك، و أقطع أجمير سنة ثلاث و ألف، و كانت موهان من أرض أوده أيضا من اقطاعه، مات و دفن بها.

زعم الخوافى في مآثر الأمراء: إنه خلط التصوف بالفنون الحكمية، و كان يقول لكل شئ يراه: إنه هو اللّه، و لسعة مشربه صار مقبولا عند السلطان المذكور و حصل له الرسوخ في قلبه- انتهى.

(نزهه 5/ 169- 170 رقم 268).

شمس الدين بن علاء الدين الخوافى (ت 1008 ه/ 1599 م)

الشيخ الفاضل خواجه شمس الدين بن علاء الدين الخوافي، أحد الرجال المعروفين بالسياسة و التدبير، قدم الهند و تقرب إلى الإمبراطور أكبر، و ترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة.

و كان رجلا فاضلا عادلا كريما صادق اللهجة طيب النفس، لم يزل مشتغلا بتعمير البلاد و إرضاء النفوس و إيصال النفع إلى الناس.

مات في سنة ثمان و ألف. بمدينة لاهور، كما في «مآثر الأمراء».

(نزهه 5/ 171 رقم 270).

ص:104

آصف خان ميرزا جعفر بك (958- 1021 ه/ 1551- 1612 م)

هو الميرزا جعفر بك المعروف بآصف خان بن الميرزا بديع الزمان بن الآغا ملا شاعر هندي ينظم بالفارسية، و مؤرخ، و من امراء بلاط المغول في عهد اكبر و جهانكير.

كان أبوه و جده من كبار رجال الحكم في العهد الصفوي بايران، كما كان عمه الميرزا غياث الدين علي آصف خان من امراء بلاط اكبر شاه (1556- 1605 م) و قد سافر المترجم من ايران الى الهند في شبابه سنة (988 ه- 1577 م) و اتصل بالبلاط البابري عن طريق عمه، و عين في وظيفة فيه لم ترضه فترك البلاط، ثم أرسل من قبل اكبر شاه في مهمة إلى البنغال فأدى مهمته العسكرية في فتح (بور سكري) و عاد الى العاصمة لعدم استقرار الاحوال هناك، ملازما البلاط، و بعد وفاة عمه ميرزا غياث الدين سنة 1581 م عيّن وزير خزانة البلاط (منصب بخشيكري) مضافا إليه منصب عسكري و لقب ب (آصف الدولة).

و في عهد (اكبر) برزت كفاءته العسكرية فيما عهد اليه من مهمات فأعطي ولاية كشمير، ثم منصب (ديوان كل)، و هو منصب الوزارة ثم عين واليا على (بهار).

و لما تولى جهانكير الملك عهد اليه بالاشراف على تربية الامير (برويز)، ثم- بصفته مشرفا عليه- الى الدكن لقمع الفوضى هناك. و لكنهم لم ينجحوا لانغماس الامير في شهواته و اختلاف الامراء. ثم توفي المترجم في برهانبور.

كان يتخلص في شعره ب (جعفر) أو (جعفري) و بلغ ما نظمه ثلاثة آلاف بيت فيها مقطوعات غزلية و قصائد و مثنويات. و له مدائح في النبي (ص) و علي بن أبي طالب (ع)، كما مدح محمد اكبر و هانكير.

و هو ممن ساهموا في تأليف كتاب تاريخ الفي (التاريخ الألفي) الذي الف سنة 1585 م بأمر من محمد اكبر في حلول الذكرى الألفية للهجرة النبوية. و كان الذين عهد اليهم بتأليف هذا الكتاب هم: احمد التتوي و نقيب خان و عبد القادر البدايوني، و لما توفي التتوي انتدب المترجم ليحل محله فتولى تسجيل الأحداث حتى سنة 1589 م. و قام عبد

ص:105

القادر البدايوني. بمراجعة الجزء الأول و الجزء الثاني من الكتاب، و اكمل المترجم الجزء الثالث.

كما كتب كتابا في تراجم الشعراء ب (تذكرة آصف خاني).

و للمترجم حفيد اسمه جعفر بن الميرزا زين العابدين كان من شعراء عصر شاه جهان و كان يتخلص في شعره كجده ب (جعفر). و له حفيد آخر اسمه ميرزا إيزد بخش كان من شعراء عهد أورنك زيب و فضلائه، و كان يتخلص في شعره ب (وسا) أو (رسا)!

(البداؤني: منتخب التواريخ، ج 3، ص 216 و ما بعدها،noswoD -ttoilliE :aidnI fo yrotsiH ج 5، ص 150 و ما بعدها، دائرة المعارف الاسلامية/ 2، مستدركات 7/ 90- 91 و كررها في 8/ 58- 59).

صدر الدين الشيرازي (ت 1061 ه/ 1550 م)

الشيخ العالم الكبير ميرزا صدر الدين بن فخر الدين الشيرازي اللاهوري المشهور بمسيح الزمان أو حكيم صدرا، كان من ذرية الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولد و نشأ بشيراز، و قرأ أكثر العلوم المتعارفة على الشيخ بهاء الدين العاملى، و قرأ بعض الكتب الطبية على محمد باقر بن عماد الدين محمود الشيرازي. و قدم الهند سنة إحدى عشرة و ألف، و كان عمه زنبل بيك دخل الهند قبله و تقرب إلى صاحب الهند فجاء و اخذ عن الحكيم على الكيلاني و تطبب عليه، ثم وظفه أكبر شاه و أدخله في زمرة الأطباء، ثم لقبه جهانكير بن اكبر شاه مسيح الزمان، و أضاف في منصبه شاهجهان بن جهانكير حتى صار ثلاثة آلاف له، ثم استكره المسيح المعالجة لاحتمال المضرة تورعا، فولّاه شاهجهان على العرض المكرر، فاستقل به مدة، ثم اشتاق إلى الحج و الزيارة- و كان حج و زار قبله أيضا في أيام جهانكير- فسافر إلى الحرمين الشريفين و حج مرة ثانية، و رجع إلى الهند فولاه شاهجهان على بلدة سورت و استقام أمره في ذلك، كما في «بادشاه نامه».

قال شاهنواز خان في «مآثر الأمراء» إنه كان عالما كبيرا ماهرا في الطب و سائر الفنون الحكمية شيعيا في المذهب ديّنا تقيا، سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، و عاد

ص:106

إلى الهند و اعتزل بلاهور و عكف على الدرس و الإفادة، و وظفه شاهجهان بخمسين ألف روبية في كل سنة- انتهى.

و قال الداغستاني في رياض الشعراء: إنه قدم الهند في عنفوان شبابه و نال المنصف، و سافر إلى الحجاز سنة ثلاث و ثلاثين و الف ثم عاد إلى الهند، و من أبياته قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بكذر از خود هركه رهائى يابد |  | كر بصد قيد كرفتار بود آزاد است‏ |
|  |  |  |

توفي سنة إحدى و ستين و ألف بكشمير، كما في «مآثر الأمراء».

(نزهة/ 183 رقم 288، مطلع انوار/ 281، مآثر الامراء 1/ 574. بي بها 192).

مسيح الملك الشيرازي (القرن 11 ه)

مسيح الملك الشيرازي ولد بشيراز و نشأ و تربى لدى الحكيم نجم الدين عبد اللّه بن حسن الشيرازي و أخذ عنه حتى بلغ مبلغ الرجال من اهل النظر و الحكمة، ثم قدم الهند و أقام ببلاد الدكن مدة طويلة، ثم دخل آكره، فاجزل عليه اكبر شاه عطاياه، و جعله نديما لولده مراد، ثم وجهه إلى كجرات، مات بأرض مالوه و كان طبيبا ممتازا له يد بيضاء في معالجة امراض البشر في الهند.

- (نزهة 7 رقم 689، منتخب التواريخ).

همام بن عبد الرزاق الكيلاني: (ت 1004 ه/ 1595 م)

الحكيم و القاضي الكبير الشيخ همام بن عبد الرزاق الكيلاني، كان شقيق ابي الفتح ابن الرزاق الحكيم المشهور، قدم الهند مع صنوه أبي الفتح و نال حظا وافرا من عناية السلطان‏

ص:107

اكبر و التفاته إليه، و كان اسمه همايون فبدله السلطان بهمايون قلى ثم بالهمام تأدبا لأسم والده، كما في «مآثر الأمراء». و ذكره البدايوني و غمزه كما هي عادته في ذكر مخالفيه في المذهب، مات في سادس ربيع الأول سنة أربع بعد الألف. (نزهة ج 5/ رقم 745- مآثر الأمراء).

السيد تقي الدين الشيرازي (القرن 11 ه)

الشيخ العالم الكبير العلامة تقي الدين فارغى الحسيني الشيرازي، كان ابن أخ الشيخ العلامة فتح اللّه الشيرازي، اخذ عنه العلوم الحكمة و درس و أفاد زمانا، قال البدايوني في تاريخه إنه كان عالة الهمة، أخذت عنه شطرا من «بست باب» في الاصطرلاب- انتهى.

و في النزهة نقلا عن المنتخب ان المترجم نسب نفسه إلى السنة و الثابت انه من اسرة شيعية، و لا يعرف الأمر على وجه التحقيق.

خضر بن موسى اليماني (834- 954 ه/ 1435- 1547 م)

الشيخ خضر بن الشيخ موسى اليماني، من علماء الهند نزح والده اليها فنبغ المترجم له في ظل والده الذي كان يسكن في (ناكورة)، و قد غلب عليه و على ابيه التصوف الذي شاع في عصره جدا و قد عاش المترجم له 120 سنة و كان قد قرأ في أحمد آباد كجرات على نحارير العلماء و أخذ من كل فن بسند عال و عرف المذهب المالكي و الشافعي و الحنفي و الحنبلي و الامامي أصولا و فروعا و وصل الى درجة الاجتهاد و هو و ان كان منتسبا الى المذهب الحنفي لكنه في الحقيقة كان نابذا للتقليد و متجاوزا علم الظاهر الى الحقائق المعنوية و سالكا مسلك التصوف و الاشراق و عارفا بأساليب التصوف خصوصا مسلك الشيخ محيي الدين بن العربي و ابن الفارض و الشيخ صدر الدين القونوي و من‏

ص:108

جلائل النعم الإلهية عليه اختصاصه بملازمة الخطيب أبو الفضل الكازروني فاتخذه بمنزلة الولد فقرأ عليه التجريد و كثيرا من غوامض الشفاء و الإشارات و دقائق التذكرة و المجسطي و تلمذ على مولانا جلال الدين الدواني و أخذ في جزيرة العرب انواع العلوم النقلية عن الشيخ السخاوي المصري تلميذ ابن حجر العسقلاني و طوّف في اوائل المئة العاشرة مع جماعة من خواصه في الهند لأجل رؤية الأولياء و التقى بالسيد يحيى البخاري الذي له نصيب وافر من الولاية المعنوية و بالشيخ عبد الرزاق القادري البغدادي من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلي المشهور و بالشيخ يوسف السندي و سافر الى السند و أخذ عن الشيخ فياض البخاري و توفي سنة 954 ه.

مبارك اللّه الناكوري اليماني (911- 1001 ه/ 1505- 1592 م)

الشيخ مبارك اللّه بن الشيخ خضر بن الشيخ موسى اليماني، من اسرة عربية يمانية كريمة، نزح جده الشيخ موسى الى الهند و أقام في مدينة ناكوره و هي من جهة أجمير.

و في ناكوره ولد الشيخ مبارك سنة احدى عشرة و تسعمائة، و سافر لطلب العلم الى كجرات فاشتغل بها على عدد من اساتذة عصره من امثال:

الخطيب أبي الفضل الكازروني، و الشيخ عماد الدين محمد الطارمي و غيرهما و كان مفرط الذكاء يحضر المجالس و المحافل في صغره فيتكلم و يناظر و يفحم الكبار و يأتي بما يتحير به أعيان العلم، و جدّ في البحث و الاشتغال حتى برز بين اقرانه كأحد اكبر علماء الهند في عصره و اشتهر امره في كافة اصقاعها، و كان على عادة اسلافه من اعاظم علماء الشيعة يدرسون و يتعمقون في فقه جميع المذاهب الاسلامية حتى لا يكاد يميزهم احد في اجاباتهم المعمقة وسعه افقهم و تفكيرهم عن أي واحد من فطاحل العلماء من غير الشيعة، و الشيخ مبارك تأهل للفتوى للأغلبية السنية شأنه شأن نور اللّه الشوشتري الذي جاء من بعده حتى اشتهر امره و بلغ صيته امبراطور الهند اكبر شاه فاستدعاه الى عاصمته اكبر آباد فسافر إليه سنة 950 ه و كرمه الامبراطور غاية التكريم و اعزه غاية الاعزاز و اختاره ان يكون سيد

ص:109

العلماء في بلاطه فأخذ بقية العلماء يخطبون وده و الاستفادة منه، لكنه ما كاد أن أطمأن الى ثقة الامبراطور به و بعلمه و معرفته بتسامحه المعهود في معاملة جميع اصحاب الديانات فضلا عن بقية أتباع المذاهب الاسلامية، فكان ان قرّب فئة من علماء المذهب الامامي الشيعي، ثم كان لا يأبه بجواب سائليه بأمر فتاواه بحسب مذهب السائل و ما هو أدنى لمعرفته و افضل مسلك لحل مشكلته فزاد بذلك تعظيم العامة لأمره و هو مع ذلك مشتغل بالتدريس و الافادة، و المناظرة و المساجلة، و هذا ما أثار حقد بعض ضعاف النفوس من علماء وقته، فأخذوا يكيدون له كيد الشياطين، و يوصمونه بكل شين، كونهم قد تبين لهم تشيعه، و أخذه بمذهب أهل البيت عليهم السلام، و هو الذنب الذي لا يغتفر لدى هؤلاء النفر النواصب المتعصبين، و من هؤلاء عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني الذي طالما غمز في تاريخه اهل الشيعة رغم اعترافه بعلميتهم و ورعهم لكنه لا يفتأ بعد قليل الا و يكيل التهم بلا ورع و لا دين و لا أخلاق جريا وراء تعصبه الذميم، و انظر لما ذكر عن المترجم له في بداية سطوره ثم انظر ماذا يختم به حديثه من التهم الباطلة، و امثال هؤلاء في التاريخ كثير و خاصة لدى اصحاب التراجم منهم و اسبق منه الخطيب البغدادي، و الذهبي و امثالهما ممن ابتلي بهم شيعة أهل البيت عليهم السلام، و هذا ما قاله البدايوني في تاريخه:

إنه كان ذا اطوار مختلفة، لحق بالمهدوية و صحب الشيخ علاء بن الحسن البيانوي مدة مديدة، فلما شاعت الطريقة النقشبندية في أوائل عهد أكبر شاه صار يقتفى آثار تلك الطائفة العلية، و كان ينتسب إلى المشايخ الهمدانية، و لما رأى أن أهل ايران غلبوا و نالوا في الدولة أعز منال صرف إليهم عنان العزيمة.

و كان عالما كبيرا بارعا في الفقة و أصوله عارفا بدقائق العربية ماهرا بالتصوف و الشعر و اللغز و فنون أخرى، و كان يقرأ القرآن بالقراءات العشر و يدرس «الشاطبي»، و كان كثير المطالعة دائم الاشتغال بالدرس و الإفادة سريع الإدراك قوى الحفظ لم يكن يحفظ شيئا فينساه، و لما ضعف بصره لكبر سنه و عجز عن المطالعة اشتغل بتفسير القرآن و صنف تفسيرا كبيرا في أربع مجلدات كبار سماه «منبع نفائس العيون»، واظب في آخر عمره على التائية لأبن الفارض، و قصيدة البردة للبوصيري، و قصيدة كعب بن زهير، و قصائد أخرى كانت محفوظة له فيقرأها كل يوم عن ظهر قلب.

ص:110

و في كتاب نزهة الخواطر لعبد الحي الذي لا يكاد ان يظفر بأحد من أعلام الشيعة إلّا و يضع في سيرته ما يفيد التشنيع ثم لا يخفى تضايقه منه بأية وسيلة جتى اذا كان ذلك مدعاة للطعن بدين ذلك الشخص و ورعه، بل انه نسب الى المترجم له و هو بعيد عن عصره كل البعد ما هو برئ منه و مما لم يذكره عنه حتى المعاصر له البدايوني المذكور.

قال عبد الحي «و قد انتهت إليه الإمامة في العلم و العمل و الزهد و الورع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لا يستطيع أحد من الأمراء أن يحضر في مجلس تذكيره و عليه ملابس حمراء أو من الحرير أو في يده خواتم الذهب أو إزاره مسبل، و كان في ذلك الزمان شديد النكير على السماع حتى إذا قرع صماخه في اثناء الطريق صوت الغناء يترجر عنه و يثب إلى غير ذلك المكان».

و ما ان ينتهي من هذه الفقرة و كل ما فيها من وصف ورع المترجم له و تدينه فلا يجد ذلك مقنعا مع تشيعه، فيستتبع ما ذكره بهذه الوصمة و يقول:

«ثم رغب الى السماع في آخر امره و قلما يخلو عنه و ربما لا يستريح بدون الغناء و المزامير».

و البدايوني على تعصبه اكثر انصافا من (عبد الحي) فقد اقرّ و اعترف في ترجمته المذكورة السابقة للشيخ الناكوري بأنه اشتغل في اواخر عمره بتفسير القرآن و بعد ان ضعف بصره و اظب على قراءة ما يحفظه من مطولات المديح النبوي .. الى آخر ما ذكره فباى كلام نصدق، أبكلام عبد الحي (الندوي) و هو يصف أواخر أيام تلك الشيبة المقدسة وسط المزامير و آلات الغناء و هو بعيد عن عصره اربعة قرون متطاولة، أم نصدق بقول البدايوني و قد عاصر المترجم له و برغم حسده له و انكاره عليه اخذه لمذهب الشيعة لكنه لم ينسب اليه ما نسبه عبد الحي بل أشار الى انه ختم عمره بين الصحف المطهرة حتى وافاه اجله فلحق بالخالق الباري رحمه اللّه تعالى، فقد كان هذا الشيخ كأسمه مباركا مقرونا بالخيرات فقد خلف اسرة علمية ممتازة فيهم من العلماء الاجلاء الذين خدموا شريعة الاسلام أجل خدمة و اعظمها لكنهم لم يخلصوا من تشنيع الحاقدين و تزييف المدلسين فأجرهم عند ربهم و هو أعلم باسرار الخلائق ظاهرها و باطنها.

ص:111

و بعد عمر قضاه بالبر و التقوى و خدمة الاسلام توفي الشيخ مبارك اللّه الناكوري في السابع عشر من ذى القعدة سنة احدى و الف بمدينة لاهور و دفن بها كما في منتخب التواريخ، و في سبحة المرجان دفن بأكبر آباد و خلف ثمانية اولاد ذكور كلهم من العلماء منهم اثنان ولدا في بطن واحدة بعد وفاته بأشهر و هم الشيخان ابو حامد و ابو راشد و لا يزال بعض المنتسبين الى هذا البيت العلمي الرفيع في باكستان، و خلف أيضا عدة بنات منهن: لا دطلي بيكم زوجة خداوند خان الشيعي، و بنت هي زوجة ابن راجا علي خان، و بنت كذلك تزوجها الشيخ عبد اللّه بن علي الشيرازي و انجبت له نور الدين محمد الشيرازي المتوفى بعد 1035 ه.

و تعرف مقبرته اليوم ب (روضة لا دطلي) و قد اهتم ببنائها ولده (ابي البركات) و جاءت على عمارته الكتابة التالية:

«هذه الروضة للعالم الرباني و العارف الصمداني جامع العلوم شيخ مبارك قدس سره و العزيز قدوقف بنيان بحر العلوم شيخ ابو الفضل سلمه اللّه تعالى في ظل دولة الملك العادل يطلبه المجد و الاقبال و الكرم جلال الدين و الدنيا اكبر باد شاه غازي خلد اللّه تعالى ظلال سلطنته باهتمام حضرت أبي البركات في سنة اربع و الف».

أما كتبه فالمعروف منها تفسير كبير في اربع مجلدات كبار سمّاه: منبع عيون المعاني أو «منبع النفائس العيون في تفسير كتاب اللّه المكنون»، كان من ضمن مخطوطات مكتبة السيد محمد تقي (الدلداري) ممتاز العلماء بمدينة لكهنو.

و من كتبه أيضا: ترجمة كتاب حياة الحيوان.

المصادر:

- دربار اكبري 407، تذكرة علماء هند 174، بوستان أخيار 147، ترجمة منتخب التواريخ 602، مطلع انوار 61- 62، منتخب التواريخ 2/ 32 و 388 و 270 و 3/ 72.

- صبح صادق، الورقة 505، مآثر الكرام 197، تذكره رحمان علي/ 174، منتخب اللباب 1/ 241، طبقات اكبرى 2/ 472، النزهة 5/ 330- 331 رقم 539، الأدب العربي في الهند 236. طبقات اعلام الشيعة 6/ 486 (القرن 11 ه).

ص:112

أبو الفيض الناكوري (954- 1004 ه/ 1547- 1595 م)

العلامة الجليل ابو الفيض بن المبارك الناكوري المعروف بفيض و ب (العلامي) كان من العلماء الفضلاء المفسرين.

ولد في اكبر آباد (آكره الحالية) ليلة الخامس من شعبان 954 ه و توفي بعد مرض عضال في 10 صفر 1004 ه.

ترجم له غلام علي آزاد تحت عنوان «ملك الشعراء الشيخ ابو الفيض المتخلص بفيض الاكبر آبادي» قال:

هو عالم جيد و شاعر مفلق بالفارسية، ولد بمستقر الخلافة أكبر آباد سنة أربع و خمسين و تسع مائة، و تلمذ على أبيه الشيخ مبارك صاحب التفسير المسمى بمنبع عيون المعاني المتوفى سنة إحدى و ألف و أخذ عنه الفنون المتداولة و حصل الفراغ من تحصيلها و هو ابن أربع عشر سنة و خاض كثيرا في الحكمة و العربية و لما وصل صيت كماله إلى مسامع السلطان أكبر أرسل منشورا في طلبه سنة أربع و سبعين و تسع مائة فذهب إلى السلطان و أمه و اختص بمزيد القربة و المصاحبة و لقبه السلطان بملك الشعراء[[8]](#footnote-8).

و له قصيدة فارسية في مدحه. و أبيات ديوانه الفارسي خمسة عشر ألفا. و له تصانيف أخرى مثل موارد الكلم بالعبارة العربية و هي رسالة غير منقوطة في الأخلاق‏[[9]](#footnote-9) و ترجة ليلاوتي- بكسر اللام و سكون التحتانية و اللام و الألف و فتح الواو و كسر الفوقانية.

بعدها تحتانية ساكنة- كتاب في علم الحساب و المساحة، مصنفه باسكر البيدرى من علماء الهنود و بيدر- بكسر الموحدة و سكون التحتانية و فتح الدال المهملة آخرها راء- كان عالما عديم المثل في الرياضي. و ما ذكر في ليلاوتي تاريخ تأليفه و لكن له كتابا آخر أرخ تأليفه بالتاريخ المعمول في الدكن، و هو مطابق لسنة اثنين و عشرين و ست مائة الهجرية. و أجل تصانيف الشيخ فيضى «سواطع الإلهام» و هو تفسير القرآن الغير المنقوط.

ص:113

و صنفه في عرض سنتين و أتمه في سنة اثنين و ألف و وجد امير حيدر المعمائى‏[[10]](#footnote-10) الكاشاني في تاريخ اتمامه: سورة الإخلاص من أولها إلى آخرها. و أعطاه الشيخ فيضى صلة التاريخ عشرة آلاف ربية[[11]](#footnote-11).

و قال شبلي النعماني عن سيرته و نبوغه:

«لم ينجب الشعر الفارسي في الهند في عمره الطويل الممتد على ستة قرون سوى شخصين، أذعن لهما، طوعا أو كرها- أصحاب هذا اللسان، هما خسرو و فيضى».

تتلمذ فيضي على خواجة حسين المروزي، و برز في كل علم و فن، و دخل بلاط الملك عام 974 ه، العام الثاني عشر من تربع السلطان، على عرش الدولة- و نال الشرف و التقدير، و لم يزل يتقرب إلى السلطان إلا أنه لم ينسلك في وظيفة من الوظائف في البلاط، كان طبيبا نطاسيا، و كان شاعرا مجيدا، و كان مؤلفا قديرا، يقضي وقته في هذه الأعمال العلمية، و أسند إليه تأديب أبناء الملك و تعليمهم و تثقيفهم، ففي العام الثاني عشر من تولي السلطان عهد إليه بتعليم ولي العهد دانيال، و علمه فيضي- في فترة و جيزة- مبادئ العلوم، و ألقى أكبر- هذا العام- خطبة في المسجد ادعى فيها الاجتهاد و الإمامة، و كان فيضى مؤلف هذه الخطبة، و قلّل أكبر من نفوذ الشيخ عبد النبي و حدّ من سلطانه، و فرق الصدارة- الرئاسة- في عدة شعب، فأسند عام 990 ه رئاسة آكره ولكالنجر و كالبي إلى فيضي، و لما بعث الجيوش لمقاومة قبيلة يوسف زئي، أنفذ معهم فيضى للقيام بهذه المهمة معهم، و في عام 996 ه و هو العام الثالث و الثلاثون من تولي أكبر للحكم، لقب فيضي بملك الشعراء، و عين سفيرا في «خانديس» عام 999 ه الموافق للعام السادس و الثلاثين من حكمه- فقام بهذه الخدمة خير قيام، و نجح فيها نجاحا

ص:114

كبيرا، و توفي في شهر صفر 1004 ه الموافق للعام الأربعين من ولاية السلطان.

و قال البدايوني المعاصر له:

«كان نسيجا وحده في الفنون كالشعر و الألغاز و العروض و القوافي و التاريخ و اللغة، و الطب و الأنشاء».

و نظرا لاختلافه في المذهب و عداوته له فالبدايوني يخرج عن طوره كعادته مع كافة من ترجم له من الشيعة، فيوصم المترجم بكل ما هو قبيح و يرميه بالالحاد و الزندقة.

قال: حتى كانت اليهود و النصارى و الهنود و المجوس يفوقونه ألف مرة في هذا الباب فضلا عن الترارية و الصباحية، و كان يحل المحرمات الشرعية على رغم الدين و يحرم الفرائض و المباحات، .. و صنف القرآن في حالى السكر و الجنابة و كانت الكلاب تطأ ارواقها حتى مات أي تطأ أوراقها التي كتبها في تفسير القرآن، فانظر الى أي حدّ بلغ التهور في حقده على المترجم له و مثله حال زميله عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي و لا يحلو لعبد الحي (الندوي) الّا ان ينقل امثال هذه الاتهامات جزافا تشفيا من ابي الفيض لا لشئ الا لكونه شيعيا مواليا لأهل البيت عليهم السلام.

و بلغ من حقد اولئك النفر انهم شمتوا حتى في موته بعد مرض عضال ألّم فيه و قالوا في مرض موته انه كان يعوي كالكلاب! و استخرجوا له تواريخ فظيعة الالفاظ بعيدة عن الرحمة قالوها تشفيا في موته، و قد اثبتها (عبد الحي) من باب الاستئناس و الغمز بالشيعة، و من تلك التواريخ (فيضي ملحدي) و (خالد في النار) و (قاعده‏ء الحاد شكست) و قول الآخر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سال تاريخ فيضي مردار |  | شد مقرر بجار مذهب نار |
|  |  |  |

و أمثال ذلك، و الدليل على انه اثبتها حقدا و غيضا ان ولده «ابو الحسن الندوي» جعل هذه التواريخ مع انها صادرة من اعداء المترجم له و بعيدة عن اخلاق العلماء و ما ينبغي ان يكونوا عليه من الانصاف و العبرة في الموت فان هذا الناصبي جعلها شاهدا على كفر المترجم له و الحاده و بذلك أفصح عما أراد به والده في اثباته لتلك التواريخ الرخيصة التي لا تصدر الا عن صاحب قلب أسود فاسمع ما يقول الندوي و ما سيذيعه من سرّ خطير،

ص:115

يقول هذا المفتري:

«و يبدو ان افكار فيضي و آراءه الملحدة انتشرت في الآفاق، و ذاع صيتها في الأطراف في حياة فيضي نفسها، فان التواريخ التي استخرجت منظومة بمناسبة وفاته تدل على ذلك، و قصة وفاته تحمل في نفسها العبرة و الدرس- كتابه السر هندي ص 89».

حتى تفسير القرآن الكريم الذي ألفه فيض، لم ينجو من قلم الندوي بالتوهين و التقليل من شأنه و بالرغم من أن والد الندوي (عبد الحي) اعترف في النزهة 5/ 28 «بأن هذا التفسير يدل على طول باعه في اللغة العربية» يأتي ابنه فيقول حسدا و حقدا:

«ألف فيضي هذا التفسير- الذي التزم فيه بان لا يستعمل أيا من الحروف المعجمة و الذي طار صيته في عصره، و تحدث به القاصي و الداني- لاثبات فضله و نبوغه، و الرد على اتهامه بالانصراف عن العلوم الدينية، و لكن هذا العمل- مهما أثبت له من قدرته على اللغة العربية، و امتلاك لناصية البيان فيها- لم يضف شيئا علميا مفيدا، و انما مثله مثل بعض الكتبة البارعين في الخط، الذين كانوا يتظاهرون بدقة خطهم و جمال فنهم، بكتابة سورة الاخلاص- كاملة- على حبة واحدة من الأرز، فجاءت- نتيجة ذلك- عبارة متكلفة لا لذة ليها و لا جمال و لا طراوة».

قال الشيخ أغا بزرك عن المترجم له: و هو الذي روّج التشيع .. بوسيلة اكبر شاه، و أجاب عن اعتراضات عبد اللّه اوزبك على اكبر شاه و الأجوبة موجودة في منشآته.

مؤلفاته:

1- سواطع الالهام (و سنخصه ببحث خاص).

2- (مركز ادوار) و (نلدمن) مزدوجتان له على نهج مزدوجتي النظامي الكنجوي من خمسته.

3- موارد الكلم مخطوط في مكتبة ندوة العلماء 76 ص برقم رديف 1135.

4- و منها: لطائف فيضي، و هو مجموع رسائله جمعها ابن اخته نور الدين محمد بن عبد اللّه بن علي الشيرازي.

ص:116

5- و منها (طباشير صبح) و هو ديوان شعره و فيه تسعة آلاف بيت، و له ديوان آخر في قصائده و هو الذي أشار له غلام علي آزاد في ترجمته- كما يبدو- و عرف رحمه اللّه بعنايته في جمع الكتب النفيسة، حتى تجمعت له خزانة كتب عامرة زادة على اربعة آلاف من الكتب المصححة المضبوطة اكثرها كانت مكتوبة بأيدي مصنفيها، و بعضها كانت قريبة العهد من عصر التاليف كما في النزهة، و فيه ايضا نسب له هذه الأبيات بالفارسية:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| غافل نيم زراه ولى آه جاره جيست‏ |  | اين رهزنان كه بر دل آكاه مى‏زنند |
| آن نيست كه من هم نفسان را بكذارم‏ |  | يا آبله بايان جه كنم قافله تيز أست‏ |
|  |  |  |

و له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كعبه را ويران مكن أى عشق كآنجا |  | كه كهتى بس ماندكان عشق منزل‏ |
|  |  |  |

المصادر:

- دربار اكبري 445 طبع لاهور 1947.

- نكارستان فارس/ الطبعة الثانية لاهور ص 126، منتخب التواريخ 2/ 212- 248/ و/ 393 و 2/ 405 و مع الشعراء 3/ 299 و طبقات أكبرى 2/ 486 و منتخب اللباب 1/ 241 و مآثر الكرام:

189 و مآثر الأمراء 2/ 584، و تذكرة رحمان علي: 4 و مفتاح التواريخ: 200 و نتائج الأفكار: 533 و أبجد العلوم 3/ 893 و الأدب العربي في الهند: 20 و تذكرة علماء لمحمد حسين آزاد: 25. الأعيان 2/ 402، مطلع انوار 62- 64، مستدركات 5/ 68، سبحة المرجان 1/ 117- 119. النزهة 5/ 27- 32 رقم 49، (طبقات اعلام الشيعة «القرن 11» ص 445 و فيه ارخ وفاته شير علي خان الذريعة 9/ 855- 856 في مرآة الخيال بعنوان أبي الفيض. و كتاب زبيد أحمد 68 و ما بعدها.

ص:117

تفسير القرآن المسمى سواطع الالهام‏

و أجل و أخلد ما ألفه (فيضى) هو تفسيره سواطع الالهام، فسّر القرآن الكريم بكلمات غير منقوطة، قام فيه بشرح و توضيح معاني كتاب اللّه العزيز كله و لم يكتب فيه إلا كلمات مهملة، فهذا الكتاب الخالد- إلى جانب ما يدل على غناء اللغة العربية و دقة فوائدها و غزارة مفرداتها و خصب مناهجها و سعة صدرها حيال الاظهار و التعريب و توخيها الوصول إلى الغرض من أكثر الطرق- يدل على اضطلاع المؤلف باللغة و معرفته التامة بمفرداتها و تراكيبها، و إدراكه أساليب بيانها و قدرته الباهرة على تعبيراتها.

و زين المؤلف كتابه بمقدمة بسيطة حدث فيها عن نفسه و عن أقاربه و عن مسقط رأسه و أنه كيف تسنى له الوصول إلى بطانة الملك، و قسمها و جعلها قسمين أجمل في الأول ما سنح له من الأحوال، و اهتم في القسم الثاني بتجلية علوم القرآن ففسرها و شرحها و ذكر مبادئها و أصولها ثم قسم القسمين إلى ابواب شتى، و سمى كل باب بساطعة و هذه السواطع يختلف بعضها عن بعض، فمنها ما تطول إلى ثلاثين سطرا و منها ما تقصر دون سطر واحد. و وضع ساطعا طويلا يمدح فيه أباه. و ألحق المقدمة منظومة يصف بها كتابه.

و يأتى باسم ابيه و أسماء اخوته في كتابه مرموزا بالأحاجي و الألغاز، إتباعا للصنعة المهملة و تفاديا من الحروف المنقوطة، و هذه الأحاجي غامضة، ربما لا يهتدى إلى حلها من لا علم له بتلك الاسماء من قبل. لكن الخبير بها بدوره لا يدركها بسهولة. إنها تسعة. ستة منها معميات و ثلاثة إلغاز. و الفرق بينهما ان الأول يصح برد واحد. و الآخر يصح بردود عديدة، فالأسماء التي ألغز بها الواضع ثلاثة. أبو الفيض و أبو الفضل فيضى (الواضع نفسه) و أبو الخير. و هي بكلمات ليست بقاطعة المدلولات، و من الطريف أن اسم المؤلف كذلك منقوط. و نرى أن نقتبس هنا من مقدمته، و نبذة من تفسيره، و ذلك قبل أن نتكلم على الكتاب نفسه.

«اللّه لا إله إلا هو لا أعلمه ما هو ما أدركه كما هو»

احامد المحامد و محامد الأحامد للّه مصعد لوامع العلم و ملهم سواطع الالهام: مرصص أساس الكلم و موسس محكم الكلام. مرسل الكلام سهما سهما أصالح الحصص و أكامل‏

ص:118

السهام و محدر السور كلاما كلاما صالحا للمصالح و المهام، ملوح معالم الدرك و ملمح مدارك الأعلام، مصلح اسرار الصدور، و مطلح وساوس الأوهام، مطهر ألواح الأرواح و مصور صور الأرحام. محول أحوال الدهور و مدور أدوار الأعوام. محرك سلاسل الأسار و معطر دماء الارام. مطاوع عادل أمره السوام و الهوام. و مهلل حرم طهره الرمال و السلام.

اللهم صل و سلم رسولا مودودا محمدا محمودا إماما لكل إمام: ارسله اللّه ممهدا لصوالح الأوامر و الأحكام مصلحا للامم محددا لحدود الحلال و الحرام و اوحاه طرسا معلوما و لوحا مرسوما لاصلاح الكل، و إسعاد العام. حصار امره لامر ماصكه صواكم الاعدام. و سور حكمه الا حكم ما دكه صوادم الاهدام. حرم سدده مصمد الدعاء و مصمم الاحرام، و هو رسول و ما صار آدم مودما و ما وسوسه المارد اللوام، و هو سام و حام للعالم، و ما ولد سام و حام، و طاوعه الكل و ما ساد هود و ما عصاه عاد، و ما اطاحهم الصرصر و السهام.

اعلموا رهط روساء العلوم و العلماء الاعلام، أحرر مدلول الكلام كلام اللّه الملك العلام، و ارسم محصول ما اوله الكمل و حاوله الكرام. و احكم مادل سوره و مدلول دواله كمال الاحكام و الاحكام. و اسطر ما هو اصل المروم واس المرام. و لما طار اسم المحرر حوم الدهر و حام. و كساه الطالع ملحم العلم موسع الأكمام. و اراد اولو الكمال مراه و اراوع كلامه و رام. سدد المسطر و حرك المرسام. و اسال المداد كما هطل الركام. و صور كلمه عواطل مع روع مسرع و مسجل كهام. و إما لاكمل الكلم و اكرم الكلام. لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه و هو مدار الامر و ملاك الاسلام. و امل حاصلا ما صلا رسعا للآسام و سرع لسطره اسحارا و آصالا عدو العوام. و لاكماله كما هو مصور الصدر و ملهم السر ركع وصام. كل امره رأه إهمالا و لا إهمال له حار و هام. و ما وهطه إلا الحاسد العاصد و الآم. ما اوهطه إلا المطر المصر السمسام. ما وصمه إلا صداد العواور و حساد اللوام.

و الحسد لمسامع السداد كالسداد و الدسام. و سماعه لصدورهم كصم المداعس و مرط السهام. كلامه و كلامهم كالسلاسل و الرمام. و علمه و علمهم كالداماء و الرهام و اصمهم سوء و همهم كسد الصمام، و لا مسلك لهم. حال سماعه مآلا الا الارمام. و للّه در سطره صار طرسا طامسا لرسوم كل رسام. و دارسا لمراسم كل وصام ....

ص:119

ساطعه: محرر سواطع الالهام موم اسم والده الواطد لعدم الورود مصرحا و هو: أساس العلم و اصل الروع و مطلع الالهام و راس الرؤس و امام الكرام علا اسمه و مسماه .........

و اختتم هذه المقدمة البديعة بأشعار هي كذلك مهملة فارغة عن الحروف المنقوطة، و إليكم بعضها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألواح سحر أم طلسم مكرم‏ |  | لأسرار روح للسواطع ملهم‏ |
| لسحر حلال و السطوع طلسمه‏ |  | و ما هو سحر أو طلسم محرم‏ |
| صواح لأصل الأصل طرس مطهر |  | سواد لكل الكل طلس مطهم‏ |
| و ما العلم إلا و هو اصل لكله‏ |  | لاعلام أسماء العوالم آدم‏ |
| إمام همام للكلام ماول‏ |  | صلاح سداد للسلام مسلم‏ |
| مدار مراد للمدارك مطرح‏ |  | ملاك كلام للمعالم معلم‏ |
| كلام كمال للاكامل مسلك‏ |  | صراط سداد للاكارم أسلم‏ |
| مال كلام للمدارس أعود |  | دعاء سماء للصوامع محرم‏ |
| حسام سماح للمصارم اسطع‏ |  | لواء ولاء للمعارك احكم‏ |
| سماء سعود السر للروح مصعد |  | و دأماء أسرار السماء مطحرم‏ |
| دعاء حصار الحول و الطول موطد |  | عماد أساس الأمر و العدل محكم‏ |
| لإعلاء أعلام الصوالح أصلح‏ |  | لإدراء آلاء المكارم مكرم‏ |
| لبرسم اطلاح الوساوس مصلح‏ |  | لكلم سهمام الوهم و الصرع مرهم‏ |
| دواء سمو للوسام مطلّس‏ |  | كساء علو للكرام موسم‏ |
| لكحل عروس الحلم و الدرك مرود |  | لسطر سطور الروح و العمر مرسم‏ |
| لكأس حساء الصحو و السكر سكر |  | لسطح سماء العلم و الروع سلم‏ |
| مراصه ألماح وعاها مهلهل‏ |  | مصادر أرواح حماها مطلسم‏ |
| طوالع آصال لها السطح أكمل‏ |  | مطالع أسحار لها اللمع أدوم‏ |
|  |  |  |

ص:120

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لحوراء علو الطهر حال دلالها |  | لسمط و صدر أو سوار و معصم‏ |
| ألا هو للأرواع صرح ممرد |  | و ما هو للأوهام درع مردم‏ |
| سواطع إلهام مكارم سودد |  | مراحم إرسال هو اللّه أرحم‏ |
| عواطل أعراس حلاها دلالها |  | ملاح لها سدلا سدوس مسهم‏ |
| و ها كل لوح سطروه مكرما |  | ركام و دأماء السواطع أكرم‏ |
| و مدلولها المعهود مما أراده‏ |  | لكسر لهام الوهم طرا عرمرم‏ |
| و لو طار ملّاك الكلام مطاره‏ |  | لرد و ما كل الأعاور أعصم‏ |
| محرره اللّه در كلامه‏ |  | لأطلع سر اللّه للعلم عالم‏ |
| لأدركه كد و صدر موسع‏ |  | و أسعده همّ و ساد مصمم‏ |
| و أمهله العمر الطهور المسارع‏ |  | و ساعده الدهر الحصور المحصرم‏ |
| له هرول الأحلام لوعا و ولوا |  | له طأطأ الأعلام طوعا و طرسموا |
| لعمرك علم الكل مطموس علمه‏ |  | مآل أمور السرّ اللّه أعلم‏ |
|  |  |  |

و نرى أن نشير إلى حل بعض الألغاز التي وردت في هذه المقدمة.

1- أساس العلم، أصل الروع مطلع الالهام رأس الرؤوس، غمام الكرام، و يريد الواضع بهذه الكلمات المهملة اسم «مبارك» فان الميم اساس للعلم و الباء أساس للقلب الذي يرادف الروع و الألف محل طلوع كلمة إلهام و الراء راس للرؤوس. و الكاف إمام للكرام و هكذا يتكون اسم «مبارك».

2- مدلول الوالد و المكارم معه. و هو ليس بغامض بل يمكن أن يفهمه كل واحد، فان مدلول الوالد هو الأب و يضيفه إلى المكارم فتصبح أبو المكارم لا محالة.

3- الأمل الروع الولع الروح المكرر الروع المرح (بطر). فاذا أخذنا أوائل هذه الكلمات لوجدنا اسم أبو تراب.

4- الحال الطود (الجبل) الطول الصحو الروع (البال) السمو الحدس، فاذا أخذنا الوسط من هذه الكلمات لقرأنا اسم أبو حامد.

ص:121

[[12]](#footnote-12)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص121**

5- الطاء، الروع (القلب) الهدوء الأمر الطس المرسوم، الراى، الأمد، فاذا رتبنا أواخر هذه الكلمات لرسمنا كلمة ابو راشد.

و لا أرى من الحاجة في شئ إلى أن أقول أن المؤلف يختار كلمات رائعة عند التعبير عن أسماء اخوته، و هم أبو تراب، أبو حامد و أبو راشد. و يشير المؤلف إلى أعمارهم أيضا، فان الأسبق هو الأكبر، و أعجب منه أنه اختار للسابق أوائل الكلمات و للمتوسط أواسطها و اللاحق أواخرها.

و معلوم أن المسلمين في الهند كانوا و لا يزالون يهتمون باللغة العربية كلغتهم الدينية، و مع أن اللغة الفارسية أصبحت مرة لغة رسمية للبلاد، إلا أن حبهم و شغفهم للعلوم العربية ما زال كما كان، و ما برحوا عاكفين على دراسة كتاب اللّه العزيز، و مع ذلك كان منهم من نبغ في اللغة و الأدب، و ولع بهما ولعا بالغا، و منهم من كرس حياته للنحو و الصرف و منهم من اعتنى بالشرح و التأويل، و يسرنا أنه كان- و لا يزال- من بينهم من جمع بين الأدب و الدين و اللغة و الفلسفة و أثبت بأن الهنود لهم اليد الطولى في الانشاء و الفهم، و لعلنا لا نبالغ أن مولفنا هذا كان منهم.

فلما انتهى المؤلف من ذكر حاله و ملكه. بدأ بذكر ما يحتاج إليه دارس للقرآن الكريم من مبادئ و اسس تفسيرية، و لا شك أنه أجاد في شرح هذه المعاني. و نكتب فيما يلى بعضها.

السواطع اللوامع لعلوم كلام اللّه العلام و أسراره الصوالح لصدر المرام.

ساطعه، أصل المراد و أس المرام هو اللّه وحده و له رسل ارسلهم، لاصلاح العالم و هم موصلو المراد لا حصر لاعدادهم أولهم آدم و أمدهم و حماداهم محمد صلعم و للّه طروس و ألواح أرسلها للرسل للحكم و المصالح كلها كلام اللّه أرسل لآدم ألواحا و لمحمد رسوله صلعم طرسا.

ساطعه، علم كلام اللّه لا ساحل له، و طود لا مسلك له و كل واحد أراد وصوله و ما وصل أمده و رام سلوك دركه و ما أدرك حده.

ساطعه، الماول هو العالم لعلم مدلول كلام اللّه، و هو إعلام ما أراده اللّه و إما لامام‏

ص:122

و وراء سهما اسطاع و هو أكرم العلوم كلها لحصول علو العلم معلومه أكرم كل معلوم.

ساطعه، للماول روم المدلول لدوال كلام اللّه عما ورد محلا سواه ما اسطاع، و الارام كلام رسول اللّه صلعم، و الاعاد و صمد كلام الرحماء لما لهم علم كامل و عمل صالح.

ساطعه، أما علوم كلام اللّه 1- علم ما وحده و هو علم الماسور كله، و علم أسره و مصوره مع الأسماء 2- علم ما وعد و اوعد و ادكار دار السلام و دار الألام 3- علم الأحكام و هو الأمر و الردع و ما سواهما و للمحه سموا الحمد للّه أم كلام اللّه لما عم صروع مدلوله، و هولاء أصول كلام اللّه المرسل.

ساطعه، أصل الارسال الهام اللّه كلامه، و إعلامه للملك مصاعد السماء و هو عال مما حل المحل و الملك أداه للرسول (ص) و ورد هو سماع كلام دال معلم عما هو أصل كلام اللّه.

ساطعه، الرسول صلعم صار كالملك و سمع كلاما أورده الملك أو الملك صار كأحد ولد آدم و أداه للرسول صلعم و هما مسلكا الارسال و الأول أعسر.

ساطعه، المرسل إما هو الكلام و مدلوله. و هو كلام اللّه الرسل المرسوم طرسا واحدا و و إما المدلول لا الكلم و هو كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلّم) كله.

ساطعه، لكلام اللّه موارد و مراسل كام رحم و ما حولها و مصر رسول اللّه صلعم و ما حوله كاحد و سلع و الصرط و المسالك و المراحل و المرامك و مصاعد السماء و الهواء حال صعوده و حدوره صلعم آصالا و اسحارا و حرا و صردا.

و يبدأ المؤلف بعد ذلك كله في تفسير القرآن الكريم و هذا نموذج من تفسير (الفاتحة) المباركة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

الاسم أصله سمو، كعلم و مصدره السمو، و هو العلو واحد الاسماء. و ورد أسم وسم أو وسم، و أسمه اعلمه، و الموسم المعلم و الاسم العلم. و الأول أصح لعدم ورود الاوسام مكسرا و عامله أصدر، و الاسم إما مسماه ما سواه أو هو مسماه لا ما سواه أو مسماه لا

ص:123

هو و لا سواه. و لكل واحد اصل و أهل الرسم طولوا أولها اعلاما لما هو المطروح أو اكراما لصدر كلام اللّه الاحكم الاكمل. اللّه: اصله الا له و هو المالوه أو هو مصدر اله مكسور اللام و لوها و ولها حار، و الاصل ولاه اعل واوه كما عل او وعاء حل محل الاسم كعدل و ورد اصله مصدر اله كسمع اولع و العالم كله مولع له. و ورد اله حار او ركد او عال، و الهه رعاءه و لاح لمها واحد أو احد و ورد أصله لاه مصدر هو العلو و ورد اصله هاء و صلوها لام الملك، و اللام للعهد و هو الاله المعهود و المولود المحمود، و ورد هو علم لا اصل له و لا مصدر له كمسماه و هو اصل الكل و مصدره، و هو اصح ما اوردوه. الرحمن الرحيم: مصدرهما الرحم و هو روم صلاح الامر لاهله و مدلولهما و ساع الرحم، راحم الكل احاط الصور و الاسرار مراحمه، و عم الالواح و الارواح مكارمه، و الاول اعم مدلولا، صدره لما صار كالعلم للّه. و الحمد و هو معكوس المدح. و ما هو الا للعطاء و مورد الحمد هو المسحل وحده، أصله احمد او احمدوا حمدا و عدوله للدوام، و لامه للعهد و المراد هو الحمد الكامل و هو حمد اللّه للّه أو حمد الرسل أو كمل أهل الولاء أو للعموم، و حاصله المحامد كلها للّه و هو المحمود اصلا و الممدوح عدلا. و رووا الحمد للّه مكسور الدال مطاوعا للام، و رووا و اللام مطاوعا للدال عكسا للاول. رب العالمين: مكمل العوالم و مصلح الكل طورا طورا و مالكهم أو ملكهم و هو مصدر مدلوله اكمال الامر مرارا و صار اسما للّه اطراء كالعدل. و العالم اسم لما اسره اللّه و علم لكل ما سواه و ورد هو عالم الملك، و أصله العلم او العلم. الرحمن الرحيم: مر مدلولهما، اعادهم اعلاء لكمال مراحمه. ملك ملك الامور كلها و ما سواه مملوكه و ما سوره و محكومه، و اصله الملك مكسورا رواه عاصم، و رووا ملك و هو الاصح لما ورد كل ملك مالك و لا عكس، و كل مالك مامور ملك لا عكسه، و ملك كحكم، و ملك كعدل و مالكا مدحا او حالا و مالك و ملك محمولا لمطروح و ملك مدحا و هو الملك المالك له الملك و الامر و الحكم و العدل. يوم الدين: و هو الموعود المحدود، و المعاد لاهل الصلاح و الطلاح، و المال لكل و لاحد اطاع اللّه او عصاه، صرحه لاكرامه و اعلاء حاله اول ما لا ملك و لا مالك له احد الا اللّه و الملوك اولوا الامر كلهم معطلوا اوامرهم و احكامهم. اياك لا ما سواك لعبد طوعا لا كرها كما هو مامودك و مرارك و هو حصر لكمال الطوع و الهكوع، امال الكلام و عدل عما هو المسلوك لسرور

ص:124

السامع و ورح المسامح، و هو اطراء لا داء المرام، و وروه مكسور الاول. و اياك لا ما عاداك كرره امحا و لوهم عدم الحصر. نستعين: حال اداء اوامرك و طرح محارمك و مكارهك و ما لاحد مسؤل لمصالح الامور و صوالح الاعمال الا عولك و اسعادك حالا و مالا و رووه مكسور الاول كالاول و هم لما راموا الاسعاد لعل اللّه سالهم ما مرومكم و مما أسعدكم سالوه. اهدنا سوال للاسلاك و دعاء لوصول الأصل، ارادوا اكمالها و دوامها أو راموها مالا كما حصلوها حالا. الصراط المستقيم. اسواء ممر اهل الولاء و مسلك مكارم اهل اللّه و هو الاسلام الكامل او كلام اللّه و اوامره و احكامه او صراط دار السلام او هو عام، و للّه صرط لا احصاء لها واصله السراط صار اوله صادا و إما للطاء و سماه سراط لما هو سارط لسالكه كما سرط احدكم الطعام. صراط الملاء الذين انعمت عليهم و هو الرسل أو اهل الاسلام كلهم أو الملك، اعاد الصراط و كرر العالمل حكما لما اكد و اعلم الصراط السواء هو صراط اهل الاسلام لا سواه. غير المغضوب عليهم. المروم اصرهم او الملوم عملهم عموما او هم الهود. و لا الضآلين: هم ما سلكوا مسالك هداه، و هم اهل الاعمال السوداء كلهم أو رهط روح اللّه و اما المروم صراطهم هم رهط و الاهم اللّه ولاء كاملا و وصل لهم آلاؤه و هم سلموا مما حردهم و ما هم اهل الصدود و العدول عمدا.

آمين ممدوا و الاصل لا مد له و هو اسم لا سمع و المراد اللهم امسع الدعاء. أو هو اسم اللّه علمه الملك رسول اللّه صلعم حمادها و ما هواه الامام اورد امد الكلام اكمالا للمدعو.

و إليكم بعض ما فسر به المؤلف من سور قصيرة:

سورة الكوثر. موردها أم الرحم محصول اصول مدلولها اعداد آلاء اعطاه اللّه لا كرم الرسل محمد صلعم و الامر له لما صلاه و لسحط الداعر و اعلام العلاك الاعداء له.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) لما رحل ولد رسول اللّه صلعم و أدركه السام و سمعه العاص و وصمه صلعم و كلم و هو عسور لا ولد له، لو ادركه الساتم و هلك حسم اسمه صلعم ارسل اللّه. انا أعطينك الكوثر. العطاء الكامل علما و عملا او المورد الامرء ماء و احمد هواء ورد ماءه المدام و هو مورد رسول اللّه صلعم اعطاه. اللّه له صلعم كرما أو المراد الاولاد او علماء الاسلام او كلام اللّه المرسل. فصل دواما لربك اللّه لا لما سواه كما هو عمل مرء مراء عمدا لا سهوا. و انحر و اسدح للّه و اعطه اهل السؤال و هو عكس الكلام‏

ص:125

الأول المصرح لا حوال أهل السهو و الصد و اعمالهم. إن شانئك عدوك- هو الابتر.

المعدم لا ولج له و ادام اللّه اولادك و مراسم اوامرك و مكارم عصرك و محامد اسمك.

سورة الاخلاص- موردها أم الرحم و محصول أصول مدلولها اعلام وجود اللّه الاحد الصمد و اعلاء علوه مما ولد و ولد و سموه عما عادله احد و ساهمه.

بسم اللّه الرحمن الرحيم. لما سال الحمس رسول اللّه صلعم و ارادوا اعلاء محامد اللّه ارسل اللّه قل محمد هو اللّه احد. واحد لا مساهم له و لا اله سواه اصله وحد و رووا هو اللّه الواحد و وروا احد. اللّه موصولا الصمد. المصمود المعمود امالا و اعمالا لكل ما عداه و هو المالك الحاكم لما اراد و لا مرد لحكمه و لا ردا لامره. لم يلد احدا و هو رد للهود. و لم يولد ما هو ولدا مولودا لا حد و معلوم كل احد لكل مولود اول و لا اول له. و هو رد لرهط روح اللّه. و لم يكن له للّه كفوا مساهما معادلا و هو حال او محمول. أحد. حالا و مآلا و هو رد لاهل عدول وهموا الها مساهما له عملا و امرا علا اسمه و مسماه عما هو مدرك الاوهام و ورد هو عدل لكلام اللّه كله و مدلوله ملاك كل موحد.

و لعلنا لا نرى حاجة بعد ما قلنا و كتبنا إلى أن نقول أن كتابه من حيث النقد الفنى يدل على نبوغ المؤلف في الأدب وسعة نظره في اللغة، إلا أنّ الالتزام الغريب حتم على المؤلف ايجازا مخلا أو شرحا مملا، فان جلّ همّه عند كتابته كان ان يتفادى الكلمات المنقوطة و يتحاشى كل اسم و فعل منقوط، فاضطر إلى ايراد الغرائب أو الى ايجاز أصبح أعقد من المتن أو الى شرح مطنب يملّه القارى.

و من ميزات المؤلف أنه يحاول أن لا يترك شيئا من معانى القرآن إلا و يفسره و يشرحه، و لا يحفل في ذلك بما يكبل قلمه من الالتزام الغريب المستحق الثناء.

أبو الفضل الناكوري (958- 1011 ه/ 1551- 1602 م)

الشيخ ابو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري، كتب صاحب النزهة في وصفه:

ص:126

الشيخ العالم الكبير العلامة، اعلم وزراء الدولة التيمورية و أكبرهم في الحدس و الفراسة و إصابة الرأي و سلامة الفكر و حلاوة المنطق و البراعة في الإنشاء.

ولد ليلة الأحد سادس شهر المحرم سنة ثمان و خمسين و تسعمائة و كان أبوه المبارك قد فتح له أبواب خزائن العلم منذ نعومة أظفاره، فتعلم الخط و الحساب و الإنشاء و اشتغل بالعلم، و قرأ أياما في العربية على صنوه الكبير أبي الفيض بن المبارك و على أبيه، و فرغ من تحصيل العلوم المتعارفة في الخامسة عشر من سنه، ثم أقبل على العلوم الحكمية إقبالا كليا، و استفاد بعض الفنون عن الشيخ حسن على الموصلى، و درس و أفاد نحو عشر سنين حتى فاق فيه أهله المنسوبين إليه، و دعاه السلطان أكبر بن همايون التيمورى بمدينة أكبر آباد مع والده، فادركه في حدود سنة إحدى و ثمانين و تسعمائة مرة أولى، و أهدى إليه كتابه في تفسير آية الكرسي، ثم أدركه في حدود سنة اثنتين و ثمانين مرة أخرى، و أهدى إليه كتابه في تفسير سورة الفتح فاستحسنه السلطان و قربه إلى نفسه، فتدرج إلى نهاية القرب حتى نال الوزارة الجليلة.

كان من الطبيعي أن يجد مثل هذا العالم الترحيب و الرعاية عند سلطان شغوف بالدرس و التحصيل بدوره مثل جلال الدين أكبر حين قدموه إليه عام 981 ه- 1574 م. و في هذا يقول أبو الفضل في كتابه أكبر نامه الذي ضمنه تاريخ التيموريين:

«لقد زاد كثرة تلاميذي من الغرور في نفسي، و دفع بي الإمعان في الدرس و التحصيل إلى طلب العزلة. و لكم كنت أشعر بالسعادة و الرضا و أنا أقضي الليالي منفردا بطلاب الحق و الباحثين عن الحقيقة المجردة بما يعمر ذهني و يشرح صدري، لتتفتح من بعد ذلك عيني على مدى الأنانية و الجشع الذي يكمن في نفوس من يدعون العلم و المعرفة. و لكم كنت أشتاق للوقوف على الحكمة عند المغول و دروز لبنان أو مناظرة لا مات التبت و قساوسة البرتغال و الاستماع إلى كهنة البارسيين و حملة الأبستاق. و لقد ضقت ذرعا بعلماء بلادي حتى نصحني أخي و بعض أقاربي آخر الأمر بأن ألتحق بالبلاط، و قد أملوا بذلك أن أجد عند السلطان الهداية مثل الفكر السنية. و لئن كنت قد عارضتهم في ذلك أول الأمر إلا أني وجدت، لحسن طالعي، من بعد ذلك، في السلطان خير رائد و مرشد لي في دنيا الواقع مما بعث السكينة في نفسي و أشاع الطمأنينة في وجداني. ففيه اجتمع لي‏

ص:127

شوقي للتحصن بالإيمان و تحقق أملي في أن أقوم بالدور الذي قدر لي القيام به في دنياي.

فهو المشرق الذي تبزغ منه أنوار الإبداع و المثل، و هو الذي علمني أن العمل الدنيوي، على تعدده و تنوعه، لا يتعارض مع جوهر الحقيقة».

قد رماه صاحبه عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني (بغضا و حسدا) بالإلحاد و الزندقة و قال في المنتخب: إنه دسّ في قلب السلطان أشياء منكرة، و رغبه عن الملة السمحة البيضاء- (كذا). و لا بد ان هذا الاتهام صدر عن البدايوني بعد أن أحتل الشيخ مبارك الناكوري و أولاده المكانة اللائقة بهما في بلاط أكبر و بعد أن ظهر تشيّع الامبراطور اكبر و توضحّ تشيع المبارك و أسرته للعيان، جاء في كتاب دانشوران ناصري:

«و من أمعان النظر الدقيق و أعمال الفكر العميق يعلم أن الشيخ مبارك و الشيخ أبو الفضل كان كل منهما باطنا شيعي المذهب امامي المشرب و من هذه الجهة كان علماء و رؤساء المخالفين لهما في المذهب يعادونها عدواة قبيحة و الشيخ أبو الفضل في وقت رياسته العظمى سعى في تفريق كلمة هؤلاء الجماعة و السلطان أكبر شاه قصر أيدي المتعصبين عن الخلق».

و قد فصل السيد غلام حسين الطباطبائي قصة اولئك المتعصبين مع اسرة آل المبارك على النحو التالي:

ان الشيخ عبد اللّه ابن الشيخ شمس الدين السلطانبوري الذي كان يلقب في عهد شير شاه بصدر الاسلام و في زمان همايون بشيخ الإسلام و في وقت أكبر بمخدوم الملك كان طالبا للجاه غاية الطلب متعصبا محبا للدنيا كما ذكره الشيخ عبد القادر البدايوني في كتابه مع اتحاد المذهب فيهما و المناسبة التامة في العمل و الطبيعة. و لما مات مخدوم الملك و كان بينه و بين السلطان منافرة ظهرت له خزائن و دفائن كثيرة منها عدة صناديق فيها قطع من الذهب بشكل اللبن كان قد دفنها في المقبرة فأخرجت و أدخلت مع كتبه إلى الخزانة العامرة السلطانية. و الشيخ عبد النبي الصدر كذلك كان رجلا متعصبا طالبا للجاه و هو من أولاد أبي حنيفة الكوفي و في أوائل عهد اكبر وصل أقتداره الى حد أنه كان أحد وزراء الملك يقدم له نعله و الافاغنة يحبونه كثيرا و أكبر كان صغير السن جدا و جاءته السلطنة في‏

ص:128

الطفولية و كانت عامة الدعاوى و أكثر أمور السلطنة تدبر برأي هذين الرجلين بمقتضى حب الجاه و النفس و شدة التعصب كلما رأوا رجلا هو محل التفات السلطان و السلطان يميل إلى مشربه و مسلكه يتوسلان الى قتله بكل حيلة باسم حماية الشرع و حراسة الاسلام و لا يدعان أحدا يرفع رأسه كما أن الشيخ أبو الفضل و أبوه الشيخ مبارك و أخوه الشيخ فيضى وقعوا في بلية هذين الرجلين و بالتأييد الإلهي نجوا من هذا البلاء و وصلوا الى أوج العزة و الاختصاص و وصل الحال إلى أن خلقا كثيرا يفوقون حد الحصر قتلوا بغير حق بسعي أولئك الفساق. و الذي يستفاد من مجموع الحكايات و تقريرات نقلة اخبار ذلك العصر ان كلا هذين القدوتين كانوا في الظاهر في نهاية التعصب و التصلب للدين لكن لمجرد حب الجاه و النفس و اتباع الهوى، و لم تصل الى مشام روحهم رائحة الإيمان لا هم و لا أتباعهم كالشيخ عبد القادر البدايوني و غيره، و من شدة تعصبهم أصدر احدهم مخدوم الملك على ما ذكره الشيخ عبد القادر البدايوني فتوى عجيبة و هي: أن الذهاب الى الحج في أيام الحج غير واجب حيث انه سأل فاخبرا: أن طريق الحج منحصر إما في طريق العراق أو طريق البحر و طريق العراق يسمع فيه كلام غير ملائم من القزلباشية «و يقصدون الشيعة» و طريق البحر يلزم أن يؤخذ فيه جواز من الافرنج و هذا الجواز قد صوروا فيه صورة مريم و عيسى عليهما السلام و انه إلاه فاذا السفر على كلا الطريقين ممنوع.

و البدايوني عند ترجمة أحوال نفسه يقول إن الشيخ مبارك و ان كان له على حق عظيم من جهة انه استاذي لكن حيث انه و أولاده مغالون في الانحراف عن المذهب الحنفي لم تبق له علي حجة و أيضا لجلب تأييد مدعاه نقل عن مخدوم الملك أنه كان كلما رأى الشيخ أبا الفضل في أوائل عهد أكبر شاه يذمه و يذم أباه الشيخ مبارك و يقدح فيهما.

قالوا و بسبب هذين الشخصين المرائيين المحبين للدنيا اريقت دماء كثيرين من عباد اللّه لا سيما على التشيع و وصل التعصب في العوام الى حد انه في اوائل سنة 23 في سلطنة أكبر كان رجل من أرباب المناصب اسمه فولاد يرلاس و كان رجل يسمى الملا أحمد شيعي المذهب فللعداوة المذهبية استدعاه ليلا من منزله و ضربه بخنجر، و كان أكبر شاه في تلك الأيام قد خرج من قيد العصبية، فأمر أن يربط برلاس في بلدة لاهور حتى هلك و توفي الملا أحمد المجروح بعد وفاة قاتله بثلاثة أيام و بعد دفن الملا أحمد أقام الشيخ فيضي و أخوه‏

ص:129

الشيخ أبو الفضل حرّاسا على قبره خوفا من أن ينبش و مع هذا الاهتمام فإن أهل لاهو بعد سفر عسكر أكبر شاه الى كشمير نبشوا قبره و أخرجوا جثته و أحرقوها و حيث ان مؤتمن الدولة الشيخ أبو الفضل صار في أعلى مراتب القرب عند أكبر شاه و علامة الزمان الحكيم فتح اللّه الشيرازي و آخرين من علماء و أمراء العراق و شيراز جاؤوا بكثرة إلى ديار أكبر شاه اتفق الشيخ أبو الفضل مع العلامة المذكور و آخرون من العلماء على طريق واحد و كلمة واحدة لتدارك الشدة و اراقة الدماء من قبل أولئك المتعصبين المعاندين المذكورين و تحزموا لذلك بحزام هممهم المحكم فوجدوا السلطان نفسه قد رجع عن مذهبه و رأى أن المذهب الذي هو عليه و البناء الذي أحكمه من مدة طويلة يؤدي الى فناء الخلق فلم يجد بدا من الخروج عن قيد التعصب و خلص عباد اللّه من مخالب اولئك و أتباعهم و أبدل الشدة بالرخاء و اطلع شيئا فشيئا على خبث نيات أولئك و حبهم لجمع المال و طلب الجاه.

و لما دخلت السنة الرابعة و العشرون من جلوسه جرى يوما في مجلسه حديث بين القضاة و العلماء في المسائل المختلف فيها بين المجتهدين و انجز الكلام الى أن السلطان هل يمكن ان يجتهد في بعض الأمور؟ فكتب الشيخ مبارك والد معتمد الدولة الشيخ أبو الفضل الذي كان أعلم علماء زمانه حسب الأمر تذكرة بهذا الخصوص و ختمها بخاتمة و حاصلها أنه بعد التأمل و امعان النظر في معنى الآية الكريمة (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) و أحاديث واردة في ذلك فقد حكمنا بأن مرتبة السلطان العادل عند اللّه تعالى أعلى من مرتبة المجتهدين لأن نص آية أولي الأمر يؤيد وجوب اطاعة السلاطين و موافقتهم على رأيهم لا معاضدة المجتهدين و السلطان أعدل و أفضل و أعلم باللّه تعالى فإذا وقع الاختلاف في مسائل الدين بين العلماء و اختار السلطان أحد القولين لأجل تسهيل معاش بني آدم و صلاح حال أهل العالم فحكم به وجبت اطاعته على كافة الأنام و أيضا إذا حكم بحسب اجتهاده بحكم لا يخالف النص لأجل المصلحة العامة فمخالفة هذا الحكم موجبة للسخط الإلهي و العذاب الأخروي و الخسران الديني و الدنيوي و ختم الجميع هذه التذكرة بخواتيمهم و بعد هذا أحضر مخدوم الملك و عبد النبي الصدر و أمرهما بختمها و أمضائها بخطهما فختماها و أمضياها بخطهما طوعا أو كرها و كان ذلك في شهر رجب سنة 987 من الهجرة المقدسة فلما كتب هذا المحضر شرع السلطان في اجراء ما يصلح‏

ص:130

العباد شيئا فشيئا فأمر مخدوم الملك و الشيخ عبد النبي بالسفر إلى الحج و عين العلماء المتعصبين قضاة في الأمكنة البعيدة و بهذا التدبير استراح الخلق من أضرار الأشرار و تفرغوا لأمور معاشهم و معادهم فإن السلطان يلزم أن لا يكون متعصبا و يلزم أن تكون الرعايا في ظله سواء فلما وصل مخدوم الملك الى مكة المكرمة كان ابن حجر صاحب الصواعق المحرقة حيا موجودا في مكة و باعتبار تناسبه مع مخدوم الملك في التعصب استقبله و احترمه كثيرا و فتح له باب الكعبة و كان ذلك قبل أيام الحج و باع مخدوم الملك شعيره باسم الحنطة فإنه كان في الصورة من أهل الدين و في الحقيقة من طلاب الدنيا فأخذ في ذم السلطان و الأمراء في المجالس و المحافل بسبب ما ناله حتى نسبهم الى الارتداد عن الدين و الرغبة في الكفر فوصل ذلك الى مسامع السلطان و الشيخ عبد النبي لما سمع بخبر بغي محمد حكيم ميرزا أخي السلطان أكبر شاه و فتحه مدينة لاهور عزم هو و مخدوم الملك على الرجوع الى الهند طمعا في الرياسة و حبا للجاه فعادا إليها و وصلا الى أحمد آباد كجرات فوجدا أن اكبر شاه بتمام الاقتدار فخافاه على أنفسهما و كان بعض نساء السلطان قد ذهبن الى الحج في تلك السنة و عدن منه و وصلن أحمد آباد فتوسلا بهن ليشفعن لهما عند السلطان ففعلن و لما كان السلطان غاضبا عليهما أشد الغضب لسوء أفعالهما أظهر لنسائه أنه قبل شفاعتهن و أرسل بعض رجاله خفية للقبض عليهما ففعلوا فتوفي مخدوم الملك في الطريق فحمل محبوه نعشه خفية و دفنوه و استخرج السلطان من داره أموالا عظيمة و حملها الى خزانته. و أما الشيخ عبد النبي فبعد وروده حول الى الشيخ أبو الفضل لمحاسبته فتوفي بهذه الأثناء و للعداوة التي بينه و بين الشيخ أبو الفضل أتهم بقتله و بقي الحال على هذا و الناس في أمان و راحة من التعصب على عهد جهانكير و في عهده شرع التعصب المذهبي في الظهور و اشتد في عهد عالمكير (اورنك زيب)، هذا باختصار ما ذكره أحد المؤرخين الشيعة صاحب (سير المتأخرين)، و هذا المؤلف من المؤرخين المنصفين المعروفين بتراهتهم لكننا ما تقديرنا لما كتبه عن حادثة ابعاد علماء البلاط المغولي، نريد أن نستطلع رأي الجانب الآخر من طرفي الصراع، لا سيما اذا كان هذا المتحدث، و عن هذه القضية بالذات أحد شيوخ التعصب ضد الشيعة في هذا العصر و هو (أبو الحسن الندوي) و ممن يكفر الشيخ مبارك و أولاده و ينسبهم إلى الالحاد و الزندقة مع اعترافه بأنهم كما يقول‏

ص:131

أفضل و أعقل و أرقى نتاج للمناهج الدراسية المطبقة في ذلك العصر، و اسلوب البحث و التحقيق و التدريس، و العلوم و الثقافات المفضلة السائدة في عصرهم، و لو كانوا قد جمعوا الى هذا الادراك الدقيق، و العقلية النابغة و القريحة الفياضة و القلم السيال و اللسان الذرب الطليق- استقامة في الدين، و رسوخا في الايمان ... لكان لهم دور أي دور، و قاموا بمآثر جليلة .. الى آخر ما كتبه في كتابه عن السرهندي ص 82 و الاستقامة و الرسوخ في الايمان اللذان شكك فيها الندوي كونهما من اتباع أهل البيت عليهم السلام الذين يدعي الندوي الانتساب اليهم!، لأنّ الجنة خلقت له و لإمثاله بس و هس و لس، و لهذا يستخدم اسلوب اللعن و التكفير كلما عنّ له ذكر أحد الموالين لأهل البيت أو الآخذين من بحر علومهم و فكرهم و هذا الداء المزمن في فكر الندوي و امثاله فرّق المسلمين و شتتهم و آذن للناصبة ان تنجم بقرونها على من أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و للكلام الذي نقلناه اشباه كثيرة فيما ورد في كتابات الندوي و كم اتى هذا الناصبي فيها من آراء تتجافى مع خلق العلماء و يتنافى مع الاسلام. فهو حين يتحدث عن فيروز تغلق (752- 790) يتباهى بان هذا الملك اضطهد الشيعة و شتمهم في كتابه (فتوحات فيروز شاهي) فهو ينقل عنه قوله مؤيدا له في هذا القول: «شرعت الروافض في نشر عقائدها الباطلة و دعوة الناس إليها و استعانوا في مهمتهم الواهية هذه بتأليف كتب و رسائل» إلى أن يقول فيروز تغلق «فاخذناهم باعمالهم المنكرة و عاقبناهم عقابا و أمرنا باحراق كتبهم على مرأى من الناس و مسمع حتى انعدمت هذه الطائفة عن بكرة أبيها».

و يعلق الندوي على ذلك قائلا:

«تبين من هذا ان الشيعة كان قد نجم قرنها في الهند في المائة الثانية للهجرة او قبلها، على انها ما انبتت و ازدهرت و اصبح لها صوت مسموع في المجتمع الاسلامي إلّا في عصر همايون (936- 963) ه و بعده».

و يقول الندوي بعد ذلك في مكان آخر: «مات الملك (اكبر) و تولّي ولده سليم و تلقب بنور الدين جهان كير. فاقتفى اثر ابيه و حذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلة. في عصره بان تطاولت الشيعة باعناقها و تطلعت إلى تسلم زمام الامر و النهي في الملك‏

ص:132

لمكانة حظيته نور جهان من قلبه، حتى ان كبير دعاة الرفض، نور اللّه الشوشتري (1019 ه/ 1610 م) عيّن رئيس للقضاة» ثم يعلق في الحاشية عند ذكر نور جهان: «يقال أنها هي التي كانت تسيّر دفة الحكم و قسوس البلاد و جهان كير غارق في بحار الملذات، و كانت شيعية ذات جمال بارع و ذكاء مدهش توفيت سنة 1056 ه/ 1645 م.

و لا ندري كيف يبيح الندوي لنفسه ان يسمى الزوجة (حظية) فنور جهان كانت زوجة جهان كير. و مع كل ما يظهره الندوي من التعصب فان اللّه سبحانه يظهر على فلتات لسانه الكثير من الحق ما يدعم به موقفنا و موقف صاحب (سير المتأخرين) إتجاه علماء البلاط الذين مرّ ذكرهم ممن اساءوا الى الاسلام في تصرفاتهم الهوجاء و وجهوا سهام حقدهم و ظلمهم للشيخ المبارك و اولاده و قبل ان يذكر الندوي رأيه في مشايخه الافذاذ يستطرد بنقل تلك الحادثة التي ادّت إلى ابعادهم معتمدا على معاصرهم المؤرخ البدايوني [في كتابه منتخب التواريخ 2: 202- 203، 205]، و الذي صور علماء البلاط بريشته البارعة (كما يقول) هذا التصوير المثير:

كان (الامبراطور اكبر) يدعو العلماء و المشايخ، و الأشراف و الأمراء كل ليلة جمعة إلى مصلاه فكان العلماء و المشايخ يتسابقون إلى المقاعد، و يتنافسون في الحصول على مكان أقرب إلى السلطان، فعالج السلطان هذه المشكلة، فأمر الأمراء بالجلوس في الجانب الشرقي، و الأشراف في الجانب الغربي، و العلماء في الجانب الجنوبي، و المشايخ في الجانب الشمالي، و كان السلطان يخرج عليهم في حلقة من خاصته فيبحث معهم المسائل و يتحقق فيها».

و يقول البدايوني: إن العلماء- ذات ليلة- بدأوا يرفعون أصواتهم في الجدال و المباحثة، فتكدر خاطر الملك، و اعتبر منهم ذلك سوء أدب، و تنافسا في الدنيا، و يقول:

«كادوا يتقاتلون بأسنّة اللسان، و بلغ التفرق و الاختلاف بينهم حتى جعل بعضهم يكفر بعضا، و يضلل بعضهم بعضا، و انتفخت أوداجهم و ارتفعت أصواتهم، و كدر ذلك صفو خاطر السلطان».

و خاطب الملك الشيخ عبد القادر في غضب و تألم و تكدر بال، و قال: «أي عالم يخالف آداب المجالس، أخرجوه من هناك».

ص:133

و كان الشيخ عبد اللّه السلطانفوري يحتل مكانة كبيرة في كبار أصحاب المناصب الدينية و كان لقبه و منصبه «مخدوم الملك» فأصدر فتوى عدم فرضية الحج على مسلمي الهند لحيلولة البحر، و عدم تحقق شرط من استطاع إليه سبيلا «حتى لا يتجشم هو مشاق السفر في الحج، و كان يستخدم الحيل «الشرعية»[[13]](#footnote-13)، في إسقاط فريضة الزكاة، و يتخلص من أدائها كل عام، و قد اقتنى في عهد الملك أكبر و في أوج و جاهته و شهرته أموالا طائلة، حتى عثر على عدد من الصناديق المملوءة ذهبا في المقبرة الخاصة بآبائه، و كان قد دفنها بحيلته و شطارته مع دفن الموتى‏[[14]](#footnote-14).

و كان يلي مخدوم الملك في المنزلة و الوجاهة عند السلطان، و نفوذ الكلمة في البلاد «صدر الصدور» الشيخ عبد النبي، الذي كان يعد أكبر عالم في الهند، و من أهل الاختصاص في فن الحديث، و لكن تفيد بعض التصريحات الواردة في «منتخب التواريخ» أنه لم يكن عالي الكعب، راسخ القدم في العلم، و كان يجهل بعض الألفاظ العربية و لا يعرف صحتها من خطئها، و لم يقف على التحقيق فيها[[15]](#footnote-15)، سلم إليه الملك أكبر منصب «صدر الصدور» و نال من الإجلال و الاحترام، و عظمة المكان و الجاه و السلطان، بحيث لم يكن لأي ركن من أركان الدولة أن يتقدم عليه، و يتفوه لديه، و قد قدم إليه الملك نعليه أدبا و تواضعا عدة مرات، و كان كبار العلماء و الأعيان ينتظرون ساعات طويلة على بابه ليؤذن لهم بالدخول عليه، و كان بيده إجراء رواتب العلماء و المشايخ و شيوخ الطرق، و إعطاؤهم الأملاك، و إقطاعهم الأراضي، و ضرب في ذلك أمثلة رائعة للأريحية و السخاء، و العطاء الكثير، مما لا يوجد له في الحكومات السابقة نظير.

و لكن العلامة عبد القادر- الذي كان صديقه و معاصره و زميله في علماء البلاط-

ص:134

يصرح بأنه كان عاطلا عن الأخلاق الرفيعة، و تقاليد أسرته و خصائصها الطيبة، بل عن الثقافة العامة، و تقدير الظروف و المناسبات، و يمكن أن يكون هذا التغير في سجاياه نتيجة هذا المنصب السامي، فكان تأثير هذه الأخلاق المتجلية فيه على الملك و أركان البلاط تأثيرا سيئا، و يتهمه العلامة عبد القادر باستغلال سلطته و نفوذه، و استخدام منصبه في الأغراض الشخصية، يقول:

«إنه اضطر الإقطاعيين الدينيين في طول الهند و عرضها أن يترددوا إليه، و ينتظروا فتح الباب لهم حتى لم يجد الوافدون عليه من هؤلاء الإقطاعيين بدا من أن يعطوا الرشوة لنواب الشيخ، و كنّاسيه و حجابه، و سوّاق أفياله و منظفي حماماته، فما كانت تنجز الأعمال إلّا عن طريق هذه الرشوة».

كان لا يراعي الحال و لا يأخذ بالحكمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الحسبة الدينية، حتى كان يواجه الملك أحيانا- بما لا يليق بشأنه و يعتبر من الخرق و إساءة الأدب، كما جاء في «مآثر الأمراء»:

«إن العلماء و المشايخ و الأمراء كانوا يهنئون الملك بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاده، و كان الملك لا بسا- آنذاك- لباسا معصفرا مصبوغا بلون الزعفران فاعترض عليه الشيخ، و أكد عليه بتغيير هذا اللباس، و شدّد في ذلك و تحمس حتى ارتفعت عصاه، و وقع طرفها على ثوب الملك، و تحمل الملك منه ذلك، و لكنه شعر بإهانته، و دخل قصره، و شكى إلى والدته ما لقي من الشيخ، و كات والدته سليلة أسرة طيبة معروفة بالفضل و الصلاح، فأهدأت ثائرة الملك و قالت أن احتماله هذه الشدة من الشيخ سوف يكتب في سجل مناقبه في التاريخ، و يروي أن عالما من العلماء من رعية السلطان ضربه بالعصا، فصبر على ذلك و تحمله إجلالا للشريعة و تعظيما لها».

و كانت رزيئة أخرى- علاوة على ما تقدم- أن «مخدوم الملك» و الشيخ عبد النبي، أصبحا عدوين متنازعين، فكان «مخدوم الملك» يرميه بالجهل، فينقسم نتيجة ذلك أتباعهما و حلفاؤهما في معسكرين متحاربين متنابذين، و يقفون وجها لوجه.

ص:135

أسرة الشيخ مبارك الناكوري العلمية الشيخ خضر بن موسى اليماني (834- 954 ه)

()

ص:136

و على ضوء ما تقدم من سيرة «مخدوم الملك» و الشيخ عبد النبي- يقرر الندوي ما يلي: «أنهما لم يكونا جديرين بتمثيل الدين الإسلامي تمثيلا صحيحا، و خلافة الأنبياء، و أداء رسالتهم في ذلك العصر الدقيق الحرج- عهد الملك أكبر- و في تلك البيئة المعقدة الخطيرة- بلاط الملك أكبر- لا في العلم و الثقافة، و لا في الفهم الصحيح للدين، و لا في هدوء النفس و سمو الاخلاق» و هكذا يتساوى الجلاد و الضحية لدى الكاتب الندوي فلا آل المبارك مبرأون من الكفر و الضلالة و لا مشايخه جديرون بتمثيل الدين و بهذا يتبيّن ان عقدة مركب النقص‏xelPmoc ytiroirefnI و مركب الاستعلاءxelPmoc ytroirePuS اللذان اطلقهما الندوي على آل المبارك جديران به و لائقان على شخصيته المجبولة على معارضة العلماء و ظلم ذوي الاصل، ممن لا يرى رأيه.

و هنا ننتقل إلى ندوي آخر و لعله أدهى و أمر و هو (مسعود الندوي) و هو واحد من أعداء اهل البيت المجاهرين ببغض شيعتهم و لا يجد مناسبة في كتابه (الدعوة الاسلامية في الهند) لذكر الشيعة إلّا و يرعد و يزبد متهددا متهورا و هو يرى «دخول الشيعية في الهند مستظلة براية المملكة المسلمة فتنة عمياء و جرحا على الوحدة الاسلامية أشد و انكى و من غيرها (كذا)- قال: و مازال يستفحل امرها و يشتد خطبها في العصور التالية حتى أصبحت من اعقد العقد استعصى على الحذاق و الدهاة حلها و أعيا تداويها النطاسيين العارفين بأدواء الامة و آلامها» انظر كتابه المذكور ص 56، و قد تعمدنا ذكر هذا النص من كلامه ليتبين مقدار حقده على الشيعة و لكونه ايضا من المحسوبين على النفر المتعصب الذين اتهموا آل المبارك بتأثيرهم على الامبراطور اكبر فانحرف بزعمهم مع أن انهم ما جاءوا إلّا منقذين للامة من شرور ائمة السوء الذين كانوا يحيطون بأكبر و يشوهون صورة الاسلام لديه اعني من مرّ ذكرهما من رؤوس علماء البلاط الاكبري امثال عبد النبي الكنكوهي و مخدوم الملك الملا عبد اللّه السلطان بوري، فتعال معي و انظر بنفسك ما رأي صاحبهما (مسعود الندوي) في هذين البطلين و أنا انقل اليك كلامه بنصه عن علماء السوء هؤلاء كما سجله في كتابه (ص 61 و ما بعدها) فاقرأ سيرتهم بقلم أحد المحسوبين عليهم و لا تعجب بعد ذلك لو القى هذا الكاتب الافّاك تبعة جرائمهم على اسرة آل المبارك الطاهرة و كان الأجدر أن يشكرها جراء تصحيحها للمسار الخاطئ الذي انقذ عرش المملكة الاسلامية المغولية من بلاء اسلافه من علماء البلاط الافاكين، قال و الكلام له من موضع كتابه المذكور.

ص:137

علماء السوء في عصر (اكبر):

.. ان الملك [أكبر] نشأ على حب الاستطلاع- و كان اميا- فعقد مجلسا سماه بيت العبادة (عبادت خانه) و دعا اليه العلماء من كل طائفة من السنة و الشيعة و البراهمة و اليهود و النصارى و المجوس. و لما جرى الكلام بين يدي الملك و تجاذبوا حبل الحديث، ظهر له ان علماء المسلمين جامدون على ماورثوه من مشايخهم من مسائل الفروع، منقسمون في ما بينهم لا يكادون يتفقون على شئ.

و لم يكن هذا الخلاف منحصرا في دائرة الفروع، بل و للأسف كانت آراءهم و مذاهبهم متضاربة و متشعبة في اصول الدين ايضا. و مما يسيل له القلب حزنا و دما من أمر علماء السوء اولئك، ان اول نزاعهم بين يدي الملك كان على تبوء المقاعد و الدنو من مجلس الملك، كل منهم يود ان يكون من الملك على قاب قوسين او ادنى. و لا يكاد يرضى ان يؤثر غيره عليه.

و لو كان لهم رأي و اباء في نفوسهم و شرف في خلقهم، لصبروا على أمر تافه مثل هذا و لما بدوا لمن حولهم ما في نفوسهم من حب الدنيا و الانانية. و لما ارتفعت أصواتهم انكشفت سوءات أخلاقهم و علا صريخهم بين يدي الملك، الذي أمر باخراجهم من مجلسه و جعل يسي‏ء الظن بالدين الذي لا يعرف حملته حتى و لا آداب الجلوس و الأخذ بأهداب الكلام. و ما ظنك بالذين يقول احدهم- و هو الحاج ابراهيم السرهندي- ان الثياب المصطبغة باللونين الاحمر و الاصفر، لا بأس بهما للرجال. ثم يقوم آخر منهم و هو سيد محمد مير عدل‏[[16]](#footnote-16)- فيرد على الأول و ينكر عليه قوله و يشتمه بين يدي الملك شتما.

و جملة القول ان الشيوخ قد كفّر بعضهم بعضا و تبادلوا في ما بينهم الشتائم، فكان من ثمرات تنابزهم و جدالهم في ما بينهم ان الملك بدأ يجنح شيئا فشيئا الى عدم التدين بدين الحق و أخذ يركن الى ما كان يلقنه نوّاب الطوائف الاخرى من آرائها و معتقداتها المتضاربة.

ص:138

و مما غض من شأن الدين و حط من كرامة أهله في عين الملك و حاشيته أعمال علماء السوء المزرية بالدين، و لا سيما رؤساؤهم أمثال عبد النبي الكنكوهي (ت سنة 993 ه) و مخدوم الملك الملا عبد اللّه السلطان بوري (ت سنة 990 ه) و من نحا نحوهما من أقرانهم و أحزابهم.

و عبد النبي هذا كان حفيدا للشيخ العارف عبد القدوس الكنكوهي (ت سنة 944 أو 945 ه): و كان يعد من كبار العلماء و المحدثين في عصر اكبر. و بلغ من تكريم الملك اياه انه كان يقوم له تجلة و اكراما كلما دخل عليه و يقدم له نعليه اذا اراد الانصراف.

لكن هذا الرجل كان يقرأ الحديث النبوي «الحزم سوء الظن» دائما بالخاء و الراء (بدلا من الخاء و الزاي). لما تولى منصب صدر[[17]](#footnote-17) الصدور، نفخ في أوداجه شيطان الغرور فجعل يتشمخ بأنفه و يتطاول على المساكين الذين كانت وظائفهم و أرزاقهم منوطة بالمصلحة الدينية، ففشت الرشوة و جعل المشايخ و العلماء من أصحاب الاقطاعات و الجرايات الشهرية يترددون على باب «صدر الصدور» و يتوددون الى نائبيه و خدمه و بوابه بانواع من التزلف و الرشوة، حتى اصبحت المصلحة الدينية في عهده‏[[18]](#footnote-18) عارا و سبة على المملكة.

و أما ثاني اثنين من كبار مشايخ العصر- و هو مخدوم الملك الملا عبد اللّه السللطان‏

ص:139

بوري، فقد بلغ الغاية في حب المال و اكتناز الذهب و ادخاره و تجاوز الحد في تحريف الدين و تلفيق الاباطيل، و ان تعجب، فعجب أنه أفتى بسقوط فريضة الحج‏[[19]](#footnote-19) لئلا يتقول الناس ان مخدوم الملك لم يتشرّف بزيارة بيت اللّه الحرام على ما به من نعيم الدنيا و الاموال الطائلة، و أدهى من ذلك و أمرّ انه كان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول و كانت هي تهبه تلك الاموال نفسها من جديد بعد مضي ستة أشهر. فرارا من أداء الزكاة، كأنه أراد بحيله الملعونة ان يخدع اللّه و رسوله، و هيهات ان ينال بغيته (و ما يخدعون الا انفسهم و ما يشعرون) (البقرة: 10) و لما توفي مخدوم الملك سنة 990 ه في أحمد آباد أمر الملك بداره في لاهور فحفظت و عين رجلا خاصا للتحقيق في أمر خزائنه و كنوزه، فانكشف التنقيب عن القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة مما ينوء بحمله العصبة أولوا القوة.

و مما عثروا عليه من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطنعها لامواله و أودعها صناديق مملوءة بالذهب الخالص لئلا تصل اليه أيدي الناس. و لا يجترئ أحد على نبشها، ظنا بأنها قبور للأموات من أهل بيته و أسرته.

و من سيآت هذين «العلمين» من اعلام عصر اكبر انهما ما زالا يتنازعان في ما بينهما و يتجادلان بالرسائل و الفتوى، فربما يفتى احدهما بان الصلاة لا تجوز خلف خصمه، ثم يأتى الآخر بحيلة أخرى مثلها و يعارضه بها. و لذلك كان يدور بينهما الجدال و النزاع. يأتي هذا في الوقت الذي كان اكبر يرى فيهما أنهما أرسخ علما و أطول باعا من الغزالي (المتوفى 505 ه) و الرازي (المتوفى 606 ه).

فلما رأى من أعمالهم و صنيعهم بأخوانهم و تنازعهم في ما بينهم ما رأى، جعل يشك في ما يروى من حسن سيرة من تقدم من اعلام علماء الاسلام و الأئمة المعروفين بالصدق و النزاهة و اباء النفس.

ص:140

و الذي كتبناه عن ذينك الشخصين الكبيرين يصح في أتباعهم و معاصريهم ممن كانوا يترددون على باب الملك و يختلفون الى مجالسه.

و ان شئت ان أضرب لك مثلا، فدونك الحاج ابراهيم السرهندي «صدر» مقاطعة كجرات، أخذ بالارتشاء و عزل عن وظيفته. و كذلك «القاضي» جلال الدين الملتاني زور مرسوما ملكيا ليكتسب به نصف مليون «تنكة»[[20]](#footnote-20).

قد قلنا آنفا أن علماء السوء في عصر أكبر، هم الذين عليهم جل تبعة ضلالته و تنكبه عن محجة الحنيفية السمحاء. و هذا مما اتفق عليه الجميع.

و الأمر اشهر من نار على علم. و هاك ما يقوله بهذا الصدد الشيخ أحمد السرهندي (971- 1034 ه): رأى أحد من يعز علينا في ما يرى النائم ان الشيطان الملعون جالس بهدوء و سكينة، لا همّ له في تضليل الناس و غوايتهم، فاستفسره الأخ- الآنف الذكر- عن ذلك. فقال- لعنه اللّه- ان علماء السوء في هذا العصر أنفسهم قائمون بهذه المهمة دوننا، فنحن اليوم في غنى عن السعي فيها.

و مما لا مجال فيه للشك ان كل ما وقع من المداهنة و التخاذل في الاحكام الشرعية في هذا الزمان و ما ظهر من الفساد و الوهن، انما يرجع سببه الى «علماء السوء» الذين هم لصوص الدين و شر من تحت أديم السماء- اولئك حزب الشيطان، الا ان حزب الشيطان «هم الخاسرون».

و ذكر الاميني أنه بسبب تشيع المترجم له فقد كان ينافره المتعصبون ممن لم يكونوا على مذهبه لكنه كان يدعو الملك الى جمع الكلمة و توحيد صفوف المسلمين فكان من ذلك لمذهب أهل البيت عليهم السلام تقدّم ظاهر و قصرت عنه عادية المرجفين قال: و قد نشأ نشأة راقية، و حوى علوما جمة على غضاضة من شبيبته و أخذ العلم عن أبيه فكان يؤلف له مختصرات في العلوم و يلقنها إياه و قد افرغ هو وسعه للتعلم فحسب حتى نال من‏

ص:141

العلم مقامه الشامخ، و تسنم ذروته المنيعة، و حصل على جاه عريض عند العامة و خصوص الملك بعد أن عاثت في المملكة ايدي الدجالين، و عبث بها سماسرة الأهواء لما خلى لهم الجوّ، على حين أن الملك المذكور تمكن من عرش الملك على غرة منه و ميل مع سكرة الشباب، و لهنية العيش، فعمل القوم ما شاء لهم الهوى، و حدتهم اليه الشهوات، و بدت الضغاين، و اريقت دماء زكية، و هتكت الحرمات، و شاءت الفتاوى المنكرة، لكن «المترجم» تمكن بحكمته العملية و زلفته الى السلطان من كبح جماح القوم و كلائه النفوس المحترمة و تفريق المفسدين الى بلاد شاسعة و حرية المذهب غير أن المراجل كانت تغلي عليه و القوم يرتطمون في حقدهم و غلوائهم حتى قتله على التشيع (راجه نر سنكه ديو) بامر من (الامير) جهانكير في غرة ربيع الأول سنة 1011 بين قصبة (انترى) و محل القاتل المذكور خرج عليه مع لفيفه مناجزين له فثبت لهم الشيخ و احتدم النضال حتى استشهد رحمه اللّه بطعن الرمح و قتل معه رفاقه و قطع القاتل رأس الشهيد و أخذه الى (الأمير) في (اله باس) فجزع له السلطان غاية الجزع و لطم وجهه و حكم باعدام القاتل و قتل ذويه و هدم دوره و عقاره.

و جاء في مجلة (الحقايق) الهندية ما ملخص معناه: انه الوزير الاعظم في القارة الهندية على عهد السلطان اكبر شاه قد احيا بغزارة فهمه آلافا من الشيعة الهندية و هداهم الى الصراط المستقيم و قد اشتبه امره على جمع و بهتوه بما هو براء منه من التصوف و غيره و يستفاد من تآليفه القيمة أنه كان رجلا دينيا روحيا من الفرقه الناجية الاثني عشرية و كان ينعقد في ليالي الجمعة بمحضر الملك المذكور نادى المناظرة في المذاهب يجتمع فيه علماؤها و زعماء الملل المختلفة و يقيم كل منهم براهين و ادلة على صحة مذهبه بزعمه و كان لشيخنا المترجم و اخيه الشيخ فيضى قصب السبق في المناظرة و قد كتب المؤرخون جملة من تلك المناظرات و من شدة عمله بالتقية توهّم بعض انه ليس بامامي كما صرّح به شمس العلماء مولانا محمد حسين المعروف ب (آزاد) في كتابه (دربار اكبري) ص 491 و نص على ما يرمي به المترجم في مذهبه بعيد عن ساحته و لا يقتضيه غزارة علمه و يدل على صحة مذهبه ما كتبه الى (خان خانان) في طريق تعليمه ابنه (ايرج) العلوم الدينية، و روى البعض قصة استشهاده بانها كانت بأمر سليم (الذي عرف بجهان كير فيما بعد) ابن‏

ص:142

الامبراطور اكبر، و كان سليم هذا مطرودا من أبيه بعد ثورته ضده في «اله آباد» فجاء اليه سليم بعد ذلك معتذرا و صفح عنه اكبر و في ذلك الوقت رجع ابو الفضل من الدكن و كان مستشارا للامير دانيال ابن اكبر و لما كانت بين ابي الفضل و سليم جفوة فخشي ان يحرض أباه عليه فأشار الى أحد اتباعه المسمى (راجا رام) والي (بندهيل كهند) أن يقتله قبل ان يصل فقتله سنة 1011 ه- 1602 م فغضب اكبر و حزن كثيرا، و انتقم من القاتل شر انتقام.

و في النّزهة قتله راجه نرسنكه ديو أحد مرازبة اندجه بأمر جهانكير بن أكبر شاه حين مراجعته من أرض الدكن في غرة ربيع الأول سنة إحدى عشرة و ألف في أيام جلال الدين أكبر. فتأسف السلطان بموته تأسفا شديدا و بكى عليه، و في تكملة أكبر نامه لعناية اللّه (مجموعة اليوت و داوس ج 6 (ص 106، 107، 113) تفاصيل عن مقتله و عن مبلغ الحزن الذي استبدّ بالإمبراطور أكبر حين علم بمقتل وزيره و صديقه و شيخه أبي الفضل حتى اعتزل الناس أياما عدة، ليصرّح من بعد ذلك بأنه ودّ لو كان هو المقتول مكانه، فنوابغ العلماء على حد قوله لا يجود بهم الزمان إلا في القليل النادر بخلاف الملوك إن صلحوا.

و أرخ لوفاته كثير من الناس، فمنهم الأمير الكبير عزيز الدين محمد الخان الأعظم، أرخ لوفاته من قوله:

«تيغ اعجاز نبي اللّه سر باغى بريد».

و في مطلع انوار: انه قتل في بلدة كواليار في طريقه الى جهان كير و دفن في (انترى).

و في شهداء الفضيلة أن بين سليم و المترجم له عداوة سابقة و قتله على التشيع و من ذلك أنه: دخل (سليم) يوما من الأيام دار الشيخ المترجم على حين غفلة منه فرأى اربعين كاتبا يستنسخون تفاسير القرآن المجيد فشبت فيه نار الغضب و امر بالكتاب و آلات كتابتهم أن تحضر عند الملك و شكي المترجم للسلطان و اخبره بالقضية و اعلمه ان الشيخ ابا الفضل يكتم خلاف ما يظهره و يبرز عندنا ما لا يوافق مذهبه و عقيدته، قال: و هذه القضية ايضا مما يدل على صحة مذهبه.

ص:143

و قد نشر رحالة هولندي يدعى دي لايت‏taeaL eD عاصر هذا الحادث بالهند تفصيلا له ذكره الأستاذedirbhteL .E في‏

1973 weiver attacalac, tsiH naidnI fo stnemgarF

. و من مصنفاته المشهورة:

1- «ائين اكبرى» و هو كتاب عجيب لا يكاد يوجد مثله كتاب في كتب الأخبار، ذكر فيه نظام السلطنة و آدابها في الأمور المالية و الملكية، و بيان اقطاع الهند و ما يختص بها من الحرث و النسل و غير ذلك، و ذكر فيه أمورا من عادات الهنود و البراهمة في تقسيم الأزمنة و الساعات، و ضبط التواريخ و الأوقات، و اعتقاداتهم في ابتداء خلق الفلكيات و العنصريات من تقادم عهده إلى ما ينتهى من بعده (مطبوع) و سيأتي عرض شامل لهذا الكتاب النفيس كتبه الدكتور أحمد محمود الساداتي.

اعتمادا على القسم الثاني منه، في نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

2- و من مصنفاته المشهورة «أكبر نامه» و هو أيضا كتاب كبير ذكر فيه أخبار ملوك الهند من أولاد تيمور كوركان إلى عهد جلال الدين أكبر، و قد خلط بينها الجلبي في كشف الظنون فذكر «آئين اكبرى» و وصفه بما يوصف به أكبر نامه و الآئين و كلاهما (مطبوع).

3- دفتر ابو الفضل و هو (مجموع الرسائل و المكاتيب) جمعها ابن اخته عبد الصمد بن أفضل محمد التميمى الأكبر آبادي في ثلاثة أجزاء، و هي متداولة في أيدي الناس يدرسونها في المدارس.

4- ترجمة حياة الحيوان الكبرى للدميرى، ترجمة بالفارسية سنة ثلاث و ثمانين و تسعمائة بأمر السلطان، و قال البدايوني في المنتخب إن هذه الترجمة لوالده المبارك عزاها إلى ابنه.

5- ترجمة الإنجيل بالفارسية ترجمه نحو ست و ثمانين و تسعمائة بأمر السلطان.

6- عيار دانش و هو ترجمة كليلة و دمنة بالفارسية الشائعة في ذلك العصر، نقله من الفارسية القديمة بأمر السلطان سنة 996 (مطبوع).

7- ديباجه رزم نامه- ترجمة ملحمة المها بهاراتا الهندوسية الى الفارسية مع مقدمة (سنة 995 ه).

ص:144

8- رقعات ابو الفضل، مرتبه نور الدين محمد (مطبوعة).

9- مناجات (أشعار فارسية سنة 993) مطبوعة.

10- مكاتبات علامي.

آيين أكبري:

من آثار أبي الفضل الأدبية التي بقيت لنا حتى اليوم كتاب «عيار دانش» و هو ترجمة بالفارسية الإسلامية رصينة الأسلوب لكتاب كليلة و دمنة عن الفارسية الدرية التي كان قد نقل بها هذا الكتاب عن العربية أبو المعالي نصر اللّه في القرت السادس الهجري، ثم مجموعة من رسائله البليغة تشتهر باسم «مخاطبات علامي و رقعات شيخ أبي الفضل». هذا فضلا عن مشاركته في تأليف «تاريخ ألفى» عن وقائع التاريخ في الألف سنة الأولى من الهجرة، و إشرافه على نقل بعض الكتب السنسكريتية إلى الفارسية، لسان الثقافة في الهندستان لوقته، على ما نشير إليه في النموذج الأول بالصفحات التالية.

على أن أعظم أعماله الأدبية التي أذاعت من شهرته هي مجموعته الموسومة بأكبر نامه.

و هي تنقسم إلى قسمين رئيسيين: فالقسم الأول منها تناول المؤلف فيه تاريخ أسرة تيمور منذ أول ظهورها على مسرح التاريخ ثم تأسيس الأمير التيموري ظهير الدين محمد بابر، جد أكبر، للدولة المغولية بالهند، و عهد ابنه همايون، و حكم أسرة شير شاه سوري. حتى إذا ما وصل إلى عهد سلطانه أكبر خصه بالقسم الأكبر من كتابه و فصل فيه الحديث عن ستة و أربعين عاما من حكمه. و يقع هذا كله في 386 ورقة (أي 772 صفحة)[[21]](#footnote-21).

أما القسم الثاني من هذه المجموعة فهو الموسوم بآيين أكبري، و هو كتاب قائم بذاته، و يقع في مجلدين بالأول 217 ورقة و بالثاني 272 ورقة (أي 978 صفحة معا)[[22]](#footnote-22).

و يعد آيين أكبري هذا من أعظم ما كتب مؤرخو الهند المسلمين على الإطلاق. و لئن‏

ص:145

كان هذا الكتاب لا يعد في الواقع تاريخا بالمعنى العام، فهو يعطينا على كل حال صورة مفصلة واحدة لنظم حكومة أكبر و مجتمع بلاده إذ ذاك. و الآيين اصطلاحا، هو العادات و العرف و التقاليد و الشرائع و النظم، و هذا كله هو ما قصد به أبو الفضل من وراء تأليف كتابه هذا.

و يقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء.

و يبدأ أبو الفضل في مقدمته هذه بشرح كلمة الملك و واجباته. فيقول في تفسير كلمة شاه، أي ملك، أن المقصود بها أصلا التفوق على الأقران، و يبين أن هناك فارقا كبيرا بين الحاكم الجدير بالملك الخادم لأمته و الحاكم الذي لا هم له إلا إشباع غرائزه و شهواته. فهو حين لا يتعلق بأسباب القوة و الجاه و الثراء بقدر ما يجعل شغله الشاغل هو القضاء على الظلم مع إحقاق الحق في كل شي‏ء على أكمل وجه، ينتج على صنيعه هذا إشاعة الأمن في الناس و إقرار العدل بينهم و ذيوع الفضائل عندهم و تمكن الإخلاص من نفوسهم. في حين يؤدي تعلقه بمظاهر السلطان و التفاته إلى أغراضه الخاصة و مآربه فحسب إلى إشاعة الفتنة في الناس و انتشار الظلم بينهم و تسرب الخيانة إلى نفوسهم و انعدام الولاء عندهم.

و يرى من بعد ذلك أن الحاكم العادل لا بد و أن تتوفر فيه صفات أربع:

الأولى: أن يحب رعاياه كما يحب أبناءه، و بذلك يجد الناس الطمأنينة و الراحة في عهده، و يستطيع هو بدوره أن يصل بحكمته إلى تحقيق أهدافه.

و الثانية: أن يكون صاحب قلب كبير، رحب الصدر، يغلب عليه الحلم، شجاعا لا يخشى في الحق لومة لائم، فلا يحابى مخطئا لحسبه أو نسبه، و لا يمل الاستماع إلى شكاوى الخلق أو يتوانى عن تحقيق أمانيهم.

و الثالثة: أن يكون على صلة وثيقة بربه يزداد اعتقاده فيه يوما عن يوم و يوقن يقينا قويا بمشيئته في إبرام الأمور و قضائها و أنه هو الفعال لما يريد.

و الرابعة: أن يواظب على تأدية الفروض و العبادات لا تلهيه عنها مفاتن الحياة أو تصرفه تصاريف الزمان و غيره عن ذكر اللّه، و يسعى على الدوام إلى ما فيه صلاح الناس و رضاء اللّه، و لا يتوانى عن إنصاف المظلوم.

ص:146

و هو من بعد ذلك يسلك الناس في طبقات أربع كذلك:

الطبقة الأولى: هم رجال الجندية، و لهم في الكيان السياسي طبيعة النار التي تحرق ما تزرعه الفتنة من الخبث، و تضي‏ء كذلك مصابيح الطمأنينة في هذا العالم المضطرب.

أما الطبقة الثانية فهم أصحاب الحرف الحرف و التجار، و هم بمثابة الهواء، فبفضل أسفارهم و جهودهم تعم الناس نعم اللّه و تزدهر شجرة الحياة الموردة بنفحات الرضا و السادة.

أما الطبقة الثالثة فهم العلماء، و فيهم الفلاسفة و الأطباء و المشتغلون بالرياضيات و الفلك، و هم بمثابة الماء. فبما تجري به أقلامهم و ما ينطقون به من الحكمة يفيض نهر الحياة في هذه الدنيا القاحلة و ينتعش بستان الخليقة أيما انتعاش.

و الطبقة الرابعة هم الزراع و العمال، و هم بمثابة الثرى، فبكدّهم و جدّهم تنمو شجرة الحياة و تشيع القوة و السعادة في الناس.

لذلك وجب على الحاكم أن يضع كل واحد من هؤلاء جميعا في مكانه اللائق به، ففي تنسيق جهود هؤلاء جميعا معا صلاح الدنيا و تقدمها.

و لما كان الكيان السياسي لا يستمد وجوده عنده من هذه الطبقات الأربع وحدها فهو يرى لذلك أن الحكم بدوره لا يستكمل مقوماته إلا إذا ارتكز كذلك على طوائف أربع:

الطائفة الأولى: هم رجال الدولة، و بثقة السلطان فيهم و اعتماده عليهم تسير الأمور على أحسن وجه، و هم الذين يبيعون أرواحهم في حومة الوغى بيع السماح. و على رأس هؤلاء الوكيل (كبير الوزراء) و هو نائب السلطان في إدارة شؤون الدولة. و مثل هذا الرئيس يجب أن يكون ممن حنكتهم التجارب يتسم بالحزم و الحكمة و سعة الأفق، ميالا إلى السلام، يعامل الناس جميعا على قدم المساواة سواء في ذك خصومه منهم أو أصدقاؤه، لا يلق القول على عواهنه، متمرسا بواجباته، أمينا على أسرار بلاده، يرى أن واجبه قضاء حقوق الناس، و يبذل لهم البشاشة و الاحترام ما وسعه ذلك حتى يكتسب محبتهم جميعا.

و إلى جانب الوكيل يذكر أبو الفضل طائفة من كبار موظفي الدولة و هم بمثابة خاصة

ص:147

السلطان، كحامل الأختام و عارض الشكاوى و مدير المراسم، و ما ينبغي أن يتوفر فيهم من الكفاية و حميد الخصال.

أما الطائفة الثانية: فقد جعل أبو الفضل على رأسها الوزير و يعرف بالديوان. و هو نائب السلطان في شؤون الملك، و يشترط فيه أن يكون قديرا في الحساب مقتصدا من غير بخل، صادقا غيورا في عمله.

و يسلك معه أبو الفضل جملة من كبار عمال الدولة كالمستوفى و الخازن و المشرف على مصانع الدولة[[23]](#footnote-23).

و مدير الشؤون المالية للجند و كبير الكتاب.

و أما الطائفة الثالثة فهم خاصة السلطان. و هم يزينون البلاط بأنوار حكمتهم و غزير علمهم مع معرفتهم المكينة بطبائع البشر فضلا عما جبلوا عليه من الصراحة و الأدب الجم.

و بهم تشرح صدور البشر و تزدهر الحياة. فإذا كانوا على غير ما ذكرنا من الصفات امتلأت الدنيا بالشرور و اجتاحتها المصائب و عمها الخراب.

و على رأس هذه الطائفة يقف الفلاسفة الذين ترتقي بحكمتهم و مثلهم نواميس الأمة الأخلاقية. و تضم هذه الطائفة الصدر (المفتي) و أمير العدل، و هو المنوط به تنفيذ الأحكام، ثم القاضي، و هو المنوط به سماع الدعاوى.

و أما الطائفة الرابعة فهم خدم السلطان، و هم إذا أحسنوا الخدمة كانوا بمثابة ماء الحياة للبدن، و إلا كانوا آفة و بلاء و مصدرا لكدر العيش.

و هو بعد إذ يصرح أن هؤلاء جميعا إنما يستلهمون في أعمالهم ما أوتي سلطانهم من الحكمة و رجحان العقل و علو الهمة، يعلن أن يخرج للناس على ذلك كتابه هذا و فيه يحاول أن يسجل فعاله العظيمة و مآثره العجيبة التي تنبئ عن عظمته كسلطان.

و القسم الأول من كتابه، و يشتمل على تسعين آيينا، يتحدث فيه عن بلاط السلطان و خاصته، فيذكر لنا ما عند البادشاه من أموال و كنوز و جواهر كريمة، و ما يجري ضربه في‏

ص:148

دار المسكوكات من العملات الذهبية و الفضية و النحاسية، و معايير كل نوع منها، و طبيعة المعادن التي تستخدم فيها. كذلك يتحدث عن حريم السلطان و مضاربه و أختامه و مراسيم الخدمة في البلاط، ليذكر لنا بعد ذك ثبتا طويلا يبين فيه أنواع المحصولات المختلفة و مواسمها و أسعارها و العطور و طرق استخراجها، و مصانع النسيج من الحرير و القطن و الصوف و مبلغ اهتمام البادشاه بتقدم العمل فيها. ثم يشير من بعد ذلك إلى الأيام التي كانت كثيرة. كما يكتب كتابة خبير كذلك عن الألوان و طرائق تركيبها و مزجها، ليفرد بعد ذلك في كتابه بابا طريفا ممتعا يتحدث فيه عن الخطوط و تاريخها، مع الإشارة إلى كبار الخطاطين، و حركة التأليف و الترجمة بالبلاط. و يختم هذا الفصل بالكلام عن فن التصوير و ندواته التي كان يعقدها السلطان بالبلاط مع ذكر كبار النقاشين في عصره و رأى البادشاه القيم في هذا الفن. ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان مختلف الأسلحة التي يستخدمها الجيش و صنوف دوابه، و منه الفيلة و الجمال و الخيول، و فصائلها و أنواع علفها و طرق العناية بها. كما يتحدث عن مبادئ المذهب الإلهي الذي ابتكره أكبر و مراسم التحية فيه، و يختم هذا القسم من الكتاب بذكر مواد البناء و أسعارها و أجور العمال المشتغلين بها.

و في القسم الثاني من الكتاب، و يشتمل على 30 آيينا، يتحدث أبو الفضل عن أقسام الجيش و قواته و قادته و نظمه و طرائق تدريبه، ثم يذكر لنا من بعد ذلك ما يقوم به الكتاب من أعمال في الدولة، و النظام الذي يقوم عليه توزيع الصدقات، لينتقل من بعد ذلك إلى وصف حفلات الأعياد و منها الاحتفال بوزن السلطان و الأمراء و أبنائه و أحفاده. و يجري هذا الاحتفال مرتين في العام يوزن الواحد منهم عدة مرات في كل دورة بما يعادل ثقله من الذهب أو الفضة أو المعادن الأخرى و الحبوب و الأقمشة و يبذلك ذلك كله للفقراء صدقة. و هذا التقليد تمارسه اليوم معدلا طائفة الإسماعيلية بإزاء زعيمهم.

كما يتحدث كذلك عن نظم التعليم، و يفرد بابا يصف فيه حفلات الصيد و طعام الوحوش و الحيوانات البرية، و فنون الرياضة التي كانت تمارس في عهده و منها لعبة «جوكان» التي كانت تنتشر في الهند انتشارا واسعا، و قد طورها الأوروبيون عندهم فيما

ص:149

بعد فكانت الهوكي أو البولو. و لا يزال أبناء شبه القارة الهندية من باكستانيين، و هنود هم أبطالها في العالم حتى اليوم.

و يبدأ القسم الثالث: و هو يشمل على 16 آيينا، ببيان التقاويم المختلفة منذ عرفها البشر حتى اليوم، و منها التقويم القبطي و التقويم الروماني و التقويم المسيحي و تقويم يزدجرد و التقويم الجلالي الذي وضعه عمر الخيام لملكشاه السلجوقي و التقويم الإلهي الأكبري و يقارن بعضها ببعض. ثم يذكر من بعد ذلك أصحاب المناصب الكبرى في الدولة و منهم القواد و أمراء العدل و القضاة و عمال المكوس و خزنة بيت المال و رؤوساء الشرطة و يفصل في ذلك ما يضطلع به كل واحد منهم من أعمال، لينتقل من بعد ذلك إلى الكلام عن إمارات الدولة و ولايتها و هي اثنتا عشرة: البنغال و معها أوريسة ثم بهار و اللّه آباد و أوده و آكرا و مالوه و دانداش (خاندش) و بدار و الكجرات و آجمير و دهلي و لاهور بالإضافة إلى إقليمي كابل و كشمير. و هو يذكر لنا في ذلك الأقسام الإدارية لكل ولاية و مساحتها، كما يصف موقعها الجغرافي، و ما يجري فيها من روافد و أنهار، و ما بها من المدن و الحصون و القلاع، و ما تغله من الحاصلات، و ما يحصل منها من أموال الخراج، و ما بها من قوات حربية من الفرسان و المشاة، و يقدم ذلك كله بمجمل يذكر فيه تاريخ كل ولاية من هذه الولايات منذ أقدم عصورها حتى وقت تأليف كتابه.

أما القسم الرابع: فيستهله بدراسة الفضاء و الأفلاك و البروج السماوية و مواقعها و النجوم و الكواكب و مسالكها. ثم يذكر من بعد ذلك أقسام العالم السبعة و ما يقع بكل قسم منها من الأقاليم و البلدان مع الإشارة إلى عروق السكان و الأجناس في تلك المناطق جميعا. و ينتقل من بعد ذلك إلى الحديث عن الفلسفة الهندية فيذكر لنا أن بالهند ستين و ثلاثمئة من المناهج الفلسفية المختلفة، و أنه قد وقف على ذلك من أفواه رجال مختلف مدارس الهند الفلسفية و بطون كتبهم، و حصر تلك المدارس الفلسفية في تسع، ثمان منها تؤمن بالبعث و النشور و التاسعة تنكر وجود خالق للكون و لا تعترف ببداية الخليقة أو نهايتها. و هو لا يكتفى بالإشارة إلى ذلك كله حتى يتحدث عن مؤسسي تلك المدارس و طرائقها في البحث و مبادئها و معتقداتها و يقارن بينها و بين ما عند غيرها عن الأمم الأخرى كاليونان و فارس. و يعقد من بعد ذلك فصلا يتحدث فيه عن الآلات الموسيقية

ص:150

على اختلاف أنواعها، ليفضي إلينا من بعد ذلك بمجمل يذكر فيه من وفد إلى أرض الهند من مشاهير الأعلام و الغزاة مبتدئا بقصة نزول آدم في جزيرة الياقوت (سيلان) و من ورد ذكرهم كذلك في أساطير الهند من الأبطال، إلى أن ينتهي بذكر الغزاة المسلمين و أولهم محمد بن القاسم الثقفي ثم الغزنويين و الغوريين من بعده حتى دخول تيمور الهند و قدوم بابر، جد السلطان أكبر إليها، و يختم هذا القسم بذكر الأولياء الذين عاشوا في الهند و الطرق الصوفية التي عرفتها تلك البلاد و يعدها أربع عشرة طريقة.

أما القسم الخامس من الكتاب فهو صفحات قليلة ضمنها أبو الفصل مأثور أقوال السلطان أكبر هي و حكما كثيرة ينسبها إليه.

و يضم الكتاب جداول بيانية كثيرة و خرائط تخطط مضارب السلطان و ما بها من طرقات و دروب و ما يقوم بها من أسواق. و يزين المخطوط، الذي اعتمدنا عليه في هذا العرض، مجموعة كبيرة من اللوحات الفنية الدقيقة المذهبة تحوي أشكال الأسلحة المختلفة و الدروع و الرايات و البنود فضلا عن صور السروج الفاخرة و الآلات الموسيقية و الطبول العسكرية. و منها ما يعرض علينا كذلك صورا لدور الصناعة إذ ذاك و حفلات الاستقبال و المباريات الرياضية المختلفة.

و قد نقل بعض المستشرقين أجزاء من هذا السفر الضخم إلى لغاتهم. و الترجمة الوحيدة الكاملة التي ظهرت له هي التي بدأها المستشرق الإنجليزي‏nnamhcolB .H و أكملها.S .H tterraJ و ظهرت بكلكتا عامي 1873 و 1891 م في مجلدين ضخمين يضمان ألفا و سبعمئة و اثنتين و خمسين من الصفحات، و قد ألحق بها مجموعة من الصور تمثل جانبا كبيرا من لوحات المخطوط.

و ما يعيب أبا الفضل في كتابه هذا هو أنه يجعل البادشاه محور حديثه على الدوام، فكل ما يجري في الدولة عنده هو رهن مشيئته، و كل ما ينتهي إليه من نتائج و فعال هي جميعا مستمدة منه. على أن هذا لا يقلل بطبيعة الحال من قيمة ما كتب و لا يبخس من شأن تلك المعلومات المفصلة الدقيقة التي ذكرها لنا عن نظم الدولة الإسلامية الهندية و طرق حكم تلك البلاد المترامية الأطراف، و ما بها من مصادر الثروة و مختلف الصناعات،

ص:151

و ما لأهلها من معتقدات و تقاليد، و ما اشتغلوا و يشتغلون به من مختلف صنوف المعرفة.

كتب ذلك كله في أسلوب يعد من أمثله النثر الفارسي بالهند و ينم عن علم واسع غريز و جلد في الدرس و البحث مكين شديد.

المصادر:

- مطلع انوار/ 60- 62، ترجمة مآثر الامرار 2/ 611.

- دربار اكبري/ 570، نكارستان فارس 134، منتخب التواريخ 2/ 202- 205.

- شهداء الفضيلة 209- 212، السرهندي/ 82 و ما بعدها.

- نزهه 5/ 36- 38 رقم 48، اعيان 2/ 399- 402.

- طبقات اعلام الشيعة القرن 11 ه ص 441. نامه‏ء دانشوران 2/ 639- 662، مجلة الحقائق (الهند سنة 1353 ه)، سير المتأخرين للطباطبائي. كتاب تراث الإنسانية (مقال للدكتور أحمد الساداتي).

أبو المكارم بن المبارك الناكورى (ولد 976 ه- 1568 م)

الشيخ الفاضل الكبير أبو المكارم بن المبارك الناكورى، أحد العلماء المبرزين في المنطق و الحكمة، ولد في الثالث و العشرين من شوال سنة ست و سبعين و تسعمائة، و قرأ أكثر الكتب الدرسية على والده و بعضها على الشيخ فتح اللّه بن شكر اللّه الشيرازي الأستاذ المشهور، كما في «آئين أكبرى».

- نزهه 5/ رقم 58.

عبد الرحمن بن ابي الفضل بن المبارك (979- 1022 ه/ 1571- 1613 م)

الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك الناكورى سماه جده الشيخ مبارك، احد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد لأثنتى عشرة خلون من شعبان سنة

ص:152

تسع و سبعين و تسعمائة، و قرأ العلم و لازم أباه، و خدم الدولة مدة حياته قام مقام والده الشهيد 1011 ه و ولد له ابن سنة 999 سمّاه بشوتن. لقبه جهانكير بن أكبر شاه التيمورى بأفضل خان، و ولاه على إيالة بهار و أقطعه كوركهبور، فصار صاحب العدة و العدد، و مات في سنة اثنتين و عشرين و ألف.

- نزهه/ 220 رقم 332. طبقات أعلام الشيعة 6/ 317.

أبو تراب بن المبارك (ولد 988 ه/ 1580 م)

الشيخ العلامة ابو تراب بن الشيخ مبارك بن خضر المولود سنة 988 ه، ترجمه اخوه ابو الفضل في تاريخ اكبرى.

- طبقات اعلام الشيعه 6/ 92 (القرن 11).

عبد اللّه بن علي الشيرازي (القرن 10 ه)

عبد اللّه بن علي الشيرازي صفي الدين عين الملك، كان من العلماء المبرزين في الصناعة الطبية، أخذ عن والده الحكيم عين الملك و تفنن عليه بالفضائل، و تزوج باخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى و كان له ولد تسمى بمحمد.

نور الدين محمد بن عبد اللّه الشيرازي (ت بعد 1038 ه/ 1628 م)

الشيخ الفاضل نور الدين محمد بن عبد اللّه بن علي الشيرازي الحكيم عين الملك، كان ابن أخت الشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكورى، ولد و نشأ بأرض الهند، و قرأ العلم على خاله ابي الخير بن المبارك و على غيره من العلماء. ثم تقرب الى شاه جهان بن جهانكير

ص:153

الدهلوى فلقبه بعين الملك. له ألفاظ الأدوية في المفردات- صنفه في ايام السلطان المذكور سنة ثمان و ثلاثين و ألف، و له طب دار شكوهي- صنفه لدار شكوه بن شاهجهان، و له لطيفة فيضى- جمع فيه رسائل أخواله الشيخ أبي الفيض و أبي الفضل و أبي الخير، صنفه سنة خمس و ثلاثين و ألف.

()

ص:155

جهان كير نور الدين محمد سليم (977- 1036 ه/ 1570- 1627 م)

هو الامبراطور نور الدين محمد سليم الملقب ب جهان كير ولد يوم الاربعاء 23 ربيع الأول بأكبر آباد، و امه من الراجبوت و هي بنت الراجا بهارط امل كجلاهي راجا جيبور- و لقد لقبت فيما بعد باسم (مريم الزماني) و كان اسمه سليم سماه به والده على اسم الشيخ سليم بن بهاء الدين السيكروي، لأن الشيخ بشّر به والده قبل ولادته و دعا له، فلما استقل بالملك يوم الخميس 14 جمادى الأولى سنة (1014 ه- 1605 م) لقب نفسه نور الدين محمد جهان كير و كان له من العمر 36 سنة و في بداية حكمه ثبّت رجال القصر في مراكزهم ليكسب ثقتهم و اخلاصهم، ثم توجّه للقضاء على تمرد ولده خسرو سلطان‏[[24]](#footnote-24) الذي كان قد اعلن العصيان في لاهور مع جيش يزيد على اثني عشر الف رجل، فارسل جهان كير اليه من القى عليه القبض و فرق الجموع من حوله، و أتي بولده الى آكره فسجن بها حتى وفاته سنة 1621 م و في راجستهان كان الراجا ران سنك متمردا ايضا فارسل اليه جيشا بقيادة مهابت خان فلم يوفق الى كبح جماح هذا المتمرد، فاردفه بجيش آخر أو كل قيادته لولده خرم و ذلك سنة 1023 ه- 1614 م فاستطاع أن يحاصره و يقضي على تمرده.

ص:156

و في الجنوب كانت الممالك الاسلامية في الدكن تحاول قطع علاقاتها بالبلاط المغولي، و وجدت في قلائد العسكري الحبشي (عنبر) بغيتها، فاستطاع هذا ان يفزع البعثات المسلحة المرسلة اليه لتأديبه فصمدت بفضله مدينة اورنك آباد، و مدينة أحمد نكر، و لم يهدأ لجهان كير البال حتى قضى عليه و على ثورته المسلحة بفضل ولده (خرّم) ايضا و تم ذلك سنة 1025 ه- 1616 م بما تحدثنا عنه تفصيلا في حديثنا عن المملكة النظامية شاهية.

قالت بيفردج:

و لم يكن (جهانكير) خلوا من الكفايات فقد كان يحب الطبيعة حبا صادقا كما كان ميالا إلى الإنصاف و لكنه كان سكيرا يتعاطى الافيون، و لا يمتاز حكمه بأي مأثرة حربية أو مأثرة عامة اللهم إلا تشييده طريقا مظللا من آكره إلى لاهور. و قد استولى الفرس على قندهار في السنة السابعة عشرة من حكمه (1622). و تسبب و هو أمير في مقتل أبي الفضل وزير أبيه، كما أنه انغمس في الشهوات لدرجة جعلت أكبر يفكر في تخطيه و جعل ولده خسرو ولي عهده. و قد خرج جهانكير أيضا على أبيه، و لعل تراخيه و جبنه لا العاطفة البنوية هي التي حالت دون تحقيق مشاريعه. و كان جهانكير اسوأ من معاصره جيمس الأول ملك انجلترا كما كان أقبح منه نشأة، و لكن ثمة تشابها عجيبا بين الرجلين.

فكلاهما يحب العلم و الصيد و كلاهما ضعيف الإرادة يخضع لسلطان محظياته كما أن في كل منهما شيئا من الطيبة و حلاوة الشمائل. و كان كلاهما أيضا يبغض التبغ أشد البغض.

و قد بيّن ما كولي أن جيمس يشبه الإمبراطور كلوديوس‏suidualC و هذا يؤدى بنا إلى القول بأن جهانكير كان يشترك مع كلوديوس في بعض الصفات. و لعل مما يؤسف له أن أكبر لم يسمح لولده و هو في شبابه بالزواج من نور جهان. و لو حدث هذا لكان خليقا أن يحدث فيه أثرا طيبا، صحيح أنه تزوج نور جهان بعد أن أصبح ملكا و لكنه اضطر أن يسلك في ذلك مسلكا شبيها بمسلك داود مع أوريا فيدبر هلاك زوجها. و لم يعقب جهانكير من نور جهان ولدا فقد كانت في واقع الأمر عالية في السن عند ما بنى بها. و كان لها ابنة من زوجها الأول. و كان لتعلق نور جهان بشهريار أصغر أبناء جهانكير و شجارها مع شاه جهان نتائج و خيمة على الهند و قد وصفت هذه الوقائع وصفا بليغا في كتاب‏

ص:157

«مآثر الأمراء» (ج 1. ص 133) في الإشارة الواردة عن أبيها غياث بك. و من أشهر الأحداث التي وقعت في عهد جهانكير وقوعه في ألأسر و خلعه عن العرش على يد مهابت خان عام 1626 و انتهى الأمر بان خلصته نور جهان من الأسر. و كان لجهانكير خمسة أبناء و ابنتان. و قد خرج عليه سلطان خسرو أكبر أبنائه في مستهل عهده و لكنه هزم و أسر و توفى في الدكن بعد أن طال سجنه. و كان سلطان برويز أميرا حلو الشمائل و لكنه ورث عن أبيه رذيلة الإدمان على المسكر، و توفى قبل أبيه. و ثار سلطان خرّم الذي عرف فيما بعد باسم شاه جهان في وجه أبيه و لكن خضع آخر الأمر و خلف أباه. أما سلطان جهانكير الذي ولد وقت اعتلاء أبيه العرش، و من ثم عرف باسم «سلطان تخت» (سلطان العرش) فقد كان معتوها منذ ولادته على ما يظهر، و كان سلطان شهريار رجلا تافها و لذلك عرف بأنه لا يحلى و لا يمر. و قد حاول أن يعتلى العرش بعد وفاة أبيه و لكنه قتل.

و هنا نتوقف لذكر بعض الحقائق التي ذكرها ديورانت عن هذا الامبراطور اذ قال أن جهان كير لم يكن متوسط القدرات و المواهب بقدر ما كان منحلا قادرا، فقد ولد لأب تركي و أميرة هندية، و انفتحت الفرص كلها التي تسنح لولي العهد، فانغمس في الخمر و الدعارة، و أطلق لنفسه العنان في التمتع السّاديّ بالقسوة على الآخرين، و قد كان هذا الميل مجبولا في فطرة أسلافه «بابر» و «همايون» و «أكبر» لكنهم دسوه دسا في دمائهم التترية، فكان يمتعه أن يرى الناس يسلخون أحياء، أو تنفذ فيهم «الخوازيق» أو يقذفون إلى الفيلة تمزّقهم تمزيقا: و هو يروى لنا في «مذكراته» أن سائسه و طائفة من الخدم قدموا ذات يوم إلى ساحة صيده، و كانوا من عدم الحذر بحيث أدى ظهورهم هناك إلى فزع الطرائد التي كان يتربص لها في صيده، حتى أفلتت منه تلك الطرائد، فأمر بالسائس أن يقتل، و بخدم السائس أن تخلخل ركبهم فيعيشوا أعمارهم كساحا، و هو يقول إنه بعد أن اشرف على تنفيذ أمره هذا «مضى الى صيده»، و لما تآمر عليه ابنه «خسرو» جاء بسبعمائة من أنصار الثائر و أنفذ فيهم «الخوازيق» و صفّهم صفّا على امتداد الشوارع في لاهور، و هو يذكر لنا في نشوة من السرور كم انقضى على هؤلاء الرجال من زمن حتى فاضت ارواحهم، و كان له حريم من ستة آلاف امرأة يرعين له حياته الجنسية لكنه فيما بعد انصرف إلى زوجة مفضلة، هي «نور جهان»، التي ظفر بها بقتل زوجها، و كان‏

ص:158

يسود حكومته عدل محايد لكنه قاس، غير أنه إلى جانب ذلك قد أسرف في نفقاته إسرافا أبهظ أمة كانت قد أصبحت أغنى أمم الأرض طرا بفضل ما أبداه «أكبر» في سياسته لها من حكمة، و ما أسداه عليها أمن طال أمده أعواما كثيرة.

و لما دنا عهد «جهان كير» من ختامه، زاد الرجل انعماسا في خمره، و أهمل واجباته الرسمية في الحكومة، فكان من الطبيعى أن تنشأ المؤمرات لمل‏ء مكانه، و حدث فعلا سنة 1622 أن حاول ابنه «جهان» أن يعتلى العرش، ثم لما فاضت روح «جهان كير» جاء «جهان» هذا مسرعا من الدكن حيث كان مختفيا، و أعلن نفسه إمبراطور و قتل كل إخوته ليضمن لنفسه راحة البال، و قد ورث عن أبيه صفات الإسراف و ضيق الصدر و القسوة، فأخذت نفقات قصره و الرواتب العالية التي كان يتقضاها موظفوه الكثيرون تزداد نسبتها بالقياس إلى دخل الأمة التي كانت تنتجه لها صناعة مزدهرة و تجارة نافقة، و مع تلك الصورة البشعة التي صور منها ديورانت هذا الامبراطور يأتي المؤرخ المسلم السيد عبد الحي ليصفه بما يلي:

يقول «كان جهان كير رحيما كريما شاعرا لطيف الطبع حسن المعاشرة ظريف المحاضرة حسن الصورة، سليم الذهن، باهر الذكاء، فصيح العبارة له يد بيضاء في التحرير و التحبير».

و بالرغم من انه قد ذكر ادمانه للخمرة فقد وصفه بالعدل و صحة العقيدة و التدين و سماع الحديث الشريف ايضا قال: «افتتح امره بالعدل و السخاء و قرّب اليه العلماء، و كان صحيح العقيدة خلافا لوالده، و هو سمع الحديث من الشيخ محمد سعيد الهروي المشهور بمير كلان، و قرأ عليه شيئا من العلم بأمر والده، و سمع أيضا من المفتى صدر جهان البهانوي».

و لعله يريد بلفظة (صحة العقيدة) رجوعه عن مذهب الشيعة، و عندي ان هذا الرجل الغليظ القلب لا يرعى حرمات الدين و لا ثمة خير في نسبته الى أي مذهب من مذاهب الاسلام اذ انه تعدى حرمات اللّه في كثير من الاحداث التي مرت في حياته و في مقدمتها عدم رضا والده عنه و غضبه عليه لسوء تصرفاته و عصيانه حتى وفاته، و من الأفعال الشنيعة

ص:159

التي سوّد بها تاريخه قتله العلامة ابي الفضل ابن المبارك و العلامة السيد نور الدين الشوشتري و تقريبه للمبشرين الجزويت الذين قدموا مع المستعمرين البرتغاليين و منحه الامتيازات للانجليز في سورتو آكره و أحمد آباد و كان هذا الباب الضيق الذي عبروا منه الى الاستيلاء على الهند، و مع كل ما اقترفه هذا الامبراطور يقولون انه كان مؤمنا و كان يحافظ على الشعائر الدينية و لا يرضى بالاستهانة بها، يقول عبد المنعم النمر، و هو ممن لا يتورع في كتاباته من اللمز و الغمز و الوقوع بالشيعة أينما ورد ذكرهم، يقول في تزكيته لهذا الطاغية «هذه التربية مع تأثير الشيخ سليم فيه قد وجهته غير وجهة ابيه، فكان صحيح العقيدة في الاسلام يحترم العلماء و يكرمهم» [الاسلام في الهند 300]. أما الفتن و الاضطرابات على عهده فيحمّلها (عبد المنعم النمر) زوجته نور جهان (ص 304) لكونها شيعية ايرانية لا غير، و يطيب للمتزمتين من أمثال هذا الكاتب ان يوقعوا في هذه الزوجة الشرعية التي أحبها و تزوجها زواجا شرعيا أمام الملأ بل لا بد أن يكون أحد اسلاف من ينتقدونه من اولئك المشايخ قد قاموا بواجبهم في اجراء صيغة العقد الشرعي و أدّوا ما يليق من الانحناءات أمام ولى الأمر حتى اذا كان جائرا!

و بالرغم من كل ذلك توصف هذه الزوجة المثالية القوية في شخصيتها و التزامها و تطلعاتها توصف بمعشوقة السلطان لدى الشيخ عبد الحي الحسني (نزهه 5/ 122) و توصف بحظية السلطان لدى مسعود الندوي و اعجب من ذلك ان الندوي هذا يعتبر عصر جهان كير من عصور الشيعة الذهبية مع ماعانوه من اضطهاد و قتل لعلمائهم فهو يقول عن جهان كير (ص 91):

فاقتفى نهج ابيه و حذا حذوه في عدم الاعتناء بالدين، بل زاد الطين بلّة بان تطاولت الشيعة باعناقها و تطلعت الى تسلم زمام الامر و النهي لمكانة حظيته (كذا) نور جهان من قلبه- و كانت تسيّر دفة الحكم و تسوس البلاد و جهان كير غارق في بحار الملذات- و كانت شيعية ذات جمال بارع و ذكاء مدهش .. حتى ان كبير دعاة الروافض نور الدين الشوشتري عين رئيسا للقضاة «ثم يستشهد بقول ولي اللّه الدهلوي احد النواصب الذين اطالوا لسانهم في سبّ السلف الصالح من اتباع مذهب أهل البيت (ع)، يقول عدو نفسه هذا: (و عظمت الفتنة و تولى جهان كير فرفعت الهنود رؤوسها، و نصبت الروافض‏

ص:160

رؤوسها (كذا) وضيعت الديانات» (تاريخ الدعوة الاسلامية ص 91- 92).

و على عهد جهان كير تطلعت النواصب باعناقها للنيل من مذهب اهل البيت (ع) فكتب احمد بن عبد الاحد السرهندي الذي يسمونه بمجدد الالف الثاني كتب كتابا في التفريق و الفتنة بين المسلمين تحت اسم «رد روافض» بالفارسية دعا فيها كما يقول النواصب الى «رتق الفتق و طهر الدين المبين في ارجاس الوثنية و نقى ثوبه الطاهر من ادران الرفض و الالحاد .. الخ، و لما حدثت الفتنة في البلاد طلب جهان كير هذا المفرق بين الجماعات الى قصره و عاقبه بالسجن في مدينة كواليار»، و لا أدري ماذا يريد الندوي على تلك الفعلة الشنعاء، هل يطلب تكريمه أو الاحتفاء به مع ان واجبات الملك تحتم على السلطان العدل بين الرعية و نحن نحملّ علماء السوء عدم اعتناء اولئك السلاطين بالدين و اهله لوقوفهم وقفة المتفرج الراغب في العطايا، و ان كل ما ظهر من الفساد في تلك الايام و حتى اليوم انما هو بسبب سوء اعمال علماء السوء و قبح سيرتهم و تهاونهم فهم في مثل هذه المواقف المخزية لصوص الدين لأنهم لا يبتغون الا التقرب الى الملك و الكرامة في اعين الناس و الكبرياء في ارض اللّه و بسببهم انتكست راية الاسلام و خفق لواء الكفر و عمت الفوضى الدينية.

نور جهان بيكم (ت 1055 ه/ 1645 م)

اسمها مهر النساء و هي بنت اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف الطهراني، انتقل والدها غياث الدين من طهران إلى بلاد الهند بعد ما توفى أبوه محمد شريف سنة أربع و ثمانين و تسعمائة، فلما وصل إلى قندهار ولدت مهر النساء و جاءت مع والديها إلى فتحبور في أيام أكبر شاه التيموري و نشأت في مهد العفة و الطهارة، و تعلمت الخط و الحساب و فنونا أخرى، و كانت نادرة في الجمال فافتتن بها جهانكير بن أكبر شاه، فلما علموا ذلك زوجوها بعلى قلى الأصفهاني، تولى المملكة جهانكير ولاه على بردوان و لقبه شير أنكن خان و ولى قطب الدين أخاه من الرضاعة على بلاد بنكاله، فلما وصل قطب‏

ص:161

الدين إلى بردوان استقبله شير أنكن خان و لكنه أساء الظن به فوقع فيه و قتله ثم قتل، و كان ذلك سنة ست عشرة بعد الألف، فقبضوا على أهله و أمواله و أرسلوها إلى جهانكير، فأراد أن يتزوج بمهر النساء فأبت ثم رضيت فتزوج بها، فحببت إليه حتى ألقى بيدها زمام السلطة و لقبها نور جهان بيكم و امر أن يضرب الدراهم و الدنانير باسمها فضربت، و مما كتب على تلك العملة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بحكم شاه جهانكير يافت صد ريور |  | بنام نور جهان بادشاه بيكم زر |
|  |  |  |

و كانت من خيار النساء حسنا و جمالا و علما و عقلا، اخترعت أمورا كثيرة في الزى و اللباس و الحلى و الأشياء العطرة، و كانت ماهرة بالرمى و الفروسية و السياسة و التدبير، دبرت لختنها شهريار بن جهانكير من بطن آخر ليوليه الملك بعده، و رغبت زوجها جهانكير عن ابنه خرم الذي دبر جهانكير بولايته بالملك بعده، فوقع الخلاف بينهما حتى آل إلى الحرب، و تفصيل ذلك هو أنه كان لجهانكير أربعة أولادهم: خسرو، خرّم، و لكن نور جهان كانت تخشاه، و ازدادت خشيتها منه بعد أن مات أبوها اعتماد الدولة، وزير جهانكير، و خلفه في الوزارة أخوها آصف خان، و كان لهذا الأخ بنت من أشهر بنات عصرها جمالا و فتنة، و كانت مخطوبة للأمير خرم فأيقنت نور جهان أنه إذا ما تولى خرم العرش و كان سينقاد لامرأة ما فإنه لن ينقاد إلا لزوجته و ستكون هي كمية مهملة إلى جانبها و هذا ما كان يزعجها و يقض مضجعها و لذا فإنها أخذت تباعد بين زوجها و ابنه صاحب الحق و زوجت بنتا لها من زوج سابق، من الأمير شهريار ثم صارت تسعى لدى السلطان ليعهد إليه بالملك لتبقى لها سيطرتها على ابنتها الملكة المقبلة و على زوجها الملك معا.

و قد استطاعت أن تنفذ إلى قلب جهانكير فغلظ قلبه على ابنه خرم و شاعت هذه الأخبار في البلاد فخشي خرم بطش والده و خاف جهانكير عصيان ولده عليه، و صار كلما طلب خرم إلى أبيه الأذن بالرجوع إلى آكره يرفض جهانكير هذا الطلب خيفة أن يستولي على العاصمة. و حدث أن زحف الايرانيون سنة 1622 إلى مدينة قندهار يريدون الاستيلاء عليها لأنها كانت موضع نزاع بينهم و بين الهند، منذ عهد اكبر، و كل من الفريقين يدعيها، فأمر جهانكير ابنه خرم بالسير إلى قندهار لرد الإيرانيين فلم يجب طلب والده و احتج بكثرة الأمطار، فاستولى الإيرانيون على قندهار، و إزاء تلكؤ خرم عن تلبية أوامر أبيه وجدت نور

ص:162

جهان بابا عريضا تلجه إلى قلب زوجها لتوغره على أبنه، فتأثر جهانكير بقولها و أمر الجيوش المرابطة في مالوي بقيادة خرم بالعودة إلى آكره و سار السلطان إلى لاهور لإعداد حملة لاسترجاع قندهار، و بينما هو في لاهور و إذا بالأنباء تأتيه مخبرة بأن ابنه آت بالجيش للاستيلاء على آكره، و لعل ذلك من دسائس الأعداء، لأن خرم لم يفعل إلا ما أمره به أبوه، أي برجوع الجيش إلى آكره، و بدهي أن الجيش لا يعود بدون فائدة.

و مهما يكن من أمر، فقد أزعج هذا النبأ السلطان، و جهز جيشا سيّره للقاء ابنه و لمنعه من السير نحو آكره، فلما علم خرم بمسير هذا الجيش أبى أن يقاتل والده بل ترك جيشه و عاد وحده إلى الدكن، و لكنه عاد طريدا شريدا، و ظل سنوات يضرب في البلاد فارّا بروحه من ولاة أبيه الذين كانوا يطاردونه، فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت عزم على الاستسلام لوالده و أرسل إليه أولاده رهينة و سلمه القلاع التي يسيطر عليها، و كادت الأمور تعود إلى صفائها لو لا وسوسة نور جهان. و يبدو أن وزير جهانكير، آصف خان، كان من أنصار إصلاح ذات البين، لأن خرم شاه هو زوج ابنته، فأغضبت سياسة الوزير أخته الملكة نور جهان فحرضت زوجها على عزل اخيها من الوزراة، فعزله و عيّن مكانه القائد مهابت خان و هو من أخصاء جهانكير و أتباعه الأمناء، و قد ظنت نور جهان بأنّ الوزير الجديد سيعينها على تحقيق برنامجها، و لكنها لما رأت أنه يميل إلى الأمير برويز غضبت عليه أيضا و حرضت السلطان على عزله فعزله و أذلته و أهانته، فكتمها في نفسه، حتى كان في يوم من الأيام، في سفر بمعية السلطان في جند قليل، تآمر عليه و سجنه، و لم يعد يسمح له بأن يمضى أمرا بغير مشورته لأنه رأى بأن نور جهان هي التي أصبحت تسيّر أمور البلاد على هواها و أنها سائرة بها إلى هاوية سحيقة في سبيل تحقيق رغبة قد تجرّ على البلاد بلايا كثيرة.

و لم يسي‏ء مهابة خان إلى السلطان قط، بل كان يوفيه حقه من التعظيم و الاحترام، ثم إن السلطان ذهب إلى كابل و من هناك استطاع أن يرفع عن نفسه هذا الحجر، فلما علم مهابة خان بالأمر فرّ إلى الأمير خرم.

و حدث بعد ذلك أن مرض السلطان فعزم على الرجوع إلى آكره، فلما كان في طريقه إلى لاهور أصيب بنوبة حادة من الربو فوافته المنية، لثلاث بقين من صفر سنة 1036 ه الموافق للثامن و العشرين من اكتوبر سنة 1627 و كان مدته احدى و عشرين سنة و ثمانية اشهر و ثلاثة عشر يوما

ص:163

و دفن بالقرب من لاهور على الضفة اليمنى لنهر راوي و الى جانبه قبر زوجته نور جهان.

و قد توفى جهان كير ساخطا على ابنه خرم شاه كما كان اكبر ساخطا على جهان كير و ما أن مات، سارعت نور جهان فنادت بصهرها شهريار بن جهان كير ملكا و أجلسته على سرير الملك ببلدة لاهور.

و دبر أخوها آصف جاه الوزير لختنه خرم بن جهان كير الحيلة فأعلن لولاية داور بخش بن خسرو بن جهانكير، فوقع الحرب بينهما حتى دخل خرم بمدينة آكره و جلس على سرير الملك في جمادى الآخرة سنة (1037 ه- 1628 م)، و اجتمع معه آصف جاه و دفع فتنة أخته نور جهان فاقتعدت بلاهور، و وظف لها شاهجهان مائتي ألف تصل إليها كل سنة و لها أبيات رائقة بالفارسية، منها قولها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نه كل شناسد و نى رنك و بو نه عارض‏ |  | دل كسي كه بحسن ادا كرفتار است‏ |
|  |  |  |

و كانت وفاتها سنة خمس و خمسين و ألف ببلدة لاهور و لها اثنتان و سبعون سنة، فدفنوها في حديقتها التي كانت قريبة من مقبرة جهانكير.

جهان كير في تركته الادبية:

خلّف جهان كير كتابا مهما في سيرته الذاتية و سيأتي ذكر مختارات منها تتناول صورا مختلفة من حياته و اسم كتابه هذا تزك جهانكيري و هناك الكثير من الكتب المصنفة في أخباره و منها كتاب اقبال نامه لمؤلفه معتمد خان، و كتاب مآثر جهان كيري لمؤلفه مرزا كامكار الملقب بعزت خان.

و لجهان كير نفسه كتاب آخر تحت اسم «بند نامه» بالفارسية ألّفه لابنائه، كما انه امر الشيخ محمد بن الجلال الحسيني الكجراتي أن يترجم القرآن الكريم الى الفارسية و أن لا يباشر التصنع و لا يزيد على الترجمة اللفظية من جانبه. و كان جهان كير شاعرا و من ابياته قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| از من متاب رخ كه نيم بى‏تو |  | يكدل شكستن تو بصد خون برابر |
|  |  |  |

ص:164

و له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جام مي را بر رخ كلزار مي‏بايد |  | ابر بسيار است مي بسيار مى‏بايد |
|  |  |  |

و له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما نامه ببرك كل نوشتيم‏ |  | شايد كه صبا باو رساند |
|  |  |  |

()

ص:165

صفحات من مذكرات الامبراطور جهانكير معربة من كتابه الموسوم «توزك جهانكيري»[[25]](#footnote-25)irignahaJ -ikuzuT

مطبعة نولكشور- لكهنوsserP erohsiK lawaN \* بفضل اللّه و عونه جلست على عرش الملك في دار الخلافة، آكره يوم الخميس في الثامن من جمادى الأخرى سنة الرابعة عشر بعد الألف و أنا في الثامن و الثلاثين من عمرى، و كان لا يبقى لوالدى من الأولاد حيا إلى أن بلغ الثامن و العشرين من حياته، فكان يتوجه إلى الصالحين من عباد اللّه و يلتمس اوليائه ليدعوا له بولد، و قد عاهد نفسه و نوى أن لو رزق غلاما يحيى، يزور قبر معين الدين جشتى، منبع الأولياء في بلاد الهند، ماشيا على رجليه، قاطعا مسافة مائة و أربعين فرسخا من العاصمة آكره إلى مدينة أجمير بكل إجلال و إكرام. فولدت ظهيرة يوم ألأربعاء في السابع عشر من ربيع الأول سنة تسعمائة و سبع و سبعين من الهجرة.

ص:166

\* و كان هناك جبل «سيكرى» على مقربة من آكره، اتخذ سفحه الشيخ سليم مسكنا له، و كان معمرا مرتاضا بلغ في الورع و الصلاح ما بلغ. و التف حوله من أهالي سيكرى كثير من الناس مسترشدين إليه، فلما سمع والدى عن الشيخ و عن كماله في أحواله، و كان في تلك الأيام أشد رغبة إلى الولد، أقبل على الشيخ ذات يوم و سأله مذهولا: كم يكون لي من الأولاد، أيها العارف الجليل؟ فأجاب الشيخ:

إن اللّه يهب لك ثلاثة أولاد. فقال أبي: إنى نذرت أن أفوض الأول منهم إليك ليتربى تحت نظرك و عنايتك. فتقبل الشيخ سليم مهنئا و قال: قد جعلناه لنا سميا.

\* فلما حان أوان الوضع أرسل أبي، أمي إلى دار الشيخ في قرية سيكرى فسماني بعد ميلادي «محمد سليم» و لقبني بالسلطان، و لكنه كان يدعوني محادثا إياي بالعطف و الحنان ب «شيخو بابا» و جعل مولدى دار الحكومة متبركا به. فبدلت ارض سيكري غير الأرض، و أنقلبت غاباتها التي كانت تسكنها السباع و الأسود، جنات و روضات، و أصبحت أحراشها و ميادينها التي كانت تنقلب فيها الوحوش و الحشرات مدينة ذات شوارع جميلة و مباني ضخمة و تم كل ذلك في أقل من خمسة عشر عام. و سماها «فتح بور» بعد ما فتح كجرات.

\* أول ما أمرت به أهالي مملكتي بعد جلوسى على عرشها، تعليق سلسلة العدالة لأطلع أنا بنفسى ما يشكو إلى المظلومون، عمال إدارة العدالة من الأهمال أو التحيز في القضاء عند ما حركوها، فأنتبه لصوتها فأقضى بينهم. فقلت ليعملوا سلسلة من ذهب خالص تطول ثلاثين ذراعا، تربط بسبعة أجراس و تعلق ما بين مشرفة البرج الملكى للقلعة و عماد حجرى ينصب على شاطئ «جمنا».

\* نهيت أخذ الجباية على الشوارع و الأنهار باسم «تمغا» و «مير بحري»، و كذلك أمرت أن يقضى على الفور على كل ما فرض الولاة في جميع الولايات من ضريبة لينتفعوا بها أنفسهم. إن الشوارع و الطرقات التي تبعد عن المسكونات و اتخذها اللصوص و القطاع مواضع لمآربهم، إن كانت تقع على أراضي الدولة فليقم عاملها بأمر بناء سراى، و مسجد و حفر بئر على ألأراضي المجاورة لها ليسكنها الناس و يعمروها و إن كانت تقع داخل حدود الولاة فليقوموا بأنفسهم بهذا الأمر.

ص:167

\* «لا تكشف رزمة بضاعات التاجرين على الشارع إلا أن يأذنوا له».

\* و إذا مات أحد داخل حدود مملكتي سواء كان مسلما أو غيره، فليؤدوا ما ترك ورائه من الأموال و الأمتعة إلى من ورثه، و لن يحول دون ذلك مأمور و لا موظف رسمى، فان لم يكن له من يرثه فليوظف من يتعهد حراسة المتروكات و يجمعها في بيت المال و تنفق فيما تأمر به الشريعة في مثل بناء المساجد، و السراى، و الجسور، و حفر الآبار، و الحياض، و لا تصرف في مصالح الدولة منها ألبتة.

\* «و لا يخرجن أحد أحدا من داره ليتخذها لنفسه مسكنا».

\* «لا يجدع المجرم و لا تقطع منه الأذن مهما كبرت جريمته. و إنى عاهدت اللّه أن لا أجزى أحدا بمثل ذلك».

\* «ليس لأحد من موظفي الدولة و لا من اصحاب الأراضي أن يأخذ أرض أحد من الأهالي عنوة فيزرعها مكانه».

\* «أمرت عمالى و ولاتي ألا يتصلوا باهالى ولاياتهم برابطة القرابة و الزواج إلا بعد أن آذن لهم في ذلك».

\* «تقام المستشفيات في البلاد، و يوظف فيها الأطباء للتداوي، و ينفق على رواتب الأطباء و المستخدمين و مصارف الأدوية و الأغذية للمرضى من خزانة الدولة. و لا يطالب الأهالي بشئ، و ذلك مثوبة لي من عند اللّه».

\* «نظرا إلى ضعف الناس و عجزهم، و خشية أن يدخل بعض من الجنود دور الأهالي قهرا فيضيقوا عليهم و يبسطوا إليهم أيديهم، و يلين القاضي و أمير العدل جوانبهما للمعتدين، من أول يوم نزلت مدينة أحمد آباد، اجلس كل يوم مع شدة حرها و سمومها، بعد الفراغ من صلوة الظهر، في شرفة على جانب البحر ساعتين أو ثلاث ساعات، لا يحول بيني عندئذ باب و لا جدار و لا حاجب و لا حارس، فأقضى بعد ما أسمع شكاوى المستغيثين فأجزى الظالمين عما عتوا و ارتكبوا. و ما خلفت يوما حتى أيام ابتلائي بالوجع الشديد عن حضور الشرفة، و لو كان في ذلك حرمانا لنفسي من الراحة و الهناء».

ص:168

\* بفضل من اللّه و عونه اعتادت نفسى السهر، فلا تدع النوم ينهب متاع أوقاتي إلا ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم في الغالب، فأقضى ما يبقى من أوقاتي في الوقوف على أحوال الملك و ذكر اللّه تعالى.

\* « (في الطريق إلى كجرات) أمرت حرسي أن يتفقدوا من الأيامى و القاعدين المعذورين في القرى المجاورة و ياتونني بهم، لأقدم لهم العطايا بيدى فليس عندى عمل أجل و أنفع من هذا».

\* «... و في تلك الأيام أتتني امرأة أيّم تشتكى إلى الاعتداء و العنف من مقرب خان، فقالت إن مقرب خان أكره بنتى فأدخلها في داره قهرا في بندر كهمبات، و عند مطالبتي إياها يجيبنى بأنها ماتت موتتها. فأمرت بالتفتيش و انكشف الأمر بعد جد و اجتهاد أن الجريمة كانت على يد أحد مستخدميه فجزيته، و أمرت بتنصيف مرتب مقرب خان و كرمت المدعية بالنصف لتعيش به».

\* «... و لما توالت عليّ مثل هذه الأنباء دعوت الشيخ بنارسى و غياث زين خان و غيرهما من الأمراء الذين قصّروا عن صيانة البلد، و تخلفوا عن حراسة القلعة، فلما حضروا آكره أمرت ليحلقوا رؤسهم و لحاهم و يضربوا عليهم بالخمر فيركبوهم على الحمير و يطوفوا بأزقة البلد و شوارع أسواقه».

\* «... امتثالا للامر غرسوا الأشجار قبل ذلك على جانبي الشارع من آكره إلى نهر اتك، و أنسقوها بالصفوف، و كذلك من آكره إلى بنغاله، و الآن أمرت أن ينصبوا على كل فرسخ علامة ميل و يحفروا على بعد كل ثلاثة أميال بئرا ليتمتع به العابرون».

\* ... علمت أن على قلى خان استاجلوا ضرب قطب الدين خان بسيفه في الثالث من صفر ضربا قضى به بعد ساعتين من الليل. و صراحة الأمر أن على قلى خان هذا كان سفيرا لملك إيران الشاه اسماعيل، ففر من عنده إلى قندهار لأعماله الشنيعة، و من قندهار إلى ملتان حيث لقى خان خانان الذي استصحبه و أدخله غيابا في حاشية والدى، و على قلى خان أتى في هذا السفر بامور حسنة فاز لأجلها

ص:169

بالمنصب المناسب، و استمر منخرطا في سلك سيادة والدى حينا من الزمن. و لما قام أبى الى الدكن (الهند الجنوبية) و أمرني أن أعد العدة لحرب «رانا» تعلق على قلى خان بحاشيتى، فأكرمته و عززته بخطاب شير أفكن، (غالب الأسد)، و لما أقبلت على والدى من مدينة إله آباد، و كان لا يبالى بي لسخطه علىّ و لا يكترث لشأني، اعتزل عنى أتباعي، و ضرب الكشح عنّي رجالى، فانقطع على قلى خان كذلك و تنحى، و لكن بعد جلوسى على عرش الملك، عفوت عنه بعاطفة المروءة و الاحسان و أوليته على مقاطعة بنغال و لكن و افتنى من بنغال أنباء تصرح أن تعيين أمثال هؤلاء المفسدين في تلك البقاع لا يستحسن و لا تحمد عواقبه، فكتبت إلى قطب الدين أن يبعث بعلى قلى خان، و إن أبى أن ينقاد للأمر و طغى، يعاقبه و يجزيه، كان قطب الدين خان يعرفه تماما، فما وصل إليه بلاغى حتى قام و من معه من رجاله قاصدين مدينة بردوان، مركز ولايته، فلما بلغ على قلى خان ذلك خرج إليه يستقبله و معه من حراسه نفران، فأحاط رجال قطب الدين رجاله، و خلا به على جانب ليقرأ عليه البلاغ الملكي، فاغتنم على قلى خان هذه الفرصة و ضربه بسيفه ثلاث ضربات، فتقدم أبنه خان الكشميرى بجرأة، و كان من الأمراء و كانت له صلة بقطب الدين خان فضرب رأس على قلى خان، و لكن أصابته جراحة شديدة منه، فلما رأى ذلك رجال قطب الدين و ما أصاب قطب الدين، هجموا على على قلى خان و جعلوه جذاذا.

\* «انحرفت صحتى في الثامن من شهر أمرداد و ما زالت حتى أخذتني الحمّى و الصداع، فلم أخبر به أحدا، حتى أطبائى، حرصا على أن لا يحدث القلق و الانزعاج في البلاد و في الناس. استمر بى الحال كذلك، و ما كان أحد يعلم ما بى، إلا نور جهان التي هي احب إلى من كل شئ!!».

\* ذهبت إلى البناء الذي يحتوى على اضرحة الحكام الخلجيين، و كان بينهما قبر ناصر الدين الذي وصم وصمة العار إلى الأبد، فكلنا يعرف أن هذا المنكود قد ارتقى إلى العرش باغتيال أبيه، فجرّعه السم مرتين، و استطاع أبوه في كلتا الحالتين أن يطهر آثار السم بترياق كان يحمله على ذراعه، و في المرة الثالثة مزج الإبن‏

ص:170

[[26]](#footnote-26)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص170**

قطرات السم بكوب من الشراب و قدمه إلى أبيه بنفسه ... و لما كان أبوه يعلم ما يبذله ابنه من جهود في سبيل التخلص منه، فقد نزع عن ذراعه التميمة و قذف بها أمامه، ثم أدار وجهه في خضوع و خشوع إلى عرش الخالق و قال: اللهم إني قد بلغت من العمر ثمانين عاما أنفقتها في ازدهار و سعادة لم يتمتع بمثلهما ملك قبلى، و لما كانت هذه آخر لحظات حياتي، فأضرع إليك اللهم ألا تحول بين ناصر و بين قتلي، و أن تعد موتى أمرا من أمرك فلا تنتقم لي منه، و بعد أن فاه بهذه الكلمات جرع ذلك الكوب من الشراب المسموم بجرعة واحدة و أسلم روحه إلى ربه.

\* و يضيف «جهان كير» و لما ذهبت إلى قبره (أي قبر ناصر) ركلته عدة ركلات.

\* راجه نرسنك ديو، كان يعيش تحت إعتنائي، و كان شجاعا صالحا، شرفته بمنصب ثلاثة آلاف، فازداد عندى قربة و درجة، لأن أبي كتب في أواخر عهده إلى الشيخ أبي الفضل في الدكن، يدعوه عنده، و هو من شيوخ الهند ذو فضل و رأي، و كان يضمر لي بسوء، فخيل إلى انه لو تيسر له الوصول إلى والدى لزاد الطين بلة، و يكون عثرة في سبيلى و يعوقنى عن اللحاق بأبي، و حيث كانت ولاية نرسنك ديو تقع على ممر الشيخ، كتبت إليه أن يقتل الشيخ في طريقه، انا له من المحسنين.

\* اليوم يوم الجمعة الخامس و العشرون من الشهر، يوم زنة ولدى «خرم»[[27]](#footnote-27)، و يوم بلوغه الرابع و العشرين من عمره، ولد له الأولاد و لم يشرب الخمر قط! فقلت له في حفلة الوزن: بابا! صرت والد أولاد، و الملوك و أبنائهم، اعتادوا الشرب فأسقيك أنا اليوم يوم زنتك، و آذنك في أن تشربه في الأعياد و الحفلات الخصوصية، يوم نوروز على قدر الأعتدال، حيث لا يذهل عنك شعورك، إن ذلك ينفعك فقد قال أبو على، و هو من أحذق الأطباء. إن الخمر عدو للثمل الذاهل، و صديق للمتنبه الواعي، قليله ترياق و كثيره سم، ليس في كثيره ضرر قليل كما في قليله نفع كبير، ثم بالغت و ألححت حتى وضعت الكأس في يده!

\* و أنا بنفسي ما شربته إلى الخامس و العشرين من حياتي، غير أن والدتي أوان صغرى‏

ص:171

سقتني به مرتين أو ثلاث مرات ممزوجا بماء الورد قدر «توله» دواء للسعال. ثم بعد ذلك يوما من الأيام، و كانت جنود والدى على شاطئ نهر نيلاب في جهة اتك لازاحة ما أثار أفاغنة يوسف زئي من الفتنة و دفعها، ذهبت للصيد فتعبت ورائه أشد التعب، فقال أستاد شاه قلى، و هو أحد الضباط لمدفعية عمى مرزا محمد حكيم: «لو شربت كاسا من الخمر لذهب عنك التعب و النصب كله». كانت الأيام أيام شبابي و لغريزتي من الميل إلى مثل هذا، أمرت المامور على الماء- محمود آب دار- أن يذهب إلى الطبيب على، و يأتيني بشربة مكيفة، فأرسلنى الطبيب من الكأس نصفه، أصفر اللون حلوا، في زجاجة صغيرة، فلما شربته أعجبت سكره، و بعد ذلك بدأت بالشرب مضيفا كل يوم كميته، حتى لم أكد أسكر من خمر العنب، فبدأت بالعرق و أزيد فيه يوما فيوما إلى تسعة أعوام، كنت أشرب فيها عشرين كاسا من عرق معرق مرتين- أربعة عشر في النهار و الستة الباقية في الليل. فزنة جميع ما كنت أشربه يوميا كانت ستة «سير»[[28]](#footnote-28) من وزن الهند و سير و نصفه من وزن إيران و كان من طعامى تلك الأيام ديك بخبز و بقول. و لم يكن يستطيع أحد أن ينهاني، فاستمرت بي الأحوال، و انتهت إلى أنى ما كنت أتمكن من رفع الكأس لشدة الارتعاش في يدي، فكان يسقينى غيرى، فدعوت الطبيب همام، و هو أخو الطبيب أبي الفتح من مقربي والدى، و أخبرته بما أنا فيه. فقال رقة و إخلاصا بي: يا صاحب العالم! العياذ باللّه العظيم، قدر ما تشرب من العرق لو استمر بك الحال على هذا المنوال ستة أشهر لتعدى المرض حد التداوي، فتأثرت بما أظهر من التوجع و عواطف الخير، و جعلت أقصر و أنقص و صرت أتناول «فولنيا»، و ما قصرت في الخمر أضفت في فلونيا، ثم بعد ذلك أمرت أن يقدموا إلي، حين يقدمون خمرا مزدوجا بالعرق جزئين من الخمر و جزء من العرق، و هكذا أقصرت يوما فيوما، حتى أنتهى الأمر في سبعة أعوام إلى ستة كؤوس، و كل كأس كان يوازي ثماني عشر مثقال، و لا أزال أشرب هذا القدر منذ خمسة عشر سنوات حتى اليوم، لا أزيد و لا أنقص، و أشرب في كل ليلة إلا ليلة الخميس، لأن يومه يوم‏

ص:172

جلوسي المبارك، و ليلة الجمعة لأنها ليلة مباركة، و لا أبغى أن تنقضى و أنا في غفلة من اللّه و الشكر على نعمائه، و لا أكل من اللحم في يومين- يوم الخميس و يوم الأحد. أما الأول، فلأنه يوم جلوسي و الثاني لأنه يوم ميلاد أبي، و كان يجلّه و يحترمه. ثم بعد ذلك عوضت أفيون عن فلونيا، و اليوم أنا في السادس و الأربعين و اربعة أشهر من عمري على حساب السنوات الشمسية و السابعة و الاربعين و تسعة أشهر على حساب السنوات قمرية آخذ من أفيون ثماني «رتيات» في النهار بالساعة الخامسة، و ستة «رتيات» بعد أن تنقضى ساعة من الليل.

\* خطر ببالي مرة وضع قائمة لمصيدى كلها منذ ما بدأت بالصيد إلى اليوم، فأمرت بذلك مسجلى الأحوال و كاتبي الأخبار، فوضعوا قائمة، علمت بها أنه قدم أمامي من المصائد ثماني و عشرون ألفا و خمسمائة و اثنان و ثلثون رأسا من الحيوانات، منها سبعة عشر آلاف و مائة و سبع و ستون رأسا من مصائدي المختصة بي، فيها 86 من الأسد، و الدب، و النمر، و غيرها من السباع، و 899 من بقر الوحش، و 35 من الغزال، و 1670 من الظباء و الثور و الوحش، و 125، 2 من الكبش و الغزال الحمر، و 22 من الوعل، و 23 من الأرنب، و العصافير 964، 13، منها 348، 10 من الحمامة، و 2 من الحدأة و 3 من البازى، و 39 من البوم، و 25 من القمرى، و 97 من البط، و 276، 3 من الغراب، و 70 من التمساح.

\* قام بابا حسن الأبدالى بعمل الاحاطة و السياق، فدخلت في المحاط من الغزال الحمر السبع و العشرين، و من البيض ثمانى و ستين. و فرميت أنا تسع و عشرين غزالا، و رميا كذلك برويز و خرم منها العديدة، و بعد ذلك أجازوا الندماء و المأمورين و الخدم أن يصيدوا. فكان خان جهان من أرمى المصيبين هدفا فأوقع بكل رمية غزالا، و لم يطش له و لا سهم.

\* في الحادى و العشرين على بعد ثلاثة فراسخ من قلعة رهتاس، أحاطوا المصائد تحت إدارة هلال خان، كان اليوم لنا يوم نجاح فقد صدنا مائتي غزال، و استصحبتنا في هذا الصيد من بعض الكريمات، ثم جعلوا من مضافات «رهتاس» محاطا في الرابع و العشرين، و قد حضرته أخواتى و أخرى من السيدات المحترمات،

ص:173

و فزنا ذلك اليوم بمائة غزال».

\* «في السابع أخبر الصيادون بأربعة أسود، فقمت إليها و معى النساء، و استأذنتي نور جهان‏[[29]](#footnote-29)، بعد ما رأت الأسود، فأذنتها فأسقطت أسدين، و ريثما نحن كذلك إذ أطلقت على الباقيتين و اردتهما بطرفة العين، لم يسبقنى من الاصطياد مثل هذا، و ما رأيت إطلاق الرصاص من الهودج و إصابة من غير خطأ، فان الهودج ينصب على الفيل، و الفيل لا يقيم ساكنا عند ما يشعر بوجود الأسد على مقربة منه، بل لا يزال يتحرك، فطربت بذلك، و أنعمت على نور جهان بألف أشرفي، و بسوار مرصع من الألماس، بالغ ثمنه مائة ألف أشرفي».

\* أتوا في تلك الأيام بطير من ولاية زير باد. كان لونه كلون «طوطي» و كان أصغر جثة منه. و من إحدى مزاياه أنه عند ما يقبل الليل. ينوط رجليه بفرع أو بخشبة تنصب لجلوسه، فيبيت معلقا مقلوبا مغردا بالنغمات طول الليل، و يستوى على الشجر عند ما يطلع السحر، و لا يغترف من الماء شربة أبدا، فان الماء يفعل به فعل السم بالحياة!.

\* «اهدى نجل الملك داور بخش أسدا ألف بشاة. فكانا في قفص واحد، و كان الأسد يعاشرها معاشرة الحب و الوداد، فيأخذها تحت جنبيه و يتحرك حركات الحيوانات عند السفاد، فأمروا أن تحتجب الشاة عنه فعز ذلك على الأسد و اشتد قلقا و اضطرابا!».

\* «أتاني مرزا رستم بذئب صاده، فأردت أن أعلم محل مرارته، هل هي داخلة الكبد كما في الأسد، أو هي خارجة عنه كما في غيره من الحيوان، فبان لي بعد الفحص أنها داخلة الكبد».

\* «أروني تمساحا طوله ثمانى أذرع و عرضه ذرع واحد».

\* «أهدى راجه نرسنك ديو، نمرا أبيض، و عندى في قاعة الحيوانات من الطيور و الدواب البيض ما شاهدت كثيرا، و لكنى ما رأيت قبل ذلك نمرا أبيض. تكون‏

ص:174

الوصمات و النقاط للنمر سوداء و لكن في هذا الأبيض رأيت الوصمات زرقاء.

و عندى من الطيور البيض الشاهين. و الهاشة، و الصقر و العصفور، و الغراب و السلوى، و الطاؤس. و هذه الظباء السود لا تجدها إلا في بلاد الهند».

\* و سمعت من الصيادين المعمرين أنه تتولد في قرن الكبش البرى دودة تسبب الحكة، و تدفعه يزحف و يحارب، فان لم يجد كبشا يعاركه، يدق برأسه شجرا أو حجرا و يقرع به ليخفف عن ألمه. فلما فحصت عن ذلك وجدت الدودة في قرن الأثنى و هي لا تحارب و لا تتصادم فعلمت أن ما يروون لا أساس له.

\* «في تلك الأيام أتاني دوريش من سرنديب، كان عنده من الحيوان أنواعا و أصنافا فمنها حيوان رأيت وجهه و صدره كوجه الغنم، و صدره و هيئته كهيئة القرد من غير ذنب، و كان يتأتي بأعمال القردة السود، فنظرا لندرته أمرت المصورين أن يرسموه و يصوروا هيآتها المختلفة».

\* «وضعت أمامي فيل أنثى، و قد سبق منى الأمر بفحص مدة الحمل، فأخبروني بأن الفيل تضع أنثى في ثماني عشر شهرا، و تضع الذكر بعد عام و تسعة أشهر».

\* «أمرت بوزن أكبر المعز فكان 2 منا و 24 سيرا. و وزنوا حمارا وحشيا، و كان أقوى جنسه جثة، فعادل 9 منا و 16 سيرا».

\* «ما رأيت فيما صدت من الأسود إلى الآن أسدا كبيرا ذا روع، متناسق الأعضاء كهذا. فأمرت أن يصوروه كما هو بوصفه، و كانت زنته 2/ 1 20 من جهانكيري».

\* «كتب جدى الملك بابر رحمه اللّه و جعل الجنة مثواه في أحواله بعض الصور للحيوانات، و ذكر من أشكالها و هيآتها، و لكنه لم يأمر ليصوروها، و إنني حيث أرى هذه الحيوانات ذات غرابة، لم أقتنع بالكتابة عنها، و أمرت المصورين أن يرسموا تصاويرها، فيتعجبون برؤيتها، و يدهشون أكثر مما يسمعون عنها و يقرؤن».

و لعله بالتصوير:

كان جهانكير مغرما بالتصاوير و المصورين، فكان يقدرهم أحسن تقدير و يجلهم و يكرمهم بالألقاب و يجزل لهم العطايا. ترى في حاشية دولته المصور أبا الحسن، و منصور

ص:175

النقاش، و بشن داس، أئمة اصلناعة و أساتذة العصر في عملهم، و كان جهانكير نفسه مصورا متقنا، كتب عن نفسه:

\* «فلو كانت صورة، رسم وجهها مصور، و رسم العين و الحاجب مصور آخر، فأنا أفطن للذى رسم الوجه، و ادرك الذي رسم العين و الحاجب».

لم تكن فراسته في التصوير أمرا مبالغا فيه و لا مصطنعا، و لكنه كان أمرا واقعا، فانه منذ ما أرسل مقرب خان تصويرا، وصله من أوروبا، و شاع عنه أنه صور حينما ألقى تيمور القبض على السلطان بايزيد يلدرم، أبي أن يقبل الاشاعة و قال:

\* «لو كان ما يزعمون حقا، لكانت هذه الهدية السنية عندى، من أغلى الهدايا و أعليها و لكنه لا يمثل حلية الأنجال و الأولاد من الأسرة العالية الملكية تمثيلا صحيحا، فلا يطمئن فؤادي لصدق الأمر و صحته».

و لما عاد خان عالم من العراق، و قدم معركة حربية مصورة لتيمور أمام جهانكير، هز فرحا مطربا و قال:

\* «من حسن الحظ لخان عالم و سعادته، أن وفق لهدية ثمينة كهذه تعد من نفائس الدهر و نوادره، و هي المعركة الحربية المصورة «لصاحبقران» (تيمور)، فيها صورته و صور أنجاله الأمجاد و أمرائه العظام الذين كانوا معه في الحرب و كانوا مائتين و أربعين نفرا مكتوبة أسمائهم تحت صورهم. و قد كتب المصور أسمه خليل مرزا، و لا شك أن عمله جليل، و صناعته في غاية الحسن و الاتقان».

و بعد ما ذكر المعركة الحربية المصورة كتب يقول:

\* «أرسلت بشن داس المصور، و كان وحيد عصره في صناعته، إلى العراق مع خان عالم، يرسم صورة الملك و صورة العمائد و الأعيان في دولته».

ص:176

من أعلام عصر جهان كير

(1) آل الطهراني اصهار جهان كير شجرتهم و اعلامهم:

علي بن أبي الحكيم الكيلاني ت 1018 ه

نور الدين الشوشتري (956- 1019 ه)

محمد حسين النظيري النيسابوري ت 1021 ه

محمد تقي الأوحدي ت 1031 ه

محمد شريف النجفي ت بعد 1038 ه

طالب الآملي ت 1035 أو 1036 ه

صالح الاصفهاني ت 1043 ه

محمد شريف الايراني معتمد خان ت 1049 ه

شكر اللّه الشيرازي ت 1048 ه

عبد السلام الحسيني المشهدي ت 1057 ه

محمد اشرف بن عبد السلام الحسيني المشهدي ت 1097 ه

أحسن اللّه ظفر خان التربتي ت 1073 ه

مرشد الشيرازي القرن 11 ه

ص:177

(آل الطهراني) أصهار جهان كير و من بعده‏

الأمير محمد شريف الطهراني (ت 984 ه) (كان من حاشية الإمبراطور الأكبر)

(الأمير غياث الدين الملقب بالنواب اعتماد الدولة (المتوفي سنة 1031 ه) بمدينة لاهور

()

ص:178

غياث الدين الطهراني (ت 1031 ه/ 1621 م)

الأمير الكبير غياث الدين بن محمد شريف، الشيعي الطهراني، نواب اعتماد الدولة، كان من الرجال المشهورين، ولد و نشأ بايران، و قدم الهند بعد ما توفي والده سنة أربع و ثمانين و تسعمائة في أيام اكبر شاه، فتقرب اليه و ولى ديوان الخراج بكابل، و تدرج إلى الإمارة حتى نال الفا من المنصب في آخر عهده، و ولى ديوان البيوتات، ثم لما قام بالملك جهانكير بن أكبر شاه و تزوج بابنته «مهر النساء» التي صارت بعد ذلك «نور جهان بيكم» لقبه اعتماد الدولة و جعله وكيلا مطلقا عنه في مهمات الأمور.

و كان فاضلا حليما متواضعا بارعا في الإنشاء و الخط و الحساب مليح الكلام حسن المحاضرة سليم الذهن.

توفى سنة إحدى و ثلاثين و ألف بمدينة لاهور، كما في نزهه 5/ 311- 312 رقم 494.

اعتماد الدولة أبو الحسن آصف جاه الدهلوي (ت 1051 ه/ 1641 م)

الأمير الكبير أبو الحسن بن الوزير اعتماد الدولة غياث الدين بن محمد شريف، الطهراني يمين الدولة آصف جاه خانخانان سبه سالار الوكيل المطلق، ولد و نشأ في ايران، و انتقل الى الهند مع والده بعد ما توفي جده محمد شريف المذكور سنة أربع و ثمانين و تسعمائة في أيام السلطان اكبر، و اشتغل بالعلم مدة من الزمان، و لما توفي السلطان‏

ص:179

المذكور و قام بالملك ولده جهانكير و تزوج بأخته نور جهان بيكم لقبه اعتماد خان و ولّاه على جونبور، و تزوج بنته أرجمند بانو شاهجهان ابن جهانكير سنة عشرين و ألف، و لقبه جهانكير آصف خان سنة أثنتين و عشرين، و أضاف إلى منصبه غير مرة صار مع الأصل و الاضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخيل، و لما توفي جهانكير دبر آصف خان حيلة لختنه شاهجهان فأعلن بولاية داور بخش بن خسرو بن جهانكير[[30]](#footnote-30) و جمع الجنود تحت لوائه، و دبرت أخته نور جهان بيكم حيلة لحتنه شهريار ابن جهانكير، فوقع الحرب بينهما و ظهرت الغلبة لآصف خان، فقبض على أخته و جعل شهريار مكحولا محبوسا، ثم قبض على داور بخش و أخيه كرشاسب و طهمورث و هو شنك ابنى دانيال بن أكبر بن همايون، و أقعد أخته نور جهان بيكم بمدينة لاهور، فوظفها شاهجهان، و لقب صهره بيمين الدولة آصف جاه، و كان يخاطبه في المحاورة و المراسلة بالعم، و فوض إليه خاتمه (مهر اوزك) و جعله وكيلا مطلقا له، و أضاف في منصبه غير مرة، فصار تسعة آلاف له و تسعة آلاف للخيل، و اقطعه أقطاعا كبيرة تحصل له منها كل سنة خمسون لكّا (خمسة ملايين)، ثم لقبه خانخانان سبه سالار.

و كان عالما بارعا في المنطق و الحكمة و التاريخ و الإنشاء و الشعر، قرأ العلم على الشيخ محمد بن يوسف التتوي السندى، و له ميل عظيم إلى أهل العلم و محبته زائدة لهم، يقربهم إلى نفسه و يبذل عليهم العطايا الجزيلة، و كان العلامة محمود بن محمد الجونبوري صاحب الشمس البازغة ممن يتردد إليه و يستفيد منه، و له من كمال الرئاسة و حسن مسلك السياسة و الفطنة بدقائق الأمور ما لا يمكن وصفه، مع الحلم و التواضع و النقاوة التامة و الشهامة الكاملة و علو الهمة و محبة أهل الفضائل و كراهة أرباب الرذائل ما لا يساويه في ذلك أحد.

و كانت وفاته بالاستسقاء سنة إحدى و خمسين و ألف بمدينة لاهور فدفن بها، و أرخ له بعض اصحابه من قوله: «زهى افسوس آصف خان»، و لا يزال ضريحه قائما في شاهدره القريبة من لاهور.

- نزهة 5/ 15- 16 رقم 28، دائرة المعارف الاسلامية 2/ 257

ص:180

أبو طالب بن أبي الحسن الدهلوى (ت 1105 ه/ 1693 م)

الأمير الكبير أبو طالب بن أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني ثم الهندي الدهلوى نواب شائسته خان أمير الأمراء ابن آصف جاه ابن اعتماد الدولة، ولد و نشأ بأرض الهند و قرأ العلم و تمهر بالفنون الحربية و نال المنصب في صباه خمسمائة لنفسه في اول وهلة خلافا للقانون، و لقبه جهانكير بن اكبر شاه سلطان الهند بشائسته خان، و لما تولى المملكة شاهجهان بن جهانكير اضاف في منصبه غير مرة حتى صار ستة آلاف لنفسه و ستة آلاف للخيل ذوات الأفراس، و لما تولى المملكة عالم كير بن شاهجهان جعل منصبه سبعة آلاف لنفسه و سبعة آلاف للخيل ذوات الأفراس و لقبه بأمير الأمراء، و أعطاه أقطاعا تحصل له منها كل سنة عشرون مليونا من دام (000، 000، 2000) و خصّه بضرب النوبة في الحضرة، و ولاه على إيالات واسعة فسيحة كأرض الدكن و إقليم بنكاله، فعاش في غاية العظمة و الأبهة، و لم يكن له نظير في زمانه في الحلم و التواضع و حسن المعاشرة و إيصال النفع إلى الناس و الإحسان إلى العجزة و الأرامل و الأيتام و غيرها من الأخلاق الرضية و الشمائل المرضية، كما في مآثر الأمراء، و كان قرأ بعض الكتب على العلامة محمود بن الجونبورى و شاركه في الأخذ و القراءة عليه نور الدين جعفر بن عزيزي اللّه المدارى، كما في «كنج أرشدى» و له آثار حسنة من جسور و رباطات و مساجد في كل ناحية من نواحي الهند.

مات سنة خمس و مائة و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

صفي بن بديع الزمان الأكبر آبادي (ت 1049 ه/ 1639 م)

الأمير الفاضل ميرزا صفي ميرزا بن بديع الزمان، القزويني ثم الأكبر آبادي، المشهور

ص:181

بسيف خان، ختن آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني، كان متوليا بديوان الخراج في أرض كجرات، ثم ولى عليها في ايام جهانكير، و ولاه شاهجهان على اقطاع بهار، ثم ولاه على إله آباد، ثم نقله إلى كجرات، ثم استقدمه إلى أكبر آباد و جعله حارسا لمستقر الخلافة، و لما ولى محمد شجاع ابن الملك على بنكاله و كان بمدينة كابل أمر سيف خان أن يذهب إلى بنكاله.

و كان رجلا فاضلا محبا لأهل العلم محسنا إليهم، بنى مدرسة عظيمة بأحمد آباد تجاه القلعة، و كذلك بنى مارستانا كبيرا في تلك البلدة سنة اثنتين و ثلاثين و ألف، مات في محرم سنة تسع و أربعين و ألف بأرض بنكاله، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه 5/ 184- 185 رقم 291.

علي بن أبي الحكيم الكيلاني (ت 1018 ه/ 1610 م)

الفاضل العلامة الكبير الحكيم علي بن ابي الحكيم الكيلاني، أحد الاساتذة المشهورين في الهند، أخذ عن خاله حكيم الملك شمس الدين الكيلاني و عن العلامة فتح اللّه الشيرازي، و أخذ العلوم الشرعية عن الشيخ عبد النبي ابن أحمد الكنكوهي، و كان ذكيا فطنا حادّ الذهن سريع الملاحظة، يكاد يكشف حجب الضمائر و يهتك أسرار السرائر، دقيق النظر في المسائل الحكمية.

قال البدايوني في تاريخه: إنه عالم كبير بارع في المنطق و الحكمة ماهر بالشرع و النقل، قرأ كتب أهل السنة على الشيخ عبد النبي و نظر في مذهبهم و لكنه زيدى غال في التشيع معجب بفضله، يخطئ أحيانا لعجبه و قلة تجاربه، حتى أنه أطعم الهريسة أستاذه فتح اللّه في الحمى المحرقة فمات- انتهى.

قال شاهنواز خان في مآثر الأمراء: إنه اخترع حوضا عجيبا ملآنا بالماء، فيه طريق إلى بيت تحته، إذا غاص الرجل في الماء وجد فيه بابا فيدخل من ذلك الباب الى البيت و لا

ص:182

يدخل الماء فيه، و كان في البيت قدر كاف من الهواء الطيبة و الضياء المشعشع و مكان واسع نظيف يسع لأثنتى عشر رجلا، و فيه ذخيرة من الفرش و الأقمشة و الكتب و الأطعمة مما يشتهيه الرجل- انتهى.

توفى يوم الجمعة لخمس خلون من محرم سنة ثمان عشرة و ألف في أيام جهانكير.

- نزهه/ 294 رقم 472.

نور الدين الشوشتري (956- 1019 ه/ 1549- 1610 م)

القاضي نور اللّه ضياء الدين بن السيد شريف بن نور اللّه بن محمد شاه بن مبارز الدين مندة بن الحسين بن نجم الدين محمود بن احمد بن الحسين بن محمد بن ابي المفاخر بن علي بن أحمد بن أبي طالب بن ابراهيم بن يحيى بن الحسين بن محمد بن ابي علي بن حمزة بن علي بن حمزة بن علي المرعش بن عبد اللّه بن محمد الملقب بالسيلق بن الحسن بن الحسين الأصغر بن الأمام علي زين العابدين بن الأمام الحسين بن أمير المؤمنين علي عليهم السلام التستري المرعشي صاحب كتاب احقاق الحق و مجالس المؤمنين و غيرهما ولد سنة 956 و استشهد سنة 1019 و تاريخ شهادته بالفارسية (سيد نور اللّه شهيد شد) كان من أكابر علماء العهد الصفوي معاصرا للشيخ البهائي قرأ في «تستر» على المولى عبد الوحيد التستري و لم نحط خبرا بتفصيل من أخذ عنه العلم غيره غير مادّلنا على غزارة علمه و عبقريته و مشاركته في العلوم و نبوغه فيها من كتبه الثمينة و اثارة القيمة و سيأتي ذكر عناوينها.

و قد هاجر من وطنه (تستر) الى المشهد الرضوي لتحصيل العلوم و لما بلغ ما أراد رحل الى الهند و تقرب الى ابي الفتح بن عبد الرزاق الكيلاني فشفع له عند السلطان اكبر شاه فقابله فأعجبه فضله و ألمعيته فجعله قاضي القضاة و قبله السيد و شرط ان يحكم فيه بمؤدى اجتهاده غير انه لا يخرج فيه عن المذاهب الأربعة فقبل منه ذلك فكان يقضي و يفتي مطبقا له في كل قضية باحد المذاهب الأربعة غير أنه كان مؤدى اجتهاده لأنه لم يك ممن يرى‏

ص:183

انسداد باب الاجتهاد و كان هو من أعاظم المجتهدين ممن منحوا النظر و ملكة الاستنباط و انما كان يتحرى تطبيق حكمه بأحد المذاهب حذرا من شق العصا في ظروفه الحاضرة فاستقر له الأمر و طفق يقضى و يحكم و ينقض و يبرم حتى قضى السلطان نحبه و قام مقامه ابنه جهانكير شاه فسعى الوشاة اليه في أمر المترجم و عدم التزامه باحد المذاهب فردهم بانه شرط ذلك علينا يوم تقلد القضاء و لا يثبت بهذا تشيّعه فالتمسوا الحيلة في اثبات تشيعه و اخذ حكم قتله من السلطان و رغّبوا واحدا في أن يتلمذ عنده و يظهر امره الخفي فالتزمه مدة حتى وقف على كتابه (مجالس المؤمنين) و أخذه بالالحاح و استنسخه و عرضه على اصحابه و وشوا به على السلطان فلم يزل القتاتون ينحتون له كل يوم ما يشين سمعته عند السلطان حتى أحموا غضبه و اثبتوا عنده استحقاقه الحدّ كذبا و زورا و انه يجب ان ضرب بالسياط كمية معينة ففوض ذلك اليهم فبادر علماء السوء الى ذلك حتى قضى المترجم تحت السياط شهيدا على التشيّع في (اكبر آباد) (و قيل) ان زبانية الحقد قتلوه في الطريق اذ جردوه عن ثيابه و جلدوه بالدرة ذات الاشواك فقضى نحبه من ساعته و تناثرت به اشلاء النبوة و اريقت دمائها فلقي جده النبي الأمين صلى اللّه عليه و آله مخضّبا بدمه و كان له سبعون و قبره باكبر آباد يزار و يتبرك به و في العصور الأخيرة اعيدت الى عمارة بقعته جدته و يعرف السيد الشوشتري لدى شيعة الهند خاصة بالشهيد الثالث، و لهم موسم خاص من السنة يحتفلون بذكراه في شهر نوفمبر احتفالا كبيرا جدا حتى ايامنا هذه.

ذكره في امل الامل و قال: فاضل عالم محقق علامة محدث. و في التعليقة على امل الآمل: علامة محدث شاعر منش بالفارسية و العربية، له قصائد بل ديوان في مدح النبي و الأئمة عليهم السلام.

و في الرياض: ( (السيد الجليل الاواه .. الشهير بالأمير، الساكن بالبلاد الهندية صاحب كتاب مجالس المؤمنين و غيره من التصانيف الكثيرة الجيدة و التواليف الغزيرة الحسنة المفيدة، و هو قدس سره عالم ديّن صالح علامة فقيه و كان من عظماء علماء دولة السلاطين الصفوية .. و له ميل الى التصوف و الاعتناء بشأن أهله، و هو أول من أظهر التشيع في بلاد الهند من العلماء علانية، و قد كان ابوه ايضا من أكابر العلماء (و ليس من المستبعد أن يكون احمد بن عبد الاحد السرهندي و أمثاله من شيوخ التعصب وراء قتله فقد حاول هذا

ص:184

الشيخ التزلّف للامبراطور، جهان كير لأجل وقف المدّ الشيعي المتنامي حتى زعم احباء السرهندي بأن الامبراطور (المؤمن) قد بايع السرهندي و دخل في حلقة مريديه و طالبيه! (كتاب للندوي: السرهندي 142، 150)).

و اعلم ان من اسباط هذا السيد الفاضل علي بن السيد علاء الدولة بن السيد ضياء الدين نور اللّه الحسيني الشوشتري المرعشي، و كان يسكن بالهند، و لعله موجود الى الآن أيضا ..

و قال ماسنيون: «سيد نور اللّه بن شريف المرعشي: كاتب أصيل من كتاب الشيعة، دافع عن الإمامية مناهضا أصحاب الجدل من أهل السنة، كما دافع عن الصوفية أمام منكريها و هم غالبية فقهاء الإمامية. و كان الشوشتري قاضى لاهور، و قد حكم عليه بالزندقة بأمر من جهانكير و ضرب بالسياط حتى مات ..»

أولاده:

السيد شريف، المتوفى سنة 1020 ه، السيد علاء الملك مؤلف كتاب محفل فردوس في أحوال والده، السيد محمد يوسف.

شعره:

السيد مير ابو المعالي المتوفى 1046 ه، السيد مير علاء الدولة.

مرّ اشادة المترجمين له باجادته للشعر و روي انه كان يتخلص بلقب (نوري) كعادة شعراء الفرس و الهند في ذلك و من شعره ما قاله في الرد على قصيدة السيد حسن الغزنوي (بالفارسية):

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شكر خدا كه آلهي است رهبرم‏ |  | و زنار شوق اوست فروزنده‏ |
| اندر حسب خلاصه معنى و صورتم‏ |  | و اندر نسب سلاله زهرا و حيدرم‏ |
| دار أي دهر سبط رسولم بدر بود |  | بانوي شر دختر كسرى است‏ |
| هان اى فلك جواين بدرانم بكي‏ |  | ياسر به بندكي نه واز آذري برم‏ |
| شكر خدا كه جون حسن غزنوي‏ |  | يعنى نه عاقد والد و نه ننك مادرم‏ |
| بادم زبان بريده جو آن ناخلف اكر |  | مدخ مخالفان علي بر زيان برم‏ |
|  |  |  |

ص:185

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| داند جهان كه او بدر و غش كواه‏ |  | در آنكه كفت قره عين بيمبرم‏ |
| شايسته نيست آنهم ار آن خلف كه‏ |  | شايسته ميوه دل زهرا و حيدرم‏ |
| فرزند را كه طبع بدر در نهاد نيست‏ |  | باكي ذيل مادر او نيست باورم‏ |
|  |  |  |

و من شعره:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عشق تونها ليست كه خاري ثمرا |  | من خاري ازا آن باديه ام كاين‏ |
| برمانده عشق اكروزه كشاني «كذا» |  | هشدار كه صد كونه بلا ما حضر |
| وه كاين شب هجران تو بر ماجه در ازا |  | كوئي كه مكر صبح قيامت سحر |
| فرهاد صفت اينهمه جان كندن نورى‏ |  | در كوه ملامت بهواى كمر اوست‏ |
|  |  |  |

و له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أي در سر زلف تو |  | صد فتنه بخواب اندر |
| در عشق تو خواب من‏ |  | نقشى است بآب اندر |
| در شرع محبت زان فضل است تيمم را |  | كزدا من با كان هست كردى بتراب‏ |
|  |  |  |

كتبه:

1- احقاق الحق: كتاب كبير: و هو الذي اتخذ ذريعة لقتله نقد فيه القاضي الفضل بن روزبهان في ردّه على العلامة الحلي في كتاب (نهج الحق و كشف الصدق)، و قد جاء في خاتمته ما يلي:

هذا آخر ما قصدته من إيضاح مقاصد الكتاب المستطاب، و إنجاح مسؤل الأحبة و الأصحاب، من الرد على رؤساء ذوى الأذناب، خصوصا الناصي الشقى المرتاب، الزائغ عن طريق الصواب، و ذلك من حلائل نعم اللّه الوهاب، على عبده الأواب، الراجي للشهود العيني، المجاهد أعداءه بالسيف القيني، و الرمح الرديني، نور اللّه ابن شريف المرعشي الحسيني، كان اللّه له، و أحرى على نهج الحق عمله، و المسؤل من فضله العظيم و كرمه العميم، أن يجعل مقاساتي في نصرة هذا المعشر، ذريعة مخلفة لزاد المحشر، و وسيلة مزلفة إلى سيد البشر، و آله الأئمة الاثني عشر، و أن يرزقني طلب ثأرهم، مع الإمام المهدي‏

ص:186

يدعو إلى اقتفاء آثارهم، و أن يحشرني في زمرة أحبائهم و أنصارهم، و يبوئني في دار القرار في جوارهم، و المأمول من أفاضل المؤمنين الذين هم في حب الدين، أن يدعوا لي بدعاء الانتظام في زمرة الآمنين، إذ وقفوا على ما قاسيته في نظم هذا العقد الثمين، من عرق الجبين، و كد اليمين، فانه سبحان «لا يضيع اجر المحسنين». و أن يصلحوا ما فيه من الفتور و التقصير، و مظان المؤاخذة و التعبير، فان قلة بضاعتى لائحة، و إضاعة وقتي في الشواغل الدنيوية واضحة، مع ما أنا ما فيه من غربة الوطن و غيبة الكتب و ضيق البال، بمفارقة الأهل و الآل، إذ بعد ما ركبت غارب، الاغتراب في مبادئ الشباب، لتحصيل الحكم، و تكميل الفيوض و النعم، من وطنى تستر المحروسة، إلى المشاهد المقدسة الرضوية و المأنوسة، رماني زماني إلى الهند المنحوسة، قامت تلك الشوهاء المأيوسة على ازدياد غمي، و اتهمت في عداوتي و إعداد همي، حتى ظننت انها هند الللائكة لكبد عمي، لكن اللّه سبحانه ببركات محبة أهل البيت، عليهم السلام أحيا قلبي الميت، و أجرى بناني على منوال «و ما رميت اذ رميت» فانتصرنا للمصنف العلامة حاشرين، و وسمنا على جاعرة الأشاعرة القاصرين، و الناصبة الفاجرة الخاسرين، «و انتقمنا من الذين اجرموا و كان حقا علينا نصر المؤمنين»، و اللّه الناصر و المعين، و قد اتفق نظم هذه اللآلي، و شحت بها عوالى المعالي، في سبعة أشهر من غير الليالي، لما شرحت من كثرة ملالى، و ضعف القوى و تحول البدن كالشن البالي، و كان آخرها آخر ربيع الأول المنتظم في سلك شهور سنة ألف و أربع عشرة 1014 في بلدة آكره، أكره بلاد اتخذها الكفر و كره، و استعمل فيها الشيطان مكره، صان اللّه المؤمنين عن مكره و جهله، و أخرجهم عن سواد الهند حزنه و سهله، بحق الحق و أهله- انتهى.

و الكتاب مطبوع متداول.

2- كتاب مجالس المؤمنين بالفارسية مطبوع، قال في الرياض: مجموعة سير مدعومة بالوثائق عن سير أكابر شهداء الامامية و الصوفية في الاسلام، و هو كتاب كبير معروف في ذكر طائفة من علماء الشيعة و رواتهم و زمرة من مشاهير الامامية من السلاطين و الامراء و الصوفية و الشعراء في الازمنة السالفة الى زمانه، فرغ من تأليفه سنة تسعين و تسعمائة، و قد أفرط في ذلك و فرط، و هو من جملة البواعث لنا في انشاء هذا الكتاب المسمى برياض‏

ص:187

العلماء، و انما ألف «ره» كتابه المذكور حيث رأى أن المخالفين علينا قد طعنوا بان مذهب الشيعة قد حدث في مبدأ ظهور دولة الصفوية و خروج السطان شاه اسماعيل الصفوي و نحو ذلك من أقاويلهم المخيلة الفاسدة، و كان فراغه من مجالس المؤمنين يوم الخميس الثالث و العشرين من شهر ذي القعدة لسنة عشرة و ألف، و كان افتتاحه في مفتتح شهر رجب المرجب المنتظم في سلك شهور سنة ثمان و تسعين و تسعمائة في بلدة لاهور صينت عن آفات الدهور، هكذا وجدت صورة خطه على آخر كتاب المجالس المذكور.

(3) معائب النواصب في رد نواقض الروافض ألفه باسم الشاه عباس الصفوي. (4) الصوارم المهرقة في رد الصواعق المحرقة. (5) حاشية على تفسير البيضاوي (6) حاشيته على شرح الشمسية. (7) حاشيته على تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (8) حاشيته على شرح الهداية (9) حاشية على شرح الجامي (10) حاشية على الحاشية القديمة للدواني على شرح التجريد (11) حاشية اخرى على تفسير البيضاوي (12) حاشية على تهذيب الأصول للعلامة (13) حاشية على حاشية شرح التجريد (14) حاشية على قواعد العلامة (15) حاشية على الإلهيات شرح التجريد (16) حاشية على شرح الجغميني (17) حشاية المختلف للعلامة (18) شرح الرسالة القديمة في اثبات الواجب (19) حاشية رسالة إثبات الواجب الثانية و هما للدواني (20) حاشية في تزييف حاشية الجلبي على شرح التجريد (21) حشاية على مبحث عذاب القبر من شرح عقائد النسفي (22) شرح بديع الميزان (23) شرح حاشية التشكيك من الحواشي القديمة للدواني (24) نور العين (25) كشف الأسرار (26) واقعة النفاق (27) نهاية الاقدام (28) نهاية رسالة انس الوحيد (29) رسالة رفع القدر (30) حل العقال (31) رسالة بحر الغدير (32) اللمعة في صلاة الجمعة (33) رسالة ذكر العنقاء (34) رسالة عدة الأبرار (35) تحفة العقول (36) موائد الانعام (37) الحواشي على الأجوبة الفاخرة (38) رسالة العشرة الكاملة في عشرة أبواب من المسائل المشكلة أولها تفسير آية الخيط الأبيض و الخيط الأسود (الثاني) حديث ستفترق امتي (الثالث) في ان الكلم بكسر اللام جنس لا جمع (الرابع) في أن اللام في الحمد للجنس لا للاستغراق (الخامس) في معنى اصول الفقة مضافا و علما (السادس) في حكم صلاة الجمعة في عصر الغيبة (السابع) في المنطق (الثامن) في الإلهي (التاسع) في‏

ص:188

الطبيعي (العاشر) في الرياضي على عبارة التحرير (39) حاشية على حاشية الدواني على تهذيب المنطق (40) رسالة السبعة السيارة (41) تفسير إنما المشركون نجس (42) رسالة مبحث التحذير و في نسخة اخرى «التجديد» (43) رسالة الادعية (44) الرسالة الجلالية (45) رسالة لطيفة (46) رسالة في بيان العرض و أنواع الكم (47) رسالة في حقيقة العصمة (48) رسالة في ان الوجود لا مثل له (49) كتاب أجوبة مسائل السيد حسن (أو حسين) (50) رسالة إثبات تشيع سيد محمد نور بخش (51) ديوان قصائده (52) رسالة في رد شبهات الشيطان (53) حاشية على تحرير اقليدس (54) حاشية على خلاصة الأقوال في علم الرجال (55) رسالة الانموذج (56) رسالة في رد مقدمات الصواعق المحرقة لابن حجر (57) رسالة السحاب المطير (58) شرح خطبة حاشية العضدي القزويني (59) حاشية على مبحث الأعراض من شرح التجريد (60) حاشية على المطول (61) شرح حدوث العالم على انموذج الدواني (62) حاشية على شرح المختصر للعضدي (63) حاشية على حاشية الخطائي (64) رسالة النظر السليم (65) رسالة تفسير الرؤيا (66) رسالة كوهر شاه وار بالفارسية (67) رسالة الخيرات الحسان (68) رسالة في نجاسة الخمر (69) رسالة في مسألة الكفارة (70) رسالة في غسل الجمعة (71) رسالة في رد تصحيح ايمان فرعون (72) رسالة في رد رسالة الكاشي (73) رسالة في في ركنية السجدتين (74) رسالة في تعريف الماضي (75) حاشية على رسالة تحقيق كلام البدخشي (76) حاشية على شرح خطبة المواقف للسيد الشريف (77) رسالة الورد و السنبلة بالفارسية «كل و سنبل» (78) رسالة في حكم لبس الحرير (79) شرح رباعي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (80) كتاب منشآته (81) حاشية على مبحث الجواهر من شرح التجريد (82) رسالة في رد شبهة في تحقيق العلم الالهي (83) رسالة في رد ما كتب بعضهم في نفي عصمة الأنبياء (84) شرح مبحث الجواهر من الحاشية القديمة للداوني (85) رسالة في رد ما ألفه تلميذ ابن همام (86) منتخب كتاب المحلى لأبن حزم الأندلسي (87) التعليقات على شرح قاضي يحيي الشافعي (88) أجوبة سؤالات مير يوسف علي الحسيني الاخباري في مسألة اطلاع النبي على ضمائر جميع الناس في جميع الأحوال و الأزمان (89) حاشية على شرح الهداية للميبدي (90) ديوان شعره (91)

ص:189

رسالة متعلقة بقول العلامة الحلي في آخر كتب الشهادات من القواعد (92) ترجمة مقدمات الصواعق (93) مجموعة كالكشكول (94) تفسير آية من يرد اللّه أن يهديه الخ (95) النور الأنور الأزهر في تنوير خفايا رسالة القضاء و القدر ردا على رسالة الفها بعض العامة في رد رسالة استقصاء النظر في مسألة القضاء و القدر للعلامة الحلّي (96) شرح دعاء للأمام علي (ع) و هو دعاء الصباح (بالفارسية) (97) الرسالة المسيحية في مسألة المسح أو الغسل في الوضوء (98) رسالة في وضاعي الحديث.

- [رياض العلماء 5/ 265- 275، أمل الآمل 2/ 336، التعليقة على أمل الآمل/ 328- 329 شهداء الفضيلة/ 171- 184، نزهه 5/ 438- 440 رقم 730، أعيان 10/ 228- 230، الاعلام 8/ 52، روضات الجنان ط 2: 730، نزهه 5، دائرة المعارف الاسلامية 13/، مطلع انوار/ 690- 898 مقدمة كتاب احقاق الحق بقلم السيد المرعشي النجفي (طهران 1376)، الشهيد آكره (بقلم السيد سبط الحسن) العدد اكتوبر 1957. تذكرة علماء أهل بيت و جماعت لاقبال احمد فاروقي (لاهور 1975) ص 101، تذكرة مجيد تأليف. سبط الحسن (لكهنو 1978). نيرين لحافظ علي صابر (لكهنو 1962) مكاتيب يوسف علي اخباري و شهيد ثالث تاليف عبد الرحيم بغدادي (مخطوط في المكتبة الاصفية برقم 1184 (فن الكلام) وkcorB .2 .S : 607،ueiR ، فهرس المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني، لندن 1879، ج 1، ص 3 37

ehizdloG: red ethcihcserutaret iL ruZ egartieB nehcsitirrus kimelop red dna aihS

فينا 1874.

محمد حسين النظيري النيسابوري (ت 1021 ه/ 1612 م)

الشيخ الفاضل محمد حسين النظيرى النيشابوري الشاعر البليغ الوحيد في مقاصده، البعيد الغاية في ميدانه، ولد و نشا بمدينة نيشابور، و قدم الهند لعله سنة اثنتين و تسعين و تسعمائة فدخل آكره، و تقرب إلى مرزا عبد الرحيم خان و نال الصلات منه، ثم سار معه إلى أحمد آباد و لازمه زمانا، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين سنة اثنتين بعد الألف فحج و زار و رجع الى الهند، و تحسس في نفسه شيئا فقرأ النحو و العربية على محمد بن الحسن المندوي، و أخذ الحديث و التفسير عن الشيخ حسين الكجراتي، و سكن بمدينة احمد آباد

ص:190

و اعتزل عن الناس و رفض الدنيا و أسبابها.

له ديوان شعر يحتوى على المعاني الرقيقة و المباني الرشيقة، لم يبلغ مداها أحد من الشعراء المفلقين من أهل إيران، و هو مقبول متداول في أيدي الناس.

يقول مير تقي الدين الكاشاني ان اصله من جوين، و سواء صح ذلك أم لم يصح فإنه نيسابوري كان تاجرا و في الوقت نفسه تعاطى العلم و الأدب و الشعر، سافر في تجارته الى العراق و آذربيجان، و لجمعه بين التجارة و الشعر و الأدب كانت له منزلة خاصة عند العراقيين و الأذربيجانيين، كما يقول مير تقي الدين و قد اتصل بالشعراء و ألأدباء في كلا البلدين، مواصلا ثمرته في الشعر عندهم، و كان يقرأ غزلياته في المحافل الأدبية و من هناك سافر الى هند، و في اكره اتصل بميرزا عبد الرحيم خان خانان و مدحه بأول قصيدة، ثم لازمه، و يظهر من بعض القرائن ان سفره كان سنة 992 أو في ابتداء الذي كان يحب الأدب و الشعر، و كان الشاعر يمدحه بشعره. و لما نوى السفر الى الحج أمن له خان خانان الزاد و الراحلة، و لكن سرق بعض امواله في الطريق، فلجأ الى الأخ الرضاعي للملك جلال الدين اكبر، (الخان الأعظم ميرزا) الذي كان هو الآخر مسافرا للحج و مدحه بقصيدة، فكان ما حصل عليه من الخان سادا لحاجته في السفر.

و ورد في بعض الكتب انه بعد رجوعه من الحج ذهب الى أحمد آباد في كجرات، و تاجر هناك و أثرى من تجارته، و كان بيته ملتقى الشعراء القادمين في كل مكان، و كان يودّهم و يعطيهم و يمدحهم بأشعاره، كما كان يمدح الامير مراد بان الملك الذي كان واليا على كجرات من قبل ابيه، و في الوقت نفسه لم يكن ينس خان خانان في قصائده.

و في سنة 1014 تولى نور الدين جهانكير الملك بعد أبيه فطلبه الى قصره و مدحه الشاعر بقصيدة أشار اليها جهانكير في مذكراته، قائلا: «انه نظم قصيدته المشهورة بالفارسية، و اعطيته الف روبية و جوادا» اه.

و في سنة 1019 و هو لا يزال عند جهانكير مدحه بقصيدة اخرى و حصل منه على ثلاثة آلاف بيكه، من الأراضي.

و هكذا عاش في كجرات تاجرا و شاعرا حتى وفاته.- و كما مرّ فانه- كان قد

ص:191

تعلم اللغة العربية و العلوم الدينية، و اللغة الهندية عند الشيخ غوثي المندوي مؤلف كتاب (كلزار البار). و قد ذكره الشيخ المندوي في كتابه. كما أخذ الحديث و التفسير عن مولانا حسين جومري. و في سنة 1020 رجع الى احمد آباد كجرات و بقي فيها حتى توفي سنة 1021 و دفن في محلة تاج بوره بأحمد آباد، و قبره فيها معروف حتى اليوم تعلوه قبة.

و قد ذكر بعضهم ان وفاته كانت سنة 1022 أو 1023 و الصحيح في وفاته هو ما ذكرناه.

يعده عبد الباقي النهاوندي من الأمراء و ذلك: أولا للحياة التي كان يحياها، و لعقاراته و ثروته التي حازها من أرباح تجارته و مما كان يصل اليه من جوائز على قصائده. ثانيا لاتصاله الدائم بالملك جلال الدين و خان خانان و ميرزا اعظم.

و قد كان صلبا في تدينه، و في احدى قصائده التي مدح بها الأمير مراد و اثنى عليه لايمانه، هاجم بشدة الملحدين و الذين لا يعتنون بالدين. و هو في قصائده الاعتقادية يبدأ بحمد اللّه ثم يمدح النبي (ص) و الأئمة (ع)، ثم يأخذ في هجو الملحدين.

كان كريم النفس و صاحب عطايا. بنى قصرا ملوكيا في احمد آباد كجرات جعله دار ضيافة للشعراء و العلماء و الأدباء و الفضلاء. و كان يعيش عيشة الملوك و كبار الناس. و كان ينفق ما جنيه من التجارة و الهدايا على الأحباب و الفقراء، و انهم كانوا ينتفعون به اعظم النفع.

و في أواخر حياته آثر العزلة و الانزواء عن الناس.

طبع في الهند و ايران ديوانه الذي قدمه الى خان خانان، و هو يحوي الغزل و مدائح النبي و الأئمة و وحي المناسبات و وصف الشعراء و الأحباب و الملوك. و قد قال أحد مؤرخي الأدب الفارسي عن شاعريته: انه شاعر رقيق البيان، دقيق الوصف ن جميل الغزل، لطيف الكلام، مع فكر فلسفي عرفاني. كان من أكابر شعراء زمانه انه ليس كسعدي و حافظ.

و لكن بعض غزلياته العرفانية الصوفية لا تقل لطفا و جمالا و ابداعا عن أشعارهما.

و من الطرائف في حياة المترجم ان شاعرا معاصرا له يلقب بنظيري أي بنفس اللقب الذي يلقب به هو، و كان يقال احيانا: نظيري مشهدي، و سافر المشهدي سنة 1003 من مشهد الى مكة و منها الى الهند و وصل الى مدينة بيجابور و اتصل بعادل شاه ابراهيم الثاني (987- 1035) من سلالة العادل شاهية في الدكن، و أصبح من جملة كتابه، و كان لا

ص:192

يعرف إلا بنظيري، فطلب اليه المترجم ان يغير لقبه، فوافق على ذلك و حذف الباء من لقبه فصار لقبه (نظير) فدفع له المترجم لقاء ذلك عشرة آلاف روبيه، و يبدو ان الحرف (ي) يعادل في حساب الجمل رقم (10) و لذلك جعل المبلغ عشرة آلاف.

و صاحبنا نظيري المشهدي (نظير) و هو شاعر الغزل. على ان هناك من توهم بان (نظير) هذا هو نظيري الذي عاش في القرن التاسع، و لم ينتبه الى الفارق الزمني بين الشاعرين.

و من بدائعه قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تو بخويشتن جه كردي كه بما كنى نظيري‏ |  | بخدا كه واجب آمد ز توا احتراز |
|  |  |  |

و قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رسوا منم وكرنه تو صدبار در دلم‏ |  | رفتي و آمدي و كي را خبر |
|  |  |  |

و قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بر صوفي بي وجد وبال است عبادت‏ |  | بر شيشه كه خالى است زمي‏ |
|  |  |  |

و قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كمر در خدمتت عمريست مى‏بندم جه شد |  | برهمن ميشدم كر اين‏قدر زنار |
|  |  |  |

و قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مرا بساده دليهاى من توان بخشند |  | خطا نموده‏ام و جشم آفرين دارم‏ |
|  |  |  |

- نزهه 5/ 376- 377 رقم 609.

و فيه (توفي سنة ثلاث و عشرين و ألف بمدينة أحمد آباد و دفن في فناء المسجد الذي بناه عند بيته) مستدركات 3/ 212.

محمد تقي الأوحدي (ت 1031 ه/ 1631 م)

الشيخ الفاضل مرزا محمد تقي بن معين الدين محمد الحسيني الدقاقي البلياني من نسل‏

ص:193

الشيخ أبي على الدقاق، كان من العلماء المبرزين في العلوم الأدبية، ولد و نشأ بأصفهان، و سافر الى «كاشان» فسكن بها مدة من الدهر من ثم قدم الهند و سكن بمدينة آكره في أيام جهانكير بن أكبر شاه سلطان الهند، له «سرمة سليماني» كتاب في اللغة الفارسية، و له «غرفات العارفين و عرصات العاشقين» كتاب في تذكرة الشعراء لم يؤلف مثله قبله و لا بعده، صنفه بآكره في سنتين و فرغ من تصنيفه في سنة أربع و عشرين و ألف، و كان يتلقب في الشعر بالأوحد، و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بنكاى فروختم خود را |  | جكنم بيشتر نمى‏ارزم‏ |
|  |  |  |

مات في سنة احدى و ثلاثين و ألف، كما في «مرآة جهان‏نما».

- نزهه 5/ 373 رقم 602.

محمد شريف النجفي (ت بعد 1038 ه- 1628 م)

الشيخ العلامه المؤرخ محمد شريف النجفي ن أصله من النجف الأشرف ولد في حيدر آباد و درس العلوم الشائعة في عصره و اختص بالفقة و الأصول و التاريخ، و دخل معترك السياسة و تقرب الى الامراطور جهان كير فعينه في أحد المناصب الجليلة في عدة أقاليم متباعدة داخل الهند مثل كجرات و مالوه و اجمير و دهلي و آكره و البنجاب و السند و كشمير، له كتاب بعنوان (مجالس السلاطين) اتم تاليفه سنة 1038 ه.

- «مطلع انوار 551، تاريخ ادبيات مسلمانان باكستان و هند 4/ 503».

طالب الآملي (ت 1035 أو 1036 ه/ 1625- 1636 م)

أحد كبار الشعراء باللغة الفارسية، اشتهر في ايران و الهند في القرن الحادي عشر الهجري، ولد في آمل و بهادرس و اشتهر كشاعر منذ صباه، و في سنة 1010 انتقل الى‏

ص:194

اصفهان ثم كاشان و بقي فيها حدود خمس سنوات و فيها تزوج و كان له فيها أقارب من جهة والدته، كالحكيم نظام الدين علي الكاشاني طبيب ديوان كل من الشاه طهاسب و خدا بنده كان زوج خالته، و الحكيم ركناي مسيح الشاعر المشهور كان ابن خالته.

و من كاشان عاد إلى آمل ثم انتقل إلى خراسان، و في مرو الشاه جهان لازم كنش خان استاجلو حاكم المنطقة، و نظم المثنوي (خسرو شيرين) باسمه. ثم استأذن الحاكم في العود إلى موطنه لزيارة أهله و أقربائه، و لكنه بدلا من السفر إلى آمل أخذ طريق الهند (سنة 1017) و بعد فترة من الضياع في الهند استقر في قندهار و لازم فيها غازي خان ترخان سنة 1021 و عاش فيها ينظم الشعر في مدحه مشيرا الى ضياعه في الهند بين آكره و لاهور و مولتان و دهلي إلى أن حمله الحظ الحسن إلى قندهار.

و بعد وفاة ميرزا غازي عاود المترجم السفر الى الهند، و كان ذلك في عهد جهانكير (1014- 1037)، فمن قندهار مضى الى اكره. و فيها زار فخر الزمان مؤلف (ميخانه) الذي أعجب به، و من آكره مضى الى سورات قاصدا الملك جين قليج خان فمدحه بشعره، و بقي فترة عاد بعدها إلى آكره و فيها اتصل بمحمد حسين ديانت خان دشت بياضي و أخذ منه رسالة توصية لحاكم كجرات عبد اللّه خان فيروز جنك (1054)، فاستقبله الحاكم بحرارة و عطف عليه، و لكن الشاعر لم يطل المكث عند القائد السفاك، بل عاد الى آكره و منها إلى لاهور، و فيها التقى الشاعر آقا شابور الطهراني ابن عم اعتماد الدولة غياث الدين محمد الطهراني، فعرّفه هذا بابن عمه اعتماد الدولة الوزير الأديب الذي أوصله الى قصر جهانكير و من ذلك الحين أخذ نجمه يسطع، و في سنة 1028 أصبح بمنزلة أمير الشعراء بالغا كمال العزة، و ظل كذلك سبع سنوات أو ثمانية، ثم تعب و تملكه النسيان حتى وفاته.

و قد ترك بنتين يبدو أن امهما كانت قد ماتت قبله لذا تكفلهما ابن خاله الحكيم ركناي مسيح و نقلهما إلى بيته معتنيا بتربيتهما و تنشئتهما، كما أنه رثاه بقصيدة من الشعر.

يتضمن ديوان طالب ما بين تسعة آلاف إلى خمسة عشر ألف بيت من الشعر على ما قاله كتّاب السير، و هناك نسخة من الديوان مطبوعة في طهران سنة 1346 تشتمل على‏

ص:195

22968 بيت شعر، ما بين القصيدة و التركيبة و الترجيعات و المثنوي و الغزل و الرباعيات و المفردات و معظمها في مدح الحكام المازندرانيين، و ميرزا غازي خان ترخان، و ديانت خان، و عبد اللّه خان، فيزوز جنك، و اعتماد الدولة، و جهانكير، و قسم منها في مدح الأئمة عليهم السلام، و قسم في مختلف المناسبات. و من مثنوياته: القضاء و القدر و له الحرف و الأنين، و مثنوي باسم جهانكير.

- (مستدركات 4/ 8).

صالح الأصفهاني (ت 1043 ه/ 1633 م)

الشيخ الفاضل الكبير ميرزا صالح الأصفهاني، أحد العلماء المبرزين في الشعر، يصل نسبه بثلاث وسائط إلى صدر الدين الطبيب الأصفهاني، قدم الهند و تقرب الى جهانكير ابن اكبر شاه ثم إلى ولده شاهجهان فولى على بعض المتصرفيات، و كان شاعرا بارعا في العلوم، توفي سنة ثلاث و اربعين و ألف، كما في «يد بيضاء». نزهة 5/ 176- 177 رقم 278.

محمد شريف الايراني معتمد خان (ت 1049 ه/ 1639 م)

الأمير الفاضل ميرزا محمد شريف بن دوست محمد الإيراني المشهور بمعتمد خان، كان من الرجال المعروفين بالتاريخ و السير و الأنساب، قدم الهند و تقرب الى جهانكير بن أكبر شاه و صار من ندمائه حتى أنه كان يدخله في المنزل معه، له «اقبال نامه جهانكيري» كتاب في أيام جهانكير صنفه في ثمان كراريس بالفارسي، و كان منصبه في آخر أيامه أربعة آلاف له و ألفين للخيل، مات في سنة تسع و أربعين و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه 5/ رقم 622

ص:196

شكر اللّه الشيرازي (افضل خان) (ت 1048 ه/ 1638 م)

مولانا الشيخ العلامة شكر اللّه الشيرازي، أحد فحول العلماء، لم يكن له نظير في عصره في الحساب و الهيئة و الهندسة و سائر الفنون الرياضية، ولد و نشأ بشيراز، و تلقى الخط و الحساب عن أبيه، و ولى مكانه بخدمة في ديوان الخراج، و لما بلغ الرشد ترك الخدمة و صحب علامة العلماء تقي الدين محمد الشيرازي، و قرأ عليه المنطق و الحكمة و غيرها من العلوم، ثم ذهب إلى قزوين و استظل بعضد الدولة فرهاد خان و صاحبه مدة، و لما قتل عضد الدولة ذهب إلى همدان و صحب إبراهيم حسن الهمداني الفاضل و استفاد منه فوائد كثيرة، ثم سافر الى العراق فزار المشاهد و دخل الهند من بند كنباية، و أدرك عبد الرحيم بن بيرم خان بمدينة برهانبور فجعله من ندمائه، و شفع له إلى جهانكير بن أكبر سلطان الهند و ولاه خدمة في برهانبور، فاستقام عليها ثلاث سنوات، ثم شفع له فولى الكتابة بديوان الخراج و لقب بأفضل خان، كما في «مآثر رحيمي».

و قال عبد الحميد اللاهوري في «بادشاه نامه»: إن عبد الرحيم ابن بيرم خان قربه الى شاهجهان حين قدومه إلى بلاد الدكن، فشفع له شاهجهان إلى أبيه جهانكير و استخدمه، ثم لما سار شاهجهان بعساكره إلى أوديبور بأمر والده لتأديب رانا أمر سنكه ذهب شكر اللّه في موكبه، و لما رجع شاهجهان إلى الحضرة شفع له، فلقبه جهانكير أفضل خان و أعطاه المنصب، ثم لما قام شاهجهان بالملك بعد أبيه أضاف في منصبه و رقاه من الإمارة إلى الوزارة، و كان ذلك في السنة الثامنة الجلوسية، و أضاف في منصبه غير مرة حتى صار مع الأصل و الإضافة سبعة آلاف له و أربعة آلاف للخيل، فاستقل بالوزارة إلى وفاته.

و كان رجلا فاضلا وقورا حازما شجاعا مقداما عاقلا حسن الأخلاق كثيرا لفوائد جيد المشاركة في العلوم، له يد بيضاء في الحساب و الهندسة و الهيئة و سائر الفنون الرياضية و الحكمة.

و قال محمد صالح في «عمل صالح» ما يؤيد كلام عبد الحميد غير أنه خالفه في المنصب فقال: إنه نال سبعة آلاف له و خمسة آلاف للخيل في آخر أيامه- ثم أثنى على‏

ص:197

براعته في العلوم الحكمية ثناء جميلا.

و كذلك شاهنواز خان في «مآثر الأمراء» أثنى عليه و قال: إنه كان مشكور السيرة مهذب الأخلاق نادرة من نوادر الدهر في العلوم الرياضية.

توفى في الثاني عشر من رمضان سنة ثمان و أربعين و ألف بلاهور فأرخ الناس لوفاته، بعضهم من قوله «علامى از دهر رفت».

- نزهه 5/ 170- 171 رقم 269.

محمد أشرف المشهدى (ت 1097 ه/ 1685 م)

الشيخ الفاضل محمد أشرف بن عبد السلام الحسيني المشهدى، أحد الرجال المعروفين بالفضل و الكمال، كان حارسا لمدينة برهانبور حين كان والده واليا على أقطاع الدكن، و لما توفى أبوه تقرب إلى شاهجهان بن جهانكير سلطان الهند، تدرج الى الإمارة حتى صار مير بخشيا في عهد عالمكير، و كان رجلا فاضلا حليما كريما متورعا سليم الذهن حسن الأخلاف متين الديانة، له يد بيضاء في النسخ و التعليق و الرقاع و أكثر الخطوط و له منتخبات المثنوى المعنوى، مات في تاسع ذى القعدة سنة سبع و تسعين و ألف في عهد عالمكير، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه ج رقم 592.

عبد السلام المشهدى (ت 1057 ه/ 1647 م)

الأمير الكبير مير عبد السلام الحسينى المشهدى، أحد الرجال المعروفين بالسياسة و التدبير، قدم الهند و تقرب إلى شاهجهان بن جهانكير التيمورى فولاه على ديوان الإنشاء و جعله وكيلا له في حضرة والده جهانكير سنة ثلاثين و ألف، و لما قام بالملك أضاف في منصبه و جعله أربعة آلاف له و ألفين للخيل و لقبه «إسلام خان» و ولاه على بخشيكرى‏

ص:198

فاستقل به أربعة أعوام، ثم أضاف في منصبه و ولاه على كجرات فاستقل بها سنتين ثم جعله «مير بخشى» فأرخ له بعضهم من قوله «بخشى ممالك» فاستقل به سنتين، ثم ولى على أرض بنكاله فاستقل بها أربع سنين، ثم ولى الوزارة الجليلة فاستقل بها خمس سنوات، ثم ولى على إقليم الدكن، و أضيف في منصبه غير مرة حتى صار مع الأصل و الإضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخيل.

و كان عالما كبيرا بارعا في العقول و المنقول و الإنشاء و الخط، حريصا على الخدمة السلطانية، صاحب دهاء و تدبير و سياسة.

توفى في رابع عشر من شوال سنة سبع و خمسين و ألف بمدينة أورنك آباد فدفن بها، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه، 230 رقم 352.

أحسن اللّه ظفر خان التربتي (ت 1073 ه/ 1662 م)

الأمير الفاضل الباذل نواب أحسن اللّه بن أبى الحسن التربتى نواب ظفر خان، أحد الأمراء المشهورين في ارض الهند، ناب الحكم عن والده بكامل مدة من الزمان و بكشمير برهة من الدهر في أيام جهانكير و ولده شاهجهان على بلاد السند، و أضاف في منصبه، و صار مع الأصل و الإضافة ثلاثة آلاف له و ثلاثة آلاف للخيل، و لما قام بالملك عالم كير بن شاهجهان عزله عن الولاية و المنصب، و وظفه بثلاثين ألفا تحصل له كل سنة من الجراية الشاهانية.

و كان والده من أهل السنة و الجماعة، فخالفه في المذهب و صار شيعيا متصلبا في المذهب.

و كان باذلا كريما يرسل الصلات و الجوائز للناس إلى بلاد الفرس، و قد مدحه الشعراء بأبيات رائقة رقيقة، منهم مرزا محمد على الصائب التبريزي قال فيه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كلاه كوشه نجو رشيد و ماء مى‏ |  | باين غرور كه مدحت كر ظفر خانم‏ |
|  |  |  |

ص:199

و قال فيه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| حقوق تربيت را كه در ترقى باد |  | زبان كجا است كه از حضرتت سخن‏ |
| توباى تخت سخن را بدست م دادى‏ |  | تو تاج مدح نهادى بفرق ديوانم‏ |
| زروى كرم تو جوشيد خون معنى من‏ |  | كشيد جذب تو اين لعل از رك جانم‏ |
| تو جان زدخل بحا مصرعى مرا دادى‏ |  | تو در فصاحت دادى خطاب سحبانم‏ |
|  |  |  |

و لأحسن اللّه خان أبيات رائقة بالفارسية قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| به تيغ بى‏نيازى تا |  | توانى قطع هستى كن‏ |
| فلك تا افكند از با |  | ترا خود بيشدستى كن‏ |
|  |  |  |

في عام 1041 ه عين شاه جهان (1037- 1069) حاكما على كشمير بدلا من اعتقاد خان. و أوكل إليه منصب (السهزاري). و حين توجه ظفر خان إلى كشمير، ترك (صائب) الشاعر المذكور بلاط شاه جهان و رافق ظفر خان في رحلته إلى تلك الولاية.

و كان لإقامة ظفر خان في كشمير الأثر البالغ في ازدهار الشعر و الأدب لأن أغلب شعراء ذلك العصر تجمعوا حوله، و طفقوا ينشدون الشعر في حضرته و يتبارون في ذلك، و كان من عادته أن يقترح موضوعا للغزل، يأخذ الشعراء في مجاراته، و قد أسهمت هذه العادة في إضفاء رونق خاص على الشعر و الشعراء.

عزل ظفر خان عن ولاية كشمير عام 1048، و لما غادر كشمير تقوض مجلس الشعر و الأدب فيها. من هنا عدّ ظفر خان من الأشخاص الذين أسهموا في تنمية الشعر و الأدب الفارسي. و سبب إقبال شعراء إيران عليه و خصوصا الشاعر صائب هو اهتمامه الكبير في هذا المجال. و من أشهر الشعراء الذين لازموا مجلسه و ارتبطوا معه بعلاقة خاصة. صايب و كليم و القدسي و الغني و دانش و المير صيدي.

ص:200

كان ظفر خان يطرح قرطاسا يكتب عليه الشعراء شعرهم، و ترسم صورة كل شاعر خلف شعره. و يذكر خوشبو صاحب كتاب «السفينة» أنه رأى هذا القرطاس. و يتحدث صاحب «شمع انجمن» و مؤلف «مآثر الأمراء» عن ظفر خان بقولهما: يكفي ظفر خان فخر و شرفا إن الميرزا صائب امتدحه في شعره.

ينقل عن ظفر خان في أيام شبابه أنه لم يكن يتورع عن محرم و لا ينتهي عن منكر حتى كانت ليلة الاثنين الثاني و العشرين من جمادى الأولى عام 1063 ه حيث رأى الرسول (ص) في الرؤيا فتاب على يده. و أخذ بعد ذلك يؤدي واجباته الدينية و يقرأ الأدعية، فوضع له العلماء كتابا في الأدعية و الأذكار المنقولة عن الأئمة (ع) و سموه «أحسن الدعوات» و أضافوا إليه شروحا باللغة الفارسية و منه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى/ طهران برقم 824.

توفي ظفر خان عام 1073 في لاهور، و دفن في مقبرة أبيه و يمكن القول إن أبرز الأمراء الهنود في زمن شاه جهان ممن ناصروا الشعر و الشعراء و دعموهم بتأييدهم هو ظفر خان الذي كان ينشد الشعر بنفسه، و يستفيد في ذلك من صايب. و قد ذكر ذلك في شعره، و هو موجود في نسخة خطية تحت عنوان «كليات احسن» في مكتبة بانكي بور في الهند تحت رقم 329.

محمد طاهر عنايت خان (ت 1081 ه/ 1670 م)

الميرزا محمد طاهر المعروف بعنايت خان، هو ابن ظفر خان (المتقدم ذكره) من القادة الأدباء الشيعة، كان يعتني بالشعراء و الأدباء و يجالسهم و له ديوان شعر و ثلاثة في المثنوي.

و له في النثر تلخيص للملا عبد الحميد اللاهوري المتوفى 1065 ه. «بادشاه نامه» و هي تفصيل لثلاثين سنة من سلطنة شاه جهان و سماه التلخيص المذكور باسم «الملخص».

و يذكر صاحب كلمات الشعراء أنه أفصح من الملا حميد.

عين عنايت خان في عهد شاه جهان في منصب ال «ه زار و بانصدي»

ص:201

«و البنجهزاري و السه هزاري و الهزار و بانصدي اصلاحات مشتقة من الأرقام الفارسية تعنى خمسة آلاف و الثاني ثلاثة آلاف و الثالث الالف و الرابع الخمسمائة، و هكذا». و لكنه عزل في عهد ابنه عالم كير (1069- 1119) فقضى حياته في كشمير معتزلا حتى وافته المنية عام 1081.

- نزهه 5/ 37- 38 رقم 62، مآثر الامراء

- مستدركات 5/ 68 و كرر ترجمته.

مرشد الشيرازي (ت القرن 11 ه)

ملا مرشد الشيرازي، كان من الأمراء، قدم الهند، و تقرّب الى مهابت خان «زمانه بيك بن غيور بيك الكابلى المتوفى 1044 ه»، و لبث عنده زمانا، ثم تقرب إلى جهان كير ثم إلى ولده شاه جهان، فلقبه الأخير (مكرمت خان) و تنقل في الوظائف حتى ولى على أيالة دهلي و اضاف في منصبه غير مرة حتى صار أربعة آلاف له و أربعة آلاف للخيل، و كان فاضلا كريما بارعا في الهيئة و الهندسة و الحساب، يرجع إليه فضل كبير في تأسيس شاهجهان آباد و قلعتها.

- (نزهه ج، رقم 688)

ص:202

خرّم شاه جهان (1000- 1075 ه/ 1592- 1666 م)

الأمبراطور خرّم شاه، الأبن الثالث للامبراطور جهان كير، سماه جده ب (خرم) أي (مسرور)، و لقبه والده: (شاه جهان) و لما اعتلى العرش في آكره في 1036 ه/ 1628 م.

تلقب ب (شهاب الدين محمد صاحب القران الثاني) و كان من أعاظم ملوك الأسرة المغولية و قد امتد صيته الى العالم أجمع، و بدأ عهده بالتخلص من أخيه الوحيد الباقى على قيد الحياة و هو شهريار اذ مات خسرو في سجنه و مات برويز قبل والده بسنة، و قد ادعى شهريار الملك فتصدى له آصف خان و دفعه عنه و أعلن ملكية داور بخش بن خسرو، بيد أنه لم يكن يرمي من وراء ذلك إلا أن يتخذ هذا الأمير المغمور درعا للقضاء على شهريار و ليخدع به الناس و يلهيهم حتى يحقق هدفه. و بعد هذه المناورة كان لا بد من أن تلعب السيوف بين مدعيي السلطنة، و لما كان شهريار في لاهور فقد سار إليه آصف خان، و نشبت بينهما معركة انتصر فيها آصف خان، فقبض على شهريار و على ولدى دانيال بن أكبر اللذين كان يخشى عصيانهما فأمره خرم، الذي كان على اتفاق معه لتدبير هذه الخطة، بقتلهم فقتلوا جميعا، ثم أمر خرم قبل أن يدخل آكره بقتل داور بخش فأخذه آصف خان و قتله و ما كاد الوضع يستتب حتى نشبت ثورة جهجار سنكه أمير بندهيل كهند، و كان والد هذا الأمير مقربا إلى الامبراطور أكبر، فكان يستغل عطف الامبراطور عليه و حسن ظنه به، فيظلم رعاياه و يعتدي على جيرانه و يسلب أبناء السبيل الذين يعبرون بلاده، و كان شاه جهان يرى هذا، و هو أمير، و يزعجه و ينوى تأديبه متى آلت إليه أمور الملك، و لكن الرجل مات قبل أن يصل شاه جهان إلى الملك، و كان ابنه جهجار سنكه هذا رهينة في آكره لضمان إخلاصه للملك، كما كانت العادة آنذاك. فلما تولى شاه جهان العرش غادر جهجار سنه آكره، و عاد إلى بلده من غير ان يستأذن الامبراطور،

ص:204

مدعيا أنه خاف بأن يؤخذ بذنوب أبيه.

و كان شاه جهان يتغاضى عن هذه البادرة لو أثبت إخلاصه، و لكن الأمر كان على الضد من ذلك، إذ أنه لم يمض عليه غير قليل حتى ثار في وجه السلطان، سنة 1629، فقمع شاه جهان ثورته و عفا عنه و اكتفى منه بالخراج و الطاعة. و لكن جهجار سنه ثار بعد سنوات مرة ثانية و صار يقطع الطريق بين دكن و بين آكره فجهز الامبراطور شاه جهان جيشا بقيادة ابنه أورنك زيب و أرسله لقمع هذه الثورة، فقمعها و استولى على القلاع الثلاث التي كانت في يده، ففرّ جهجار فطاردته الجنود حتى مقاطعة «كوندوانه»، و كان أهلها أعداء له فأخذوه و قتلوه هو و أصحابه و أعطيت إمارته إلى ديوى سنكه، و هو من أمراء الأسرة التي كانت تملك هذه الإمارة قبل اسرة جهجار سنكه.

و في الوقت الذي كان أورنك زيب يعمل على إخماد هذه الثورة كانت ثورة أخرى تشتعل في دكن أثارها خان جهان لودهي، و كان أيضا من أولياء الأسرة المغولية و تولى في عهد جهانكير ولايتي خانديس و دكن، فلما سمع بوفاة السلطان و ولاية داور بخش العرش أعتبره الوريث الشرعي للعرش و أعلن ولاءه له، فلما قتل داور بخش و تولى شاه جهان العرش تردد خان جهان بالاعتراف به ثم إنه طلب العفو و دخل في الطاعة ظاهرا و لكنه كان يضمر السوء، و لم يمض عليه غير قليل حتى جهز جيشا و سار يريد آكره من غير أن يستأذن السلطان، فذهبت جيوش السلطان تعترض طريقه، و التقى الجمعان بالقرب من مدينة دهولبور فانهزم و فرّ ملتجئا إلى دولت آباد فاستقبله أميراها بالترحاب و الإكرام و أقطعه مقاطعة تقوم بنفقاته ريثما يجمع رجاله و يحكم أمره. و لما سمع الأفغانيون بعصيان خان جهان، و هو أفغاني، أخذوا يتقاطرون عيله من كل حدب و صوب ظنا منهم بأنه سيعيد إليهم أيام شير شاه، فسار إليه شاه جهان بنفسه و طارده و أشتبك معه في عدد من المعارك كانت أخراها معركة نشبت سنة 1631، قتل فيها خان جهان و تشتت جمعه و قضى على ثورته، و حيث أن أمير دولت آباد قد عطف على هذه الثورة، فقد أخذه السلطان و قتله، و ظل السلطان حتى سنة 1632، يجول خلال دكن حتى بلغ حدود كل من إمارتي بيجابور و كولكنده، و لم تكن الجيوش المغولية وصلت من قبل إلى هذا الحد قط، و كان وجود الجيوش المغولية على حدود هاتين الإمارتين مدعاة للتحرش بهما

ص:205

و القضاء عليهما بعد ذلك. فقد بدا المغول يستولون على القلاع الحصينة من غير ان يعلنوا حربا، و أزاء هذه الخطة انقسم أهل البلاد إلى فريقين، فريق لم ير فائدة من القتال فمال إلى المغول، و فريق لم ير بدا من القتال. و قد أرادت بيجابور أن تساعد المغول للقضاء على الإمارة النظامية و اقتسامها بينهما، و لكن القدر شاء غير ذلك، إذ حدث أن قتل وزير الإمارة النظامية، فتح اللّه خان، أمير البلاد و نصب مكانه فتى يافعا اسمه علي حسين، و أدخل الإمارة في طاعة شاه جهان فأفسد على إمارة بيجابور خطتها، و أنقذ إمارته من أعداء كانوا يريدون الفتك بها، و كان أشد هؤلاء الأعداء خطرا زعيم هندوكي اسمه ساهوجي الذي نصّب بالاتفاق مع إمارة بيجابور، أميرا على إمارة دولت آباد، و سار باسم هذا الأمير الفتى، لقتال فتح خان، فاستنجد فتح خان بالمغول فأنجدوه و لكنه انقلب عليهم أثناء القتال و انضم إلى بيجابور، فلم تنفعه حيلته، و لا ضمنت له سلامته، بل انهزم هو و إمارة بيجابور أمام المغول، فدخلوا العاصمة و أخذوا الأمير الشاب علي حسين نظام شاه، و هو آخر أمراء هذه الأسرة، و سجنوه في قلعة كواليار.

و لكن هذه الهزيمة لم تقض على الإمارة بل عصت قلعة برينده، و فرّ ساهوجي بالأمير الذي نصبّه و اتخذه وسيلة لغايته و جعل يشن حروب عصابات في وجه المغول، فأرسل شاه جهان ابنه الأصغر شجاع الدين واليا على الدكن، و أمره بمطاردة العصاة و القضاء عليهم، و لكنه ظل يجالدهم سنة كاملة دون جدوى، فلما رآى شاه جهان ذلك أمر ابنه بالرجوع إلى آكره و سار هو بنفسه، سنة 1635، على رأس جيش إلى الدكرن و أرسل إلى كل من أمير بيجابور و أمير كولكنده يدعوهما إلى الطاعة و أداء الخراج، فأجاب أمير كولكنده بالطاعة، و تلكأ أمير بيجابور، فدخلت الجيوش المغولية بلاده و دمرتها، و تراجعت جيوش الإمارة إلى العاصمة لتنظيم دفاعها، فحصرها شاه جهان فيها و انصرف إلى تدمير المناطق الكائنة في السهول، و بينما كان منصرفا إلى ذلك كان أهل العاصمة يضجون و يطلبون الأمان و يعرضون الصلح، فصالحهم على شروط شريفة و طلب منهم الإخلاص في الصداقة و عدم مساعدة أحد على السلطنة و على أداء الخراج و ضرب النقد و قراءة الخطبة باسم السلطان شاه جهان أمبراطور الهند.

و لم يكن السلطان مخلصا في نيته، بل كان يود أن يقيم في هذه الإمارة حارسا أمينا

ص:206

لأمبراطوريته في الدكن إلى أن يحين الوقت للإستيلاء عليها.

و بعد أن أطمأن السلطان إلى نتائج أعماله قسم الدكن إلى أربع ولايات و عهد بإدارتها إلى أبنه ارونك زيب و أوصاه بالقضاء على الثائرين و رجع سنة 1636 إلى آكره. فعمل هذا الأمير بوصية أبيه و استكمل فتح الإمارة الذي نصبه درعا له، فعفا عنهما، و عهد إلى ساهوجي بعمل في إمارة بيجابور.

و لم تمض سنتان على وجود أورنك زيب في الدكن حتى استولى على منطقة بكلانه، و هي منطقة جبلية تقع ما بين خانديس و سورت، و مشهورة بوعورة مسالكها و منعة قلاعها الحجرية التي لم يستطع «أكبر»، من قبل، الاستيلاء عليها.

بقي أورنك زيب حتى سنة 1642 واليا على الدكن، نشر فيها الأمن و الرفاهية، ثم إنه استقال و أراد اعتزال الأعمال العامة لينصرف إلى نفسه، من الناحية الدينية، و لكن أباه أصر عليه بقبول ولاية كجرات فقبلها.

و في البنغال استغل البرتغاليون فرصة تسامح ملوك المغول معهم و مع غيرهم من الانجليز و الهولنديين فأخذوا يحصنون مركزهم في هوكلي و يتدخلون في شؤون الولاية هناك و لم يتمكن والي النبغال أن يردعهم فاستنجد بالحكومة المركزية فبعث اليه الامبراطور من يؤدبهم، و اشتبك معهم في احدى المعارك الفاصلة، و اسر اربعمائة من رجالهم و كان ذلك سنة 1632 م.

و في سنة 1646 نشبت حروب أهلية في بخارى اضطرت أميرها إلى الاستنجاد بشاه جهان، مقرا بسيادته على بلاده، فرأى شاه جهان الفرصة سانحة ليحقق حلما قديما ما زال يرافق أطماع أسرته منذ عهد بابر، الذي كان يعتبر بلاد بخارى ملكا موروثا اغتصبه منه أولاد عمه الأزابكة، فأنجد أمير بخارى بجيش قوامه خمسون ألف مقاتل سيّره بقيادة ابنه الأمير مراد بخش، فلما دخلت الجنود الهندية مدينة بلخ أسقط في يدي أميرها و ندم على ما فعل و أدرك الخطيئة التي ارتكبها و أيقن بان شاه جهان لن يترك له هذه البلاد بعد ذلك أبدا، ففرّ من بلخ و أخذ يؤلب الناس حتى اجتمع لديه خلق كثير، و جاء فصل الشتاء فغادر مراد بخش بخارى عائدا إلى أكره، و رجع أمير بخارى الى عاصمته، و لكن شاه جهان‏

ص:207

لم يرض عما فعل ابنه، الذي أفسد عليه خطته، فجهز جيشا ثانيا و أرسله سنة 1647، بقيادة ابنه اورنك زيب فقاتل الأزابكة، و لكنه عجز عن أن يفرض عليهم السيطرة الهندية، فعقد معهم صلحا لستر فشله، و عاد إلى الهند بأمر والده الذي أدرك خطأ تفكيره، لا سيما، ان ما استترفته هذه الحرب من نفقات كادت توقع الإمبراطورية في عجز مالي.

فلما عاد أورنك زيب من بخارى عينه أبوه واليا على ملتان فاخضع بعض مناطق في السند، لم تكن خاضعة بعد للسلطنة، و استولى على المنطقة الساحلية من بلوجستان و مكران، و قرئت الخطبة في المساجد و ضرب النقد في هذه البلاد النائية باسم السلاطين المغولية لأول مرة في التاريخ.

و في سنة 1649 عهد السلطان إلى أورنك زيب بقيادة حملة للاستيلاء على قندهار، التي كانت موضع نزاع مستمر بين الإيرانيين و بين الهنود، و كان قد أن قام العاهل الإيراني و ضمها إلى الهند، سنة 1636، فحصنها الهنود و أنفقوا عليها أموالا طائلة، فجاء الإيرانيون و استولوا عليها، سنة 1638، مرة ثانية، فكانوا بذلك معتدين، و قد أراد شاه جهان إرجاعها إلى الحظيرة الهندية، و لكن مهمة أورنك زيب أخفقت، إذ انه خاض مع الإيرانيين معركتين في سنتي 1649 و 1651 فانهزم أمامهم و عاد إلى بلاده. و في سنة 1653 أرسل السلطان أبنه «دارا» لقتال الإيرانين و الاستيلاء على قندهار، و لكن حظه لم يكن بأحسن من حظ أخيه، فانهزم و عاد إلى بلاده، و بقيت قندهار بيد الإيرانيين.

كان (شاه جهان) قد خصص نصف دخله لترقية العمارة و غيرها من الفنون، و قد تجلى ذوقه و عظمته في تجديد و زخرفة آكره، و في تشييد مدينة دهلي الجديدة أو كما سماها (شاه جهان آباد) حيث قضى الجانب الأكبر من شيخوخته التي اتسمت بالبذخ و الترف، معتليا عرش الطاووس المشهور الذي استغرق صنعه سبع سنوات، و قد تضمن هذا العرش الرائع ما لا عين رأت و لا أذن سمعت من نفائس الجواهر و الأحجار النادرة العجيبة الكريمة، و لا شئ غير هذه، فقوائمه الأربع من ذهب، و يحمل سقفه المطلى بالميناء اثنا عشر عمودا من الزمرد، و على كل عمود طاووسان مغطيان بالجواهر، و بين كل طاووسين شجرة يغطيها الماس و الزمرد و الياقوت و اللآلئ، و بلغ مجموع تلك النفائس 1200 كيلو غرام من الذهب و الجواهر بقيمة 29 مليون روبية و لقد استولى «نادر شاه»

ص:208

على هذا العرش و نقله إلى فارس و هناك أخذت أجزاؤه تنتزع شيئا فشيئا لتسد نفقات الأسرة المالكة في فارس.

إلا أن أهم اعماله العمرانية على الاطلاق هو اعجوبة العمائر الاسلامية بل اعجوبة الصروح الاثرية في العالم هو البناء الذي يطلق عليه اليوم اسم (تاج محل) فالروعة و الجمال اللذان يمثلان في هذه الذروة الشامخة التي بلغتها الفنون الاسلامية ما يصح أن يكون عنوانا لأزهى مراحل العصر الاسلامي المغولي في شبه القارة الهندية.

فالفن المعماري الذي يتمثل فيه فن اسلامي خالص لا أثر للفنون الهندية و غير الهندية فيه. و الطراز الهمايوني الذي يتجسد فيه قد بلغ قمة في تاج محل لا نكاد نذكر انه بلغها في غيره.

و قد زاره الكاتب الامريكي بايارد تيلور سنة 1853 فقال فيه: «ان مبنى بهذا الجمال و الكمال، في كافة تفاصيله و دقائقه، لا يلبث ان يسحرك فتحسبه من صنع الجن لا الأنس .. الجان الذين لا يعرفون شيئا من الضعف أو القصور التي يعاني منه الأنسان».

أو كما قال البحتري في وصف ايوان كسرى:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليس يدري اصنع انس لجن‏ |  | أبدعوه أم صنع جنّ لأنس؟ |
|  |  |  |

كل ذلك مصدره حب شاه جهان و وفائه لزوجته (ارجمند بانو) فما هي تفاصيل هذا الحب و الزواج و البناء التذكاري العظيم تاج محل؟

الملكة ممتاز محل صاحبة التاج‏[[31]](#footnote-31)

تبدأ قصة تاج ملح الحقيقية عام 1607 في بلاط جهان كير بمدينة آكرا حيث كان يحتفل السلطان في إحدى المناسبات في (مينا بازار) سوق مينا الملكي و كانت أبواب السوق متصلة بحريم الملك، و في تلك المناسبة لمح الأمير خرم و الذي كان يبلغ السادسة

ص:209

عشر من عمره، محبوبته الأميرة الشيعية ارجمند بانو [ارجمند بالفارسية معناه كف‏ء لائق جدير، و بانو لقب تكريمي يضاف للنساء مثل بيكم أو خاتون‏] بنت آصف جاه ابي الحسن بن غياث الدين ابن محمد الطهراني و عمتها نور جهان زوجة الامبراطور جهان كير، و قد ولدت و نشأت في الهند، و كانت وحيدة عصرها في الحسن و الجمال، ففاتح والده بالزواج منها فأذن له على أن يكون ذلك بعد خمس سنين، و قد تم ذلك في 27 آذار عام 1612، و قد حازت العروسة على رضا السلطان فأطلق عليها اسم «ممتاز محل» و تعني زينة القصر، و كانت امرأة مثقفة ثقافة قرآنية جيدة، وسعت آفاق تفكيرها و فتحت مداركها كما امتازت بالعقل الراجح و الرأي الرزين و سرعان ما أصبحت المستشارة السياسية الأولى لزوجها التي تبوأ الملك بعد ذلك و عرفت برعايتها للفقراء و الأرامل و اليتامى و قد اكسبها ذلك شعبية كبيرة في المملكة و كان زوجها الامبراطور يعهد اليها بحفظ الختم الملكي كما كانت ترافقه الى ساحات الحروب كما كانت ترافقه في غزواته و حملاته العسكرية و في رحلات الصيد و النزهة و الإستطلاع عبر الغابات و القفار فطوفت معه في كثير من انحاء الهند الشاسعة، و كانت مغرمة شأنها شأن زوجها بالعمارة و البناء فعمل الملك- و لمشورتها أثر من ذلك- على إعادة بناء القصور في قلعة آكرا و تزيينها بالموصلين و الرخام المحفور المزدان بالجاديت و اللازورد و العقيق الأحمر و الأحجار الكريمة.

و بعد ذلك أو عز السلطان ببناء الصرح العظيم عرش الطاووس (المار ذكره) و الذي أضحى رمز الثروة الخيالية و القوة و التفاخر المغولي.

عاشت الملكة تاج مع زوجها شاه جهان على مدى تسع عشرة سنة عيشة ملؤها المحبة و الوفاء و الإخلاص، و كانت الملكة (ممتاز محل) بالإضافة إلى جمالها و صفاتها الإنسانية المثلى أمّا رائعة فقد أنجبت لحبيبها و مليكها شاه جهان أربع عشر ابنا و بنتا بقي منهم سبعة على قيد الحياة و قد انجبت معظم أولادها في الخيام المنصوبة بالقرب من ساحات الوفى أثناء مرافقتها لزوجها، و في عام 1629 م و هو العام الثالث من حكم زوجها حملت ممتاز محل للمرة الأخيرة و كعادتها أصرت على مصاحبة زوجها في حملة حربية كان يعد لها م قبل، و على قرب من مواقع الأعداء و دمدمات الحرب أنجبت له بنتا في المضارب التي أقيمت بالقرب من مدينة (برهان بور) و كانت الولادة عسيرة أثرت على صحتها جدا و على أثر

ص:210

ذلك استدعى السلطان للجلوس إلى جانبها يخفف عنها العناء و يسامرها ثم ازدادت حالتها سوء و لم تنفع جهود الأطباء، و حين أحست بدنو أجلها همست في أذن زوجها الملك و وصته أن يحقق لها أمنيتها ألا و هي بناء أعظم صرح تعرفه البشرية على مر العصور ليكون شاهدا شاخصا على حبهما الكبير، و بعد هنيئة فارقت ممتاز محل الحياة في ديسمبر سنة 1629 م و هي في السابعة و الثلاثين من عمرها و كان ذلك اثناء المخاض في الطفل الرابع عشر، و كان المولود ابنة سمّيت جوهر آرا و دفنت في قبر مؤقت في حديقة زين آباد في مدينة برهان بور حيث كان يعسكر السلطان يومذاك، ثم نقلت الرفاة الى مدينة آكرا و دفنت بحديقة راج أمان سنغ التي اختيرت لتكون المقر الأبدي للملكة الراحلة و عوّض عنها صاحبها بضيعة من ضياع شاه جهان و بقي تابوت ممتاز محل في تلك الحديقة المشرفة على الشاطئ الأيمن لنهر جمنه مدة طويلة حتى اتم السلطان خططه العمرانية للبدء بتشييد صرح تاج محل العظيم.

بناء تاج محل:

بالرغم من عودة السلطان من حملته الحربية سنة 1631 م منتصرا إلا أن الحزن الشديد قد خيّم على نفسه و كل مظاهر الحياة التي كان يحياها و يتمتع بها في القصر أو خارجه فقد كاد يجن ألما و حرقة لفراق حبيبته في ذلك الحدث المأساوي المفجع حتى قيل يومها أن السلطان فكر في اعتزال الحكم و تقسيم المملكة بين أولاده و يوما بعد يوم كان صدى الوصية في فكره ينمو و يتسع فاعتزم على بناء أعظم و أفخم قبر انشى‏ء لملك أو عظيم من عظماء الدنيا و هكذا دعا السلطان أقطاب صناعة البناء و الهندسة في الهند و خارجها و شاورهم في تنفيذ فكرته السلطان و لكنهم عجزوا عن أن يأتوا بالأعجوبة التي يريدها ثم جاءه مهندس عربي قائلا له:

أنى قادر على أن أصنع ما تريد و لكني أطلب من جلالتك أن تملأ لي قاربا من الذهب لنذهب فيه بنزهة في نهر جمنا، فأجابه السلطان إلى ما طلب، و لما كانا في منتصف النهر صار المهندس يأخذ الذهب براحته و يقذف به في النهر و قال للسلطان: ان كنت تنثر الذهب هكذا من غير حساب كما أفعل أنا الآن فإني أستطيع أن أصنع لك أعجوبة،

ص:211

فوعده الملك بما طلب و كانت هذه القطعة الفنية الرائعة. و مهما كان مبلغ هذه القصة من الصحة فإنها ترمز إلى حقيقة يعجز عالم اليوم عن الإتيان بمثلها.

و هكذا بدأ العمل لعمارة هذا التاج، و استمر العمل في بنائه اثنتين و عشرين عاما، و تم بناؤه بين سنتي (1632- 1654) و يقال أنه كان يشتغل في بنائه كل يوم، طوال هذه المدة، عشرون ألف عريف و بنّاء و عامل، انشئت لأقامتهم مدينة في بقعة قريبة خاصة سميت باسم الملكة الراحلة- ممتاز آباد- و بنفقة بلغت ثروات هائلة قيل أنها بلغت ما يوازي 40 مليون روبيه و بتلك الجهود الحثيثة انشئ هذا الصرح الخالد الذي لا يضارعه صرح آخر في الفخامة و البهاء، و لا عجب فهذا المرمر الظاهر الكريم الذي يلف تاج ملح يبهرك و انت تنظر إليه .. ان له من البهاء و الصفاء ما يجعله يبدو لك كالكوكب الدري ..

لقد جمعوه من محاجر مختلفة، و بخاصة محجر مركانا الشهير في الهند. و راحوا يفحصون كتل الرخام و يدققون النظر في جودتها فلا يختارون إلا الأمثل الأمثل منها .. و لعل ما أهملوه من تلك الكتل، لأقل طعن في عراقتها، اكثر بكثير من الذي اختاروه.

و حرص المهندسون المعماريون الذين أشرفوا على اعمال البناء و التصميم- و كانوا كثرة فيهم الفارسي و التركي و الايطالي- حرصوا على أن يبرزوا بهاء ذلك المرمر و روعته، فعمدوا الى اسلوب المفارقة، و استعملوا حجارة سكرى الحمراء في تشييد المبنيين الصغيرين القائمين على جانبي تاج محل .. واحدهما المسجد .. و الآخر المعد للاستراحة و يسمونه «جواب».

انه أثر فريد لا يسع أي سائح أن يأتي إلى الهند أن يتخلف عن زيارته و من عظيم صنع هذا الأثر إلا أنه على الرغم من مضي أكثر من ثلاثة قرون و نصف على بنائه. فإنه ما زال إلى يومنا هذا و كأن يد الصانع لم تبارحه إلا بالأمس، حتى قال أحد السواح بدافع الدهشة و الإعجاب من الظلم أن يترك هذا البناء هكذا معرضا لعوامل الجو و الطقس المتغير، بل يجب ان يصنع له بيت من الزجاج يحيط به، حتى يراه الناس و لا يمسوه.

و قد أراد شاه جهان أن يبني أمام تاج محل الأبيض بناء مثله على الضفة الأخرةى من نهر جمنا على أن يكون من الرخام الأسود و قد بدأ بالأسس و لكن البناء لم يتم، و لم يشأ

ص:212

انه و خليفته من بعده ارونك زيب أن يتمه فاندثر و حق للهند أن تفاخر بهذا الأثر و أن تعتبره إحدى عجائب الدنيا السبع.

وصف تاج محل:

ضريح تاج محل يتألف من بناء مرمري أبيض يقوم على شرفة عالية، و تعلوه قبة ضخمة في وسطه، تحيط بها أربع قباب أصغر حجما، و ترتفع عند زوايا الشرفة أربع منارات دقيقة، و تبلغ مساحة الضريح 186 قدما مربعا، و قطر القبة الداخلي 28 قدما، و يخترق ضوء النهار ستارا مزدوجا من الرخام المشغول فتسقط أشعته على قبرين تحت القبة تماما للملك و زوجته، أما الزخارف الداخلية المطعمة بأحجار شبه نفيسة فتمتاز بألوانها الزاهية و رسومها الأخاذة.

و قد زخر البناء بكافة عناصره المعمارية من أرض و مآذن و قباب و جدران و سقوف و نقوش و زينة و زخارف، كله رخام في رخام أبيض ناصح و نقشت جدران البناء بصور حيوانات رصعت في الأصل الرخامي الأبيض رخاما موّله بألوان مختلفة من ألوان الحيوانات الحية ذاتها من طيور و سباع و دواب حتى لتكاد لدقة صنعها و أحكام تنسيقها و انسجامها يحسبها الرائي لوحات دهان زيتي صنعت بيد رسام ماهر، هذا بالإضافة إلى ما في هذا البناء من حيث مظهره الخارجي من تناسق و انسجام و ذوق قلما يجد المرء له مثيلا و ليس في هذا لبناء كله حديد و لا خشب بل كله رخام في رخام و قد وفق شاه جهان فعلا في أن يبهر العالم حتى يوم الناس هذا بعمله المعماري العظيم الذي خلّد فيه قصة وفائه لزوجته و كان بعد اتمامه يجلس في غرفة من قصره في آكرا تشرف على الوادي الذي يقع به تاج محل، و قد طعمت أفاريز بابها، و نوافذها بقطع صغيرة من البلور، اذا نظر فيها الفى امامه صورة (تاج محل) معكوسة فيها و هكذا كان كلما ضاق صدره يرمى بطرفه الى زوايا البلور المتلألئة فيرى صورة ضريح زوجته الحبيبة.

هذه صورة اولية لهذا الأثر الخالد، أما الدخول في تفاصيلها فيستدعينا وصف ما يراه الزائر أولا حينما يباشر بوضع أولى خطواته على مداخل الحديقة الغناء التي تحيط له، و المجاز الى تلك الحديقة الفسيحة الأرجاء، العابقة بزهورها و اشجارها الجميلة عبارة عن‏

ص:213

[[32]](#footnote-32)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص213**

مدخل هائل ذي ثلاثة عقود تقوم فوق قاعدة مربعة ضخمة من الحجر الأحمر، و تبلغ هذه العقود في الطول نحو خمسين مترا و في العرض نحو خمسة و ثلاثين و في الارتفاع نحو ثلاثين.

و قد زينت البوابة الوسطى من الأمام و الخلف بافاريز من الرخام، نقشت فيها بعض آيات قرآنية بخط ثلث جميل.

و من هذا المدخل الضخم، تهبط الى الحديقة الشاسعة التي يقع في نهايتها الضريح قبالة المدخل، و هي حديقة منسقة ساحرة، تقوم بها أشجار الزينة في أوضاع متماثلة، و تتخللها الحظائر و الممرات الرخامية، و النوافير الجميلة. و من المسلم به انها تقوم فوق موقع الحديقة القديمة، التي كانت قائمة منذ انشاء الضريح.

و قد بقيت بها منذ عصرها القديم شجرة ضخمة (شجرة المال) في الحظيرة الشرقية الشمالية، يبلغ عمرها نحو اربعة قرون و نصف، و معنى ذلك أنها اقدم من الضريح ذاته بنحو قرن و نصف.

و في نهاية الحديقة تقع القاعدة الكبرى التي يقوم عليها الضريح، و هي عبارة عن مستطيل ضخم تبلغ واجهته نحو ثلاثمائة متر، و عرضه مائة و عشرون. يقع في طرفها الأيمن مسجد صغير. و في طرفها الأيسر بناء آخر كان يستعمل بهوا للاجتماع حين قيام الامبراطور بزيارة الضريح.

أما الضريح نفسه فانه يقع في وسط هذه القاعدة العظيمة فوق مصطبة شاسعة مربعة من الرخام الأبيض يبلغ ضلعها نحو مائة متر، و ترتفع فوق القاعدة بنحو ستة أمتار، و تقوم في اركانها الأربعة اربع منائر من الرخام الأبيض متناهية في الدقة و الرشاقة. و قبالة كل منها من الزويا الاربع قبة صغيرة. و قد بني الضريح كذلك كله من الرخام الأبيض، و هو عبارة عن مربع ييبلغ ضلعه ستين مترا، و قد استقطعت من كل زاوية نحو سبعة أمتار، و هو ما يجعله مثمن الشكل. و يدخل اليه من باب ركب في عقد كبير، قسمت واجهته الى مربعات نحاسية، و احيط من الجانبين و من أعلى بأفاريز نقشت فيها الآيات القرآنية، برخام من نفس اللون و هي مكتوبة كذلك بالخط الثلث الجميل.

و تقوم القبة العظمى فوق القبرين. قبر ممتاز محل، و قبر زوجها الامبراطور، الذي دفن‏

ص:214

الى جانبها بعد وفاته في سنة 1666 م. و هي كباقي الصرح مشيدة من الرخام الأبيض المجلوب من جدها بور، و يبلغ قطرها ستة عشر مترا، و ارتفاعها الكلي مع حربتها النحاسية، التي كانت من قبل مغطاة بالذهب ثلاثة و ستون مترا.

أما الضريح ذاته، فهو عبارة عن حظيرة أو قاعة يحيط بها حاجز مثمن من الرخام، و قد وضع في وسطها تابوت ممتاز محل، و الى يساره تابوت شاه جهان، و كلاهما مدرج رائع الزخرف. و قد نقشت على تابوت ممتاز محل عبارات بالفارسية، و اسماء اللّه الحسنى، حول جوانبه الاربع، منتهية بتاريخ وفاتها بالهجرية و هو سنة 1040 ه (1629 م)، و جاء في تلك الكتابة ما يلي: قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى‏ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. الآية و قوله تعالى‏ «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ»\* كما كتبت اسماء اللّه الحسنى و على الواجهة جاء: «مرقد منوّر ارجمند بانو بيكم مخاطب بممتاز محل توفيت سنة 1040 ه».

و نقشت على تابوت الامبراطور نفس النقوش، و ذيلت بتاريخ وفاته في سنة 1076 ه (1666 م). و مما جاء فيها مرقد مطهر أعلى حضرت فردوس آشياني صاحب قرآن ثاني شاهجهان باد شاه طاب ثراه توفي سنة 1076 ه.

على أن هذين التابوتين الفخمين ليسا الا رمزين. أما المقبرة الحقيقية فتقع أسفل الصخرة تحت نفس الموقع، في قبو يفتح للزائرين بصفة خاصة، و قد وضع فيه التابوتان اللذان يضمان رفات الامبراطور و الامبراطورة. و موضعهما على مستوى وجه الأرض و الزخارف فيها أقل منها في الضريحين. و يحيط بهذين الضريحين حاجز منحوت في المرمر الأبيض على شكل مربعات، و تعد صناعته من أدق تحف الفن الهندى و أجملها. كما يحيط بالمداخل الأربعة إطارات من الزخارف الجميلة بالحروف العربية يزيد في حسنها و جمالها زخارف أخرى تالية لها في الحجر الصلب. و مآخذ العقود و الزوايا و النقوش التفصيلية المهمة مرصعة كلها بالأحجار الكريمة كحجر العقيق و حجر اليشب و حجر الدم و حجر العقيق السليماني و غيرها مما تضافر الذوق السليم و الحذاقة البالغة على تنسيقه في شكل عقود من الأغصان ملتوية تارة و في الوضع المسمى بشوك اليهود تارة أخرى. و في كل ذلك تنسجم الرسوم مع الألوان خير انسجام. و ينفذ الضوء من خلال حواجز زوجية منحوتة في المرمر الناصع البياض على شكل مربعات يزيدها حسن النسق و جمال الترتيب‏

ص:215

رونقا و وراء، إذ يواجه أحد الحاجزين الجانب الخارجي من الجدران بينا يواجه الآخر جانبها الداخلي. و فيما يلي بناية الضريح و مصطبته جناحان أحدهما مسجد لطيف الشكل متقن البناء، و من مجموعة هذه المباني يتألف أحد أضلاع صحن فسيح نسقت فيه خمائل الزهر، و مسطح هذا الصحن 880 قدما و فيما يليه صحن آخر خارجي يماثله في العرض و لكنه لا يزيد على نصفه طولا.

من هو مهندس تاج محل؟

اكسب مهندس تاج محل الملك شاه جهان شهرة طائلة بفضل روعة بنائه و دقة فنه و لكن المهندس نفسه لم يحصل على شئ من الشهرة و قد اختلف كثيرا في اسمه و رسمه حتى أخذ المتطرفون من الهندوس يزعمون بأن باني هذا التاج هندوسي، و من قبل ادعى الحاكم البريطاني لمنطقة أود سنة 1853 م المسمى سليمان بأن التصميم الحقيقى لتاج محل هو للمهندس الفرنسي استين د. بوروكس و أيده رجل آخر اسمه بلفور و لكنه لم يدعم زعمه بدليل ثم أدعى أيضا بأن اسم المهندس عيسى، و الحقيقة أن أسم هذا المهندس ورد ضمن السجلات الهندية منسوبا إلى بلاد فارس.

و زعم فنسنت سميث في كتابه (تاريخ الفن الجميل) بأن مهندس تاج محل رجل اسمه جرونيمو فيرو نيوoenoreV onimoreG و هي الرواية المشكوك فيها المنسوبة الى الأب منريك‏euqirnaM من آباء الطائفة الأغسطينية الدينية، لكنه يعترف بأن المرحلة النهائية من البناء انجزت على يد المهندس عيسى. و قيل أن ضمن منشآت تاج محل زخرفة من طراز بيترا دوارا و أنها تدل على التأثير الغربي، و يدعى برسي براون أن ذلك الطراز صممه رجال الفن الهندوسي من «قنوج» مثل جريجي لال و جهوتي لال و منولال و منوهر سنك.

و قيل أن النموذج الأصلي للتاج يوجد في معبد جاندي سيوا الذي تم بناؤه طبقا للتقاليد الهندية في برامبا نام في جاوا سنة 1098 م.

و يذكر بورجيس أن نبيلا فارسيا أسمه علي مردان خان الشيعي الذي كان واليا لقندهار بعد والده من قبل الصفويين سنة 1034 ه و بعد وفاة شاه عباس انضم الى شاه جهان فاكرمه و ولاه كشمير، و من ثم وضع له تصميم تاج محل، و كان هذا قد توفي‏

ص:216

سنة 1067 ه- 1564 م.

و قال المستر جغتاي في مقال نشره في مجلة ماه نور الصادرة في كراتشي عدد اكتوبر 1953 أن المصمم هو الأستاذ أحمد لاهوري الذي منحه شاهجهان أعلى و سام في الدولة. و مصدر هذه المعلومة كتاب مخطوط بعنوان (ديوان مهندس) لحافظ لطف اللّه مهندس.

و في كتاب (الدراسات في الهند المغولية) للسير ج. ن. سركار يورد معلومات عن كتاب منتخب اللباب للسيد خافي خان بأنّ مكرمت خان، و مير عبد الكريم و اسماعيل الرومي بنوا التاج على فكرة قبة الصخرة في القدس الشريف و بالعودة إلى كتاب سركار المذكور سابقا هناك أسماه بعض الفنيين الذين ساهموا في البناء و هم أمانت خان شيرازي كاتب الكلمات من قندهار و المعلم عيسى معماري من أهل اكره و المعلم بيرا لجار من دهلي، بنوهو، جهات مل، زور اور كلهم صانعوا تماثيل من دلهي، و اسماعيل خان الرومي صانع القبب، و رام لال بستاني من أهل كشمير.

و قال‏giaH .W .T : «و لقد جهد بعض الماجنين الأدعياء في مسائل الفن أنفسهم في الجهر بآرائهم عن تاج محل و حكمهم الفني عليه بمقتضى أصول الهندسة اليونانية و القوطية فذكروا في مقارناتهم ما يتنافى مع سلامة الذوق و يتعارض مع استقامة المنطق. و لقد أصاب فروجوسن‏nossugreF حيث قال في هذا الصدد:

«إن التوفيق بين تلك المحاسن الباهرة- أي محاسن تاج محل- و حسن التأتى في أحكام الترابط بين أجزائها لمن الأعمال التي تعدل دنيا برمتها».

و حسب تاج محل بعد كل ما قيل أو يقال حول عمارته أن ينظر الرائي لمشهده العظيم بنظر الإنصاف و عند كل ذلك سيقرر بنفسه أن هذا الصرح صرح اسلامي المنشأ بكل تفاصيله المعمارية و الفنية و الزخرفية شيد في ظل مملكة اسلامية و سلطان مسلم كان هو نفسه فنانا بارعا متحليا بقسط وافر من العلوم و الفنون و تشهد على ذلك بقية الأعمال المعمارية التي أنشئت برعايته مثل القلعة الحمراء التي أشرنا إليها سابقا و مسجد اللؤلؤة القريب من تاج محل و المسجد الجامع الماثل في دلهي القديمة و غيرها من الآثار.

ص:217

كان شاه جهان اوفر المغول العظام ثروة و قد وجد في خزائنه بعد الاستيلاء على قصره 24 كرور روبية أي بحدود 240 مليون روبية، و كان الذهب و الفضة و المجوهرات التي تركها تساوي 15 كرور أي 150 مليون روبية، و ذلك يدل على أنه ما كان محتاجا الى زيادة الضرائب على شعبه ليجابه النفقات الكثيرة التي كان ينفقها.

و كانت الزراعة و الصناعة مزدهرتين في عصره حتى كانت منسوجات الهند تصدر الى اوربة.

و في النزهة: «و كان أشهر ملوك الهند و أبذلهم، أفتتح أمره بالعدل و السخاء، و رفع سجدة التحية التي اخترعها جده أكبر شاه، و أزال المظالم من البلاد و عمرها، و أخمد الفتنة و البدعة، و أسس المساجد و المشاهد، و كان كثير الإحسان الى السادة و العلماء، قصدته الناس من جميع البلدان فغمرهم باحسانه، و كان عصره أحسن الأعصار و زمانه أنضر الأزمنة».

و كان محبا للعلم مشجعا على التأليف و يذكر المؤرخون ان العلامة عبد الحكيم السيالكوتي (راجع هذه المادة) ألّف بأمره كتبا كثيرة و كان يعطيه في العام مائة الف روبية، و قد اتخذ اللغة الاوردية اللغة الرسمية في عهده و شجعها و فرض التخاطب بها و قال ول ديورانت: «لقد كانت أعوامه الثلاثون التي قضاها في الحكم بمثابة الأوج في ازدهار الهند و علو مكانها، لقد كان هذا الملك الشامخ بأنفه حاكما قديرا، و لئن أهلك أنفسا كثيرة في حروبه الخارجية، فقد هيأ لبلاده جيلا كاملا من السلام، كتب حاكم بريطاني عظيم لبمباي، هو «مونتستيوارت إلفنستون» يقول: «إن من ينظر إلى الهند في حالتها الراهنة قد يميل الى الظن بأن الكتّاب الوطنيين إنما يسرفون في وصف ثراء البلاد قديما، و لكن المدن المهجورة و القصور الخاوية و القنوات المسدودة التي لا تزال نراها، بما هناك من خزانات كبرى و جسور في وسط الغابات، و الطرق المتهدمة و الآبار و محطات القوافل التي كانت على امتداد الطرق الملكية، كل ذلك يؤيد شهادة الرحالة المعاصرين بحيث يميل بنا إلى العقيدة بأن هؤلاء المؤرخين كانوا يقيمون أقوالهم على سند صحيح»

و في نظرgiaH .W .T فان شاه جهان كان على حظ قليل من المقدرة العسكرية، قاسيا

ص:218

غدارا ليس له وازع من ضمير، و قد اتصف بخلّة تعوض هذه السيئات هي حبه الجم لزوجته ممتاز محل، الذي عد قبرها البديع تذكارا باقيا على الزمان، أذ أنها توفيت في اوائل عهده، فأطلق لشهواته العنان. بعد وفاتها، كان في حكمه مستبدا ظالما، و هو لا يستحق الثناء الذي اسبغه عليه بعض المؤرخين المحدثين.

شاه جهان و النهاية المؤلمة:

في سنة 1657 م- 1068 ه مرض شاه جهان مرضا شديدا و كان له أربعة أولاد أورنك زيب و دارا شكوه و مراد و شجاع و كان لكل منهم ولاية يحكمها فلما مرض استلم دارا زمام الأمور بيديه و كان هذا الإبن مقربا من والده فأثار ذلك حسد إخوته و بعد حروب عديدة و منازعات انتصر ولده أورنك زيب على بقية إخوته و جاء إلى العاصمة بعسكره فاستقبل استقبالا كبيرا من كافة القواد و رجال الحاشية و الأمراء، و اسقط في يد والده الملك المريض حتى أنه هو الآخر هنأ ولده بالنصر!! و منحه لقب و دعاه إليه، و بينما كان أورنك زيب يهم بالذهاب إلى أبيه جئي إليه برجل يحمل كتابا من شاه جهان إلى دارا (ابن السلطان الذي يؤثره على بقية اخوته) و فيه يدعوه إلى الثبات و المقاومة فأوغرت الرسالة تلك صدر أورنك زيب حقدا و غضبا و غيرة و سار إلى قصر والده الملك في آكره و قبض على والده و سجنه و كان ذلك سنة 1658 م و أعلن (أورنك زيب) نفسه ملكا جديدا في ذي القعدة سنة 1067 ه- 1657 م و بلغ من عقوقه ان استمرّ والده الملك شاه جهان في حبسه نحو ثماني سنين حتى توفي سنة (1076 ه- 1666) و له من العمر 74 سنة. و هكذا حكم القدر الذي لا مرد له أن تجرع هذا السلطان غصصا بعد غصص، من فقدان الحبيبة إلى حبسه علي يد أقرب الناس إليه و ذلك حال الدنيا و لسان حالها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هي الدنيا تقول بمل‏ء فيها |  | حذار حذار من غدري و فتكي!! |
|  |  |  |

و قد صنف في اخباره مجموعة من المؤرخين منهم محمد صالح في كتابه «عمل صالح» أرخ فيه لشاه جهان من الولادة إلى الوفاة، و أمين بن الحسن القزوينى و كتابه «بادشاه نامه» من بدء جلوسه إلى عشر سنين، و صنف عبد الحميد اللاهوري كتابه «بادشاه نامه»

ص:219

في أخبار عشرين سنة من مدته، و كمّله محمد وارث من عشرين إلى ثلاثين، و صنف محمد طاهر بن أحسن اللّه الكشميري كتابه «شاهجهان نامه» في أخباره، لخص فيه الأخبار من «بادشاه نامه» لعبد الحميد المذكور ثم أضاف عليها ما وقع بمسمعه و مشهده إلى آخر أيام الملك.

من أعلام عصر شاه جهان:

\* الأمير دارا شكوه 1024- 1070 ه

\* الأميرة جهان آرا بيكم 1023- 1092

\* عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي ت 1067

\* محمد جلال الدين الحسيني الكجراتي 989- 1045

\* الأمير علي مردان خان ت 1067

\* ستى خانم الآملي ت 1066

\* محمد سعيد مير جملة ت 1073

\* محمد شفيع اليزدي ت 1081

\* محمد طاهر آشنا التربتي القرن 11

\* علي بن محمد جواهر رقم الخطاط

\* محمود الكيلاني البهشتي‏

\* صادق بن صالح الاصفهاني ولد 1018

\* محمد حبان القدسي المشهدي ت 1056

\* داود بن عناية اللّه الاكبر آبادي 1073

\* شيدا ملا ت حدود 1052

\* محمد معصوم التستري بعد 1050

\* محمد معصوم الهندي كان حيا 1053

\* محمد هاشم الكيلاني ت 1061

\* حسن بن أبي الحسن المشهدي ت بعد 1075

\* فتح اللّه الشيرازي بعد 1050

ص:220

\* علاء الدين الشوشتري حدود 1000- 1050

\* يحى الكاشاني الحسيني ت 1064

\* علي رضا الشيرازي تجلى 1088

\* ابو المعالي الشوشتري 1004- 1046

\* شريف الدين شوشتري ت 1020

\* اسماعيل البلكرامي حدود 1088

\* دانشمند خان 1081 ه

\* محمد سعيد الكرمرودي 1045

\* الملا محمد كاشف قبل 1059

دارا شكوه (1024- 1070 ه/ 1615- 1659 م)

دارا شكوه: أكبر أبناء شاه جهان، و أمه أرجمند بانو ممتاز محل. و قد ولد في أجمير في التاسع من صفر 9 صفر 1024 ه و العشرين من مارس عام 1615. و في عام 1633 تزوج من ابنة عمه نادرة بيكم ابنة الأمير برويز و حفيدة جهانكير.

فولدت له ابنة واحدة اسمها جاني بيكم أو جهان زيب بانو. و ولدين ذكرين هما سليمان شكوه و سبهر شكوه قرأ العلم على ميرزا شيخ بن فصيح الدين الهروي و على غيره، و تعلم الفنون الحربية، و بايع في أول وقته الشيخ شاه محمد البدخشي و اجتمع بشيخ شيخه محمد مير بن سائنده السيوستاني بلاهور غير مرّة و كان أكبر أولاد أبيه، عهد له والده بولاية الملك بعده، و ألقى بيده زمام الأمور في حياته لمرضه، و لقبه شاه بلند إقبال، فسخط عليه إخوته، و قد تفرق الناس فيه إلى فرقتين: إحداهما تقول: إنه كان صوفيا صالح العقيدة و يستشهدون بمصنفاته المشهورة، و أخرى تقول: إنه كان فاسد العقيدة، و يستشهدون بأفعاله و بمصنفاته الأخرى كترجمة او بانيشاد، قال بعض انه ظفر بنسخة من ذلك الكتاب فاذا هو قد نقش في عنوان ذلك الكتاب تصاوير عظماء الهنود مكان‏

ص:221

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» و قال في خطبة الكتاب إنه لب القرآن و إنه سر مكنون لا يمسه إلا المطهرون!! إلى غير ذلك، قالوا: إنه استقدم أحبار الهنود من مدينة بنارس فترجموه بأمره، و يقول إلفنستون‏enotsnihPlE إن دارا كان أميرا صريحا، أبيا، كريم السجايا، بذولا، حر الرأي صريحا في عداوته، و لكنه كان متهورا لا يصبر على المعارضة، يرى ان مقتضيات الحرص المألوفة من أمارات الضعف و التحايل و قد جعلته معظم هذه السجايا على النقيض من أخيه الأصغر أور نكزيب، و من ثم كان يلقبه ب «النمازى» (أي المتظاهر بالتدين) و كان طلعة كجده العظيم أكبر، و كان كثير الاحتفال بالتصوف و غيره من مسائل الدين و كانت تعوزه براعة جده الحربية و إقدامه.

دارا شكوه في معترك الأحداث حروبه و نهايته:

لم يوفق دارا شكوه في حروبه مع اخوته للسيطرة على العرش ففي عام 1653 قام بسعي طويل لفتح مدينة قندهار دون أي نتيجة تحسم المعركة لصالحه و بالرغم من وقوف والده معه و حكمه للدولة فعلا بعد أن اعلن الوالد عن مرضه لكن اخوته لم يحتملوه فهزمه اورنكزيب مرتين، الاولى قرب آكره في يونيه 1658 و الثانية عند أجمير في مارس 1659 ثم خانه ملك جون الأفغاني امير داور و قبض عليه و نقله الى دهلي فقتل فيها بأمر من اورنكزيب يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة 1070 ه الموافق لنهاية اغسطس 1659 م و دفن بمقبرة جده همايون، و فيما يلي تفاصيل أوسع لتلك الحملات الحربية.

فمن المعلوم أن شاه جهان أصيب بمرض أقعده عن مباشرة أمور الحكم 1068 ه- 1657 م، و كان له أربعة أولاد: أورنكزيب، و دارا شكوه، و مراد، و شجاع، و كان لكل منهم ولاية يحكمها. فلما مرض استدعى ابنه دارا شكوه بجانبه ليباشر شؤون الحكم، و كان أكبر إخوته، فأخفى نبأ المرض عنهم، و أخذ يصرف أمور الدولة. فظن شجاع و مراد أن أباهما توفي، و اتهما «دارا شكوه» بقتله، و أراد شجاع أن يذهب إلى آكرا بجيشه لينتقم لأبيه، و لكن أورنكزيب نصحه بالتريث، و أكد له أن أباه حي، و أتفق الإخوة الثلاثة على إبعاد دارا شكوه، و الحيلولة بينه و بين الملك بحجة أن ذلك يقوض عرش المغول. و لما أفاق شاهجهان من مرضه، و وقف على ثورة أبنائه على «دارا شكوه» غضب‏

ص:222

عليهم، و ارسل ينصحهم بالهدوء و الخضوع.

لكن دارا شكوه لم يكتف بهذا، بل جرد حملة بقيادة ابنه سلمان لتأديب أخيه شجاع، و كذلك أرسل الجيوش بتأديب بقية أخوته.

أما شجاع فقد التقى بجيش سلمان عند بنارس، فانهزم و فرّ إلى البنغال، و في ذلك الوقت كان «ارنكزيب» قد تحرك بجيشه من «برهان بور» في الدكن متجها الى «اكرا»، و انضم إليه أخوه «مراد بخش» في «مالوا»، و في الطريق أرسل «أورنكزيب إلى جسونت سنك» القائد الراجبوتي الذي أرسله «دارا» لتأديب أخويه، و قال له: إنني أريد زيارة أبي لا الحرب، فإما أن تصاحبني، و إما أن تتنحى عن طريقي بدلا من سفك الدماء، و لكن القائد الراجبوتي لم يستجب له، فوقعت الحرب بينهما في رجب سنة 1067 ه- 1657 م، و انتهت بهزيمة «جسونت» و فراره بعد القضاء على كثير من رجاله الراجبوت.

و تابع «اورنكزيب» سيره نحو العاصمة «أكرا»، في الوقت الذي بدأ الرعب و الإضطراب يدبّ فيها بعد أن وصلتهم أنباء انتصاره، و متابعة زحفه نحو العاصمة، حتى أراد شاهجهان أن يفر الى دلهي، و لكنه آثر البقاء لعله يستطيع الصلح بين أبنائه و إنهاء الحرب بينهم، و لكن «دارا» كان مغترا بقوته، و بالإمكانات التي تحت يده، معتقدا أنه سيقبض على إخوته بكل سهولة، و لذلك كان يثور على فكرة المصالحة، و يصر على الحرب و الإنتقام.

و حقا كانت القوتان غير متعادلتين، فقد كان جيش «دارا شكوه» الذي يزيد عن المائة ألف ينتظر جيش أورنكزيب و مراد البالغ 45 ألفا فقط، و الذي قطع مئات الأميال و أنهكه التعب.

و تلاقت القوتان في رمضان جنوب شرق «أكرا» على بعد 30 ميلا، و بدأت المدافع عملها، ثم هجمت قوات «دارا شكوه» على جنود الدكن، فوقع الخلل في صفوف الدكنيين و لكن «أورنكزيب و مراد» صمدا للمعركة صمودا عجيبا، فقد كانا يعرفان مصيرهما لو لحقت بهما الهزيمة، و تدخلت الأقدار في المعركة لتصل بها الى نهايتها المقدرة، فلقي «رام سنك» قائد الراجبوتيين في صف دارا حتفه، حين هجم على «مراد» يريد

ص:223

القضاء عليه، فتفرق جنوده الراجبوت، و وقع الخلل في صفوفهم، و في ذلك الوقت وقعت الكرة الملتهبة التي كانوا يستعملونها في الحرب على رأس الفيل الذي يركبه «دارا» و انفجرت، فتركه و ركب فرسا، و رأى جنوده هذا فظنوا أنه يتأهب للفرار سريعا من المعركة، فخارت قواهم المعنوية، و أخذوا يفرّون من المعركة، و لحقهم «دارا» يسابقهم في الفرار حتى وصل إلى آكرا و لكنه لم يذهب الى أبيه خجلا مما أصابه، بل أخذ بعض المال و الجواهر و زوجته و أولاده، و تابع فراره الى دهلي.

و في ثلاثة أيام كانت الجنود الظافرة أمام العاصمة معسكرة. و استقبل اورنكزيب في طريقه و في معسكره كبار رجال الحاشية و القواد و الأمراء. مهنئين مقدمين خضوعهم له، و لم يفت شاهجهان أن يشترك كذلك في تكريم ابنه المنتصر، فأسل إليه سيفا مرصعا بالجواهر، و قد نقش عليه اللقب الذي منحه إياه، و هو لقب «عالكمير» أي آخذ العالم و سيده، و لكنه لم يثق بوالده و لم يترك الأمر في يد أبيه المريض، لئلا يستعيد دارا شكوه و يمكن له في الملك، و لذلك دخل العاصمة و قبض على أبيه و اعتقله في القلعة، و قد قضى شاهجهان في هذا الاعتقال نحو ثماني سنوات مرّة حتى توفي سنة 1076 ه 1666 م.

فرّ «دارا» إلى دهلي منهزما، فكان على أورنكزيب و مراد أن يتعقباه بعد أن خلا لهما الجو في «أكرا» حتى يقضيا عليه نهائيا و لكن خلو المجال لهما جعل كلا منهما يطمع في الملك، و بدأت حاشية كل واحد تزين له أنه الأجدر و الأحق، و تعمل لذلك ما استطاعت، و أحس أورنكزيب بهذا الذي يدبره أخوه و حاشيته، و في ليلة كان مراد مخمورا فأركبه على فيل، و ساقه، إلى قلعة سليم في دلهي، ثم نقله إلى سجن قلعة «كواليار» المعروفة بسجن الأمراء، و بذلك انتهى أمر مراد.

و في ذي القعدة سنة 1067 ه- 1657 م أعلن أنه صار ملكا على الهند خلفا لأبيه، لكنه أجل الاحتفال بذلك حتى يفرغ من مشاكله مع دارا الذي فرّ إلى لاهور، و مع شجاع الذي عاد من بنكال إلى بنارس، و بدأ يعد العدة هو الآخر للإستيلاء على العرش.

ص:224

تعقب دارا شكوه في لاهور، ثم في ملتان حتى فرّ الى السند، فارسل بعض قواته لمطاردته و القبض عليه، و رجع هو إلى دهلي ليحل مشكلته مع شجاع الذي أعد عدته للهجوم على أخيه.

و كان السادات حكام إله أباد و بنارس يعاونونه، و أمدوه بفيلة مدربة على القتال بسلاسل زنة الواحدة 240 رطلا، تحركها في الهواء و تضرب بها ذات اليمين و ذات الشمال فلا يبقى أمامها جندي واحد، و حين تلاقى الجيشان و هجمت هذه الأفيال و هي مخمورة حدثت الفوضى في صفوف أورنكزيب، حتى اضطر هو للنزول الى قلب المعركة، و قيّد فيله حتى لا يفر، و أمر بضرب النار على ركاب الفيلة، فسقطوا و فرت فيلهم، و أخذت الدائرة تدور على شجاع و جنوده فلاذ بالفرار، و تعقبه بعض القواد حتى بنكال فآسام، و هناك أختفت آثاره. و استراح اورنكزيب منه.

و لكن ما زال أمر «دارا» معلقا لما ينته بعد، و قد عاد من السند الى أجمير و أخذ يعد عدته للهجوم، فخرج إليه ارونكزيب و هزمه ففر، و خلا الجو أو كاد من المنافسين له، و لذا بدأ يعد العدة للإحتفال بجلوسه على العرش، و كان ذلك في رمضان سنة 1069 ه- 1659 م و في تلك الأيام وصلته الأنباء بالقبض على دارا شكوه في السند و إرساله إليه، و انتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء المارقين بدعوى (خروجه على الدين، و محاربته الحاكم الشرعي) مع أن دارا هو الوريث الشرعي بحكم سنه و تأييد والده له و دفن في مقبرة همايون، و بذلك صفا الجو لأورنكزيب.

آثاره:

و هو مصنف عدة كتب ذكرها ريو في فهرس المخطوطات العربي بالمتحف البريطاني، و أشهرها «سفينه‏ء أوليا» و هو سلسلة من السير المختصرة لأولياء المسلمين، و قد طبع طبعة حجرية في لكهنو. و نجد بيانا كاملا لمحتوياته في فهرس إتيه‏ehtE للمخطوطات الفارسية في مكتبة وزارة الهند، رقم 647، ص 274 و 316. و قد ذكر برنيه‏reinreB و منوتشي‏icetunaM الكثير عن دارا شكوه، و قد اتصل به كل منهما [بفردج‏egdireveB .H ] دائرة المعارف الاسلامية 9/ 75- 76 نزهه 5/ 145- 146 رقم 221، مجلة لغة العرب ج 6

ص:225

السنة 5 ص 378- 379. و من كتبه الأخرى: كتاب في التطبيق فيما بين مذهب الهنادك و أهل الاسلام و كتاب سكينة الأولياء، و البر الأكبر، و الأعظم و رسالة في المعارف، و مجمع البحرين و بنكهت مندك، و حق نما و الرسائل الثلاث الأخيرة نشرها سيد محمد رضا جلالي نائيني في ايران 1335.

و نشر المستشرقان كليمان هوار و لويس ماسينون، كتاب محاورات لاهور بين دارا شكوه و الزاهد الهندوكي بابل لعل داس و طبع في باريس. المطبعة الأهلية 1926 في 50 ص. باللغتين الفارسية و الفرنسية و من الكتب التي صنفت له الطب الدار شكوهي صنفه الحكيم نور الدين الشيرازي.

جهان آرا بيكم ابنة الامبراطور شاه جهان (1023- 1092 ه/ 1614- 1681 م)

«جهان آرا بيكم» و اشتهرت ب «بيكم صاحب» و تعرف أحيانا ب «بادشاه بيكم» هي أكبر من بقى من ذرية شاه جهان على قيد الحياة، ولدت في 21 صفر 1023 ه، مارس عام 1614 و لعل ذلك كان في أجمير، و أمها أرجمند بانو أو ممتاز محل أو ممتاز الزماني ابنة آصف خان و ابنة عم نور جهان، و هي التي شيد من أجلها تاج مل و أخذت القراءة و التجويد عن ستى خانم أخت الفقيه الآملي، و تعملت الخط و اللغة الفارسية عنها و تأدبت عليها، و برعت في الإنشاء و الشعر و تدبير المنزل و فنون أخرى، و نالت من والدها منزلة جسيمة حتى صارت محسودة عند إخوتها و كانت اقطاعها تغل ستين مائة ألف (ستة ملايين)، مائة ألف في كل سنة، و كانت تبذل كلها في الخيرات و المبرات، و لها مصنفات منها (مؤنس الأرواح كتاب في أخبار المشايخ الجشتية).

لم تتزوج جهان آرا قط، و قد أمتازت بحسنها و ثقافتها و محبتها لأبيها و أخيها و لشيخها دارا شكوه التي أخذت عليه الطريقة. و جمع كل من برنييه‏reinreB و منوجي‏iccunaM أقاويل كثيرة في حقها. و قد برأها منوجي من إحدى الشنع التي رميت بها إلا أنه أساء اليها و ظلم برنييه بقوله إن برنييه اتهمها بدس السم لوليها. و قد تكون لجهان آرا زلّاتها، فمع، عنوستها التي لا بد لها فيها لم‏

ص:226

تكن خليقة أن تؤدي بها إلى الطريق القويم، و مع ذلك فقد كانت كريمة محسنة و ابنة بارة بأبيها عندما تقدمت به السن و ألقى به في غياهب السجن، و من هنا كان كين‏eneeK محقا في تسميتها بالراهبة المغلية. و كانت جهان آرا شديدة التمسك باهداب الدين، و قد كتبت سيرة لمعين الدين جشتى الأجميرى أحد الأولياء المحببين إليها (انظرnaisreP .M .B fo eugolataC ,.ssM ج 1، ص 357) و نجت بصعوبة من الحريق في مارس عام 1644، فقد كانوا يحتلفون في آكره بعيد ميلادها وفقا للتقويم الشمسي لا القمري، و في عودتها إلى غرفتها بعد أن ألقت تحية المساء على أبيها أمسكت نار سراج بقميصها المصنوع من حرير الدكن الرقيق و أصابتها حروق بالغة في صدرها و ذراعيها، و احترقت أيضا و صيفاته الأربع اللائى حاولن انقاذها. و الظاهر أن اثنتين منهن أو أكثر توفين متأثرات بالحروق التي أصابتهن. و قد شيدت جهان آرا المسجد الجامع في آكره خارج القلعة أو أقل إنه شيد إكراما لها، عام 1644- 1648 م و ربما كان تذكارا لنجاتها، و قد انفقت عليه نصف مليون من النقود كما في باد شاهنامه. و ابتنت أيضا مقبرة لها خارج دهلي بالقرب من قبر نظام الدين أوليا أحد مشاهير الأولياء عند طائفة الجشتية. و نقش على قبرها كلمات مؤثره من تأليفها. و ذكر النص الأصلي لهذه الكلمات سيد أحمد في كتاب آثار الصناديد (ص 39 من طبعة لكهنو عام 1895) و قام كل من ايستويك‏kciwtsaE و كين‏eneeK بترجمة هذا النص (انظرihleD fo koobdnaH :eneeK كلكته عام 1872، ص 37). و توفيت جهان آرا في دهلي في 3 رمضان سنة 1093 ه الموافق السادس من سبتمبر عام 1681 في ايام صنوها عالمكير، فدفنت بدهلي في حظيرة الشيخ الإمام نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني، و قبرها محاط بالتفاريج من بيض الحجارة المنحوتة غير مسقف تعلو عليه الخضرة، و قد كتبوا على الرخام هذا البيت من إنشائها و نصبوه عند رأسها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بغير سبزه نبوشد كسى مزار مرا |  | كه قبر بوش غريبان همين كياه بس‏ |
|  |  |  |

و هناك أخبار مفصلة عنها في طبعةeneeK لقاموس‏lacihPargoiB latneirO :elaeB yranoitciD كما توجد إشارات عنها في كل من «باد شاهنامه» و «خافي خان».

[بيفردج‏egdireveB .H ] دائرة المعارف الاسلامية ج 7، نزهه 5/ 125 رقم 178.

ص:227

قندهاري بيكم (القرن 11 ه)

هي الأميرة الفاضلة قندهاري بيكم بنت مظفر حسين بن حسين بن بهرام بن الشاه اسماعيل الأول (الامبراطور الصفوي الايراني) تزوجها الامبراطور شاه جهان بعد الاميرة ارجمند بانو، و لم يعرف إذا كان قد انجبت له اولاد أم لا.

عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي (ت 1067 ه/ 1656 م)

الشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي الهندي، قال عبد اللّه افندي:

كان من أكابر العلماء و من مشاهير الفضلاء في البلاد الهندية، و قد كان معظما في تلك البلاد و في الغاية لدى السلطان. و بالجملة كان (قدس سره) علامة عصره و فهامة دهره جامع لسائر العلوم حافل، و قد توفي بها في عصرنا، و له حواشي و مؤلفات جيدة حسنة مشهورة متداولة بها.

و اعلم أنه قد اشتهر هذا الفاضل بين أهلها بكونه من علماء أهل السنة، و لكن سماعي من بعض الثقات من أهل يزد ممن سافر الى تلك البلاد حكاية وصية منه لولده المولى ابو لهادي دالة على تشيعه و حسن عقيدته و أنه كان يعمل في مدة عمره في تلك البلاد بالتقية، و أنه قد كانت عنده كتب الشيعة موجودة محفوظة في صندوق مقفل مفتاحه محفوظ عند نفسه من الكتب الأربعة في الحديث للامامية و من سائر كتب الاحاديث للشهيد من المشهورا و غيرها، و قد كانت في ذلك الصندوق تحت الكتب المذكورة رسالة مجزأة غير مجلدة حسنة جدا من مؤلفات نفسه في الامامة تقرب من ثلاثة آلاف بيت محتوية على اثبات أدلة الشيعة و على ابطال حجج أهل السنة في مسألة الامامة، و قد وصاه بالعمل بها.

و حكى لي ذلك الثقة أنه رأى تلك الرسالة، و كان قد استنسخ منها الفاضل الجليل الاميرزا معز الدين محمد بن الاميرزا فخر الدين محمد المشهدي أيضا في بلدة اكبر آباد من بلاد الهند.

ص:228

ثم من مؤلفاته أيضا حاشية طويلة الذيل على تفسير البيضاوي في غاية الجودة، و قد رأيت ببلدة هرات منها مجلدا من أولها، و هي ما كتبه على الجزء الأول من القرآن، و قد ألفها للسلطان شاه جهان محمد ملك الهند، و لعله لم يخرج من تلك الحاشية الا ذلك المقدار.

قال الميرزا غلام علي آزاد البلكرامي الهندي المتوفي سنة 1200 في كتابة سبحة المرجان الذي ألفه سنة 1177 ه:

[هو عمدة العلماء الفناجبة و البدر التم في الشهب الثاقبة، (الفناجبة جمع الفنجابي، نسبة إلى الفنجباب معرب بنجاب بالباء الفارسية و هو ملك وسيع في الجانب الغربي من دهلى و عبارة عن صوبتين لاهور و ملتان. مولد الملا و منشأه و سيالكوت بكسر السين المهملة و بالتحتانية، الألف و سكون اللام و ضم الكاف و سكون الواو آخرها فوقانية، بلدة من توابع لاهور). شمر ذيله في عنفوان سن التمييز على طلب العلم و تلمذ على الملا كمال الدين الكشميري نزيل سيالكوت الذي كان أستاذا للمجد السهرندي، و في مدة قليلة أبدر هلاله و بلغ النصاب ماله و كان في عهد السلطان جهانكير مشتغلا بإفادة العلوم في مصره معتنيا بإدارة الجمهور من عصره و لما جلس السلطان شاه جهان بن جهانكير على السرير و تصدّى لترويج العلم و العلماء النحارير جاء الملا مرارا إلى سدة السلطنة العليا و خصّه السلطان بالإكرامات و الإنعامات الجلى و وزنه مرتين في الميزان (بالفضة، و كانت هذه عادة الملوك القدماء لاظهار احترامهم العلماء) و سلّم له ما جاء في الوزان و هو في كل مرة ستة الألف من الربابي و أيضا أنعم عليه بقرى متعددة بها كان يعيش في النعم الوافية و يصرف الأوقات في التدريس و التصانيف العالية حتى توفى من 18 من شهر ربيع الأول سنة 1067 ه و دفن بسيالكوت و له تصانيف غراء دائرة في الأمم رائجة في ديار العرب و العجم ...)].

ثم ذكر مؤلفاته و تصانيفه و نقل عن سبحة المرجان نص العبارات القنوجي المتوفى سنة 1307 في كتابه أبجد العلوم و ذكره المحبّي في خلاصة الأثر و قال: (... علامة الهند و إمام العلوم و ترجمان المظنون فيها و المعلوم كان من كبار العلماء و خيارهم مستقيم العقيدة صحيح الطريقة صادعا بالحق مجاهرا به الأمراء الأعيان و كان رئيس العلماء عند سلطان‏

ص:229

الهند خرم شاه جهان لا يصدر إلا عن رأيه و لم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ من الشأن و الرفعة و لا انتهى واحد منهم إلى ما انتهى إليه جمع الفضائل عن يد و حاز العلوم و انفرد و افنى كهولته و شيخوخته في الانهماك على العلوم و حل دقائقها و مضى من جليها و غامضها على حقائقها و ألف مؤلفات عديدة ..).

ترك المترجم له مؤلفات بين مخطوط و مطبوع منها:

1- حاشية على تفسير أنوار التتريل للقاضي البيضاوي ألفها للسلطان شاه جهان محمد طبع بهامش تفسير البيضاوي المذكور في الآستانة مسة 1270 ه. 2- كتاب التوحيد طبع في الآستانة 1306 تحت عنوان عقائد عبد الحكيم السالكوتي. 3- حاشية على المطول للسعد على متن التلخيص في علم البلاغة طبع في الآستانة سنة 1290. 4- كتاب زبدة الأفكار في التوحيد طبع عدة مرات في الهند و مصر الآستانة. 5- حاشية على شرح الجرجاني لقسمي التصورات و التصديقات في المنطق طبع في الآستانة سنة 1269.

6- حاشية على القطب على الشمسية في المنطق طبع سنة 1320. 7- حاشية على تحرير القواعد المنطقية للرازي. 8- حاشية على التلويح لسعد الدين التفتازاني في علم الأصول. 9- حاشية على حاشية عبد الغفور اللاري على الفوائد الضيائية في النحو طبع في بولاق سنة 1356. ثم الآستانة سنة 1277. 10- كتاب إثبات الإمامة و إبطال حجج المخالفين في قرب ثلاثة آلاف بيت (مخطوط).

- [خزينة الاصفياء 2/ 351، تذكرة علماء لمحمد حسين آزاد/ 36، مآثر الكرام 204، بروكلمان 2/ 417، طبقات اعلام الشيعة 6/ 314- 315، رياض العلماء 3/ 77- 78، تذكرة رحمان علي/ 110، سبحة المرجان/ 66 (طبع الحجر)، خلاصة الأثر 2/ 318- 319، ابجد العلوم 3/ 233، معجم المؤلفين 5/ 95، هدية العارفين 1/ 504، مستدركات 8/ 121- 122 سبحة المرجان 1/ 170- 172- طبعة 1976)، الأدب العرب في الهند 31].

محمد بن جلال الدين الحسيني الكجراتي (989- 1045 ه/ 1581- 1635 م)

هو السيد الصالح محمد بن جلال بن الحسن بن عبد الغفور الحسيني البخاري‏

ص:230

الكجراتي، كان من نسل محمد بن عبد اللّه الحسيني البخاري، يرجع إليه نسبه بخمس وسائط، ولد في رابع عشر من رجب سنة تسع و ثمانين و تسع بأرض كجرات، و من الاتفاقات العجيبة أنه عمل تاريخا لولادته بعد بلوغه سن الرشد من قول سعدي الشيرازي:

من و دست و دامان آل رسول‏

قرأ العلم على أساتذة عصره، ثم لازم أباه و أخذ عنه الطريقة، و قرأ عليه بعض كتب الحقائق و المعارف، و لما مات والده سنة 1003 تولى الشياخة مكانه.

قال الخوافي في «مآثر الأمراء» إنه كان شيعيا، و في «عمل صالح» إنه كان صوفيا ماهرا في التصوف، ذا سخاء و إيثار، كان يبذل على الفقراء و المساكين كل ما تحصل له من النذور و الفتوحات، و كان يصرف في عرس جده محمد بن عبد اللّه المذكور مائة ألف من النقود، لقيه شاهجهان ابن جهانكير الدهلوى مرتين، مرة في ولاية عهده و مرة في عهد السلطنة، و من مصنفاته الجمعات الشاهية في الأذكار و الأشغال.

توفي في ثاني عشر من رجب سنة خمس و أربعين و ألف، و قبره في حظيرة جده، كما في «مرآة أحمدي».

- نزهه 5/ رقم 561، مآثر الأمراء.

علي بن علي مردان خان (ت 1067 ه/ 1656 م)

الأمير الكبير علي بن علي الشيعي القندهاري أمير الأمراء نواب علي مردان خان، أحد الرجال لمشهورين بالعقل و الدهاء و السياسة، كان واليا بقندهار من قبل الدولة الصفوية، ولى عليها بعد وفاة والده سنة أربع و ثلاثين و ألف في أيام عباس شاه، فاستقل بها نحو اثنتى عشرة سنة، و لما توفي عباس شاه المذكور قام بالملك‏

ص:231

حفيده صفي شاه و افتتح أمره بالتعدى على الناس كافة و ترك قندهار لصاحب الهند سنة سبع و اربعين و ألف و دخل الهند، فتقرب إلى شاهجهان بن جهانكير التيموري سلطان الهند، فولاه على كشمير ثم على بنجاب ثم على كابل ثم على كشمير مرة ثانية فمات بها.

و كان رجلا فاضلا كريما بشوشا، طيب النفس، حسن المحاضرة، مليح القول جميل الفعال، صاحب عقل و سكون و جرأة و نجدة، له آثار صالحة في الهند من حدائق و أبنية و أنهار و غيرها.

توفي سنة سبع و ستين و ألف بماجهيواره فنقلوا جسده إلى لاهور و دفنوه عند والدته، كما في «مآثر الأمراء»، و من احفاده العالم و الشاعر الأمير نواب علي صدر الدين محمد خان بن نواب زبردست خان بن ابراهيم خان بن المترجم له صاحب كتاب ارشاد الوزراء، و له ديوان شعر مطبوع بدهلي سنة 1946.

- نزهه-/ 292 رقم 467- مآثر الأمراء، مطلع انوار 281- 282.

ستى خانم (ت 1066 ه/ 1655 م)

أخت طالب الآملي و زوجة الحكيم نصير الدين الكاشي، كانت فصيحة بليغة بارعة في القراءة و التجويد و صناعة الطب و تدبير المنزل، استخدمتها أرجمند بانو زوجة شاهجهان فتقربت إليها بحسن تدبيرها فجعلتها معلمة لجهان آرا بيكم، و لما توفيت أرجمند بانو ولاها السلطان الصدارة في حريمه فاستقلت بها إلى مدة مديدة، توفيت سنة عشرين جلوسية فتأسف السلطان بموتها تأسفا شديدا، و أعطى عشرة آلاف من النقود الفضية للتجهيز و التكفين، و دفنها بأكبر آباد و بنى على قبرها عمارة رفيعة و بذل عليها ثلاثين ألفا، ثم وقف قرية تحصل منها ثلاثون ألفا في كل سنة لمصارف تلك المقبرة، كما في «مآثر الأمراء».

ص:232

محمد سعيد الاردستاني مير جمله (ت 1073 ه/ 1662 م)

الأمير الكبير محمد سعيد الحسيني الاردستاني مير جمله، معظم خان خانخانان، سبه سالارا، كان من الرجال المعروفين بالحزم و السياسة، قدم الهند و دخل حيدر آباد في ايام عبد اللّه قطب شاه و ترقى درجة بعد درجة حتى نال الوزارة الجليلة بها، و فتح القلاع و البلاد بأرض «كرناتك»، و ملأ الخزائن بالذهب و الفضة و الجواهر الثمينة، فلما قربت شوكته توهم منه عبد اللّه قطب شاه فخرج من حيدر آباد و سار إلى عالمكير ثم إلى والده شاهجهان سلطان الهند، فأعطاه السلطان ستة آلآف له و ستة آلاف للخيل منصبا رفيعا و لقبه «معظم خان» و ولاه الوزارة الجليلة، و عرض مير جمله على السلطان ألماسا كان وزنه ستة عشرة و مائتي حبة و هي التي يسمونها «كوه نور» و هو اليوم في التاج الانكليزي، و ولاه عالمكير على «بنكاله» و لقبه بخانخانان، سبه سالار، فضبط البلاد و فتح الفتوحات العظيمة بآسام و مات بها.

و كان رجلا فاضلا شجاعا مقداما حازما ماهرا بالفنون الحربية عارفا بالحيل و التدبير، توفي في ثاني رمضان سنة ثلاث و سبعين و ألف بخضربور من أعمال بنكاله.

نزهه 5/ رقم 620، مآثر الأمراء.

محمد شفيع اليزدي (ت 1081 ه/ 1670 م)

الأمير الكبير محمد شفيع اليزدي نواب دانشمند خان، كان من الأفاضل المشهورين في إقليم الهند، قدمها من طريق البحر و دخل سورت سنة ستين و ألف في أيام شاهجهان بن جهانكير الدهلوي سلطان الهند، فأمر السلطان له بخمسة آلاف ربية للزاد و الراحلة و استقدمه إلى حضرته، فلما وصل إليه أمر أن يجزل عليه نذور يوم الأحد إلى سنة كاملة، كما في «منتخب اللباب».

و قال محمد صالح في كتابه «عمل صالح» إن اليزدي قرأ العلم في بلاده ثم ورد الهند للتجارة مضاربة، فربح في تجارته، اراد أن يعود إلى بلاده، فلما وصل إلى سورت استعاده شاهجهان و أعطاه المنصب ألفا لذاته و مائة للخيل، و لم يزل في ازدياد من الترقى حتى صار

ص:233

منصبه خمسة آلاف لذاته- انتهى.

و في «مرآة جهان نما» أن شاهجهان ولاه على «بخشيكري» و أضاف إلى منصبه حينا بعد حين حتى صار ثلاثة آلاف له، و اعتزل في بيته في آخر أيامه بدهلي، فلما تولى المملكة عالمكير أضاف في منصبه و ولاه على «مير بخشيكر» حتى صار منصبه في آخر أيامه خمسة آلاف، و كان عالمكير قرأ عليه «أحياء العلوم» من أوله إلى آخره و بعض الكتب الأخر.

و في «مآثر الأمراء» و كان عالما كبيرا غواصا في بحار التحقيق، جمع أهل العلم من الهنود و الإفرنج فكان يأخذ عنهم و يذاكرهم في العلوم و الفنون حتى أصبح منزله حلقه علم يؤمها سراة البلاد و وجهاؤها يتسابقون إلى حديثه، و كان واسع الاطلاع في العلوم لا سيما الفلسفة و التاريخ و التمدن، و كان يعرف اللغات المتنوعة، و كان كثير المطالعة لم يفته كتاب إلا طالعه- انتهى.

و في «مآثر عالمكيري» أنه قلد بمير بخشيكرى سنة ثمان و سبعين و ألف فاستقل بها مدة حياته- انتهى. و كان من ندمائه الدكتور برني الرحالة الفرنسوي، ذكره في كتابه و أثنى عليه.

مات في عاشر ربيع الأول سنة إحدى و ثمانين و ألف في أيام عالمكير.

- نزهه 5/ 386- 387 رقم 626، مآثر الأمراء، مرآة جهان نما، مآثر عالم كيري.

محمد طاهر ظفر خان أشنا التربتي (القرن 11 ه)

من رجالات كشمير البارزين و أهل الفضل و من أرباب الأدب و أقطاب شعراء الشيعة في الهند ولد في كشمير و أخذ العلم و الأدب على اعلام الشيعة هناك و تخرج في الشعر و فنون الأدب على أبيه المولى ظفر خان أحسن التربتي الذي كان من رجال البلاط المغولي في الهند و من أساتذة الأدب الفارسي في كشمير و له دور هام في نشر الأدب و الشعر الفارسي في تلك النواحي و كما أن جده الخواجة أبو الحسن التربتي المتوفى سنة 1042 كان من الأدباء و ناشري الأدب الفارسي في كشمير و الوزير الأعلى في بلاط السلطان جهانكير. و المترجم‏

ص:234

له كان من رجالات بلاط السلطان جهان و في أواخر أيام حكومته فوض اليه رئاسة مكتبة البلاط الملكي حتى أوائل حكومة السلطان اورنك زيب (1068- 1118) في كشمير ثم ترك جميع مناصبه و مارس حياته الأدبية و لقبه السلطان بعناية خان، و قال معاصره الميرزا محمد طاهر النصر آبادي في كتابه (تذكرة نصر آبادي) (... لقبه السلطان شاه جهان.

بلقب عناية خان و كان حاد الذكاء .. و أرسل الينا ديوانه مع ديوانه الثاني الحاوي على غزليات خسرو و كتابا آخر و كان اسلوبه في النظم متينا رائعا جدا و يتخلص في شعره بآشنا ..) أشار الى ديوانه الشيخ آغا بزرك الطهراني في الذريعة الى تصانيف الشيعة الجزء التاسع من القسم الأول ص 7 كما ذكره صاحب مآثر الأمراء في ج 1 ص 737 و ج 2 ص 758 و 762 و غيرهم و يحتوي ديوانه على الغزليات و الرباعيات و القصائد في اكثر من ألف بيت، و كانت اشعاره في اسلوب رائع، لطيف، سلس متين، كما انه مع ابيه و جده من الناشرين للتشيع في تلك النواحي في الهند و كانت دارهم مأوى و ملجأ و مسكنا للعلماء و الشعراء و الأدباء الشيعة المهاجرين من جبل عامل و العراق و ايران الى الهند.

علي بن محمد جواهر رقم الخطاط (القرن 11 ه)

السيد الفاضل علي بن محمد المقيم الخطاط المشهور بجواهر رقم، أخذ الخط عن والده عن السيد عماد، و قدم الهند في أيام شاهجهان فجعله معلما لولده عالمكير و لقبه جواهر رقم، و لما قام بالملك عالمكير جعله ناظرا على كتبخانه، و كان شاعرا مجيد الشعر، خطاطا بارعا، يكتب النستعليق في غاية الجودة، كما في «مرآة العالم».

و من شعره:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفسم سوخته فرياد خموشي دارم‏ |  | تا كه دركرد (؟) سرمه‏فروشي‏ |
|  |  |  |

- نزهه/ 293 رقم 469.

ص:235

محمود الكيلاني (البهشتي) (القرن 11 ه)

الشيخ محمود الكيلاني الشاعر الملقب في الشعر ببهشتي، كان من ندماء الشاه عباس شاه الصفوي ثم غضب عليه الملك فحبسه في أحد القلاع، ثم أطلق سراحه فالتحق هذا بسلطان الهند شاه جهان فاتخذه هذا الأخير معلما لولده مراد بخش.

مات بمدينة اكبر آباد كما في رياض الشعراء للداغستاني.

صادق بن صالح الأصفهاني (ولد 1018 ه/ 1609 م- ت ....)

الشيخ الفاضل ميرزا صادق بن صالح الأصفهاني، أحد العلماء المبرزين في الإنشاء و الشعر، ولد في ثالث شعبان سنة ثمان عشرة و ألف بمدينة سورت، و قرأ العلم على مولانا شاه محمد الجونبوري، و مولانا عبد الشكور البهاري و الشيخ محمد حسين الكشميري و الشيخ محمد اليزدي و على غيرهم من أساتذة الهند، ثم تقرب إلى شاهجهان.

و له مصنفات عديدة، منها الشاهد الصادق في المحاضرات، و منها الصبح الصادق- مؤلف ضخم في أربع مجلدات في اخبار الأنبياء و الأولياء و الملوك و الوزراء و الحكماء و العلماء و الشعراء، صنفه لشجاع بن شاهجهان و كان شاعرا مجيد الشعر بارعا في كثير من العلوم و الفنون.

و من أبياته قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سوى ميخانه بتائيد جنون خواهم‏ |  | باز از عالم اسباب برون خواهم‏ |
| حد اين باديه جز اشك نديد است‏ |  | آه خواهم شد ار اشك فزون‏ |
|  |  |  |

لعله مات في ايام الحروب المتواصلة بين شجاع و عالم أكبر ابني شاهجهان بأرض بنكاله.

- نزهه 5/ 176- 177 رقم 278

ص:236

محمد جان القدسي (ت 1056 ه/ 1646 م)

الشيخ الحاج محمد جان المشهدي الشاعر المشهور المتلقب في الشعر بالقدسي، قدم الهند سنة اثنتين و أربعين و ألف، و تقرب إلى شاهجهان و نال الصلات الجزيلة منه، له «بادشاه نامه» منظومة في اخبار السلطان المذكور، و له ديوان الشعر بالفارسي، و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اينجا غم محبت آنجا جزاى عصيان‏ |  | آسايش دو كيتي برما حرام كردند |
|  |  |  |

توفي سنة ست و خمسين و ألف بمدينة لاهور، كما في «سرو آزاد».

- نزهه 5/ 374- 375 رقم 604. سرو آزاد (مخطوط).

داود بن عناية اللّه الأكبر آبادي (ت 1073 ه/ 1662 م)

الشيخ الفاضل الحكيم داود بن عناية اللّه الأكبر آبادي، أحد العلماء المبرزين في الفنون الحكمية، أخذ عن أبيه و كان والده من أصحاب الحكيم فخر الدين محمد الشيرازي فتخرج عليه و قام مقامه بعده، و صار يرجع الناس إليه في العلوم و في معالجاتهم، فجعله عباس شاه الصفوي ملك الفرس نديما له، و لم يزل يعتمد عليه في الأمور حتى توفى إلى اللّه سبحانه و تعالى، فاعتزل داود في بيته برهة من الزمان ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار، و ذهب إلى بغداد و البصرة، ثم دخل الهند و وصل إلى أكبر آباد في السابع عشر من صفر سنة ثلاث و خمسين و ألف، فتقرب إلى شاهجهان عظيم الهند، و تدرج في المناصب العالية حتى بلغ منصبه إلى ثلاثة آلاف له و ثلاثمائة للخيل، و نال الصلات الجزيلة و الخلع الفاخرة منه غير مرة، كما في «باد شاهنامه».

و في العمل الصالح: أن منصبه بلغ في آخر ايام السلطان المذكور الى خمسة آلاف، و لقبه السلطان تقرب خان، و كان رجلا حاذقا في المعالجات، قد أبدع فيها غير مرة- انتهى.

ص:237

توفى سنة ثلاث و سبعين و ألف في أيام عالمكير، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه 5/ 147- 148 رقم 224، عمل صالح (مخطوط).

شيدا ملا (ت حدود 1052 ه/ 1642 م)

«شيدا ملا» شاعر و هجاء فارسي ولد و نشأ في فتحبور سكرى (قرب آكره) و صحب فترة من الزمن خان خانان ميرزا عبد الرحيم ثم التحق من بعد بخدمة الأمير شهريار بن جهانكير، ثم خدم شاهجهان و دخل في زمرة الأحديين، و تقاعد في شيخوخته بكشمير ينفق من معاش اجراه عليه شاهجهان، و توفي فيما يرجح سنة 1052 ه، 1642 م.

و يقول عبد الحميد اللاهوري إن شيدا كان قليل العلم و لكن غيره من الكتاب خالفوه في رأيه تمام المخالفة فقد كان شيدا مستطيعا أن يقرض الشعر الجيد بسرعة، و يقال إن مجموع ما نظمه من أبيات الشعر يبلغ مائة ألف بيت و قصيدته التي فصّل فيها الكلام عن عيوب و نقائض كل بيت من أبيات القصيدة التي نظمها معاصره قدسي و مثنويه «دولت بيدار» فمعروفان حق المعرفة، كما أنه هجا طالبا «الآملى» و مير إلهي و غيرهما من الشعراء الآخرون، و من ثم كانت المناظرة المشهورة التي قامت بين شيدا و الشيخ فيروز في أجمير سنة 1024 ه/ 1605 م.

(1) عبد الحميد اللاهوري: بادشاه نامه، ج 1، كلكته 1867، ص 358- 359. (2) جلال الدين محمد طباطبائي: بياض، المتحف البريطاني، القسم الشرقي، الورقة 271 (1)) ueiR ، ج 3، ص 933)، (3) شير خان ابن محمد أمجد خان لودي: تذكرة مرآة الخيال، كلكتة 1831، ص 147- 151 (4) غلام علي آزاد (البلكرامي): مآثر الكرام، ج 2 (- سرو آزاد)، حيدر آباد، 1913 ن ص 82- 84 و كذلك ص 62- 63 و 228 (5) على أحمد خان هاشمي (السنديلاوي): تذكرة مخزن الغرائب (مخطوط مكتبة بودليانا، و «دار المصنفين»، أعظم كره، الهند)، (6) شبلي نعمائي: شعر العجم، ج 4 (الطبعة الثالثة أعظمكره 1923) ص 173 و 206 و 209: ج 5 (الطبعة الأولى)، ص 187 (7) عبد الغني خان: تذكرة الشعراء، عليكره 1906، ص 87 (إقرأ 1052 بدلا ص 1042)، [صديقي‏iqiddiS .A ]،- دائرة المعارف الاسلامية 14/ 20.

ص:238

محمد معصوم التستري (ت بعد 1050 ه/ 1640 م)

الحكيم الشيخ محمد معصوم بن كريم الدين الحكيم التستري، أحد العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، نشأ بشيراز و قرأ العلم على أساتذتها، ثم قدم الهند في أيام شاهجهان، له «القرابادين المعصومي» صنفه سنة خمسين و ألف، كما في «محبوب الألباب».

- نزهه/ 401 رقم 659.

محمد معصوم الهندي (كان حيا سنة 1053 ه/ 1643 م)

من العلماء الاثني عشرية في لاهور/ ادركه مؤلف كتاب دبستان المذاهب سنة 1053 ه و يحتمل ان يكون متحدا مع محمد معصوم التستري (المذكور).

- طبقات أعلام الشيعة 6/ 576 القرن 11.

محمد هاشم الكيلاني (ت 1061 ه/ 1650 م)

الشيخ الفاضل العلامة مير محمد هاشم بن محمد قاسم الحسيني الكيلاني، أحد كبار العلماء، أخذ العلوم الحكمية عن مرزا إبراهيم الهمداني و نصير الدين حسين الشيرازي، و أخذ الفقه و الحديث و العربية عن الشيخ محمد العربي المحدث و الشيخ عبد الرحيم الحسائي و الشيخ علي حفيد العلامة عصام الدين الإسفرايني، و أقام بالحرمين الشريفين اثنتي عشرة سنة، ثم قدم الهند و أخذ الفنون الرياضية و الصناعة الطبية عن الشيخ علي الكيلاني و تطبب عليه، ثم سكن بأحمد آباد في أيام شاهجهان زمانا، ثم جعله شاهجهان معلما لولده أورنك زيب.

و له تعليقات على تفسير البيضاوي و حاشية على تحرير الأقليدس الى المقالة التاسعة و له غير ذلك من المصنفات، مات بآورنك آباد سنة إحدى و ستين و ألف و له ثمانون سنة، كما في «مرآة العالم».

- نزهه 5/ 406 رقم 666.

ص:239

حسن بن ابي الحسن القزويني المشهدي (ت بعد 1075 ه/ 1664 م)

الشيخ الفاضل ميرزا حسن بن أبي الحسن القزويني ثم المشهدي الشاعر المشهور، كان يتلقب في الشعر بالرفيع، قرأ العلم على أساتذة المشهد، و سافر إلى بلخ فتقرب إلى نذر محمد خان أمير تلك الناحية، و ولى الإنشاء فلبث بها زمانا، ثم قدم الهند سنة أربع و خمسين و ألف و تقرب إلى شاهجهان، فنال الصلات الجزيلة منه، و ولاه عالمكير بن شاهجهان على ديوان الخراج بكشمير، فلما كبر سنه اعتزل عنه و وظف له، مات بدهلى، و من أبياته قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خار را آتش توان زد تا نكيرد دامنى‏ |  | من نميدانم علاج خاك دامنكير |
|  |  |  |

- نزهه 5/ 132 رقم 190.

فتح اللّه الشيرازي (ت بعد 1050 ه/ 1640 م)

الشيخ الفاضل الكبير الحكيم فتح اللّه بن ابي القاسم بن فتح اللّه، الشيرازي الحكيم، كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد و نشأ بشيراز، و قرأ العلم على أساتذتها و تقرب إلى إمام قلى بن اللّه وردى خان أمير تلك الناحية، و لما توفى الأمير المذكور فارق بلاده و دخل الهند في أيام شاهجهان، فنال منه الصلات الجزيلة غير مرة، و دخل في زمرة أطبائه و كان حاذقا في علاج الأمراض الصعبة و متفردا بين الأطباء في تشخيص الأمراض، كما في «عمل صالح».

و جده فتح اللّه غير فتح اللّه الشيرازي الأستاذ المشهور. و هو أيضا قدم الهند في عهد أكبر شاه و نال الصلات الجزيلة منه، و أقام بالهند مدة طويلة، ثم رجع إلى بلاده و مات بشيراز، كما في «بادشاهنامه».

- نزهه 5/ 312 رقم 496.

ص:240

علاء الدين الشوشتري المرعشي (حدود 1000- 1050 ه/ 1591- 1640 م)

الشيخ الفاضل علاء الملك بن العلامة نور اللّه الحسيني المرعشي خامس أنجال الشهيد السيد نور اللّه الشوشتري، و قد اشتهر بلقبه و لم يعرف اسمه و كان أحد كبار العلماء، أخذ عن والده، صحبه مدة من الدهر ثم سار الى شيراز و تخرج على جماعة من العلماء، ثم قدم الهند و اشتغل بالتدريس، فجعله شاهجهان معلما لولده محمد شجاع، فسار معه إلى بنكاله.

و له مصنفات جليلة، منها المهذب في المنطق، و أنوار الهدى في الإلهيات، و الصراط الوسيط في إثبات الواجب تعالى و تقدس- ذكره مرزا محمد صادق الأصفهاني في «صبح صادق».

- نزهه ../ 455، تذكرة مجيد- سبط الحسن هنسوي، مطلع انوار/ 371- 374.

يحيى الحسيني الكاشي (ت 1064 ه/ 1653 م)

هو المير يحيي الحسيني الكاشي، أحد الشعراء المفلقين، قدم الهند و نال الصلات الجزيلة من شاه جهان، و من شعره:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دولب دوناخن مرداست تابهم‏ |  | كره ز خاطر خود و أز نميتوان كردن‏ |
|  |  |  |

توفي بدهلي في 11 محرم سنة اربع و ستين و الف.

- نزهه/ 451 رقم 752، سرو آزاد.

علي رضا الشيرازي تجلّي (1088 ه- 1677 م)

الملا علي رضا الشيرازي المتلقب ب (تجلّي) في شعره هو من كبار علماء الهند في عصره أخذ مكانه سلفه الشهيد السيد نور الدين الشوشتري، و ذلك في أيام الامبراطور

ص:241

شاه جهان و كان على صلة حسنة بالعلماء في ايران و العراق، طاف في اكثر البلاد المعروفة في الهند مثل: آكره، دهلي، لاهور، سوهدره، كشمير، و كان بالاضافة الى انشغاله في القضاء، يعقد مجالس الدرس و من اشهر تلامذته في الهند العلامة السيد حسين الخوانساري المتوفي 1099.

انتقل في أواخر حياته الى شيراز و توفي بها على اختلاف الرواة في السنة التي توفي فيها و هي بين سنة 1080 و 1088 ه.

من كتبه:

- تفسير القرآن المجيد، بالفارسية، و جاء في مخزن الغرائب عن هذا الكتاب:

انه تفسير للقرآن بعبارة واضحة و هو متداول بين العلماء و الفضلاء.

- ديوان شعر

- رسالة في المنع من صلاة الجمعة حال الغيبة.

- رسالة سفينة النجاة في الامامة.

- رسالة في رد محمد باقر.

مطلع/ 359- 360، روضات الجنات 2/ 219، مخزن الغرائب 1/ 420 هميشه بهار، صبح كلشن، كلمات الشعراء، مآثر الكرام.

ابو المعالي الشوشتري (1004- 1046 ه/ 1595- 1636 م)

ابو المعالي بن السيد نور الدين الشوشتري المرعشي، ولد في في 3 ذي القعدة 1004 في البنغال ثم اصبح من علماء الهند و اشتهر في كثير من العلوم الشائعة في عصره، و من كتبه، احوال شهادت قاضي نور اللّه، و كتاب: تفسير سورة اخلاص، و كتاب شرح الفيه (فقه) و رساله نفي رؤيت، و ديوان باللغة الفارسية.

- مطلع انوار/ 67، نجوم السماء/ 92، تذكرة مجيد، امل الآمل.

ص:242

شريف الدين الشوشتري (990- 1020 ه/ 1582- 1611 م)

هو ابن الشهيد نور الدين الشوشتري، ولد في 19 ربيع الأول سنة 990 على قول السيد شهاب الدين المرعشي، و كان قد درس دراسة ممتازة في الحوزات العلمية في ايران، ثم اصبح من العلماء و المدرسين.

و كان من اساتذته في شيراز: محمد تقي الشيرازي و ابراهيم الهمداني، من مؤلفاته:

حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية مبحث جواهر، حاشية قديم، حاشية شرح مختصر عضدي، حاشية على مطلع الانوار، رسالة في عويصات العلوم و غيرها.

انتقل الى رحمته تعالى في 5 ربيع الثاني سنة 1020 ه.

- مطلع انوار/ 279، مقدمة احقاق الحق.

اسماعيل البلكرامي (حدود 1088 ه/ 1677 م)

هو السيد اسماعيل بن السيد قطب عالم البلكرامي، كان من العلماء المتميزين على عهد شاه جهان، من تلامذته: السيد عنايت اللّه، حافظ القرآن، و السيد محمد فيض و كان من الاطباء.

اولاده: نور محمد، حسن عسكري، و السيد حسين.

و من تصانيفه: حاشية كبير على كتاب تهذيب المنطق، و حاشية أخرى على حاشية ملا جلال.

- مآثر الكرام 233، بي بها/ 5، تذكرة علماء هند/ 21، مطلع/ 99.

ص:243

دانشمند خان (1081 ه/ 1670 م)

من علماء عصر اكبر و جهان كير و شاه جهان، و كان من طبقة ملا محمد يزدي، و ملا محمد قدسي مشهدي، و ملا علاء الملك التوني المعروف بفاضل خان، و مظفر خان مير عبد الرزاق النجفي، و الملا نور اللّه الشوشتري، و الملا أحمد تهتوي، و ملا امانت خان، و مير محمد زمان موسوي خان ميرزا و أقا حسين خوانساري، و ملا ملك القمي، و ملا فتح اللّه شيرازي و غيرهم.

- مطلع انوار/ 217- 218، عمل صالح، مآثر الأمراء، فرح الناظرين.

محمد سعيد الكرمرودي (1045 ه/ 1635 م)

كان من العلماء على عهد شاه جهان، قابل هذا الامبراطور و لقي عنده الاحترام، و عينه في منصب مرموق على ما جاء في كتاب بادشاه نامه.

- مطلع/ 616.

الملا محمد الكاشف (قبل 1059 ه/ 1649 م)

الملا محمد الكاشف بن الملا صادق، أحد العلماء في عصر شاه جهان و كان من المدرسين، و المصنفين، له عدة كتب منها كتاب تحت عنوان: «حاشية ميرزا كاشف على بحث التميز».

- مطلع/ 591- 592.

ص:244

اورنك زيب عالمكير (1028- 1118 ه/ 1619- 1707 م)

الامبراطور محمد اورنك زيب عالم كير الأبن الثالث للامبراطور شاه جهان ولد (ليلة الأحد 15 ذي القعدة سنة 1028 ه، 3 نوفمبر 1619، في قرية (دهوض) التي صحف اسمها الى (دوحد) باقليم كجرات و امه السيدة ارجمند بانو الطهرانية (ممتاز محل).

مال الى دراسة الشريعة منذ صغره و كان من اساتذته: عبد اللطيف السلطان بوري و محمد هاشم الكيلاني و محي الدين بن عبد البهاري.

وردس الخط لدى علي بن محمد مقيم حتى اصبح خطاطا ماهرا لا سيما في خط النسخ و النستعليق و الشكسته و كتب المصحف الشريف بخطه و انفق على التذهيب و التجليد سبعة آلاف روبية ثم بعث النسخة الى المدينة المنورة. و كان حافظا للقرآن الكريم مطلعا على السنة الشريفة ملازما لكتب الفقه ملما بمقدماته، ماهرا بالموسيقى، و الرمي و الطعن و الفروسية و الصيد، مترسلا في الإنشاء و الشعر، موصوفا بالجرأة و الشجاعة و قسوة القلب و عدم الرحمة على خصومه، و كان موصوفا بالتدين و أداء شعائر الدين باخلاص كبير و مواظبة تامة مع زهد و تقشف نسب فيهما الى الشح حتى انه و زهد في آواخر عمره على ان لا ينفق على نفسه إلّا ما كسبت يداه بالعمل حتى انه اوصى بأن يدفن في أقرب مقابر للمسلمين و ألا يعدو ثمن كفنه خمس روبيات كان قد كسبها من نسخه للقرآن الكريم و صنعه للطواقي ضمن ثلاثمائة روبية أمر رجاله ان يتصدقوا بها على الفقراء كذلك.

و بالرغم من انه اغتصب العرش من اخيه دارا شكوه ولي العهد الشرعي، و بالرغم من قتله لأخوته و اذلاله و سجنه لوالده المريض فقد كان عهده عهد ازدهار و رفاهية و رخاء، و أمن الناس فيه على أرواحهم و أموالهم و اعراضهم، و ازدادت من جراء ذلك مساحات الارض المرزوعة و كثرت غلالها فزادت و اردات الدولة و نعم الناس بالخيرات، و كان ذلك نتيجة لاصلاحاته الادارية و سياسته الاخلاقية.

ص:245

جلوسه على العرش:

مرّ علينا نبأ مرض والده الامبراطور شاه جهان (قيل ان مرضه بالفالج، و قيل أبتلي باحتباس البول) فعهد بولاية العهد الى ولده الاكبر و الارشد دارا شكوه و مكنه أن يقيم عنده و ينفذ الامور فاشتعلت الغيرة لدى اخوته فنهض (شجاع) من البنغال و (مراد بخش) من كجرات و (اورنك زيب) من الدكن و كلهم يريد ان يستولي على العرش، لكن الغلبة في كل ذلك في صميم مؤهلات (اورنك زيب) فاستطاع اولا من اقناع مراد بخش بالاتفاق معه و لما تمت لهما السيطرة على دارا السلطنة، احتال (اورنك زيب) على أخيه مراد بخش، و خان جميع المواثيق التي ابرمها معه و اعتقل اخويه ثم قتلهما شرّ قتلة، و لكن يحلو لجمهرة المزمرين في جوقة السلطان ان يسمون تلك الخيانة تمردا على السلطة الشرعية و خروجا على الدين.

(في النزهه 6/ 125: و اعتقل اخويه (أي اورنك زيب) ثم قتلهما لأمور صدرت منهما و افتى العلماء [الابرار] انهما استوجبا القتل).

[و قال منعم النمر في تاريخ الاسلام في الهند/ 341 في قتل دارا شكوه: انتهى الأمر بقتله بعد أن اعتمد الملك على فتوى من العلماء بخروجه عن الدين، و محاربته الحاكم الشرعي (!!)] و هل كان الحاكم الشرعي الّا دارا شكوه نفسه فهو أكبر اخوته و أعلمهم، ثم ان والده كان حيا يرزق و قد خصه بولاية العهد فقام بأمور السلطنة تحت نظره و رعايته، و نحن لا نريد محاكمة اورنك زيب بقدر ما نريد التنبيه على اغاليط المشايخ الذين يهرفون بما لا يعرفون سعيا وراء تقديس هذا الحاكم أو ذاك و كل ما كان قد اعجبهم في الامبراطور اورنك زيب لما قيل عنه انه (كان متصلبا في المذهب، يتدين بالمذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول و لا فعل- نزهه 6/ 126)، و هكذا كان التعصب في المذهب صكّ براءة لأفاعيل هذا السلطان أو ذاك طالما انه يتناغم في هواه المذهبي معهم، و الواقع اننا لا بد من ان نقيم هذا الرجل في ميزان اعماله السيئة أو القبيحة، دون تأثر برأي أو عصبية لمذهب بعينه، و ارى ان هؤلاء المشايخ ظلموا (ارونك زيب) جدا لأنهم اعتبروه بأماديحهم تلك و بتلقيبهم اياه بمحي السنة الغازي المؤيد .. القائم بنصرة الدين ... الخ من الالقاب المفخمة، اعتبروه و كأنه معصوم من الخطأ مع أنه اغتصب‏

ص:246

العرش الشرعي و كان ظالما لأهله و قاتلا بل و خائنا لأخوته و اعجب من كل ذلك انه مع قسوته على أبيه و اضطهاده له و عقوقه اياه (و عقوق الأباء ظلم عظيم لا يغتفر) سجن والده المريض في قلعة اكبر آباد لمدة ثماني سنين حتى وفاته في السجن و لم يحاول ان يزوره طيلة هذه المدة حتى و لا مرة واحدة و هذا دليل بسخطه عليه و غضبه منه، و مع كل ذلك فلا يحلو لهؤلاء المشايخ الا ان ينسبوا ذلك الى العفو عند المقدرة لدى هذا الأبن العاق و اكثر من ذلك يقول في النزهة 6/ 125- 126 في موضوع سجن والده شاه جهان «و هيأ له ما يشتهيه من الملبوس و المأكول و أهل الخدمة و الجواري و الغلمان ..» و كأن الأكل و اللبس هو كل ما يبتغيه والده و أن ذلك يلغي عقوقه لوالده، ثم يردف قوله عن اورنك زيب بما يلي «و افتتح امره بالعدل و الاحسان و رفع المظالم ص 126» و كم في هذا المديح من التجني و الكذب، فالثابت تأريخيا ان اورنك زيب (المؤمن، المتصلب في المذهب) افتتح أمره بقتل اخوته و سبي أهله و سجن والده المريض حتى توفي في سجنه، فأين هو العدل و الاحسان من كل ذلك؟.

كيف كان يقضي وقته:

كان الامبراطور اورنك زيب على ما دونه السيد عبد الحي في النّزهه 6/ رقم 244 موزعا لأوقاته فوقت للعبادة و وقت للمذاكرة و وقت لمصالح العساكر و وقت للشكاة و وقت لقراءة الكتب و الأخبار الواردة عليه كل يوم و ليلة من مملكته لا يخلط شيئا بشي‏ء فانه كان ينهض في الليل قبيل الصبح الصادق فيتوضأ و يذهب إلى المسجد و يصلى الفجر بجماعة ثم يشتغل بتلاوة القرآن و الأوراد الموظفة ثم يجلس بدولت خانه و يتمثل بين يديه الأمراء المقربون و يحضر لديه ناظر العدلية (داروغة عدالت) بجماعة من المتظلمين سواء كانوا من أهل دهلي أو من خارجها فيقضى فيهم بما يبدو له من الشرع أو العرف ثم كان يذهب الى البرج المشرف على نهر «جمن» و يسمونه «جهروكة درشن» على سنّة أسلافه و بعد مدة من الزمان ترك ذلك فكان يدخل المنزل و يمكث به نحو ساعتين أو ثلاث ساعات ثم يظهر في الديوان العام و يجلس للناس فيحضر لديه أبناء الملوك و كبار الأمراء و عظماء الهند و السفراء و كلهم يقفون بين يديه و من ورائهم تقف عامة الأمراء و يتلوهم الناس من كل صنف و درجة أعلاهم و أدناهم، ثم يتمثل بين يديه الأمراء الوافدون من‏

ص:247

بلاده و يستأذنه الأمراء المأمورون إلى جهات فيخلع عليهم و يأذن لهم بالخروج و يعرض عليه عرائض الأمراء و الولاة و نذورهم و يعرض عليه «المير بخش» مطالب أهل المناصب و «المير آتش» أغراض «البرقندازية» و غيرهم و صدر الصدور يعرض عليه حوائج السادة و العلماء و المشايخ و غيرهم و صدر الصدور و غيرهم من أهل الاستحقاق و ناظر العرض المكرر الأحكام السلطانية من المناصب و الأقطاع و النقود و غيرها، ثم يعرض عليه ناظر الإصطبلات الأفراس الخاصة و شحنة الفيلة الأفيال الشاهانية على الرسم المعتاد و ناظر الداغ و التصحيحة فرسان الأمراء مع أفراسهم التي امتازت بالداغ و التصحيحة حالا و كان يجلس بالديوان العام نحو خمس ساعات، ثم يذهب إلى «دولت خانه» فيحضر لديه الوزير و الديوان و البخشي و صدر الصدور و غيرهم من كبار الأمراء فيكلمه الوزير في مهمات الدولة و الديوان في الأموال الخالصة الشريفة و المير بخشى في العسكرية و صدر الصدور في أهل الحوائج و السلطان يجاوبهم بما يبدو له من المعروف و يكتب بيده بعض التوقيعات و يأمر في بعضها أن يكتبه الوزير ثم يعرض عليه المناشير التي انشأها الوزير فيقرأها و يصلحها إن رأى فيها خللا و يجلس بها نحو خمس ساعات، ثم يدخل المنزل و يتغدى و يقيل نحو ساعة ثم يتوضأ و يمشى الى المسجد و يصلى الظهر بجماعة، ثم يذهب إلى «خلوت خانه» و يشتغل بتلاوة القرآن و كتابة المصحف و مطالعة الكتب و تحقيق المسائل، و ربما يدعو بها بعض الأمراء و يباشر المهمات من أمور الدولة و ربما يدعو أهل المظالم و الشكاوى فيقضي بيهم بالمعروف و ربما يدعو المخدرات فيعرض عليه حوائج النساء فيبذل عليهم العطايا الجزيلة، ثم يذهب الى المسجد و يصلى العصر بجماعة ثم يجلس بدولت خانه مرة ثانية فيتمثل بين يديه الأمراء و يكلمونه في المهمات كأول النهار كما تقدم ثم يخرج الى المسجد و يصلى المغرب بجماعة و يشتغل نحو ساعتين بالأذكار و الأشغال ثم يذهب إلى «دولت خانه» و يشتغل بالمهمات إلى وقت العشاء ثم يذهب الى المسجد و يصلى العشاء ثم يدخل المنزل.

و أما يوم الأربعاء فكان لا يجلس بالديوان العام و الخاص و يجلس بدار العدل على سنّة أسلافه فيحضر لديه المفتون و القضاة و يعرض عيله ناظر العدلية المتظلمين واحدا بعد واحد فيستنطقه السلطان بنفسه و يسأله بكل هوادة و رفق و يقضى بينهم بالمعروف.

ص:248

و أما يوم الخميس فانه كان يكتفي بالجلوس بالديوان العام و الخاص على أول النهار و يترك الجلوس بعد العصر فكان يشتغل سائر أوقاته بالعبادة.

و كان يجلس للمذاكرة في الكتب الدينية كالإحياء و الكيمياء و «الفتاوى الهندية» و غيرها في كل أسبوع ثلاثة أيام على السيد محمد الحسيني القنوجى و العلامة محمد شفيع اليزدي و نظام الدين البرهانبوري و غيرهم من العلماء.

حروب اورنك زيب:

خاض اورنك زيب عدة حروب في عهد والده شاه جهان، و منها الحرب التي قام بها ضد اخوته و قتلهم و ما كاد ان يستتب له الملك حتى تجددت الانتفاضات ضده في عدة اطراف من الامبراطورية و من بين الوقائع الحربية التي شهدها عصره:

الثورة الافغانية

و هي ليست بثورة جديدة بل أن القبائل الافغانية كانت في ثورة دائمة على المغول، و كانت صعوبة أرضهم و شدة بأسهم تجعل اباطرة المغول يرضون منهم بالطاعة الظاهرة ما داموا لم يمسوا مصالح الأمبراطورية. فلما كانت مسنة 1672 حدثتهم أنفسهم بالثورة فثاروا، فذهب السلطان بنفسه و أدّبهم و أقام حولهم مخافر لمراقبة أحوالهم و أعمالهم، ثم تركهم مدة من الزمن و أعاد عليه الكره بحملة قادها قائده المشهور «آغر خان» فاستأصل جذور رجالهم و اجتز زهرات نفوسهم و أهلك حرثهم و نسلهم و ضرعهم و زرعهم فكانت ضربة قاصمة حاسمة، و ظلت النساء بعد ذلك زمنا طويلا يفزعن أولادهن بأسم هذا القائد، و قد كتب بعض المؤلفين كتابا عن حروب هذا القائد و سماه «آغر نامه».

الثورة الراجبوتانية

و قد نشأت عن موت الأمير جسونت سنكه، سنة 1678، من غير أن يعقب و قد طمع بعرش إمارته ماروار، التي تسمى اليوم جودهبور، كثير من الأمراء و لكن أورنكزيب ولّى عليها «اندر سنكه» ابن اخت الأمير الفقيد فأغضب هذا الانتخاب أسرة الميت و بعض قواده فتركوا البلاد مغاضبين و سارو يقصدون كابل، و لما بلغوا لاهور وضعت زوجة الفقيد غلامين توأمين فاخذوهما و جاؤوا إلى أورنك زيب و طلبوا منه أن يعهد

ص:249

بالإمارة لأحدهما، فقال لهم أورنكزيب: بل يربى هذا الطفلان تحت الرعاية السلطانية ثم متى بلغا سن الرشد توليا ما كان لوالدهما. فأحبط بذلك مؤامرة المؤتمرين و على رأسهم «درجا داس»، فقرروا الفرار من دهلي و العودة إلى جودهبور و القيام بثورة باسم ولي العهد. و قيل أن أحد الطفلين مات و هم في دهلي، و رأى الرجال بأن وجود الأميرات معهم قد يعيق فرارهم و ثورتهم فقتلوهن و فروا. و تقول بعض التواريخ أنهم قتلوهن مع الطفلين و فروا، فلما بلغوا جودهبور أخذوا طفلا مجهولا و ادعوا أنه ابن جسونت، و تولى درجا داس قيادة ثورة أثارها على الأمبراطورية، و اشتبك مع جيوشها بمعارك عديدة كان لا يغلب في واحدة منها إلا ليعود فيجمع جموعه لمعركة ثانية، و لما رأى أمير إمارة أوديبور ثبات درجا داس في مقاومة السلطان ظن عجز السلطان عن إطفاء نيران هذه الفتنة، فرفض دفع الجزية و انضم إلى درجا داس و عمل معه على إغراء والي «مار وار» الأمير «أكبر» الأبن الثالث للسلطان اورنك زيب، و دعاه الى العصيان على أبيه على أن يساعده هو و درجا داس لتولي السلطنة، فاغتر «أكبر» بهذه المواعيد و أعلن عصيانه على أبيه سنة 1660، و حيث ان اورنك زيب كان آنذاك في أجمير، فقد ذهب ابنه لقتاله، و لكن أورنك زيب انتصر على «أكبر» ففرّ هذا ملتجئا إلى راجبوتامه ثم الدكن، ثم لما ضاقت عليه الأرض بما رحبت غادر الهند سنة 1682 إلى إيران و فيها مات. و بعد أن قضى أورنك زيب على ثورة ابنه انصرف بكليته إلى راجبوتانه فقضى على ثورتها، و لما رأى أمير أوديبور فشل هذه الحركة سارع بالاعتذار إلى السلطان و قدم إليه بدل الجزية المتخلفة في ذمته مقاطعتين من بلاده.

و بعد هذه الضربة أخلص الراجبوتانيون للسلطنة إخلاصا تاما و لم تبدر منهم، بعد ذلك، بادرة توحي بغير الطاعة و الإخلاص.

ثورات الدكن‏

كانت الأمارات الشيعية في الدكن (العادل شاهية و عاصمتها بيجابور) (و القطب شاهية و عاصمتها كولكنده قرب حيدر آباد) مستقلتان عن هيمنة السلطنة المركزية للمغول، و كان المغول كلما سنحت لهم الفرصة يوجهوا جيوشهم لاحتلال الدكن،

ص:250

الهضبة الكبرى في جنوب الهند، و كانت الحروب المتتالية مع جيوش الامارتين مدعاة لانزعاج المغول طيلة أيام حكم تلك الامارات و كانت هجمات المغول على الدكن تنتهي أما بالفشل أو بعقد المعاهدات دون أي حسم عسكري، و على عهد اورنكزيب استولى الضعف على هاتين الامارتين، و بدأ الضعف بينا يوم تولى حكام ضعفاء الحكم هناك و لما كان اورنكزيب في انحاء الدكمن متوجها للاشراف العسكري على حملات التأديب لامارة المراته الهندوسية التي تشارك بيجابور و كولكنده الخوف من التوسع المغولي فانتهز اورنك زيب الفرصة للقضاء على امارتي العادل شاهية و القطب شاهية أولا فساق السلطان جيشا بقيادة ابنه الأمير «أعظم» إلى بيجابور و جيشا آخر بقيادة ابنه الأمير «معظم» إلى كولكنده، فلما رأى سنبهاجي زعيم امارة المراته و جماعته ذلك انضموا إلى جهود كثيرة و خسارات كبيرة بالعتاد و الأرواح، أن يستولي سنة 1686 على بيجابور ثم بعدها سنة 1687 على كولكنده و ألحقتا إلحاقا تاما بآكره، و أصبح علي عادل شاه أمير بيجابور من أمراء البلاط السلطاني و سيق أبو الحسن تانا شاه أمير كولكنده إلى قلعة دولة آباد، و سجن فيها حتى مات.

ثورة المراته‏

بالرجوع الى تاريخ المراته القريب، نجدهم من الأقوام الهندية التي سكنت الهند منذ القديم، و يسكن جلّهم شمال بومباي و جنوبها، و لهم لغتهم الخاصة (المراتية) و هي اللغة الوطنية لسكان بومباي و كثير من مقاطعة مها راشترا حتى الوقت الحاضر، و بالطبع فهم يتكلمونها اليوم مع عدة لغات اخرى و في مقدمتها السنسكريتية و الانجليزية مثل سائر اقاليم الهند المختلفة التي تتكلم لغاتها الوطنية بالاضافة الى اللغات المذكورة الاخرى.

و هذه القومية لم تنسجم مع الوجود المغولي و كانت في صراع دائم و نفور مستمر من تسلط المغول و كان يغذي عدائها الشعور القومي المتنامي بين افرادها و شدة عصبيتهم للهندوسية و طمعهم للاستقلال في حكم انفسهم و لقوة شكيمتهم فقد كانوا يبدأون بالاغارة على املاك المغول، و حين بزغ نجم زعيمهم (ساهوجي) التفوا حوله لكنه لم‏

ص:251

[[33]](#footnote-33)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص251**

يستطع ان يحقق ما يريد ان يصبو إليه قومه فقد آثر الاتفاق مع امراء بيجابور المجاورين للمراتيه و اكتفى بتكريم الملك المسلم له و تقريبه طمعا في نيل هدوء جماعته و قد افلح فعلا في تلك الخطة فمال المراتيه الى الدعة و الهدوء طيلة فترة زعامة (ساهوجي) المذكور، و لكن ما كاد ابنه الأصغر سيواجي يبلغ مبلغ الشباب حتى جمع حوله رجالا و أخذ يغير من أقطاع أبيه المنيع، على بيجابور، فينهب و يسلب ثم يعود إلى مقره، و قد أهملت الإمارة تأديبه حرمة لأبيه، فطمع و غرّته نفسه فاعتدى على الحدود المغولية، فأرسل أورنك زيب جماعة لتأدبيه، فردته إلى الطاعة و الخضوع، ثم لما عقد اورنك زيب، يوم كان واليا على الدكن، صلحا مع إمارة بيجابور اشترط عليها مطاردته و معاقبته أو إقطاعه منطقة بعيدة عن الحدود المغولية، و لكن بيجابور تهاونت بتنفيذ هذا الشرط لأنه لم يكن في صالحها، فلما أدبته القوات المغولية عاد و استطال على إمارة بيجابور، و وقعت بينه و بينها معركة قتل فيها قائد بيجابور، فاضطر الأمير علي عادل شاه أن يسير سنة 1660 بنفسه لتأديبه، ففرّ سيواجي و تدخل أبوه لدى الأمير فعفا عنه، فاتجه سيواجي من جديد نحو الأرض المغولية و استولى سنة 1662 على مرفأ سورت و أعلن استقلاله فساقت آكره عليه حملة انتزعت منه أكثر المناطق و القلاع التي كان مستوليا عليها، فلما أدرك عجزه عن الاستمرار في المقاومة قدم خضوعه فعفا عنه راجه جي سنه فائد الحملة المغولية و منحه نحو ثلث ما كان يسيطر عليه أقطاعا يعيش منه و أنعمت الحكومة على ابنه سنبهاجي، الذي كان شريك أبيه في عصيانه، برتبة رفيعة. و بعد بضع سنوات نقض سيواجي العهد و عاد إلى العصيان و ظل يعتدي على البلاد المغولية حتى مات سنة 1680، و خلفه ابنه سنبهاجي و سار على قدم أبيه في العصيان، لا بل أغرق في عصيانه و أوى إليه الأمير «أكبر» النجل الثالث للامبراطور اورنك زيب يوم فرّ من أبيه.

فانصرف أورنك زيب إلى سنبهاجي لتأديبه، و بعد معارك عديدة تغلب فيها عليه و قتله. و لكن قتل سنبهاجي لم يقض على الثورة بل قامت جماعته و انتخبت أخاه من الرضاع، راجه رام، أميرا و استمروا في قتال المغول حتى سنة 1697، يوم استولى المغول على قلعة «جنجي» بعد أن حاصروها سنوات، و فرّ راجه رام و ظل يضرب في صحارى برار و وهادها حتى مات، و أصبحت الهند كلها خاضعة للأمبراطورية المركزية.

ص:252

من أعمال اورنكزيب:

عاشت الهند خلال عهد اونك زيب بطمأنينة تامة لا سيما بعد أن قضى على جميع تلك الانتفاضات ضد الحكم المغولي، و قضى الامبراطور خمسين سنة في الملك و البلاد هادئة، لكنه طبعها بطابعه الخاص و اضفى على الحياة الاجتماعية و الادارية و الدينية لونا جديدا عليها تميز بعدة خطوات هي من بنات افكاره، و هي بمجموعها فضائل تضاف الى مكنته الادارية و براعته الحربية و سياسته القوية و كل هذه المؤهلات ابرزته شخصية فذة متسقة الجوانب، و لهذا أختلف في النظر الى هذه الخطوات بين مؤيد و معارض، و في هذا يتجلى سر عظمة هذا الرجل، و في ما يلي نظره سريعة على بعض أعماله:

\* فقد الغى عادة السجود للامبراطور و منع الانحناء للسلام و جعل السلام «السلام عليكم» فقط، و مع ذلك فانه عاقب أحد السقاة لمجرد أنه اقترب منه و حياة بتحية الاسلام (تبصرة الناظرين للسيد عبد الجليل البلكرامي ص 59، مخطوط بمكتبة خدا بخش رقم 158) و جرت هذه الحادثة سنة 1087 ه.

\* طرد من القصر جميع الموسيقين و الرسامين و الشعراء- و كان قد سمح لهم في أوائل عهده.

\* ابطل عادة تقديم الهدايا للامبراطور من قبل حاشيته و ولاته الذين كانوا بدورهم يتلقون الهدايا من مرؤوسيهم فكانت أشبه برشوة رسمية اجبارية.

\* أمر برفع المكوس و المظالم عن المسلمين و نصب الجزية على غير المسلمين و هو أول من فعل ذلك من حكام المغول و مقابل ذلك الغى الخدمة العسكرية عمن يدفع الجزية.

\* ادخل الاصلاحات في النظام المالي للدولة فازدادت ثروات البلاد.

\* الغى التقويم الشمسي.

\* منع الاحتفال بعيد السنة الشمسية

\* أصدر أمرا بأن لا ينسج شئ من الثياب الذهبية في دار الصناعة الملكية.

\* أسس مصلحة للاحتساب الشرعي، و كان من أعمالها معاقبة من يبيع الخمر.

ص:253

\* منع المقامرة و أصدر أمرا للبغايا و الراقصات ان يتبن و يتزوجن أو يخرجن من حدود المملكة.

\* نهى المستوفين أن يطالبوا الابناء بغرامات الآباء و يصادروا أموالهم في القضاء و أمرهم ان يميزوا في ذلك فيما بين أهل المناصب وفق ضوابط معينة.

\* اصلح الشوارع و الطرق و حفر الآبار و العيون و اسس الجسور و الحمامات و المساجد و الاصطبلات لأبناء البلاد.

\* بذل المال لتعمير المساجد و تزويدها بالائمة و المؤذنين و لوازم الادامة و التأثيث.

\* كان يتصدق بتسع و اربعين و مائة ألف في السنة، غير ما يتصدق به في الأعياد و المواسم.

\* أمر بتدوين (الفتاوى العالمكيريه) المعروفة اليوم بالفتاوى الهندية و هي مطبوعة و متداولة في ست مجلدات كبار و تعتبر موسوعة فقهية في الفقه الحنفي.

\* هو اول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء فوّلى رجالا من أهل الدين في دور القضاء بكل بلدة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه في الحقوق الشرعية و الديون الواجبة عليه و أجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضي.

\* أمر عماله في الاقاليم (على زعم ول ديوارنت) ان يقوضوا كل المعابد التي تتبع الهندوس أو المسيحيين و أن يحطموا الاصنام جميعا، و ان يغلقوا مدارس الهندوس بغير استثناء [و ممن ايد ذلك المرادي في سلك الدرر مع أن الشرع لا يجيز تهديم معابد أهل الذمة ممن تؤخذ منهم الجزية]. فكان من جراء ذلك أنه في عام واحد (1679- 1680) هدم ستة و ستين معبدا في «عنبر» وحدها، و ثلاثة و ستين معبدا في «شيتور»، و مائة و ثلاثة و عشرين معبدا في أودايبور و أقام مسجدا اسلاميا في مكان معبد كان قائما في بنارس و كان موضع قدسية خاصة عند الهندوس، بغية الإساءة المتعمدة إليهم، و حرم إقامة الشعائر الهندوسية علنا، و مع هذا يعترف (ول ديورانت) بانه كان اقل المغول قسوة، و الطفهم مزاجا، و كاد يستغني عن اصطناع العقاب في محاكمة المجرمين.

ص:254

\* اسس (بلغو خانات) أي دور العجزة و المسنين في أكثر البلاد، و أصلح أعمال المستشفيات.

و أخيرا فقد توفي اورنك زيب و عمره تسعة و ثمانون عاما في الدكن في شهر ذي القعدة سنة 1118 ه/ 1707 م بعد أن أقام في الملك نصف قرن و خلّف غيابه فراغا كبيرا حرّك العداوات القديمة و أثار الأطماع الجديدة و لم تمض بعد موته سنوات قليلة حتى تحطمت امبراطوريته بفعل دسائس الغربيين و بسبب منه شخصيا حين زاد امتيازات البريطانين ببلاده عندما عاونوه في حربه مع البرتغاليين و المراته و لم يكن يعلم انه بصنيعه هذا انما مهّد الطريق لقوة صغيرة بعثتهم جزيرة صغيرة نائية في الغرب استنكف والده (جهان كير) ان يرسل رسالة الى ملكها- في حينه لكن هذه القوة الصغيرة من الساسة و التجار دخلوا من خلال تلك الامتيازات الى الهند و بعثوا مدافعهم ليستولوا على هذه الامبراطورية الاسلامية العظمى و بهذا قاسى خلفاء اورنك زيب الامرين من هؤلاء القراصنة الذين لم يتورعوا عن سلوك احط السبل و ادنئها للاستيلاء على هذه الاراضي الكبيرة الغنية.

زوجات الامبراطور اورنك زيب:

1- دلراس بانو بيكم ابنة شاه نواز الصفوي، تزوج بها في 8 مايو 1637 و توفيت في 8 اكتوبر 1657.

2- نواب باي ابنة راجا رجويني‏iniwjuR ajaR (راجا كشمير).

3- اديبوري بيكم و هي ام الأمير كام بخش.

4- اورنك آبادي محل توفيت في بيجابور في 1688 م.

وفاته و عقبه:

مرض أورنك زيب مرضا شديدا في مايو 1705 و احتجب عن الناس مدة اثني عشر يوما حتى حسب البعض انه مات. لكن أجله لم يكن قد انتهى بعد و واصل الزحف‏

ص:255

فوصل إلى أحمد نكر في يناير سنة 1706 و توفي بها في 28 من ذي القعدة عام 1118. (3 مارس سنة 1707) بعد أن حكم خمسين سنة قمرية و سبعة و عشرين يوما. و دفن في خلد آباد أو الروضة على مسافة أربعة أميال غربي دولت آباد و غير بعيد من أورنك آباد.

و كانت ألقابه في حياته: (أبو المظفر، محمد محي الدين، أورنك زيب عالمكير باد شاه غازى) و بعد مماته سمى «خلد مكان»، و كان له أربع زوجات: رحمة النساء المعروفة بأسم نواب بائى ابنة راجا كشمير المسمى رجويني‏iniwjur ajaR ، و هي أم محمد سلطان و محمد معظم، و بدر النساء بيكم، و دلرس بانو بيكم الإيرانية ابنة شاه نواز الصفوي أم أعظم شاه و زينة النساء بيكم و أورنك آبادى محل أم مهر النساء المتوفاة في بيجابور سنة 1688 م، و بائى أديبورى أم كام بخش.

و كانت نقود أورنك زيب الذهبية منقوشا عليها شعر معناه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صاحب السكة في العالم‏ |  | القمر المنير الملك أورنك زيب قاهر |
|  |  |  |

و على النقود الفضية كانت كلمة بدر تستعمل بدلا من كلمة مهر.

و من مزايا اورنك زيب:

كان أورنك زيب محاربا شجاعا و قائدا موهوبا، و كان يتمتع بمزيج من الشجاعة النادرة و البرود الذهني العجيب، فكثيرا ما كان يترك ساحة القتال ابان اشتداد الحرب ليركع أمام اللّه خاشعا، ثم لا يلبث أن ينتهى من صلاته حتى يعود الى القتال بحماس أشد و همة أعظم، و كان يكره أن يحدث مكروها الا إذا لم يجد مفرا من ذلك فقد كان يطرق جميع الوسائل السلمية قبل أن يلجأ الى الأعمال العدائية، فاذا ما وجد نفسه في وسط المعركة حاول أن يستغلها في وضع حد لأصل المشكلة و يقول سير «جادونات ساركار» ان برود اورانكزيب و شجاعته قد طبقت شهرتهما جميع أرجاء الهند، فلم يكن قلبه ليرتجف من أي خطر مهما ادلهم و من أي طارئ مهما كان مفاجئا، كما ان أي أمر من هذه الأمور لم يكن ليشوب ذلك النور الهادئ الذي كان ينبعث من عقله بأية شائبة.

«لقد كان يرى في الأخطار ضرورة تقتضيها العظمة، و لم يكن ذلك الجسد النحيل ليستسلم للارهاق و الاجهاد، او يخشى القيام بحملة أو غارة» و كان له في فن السياسة باع‏

ص:256

طويل فلم تكن تقهره المناورات أو الأسرار .. لقد كان ربا للسيف و للقلم معا.

و قد لخص لنا الدكتور أسوارى براساد، في كتابه «موجز تاريخ الحكم الاسلامي في الهند»، شخصية اورانكزيب في الكلمات المغولية التالية: «يعتبر اورنكزيب من أعظم حكام الاسرة، و لقد ظهرت دلائل عظمته منذ كان أميرا أيام حكم والده. و كان يتحلى بالشجاعة الفائقة التي ظهرت واضحة في الحملات التي اشترك فيها و لقد ذاعت شهرته كقائد عسكري في شبابه، فقد كان يبدو في أتون المعركة و هو أكثر ما يكون برودا و سيطرة على نفسه، على الرغم من احاطة الاعداء، من كل جانب و لا يضارعه في فن السياسة سوى القلة، و لذا فقد كان أشد الوزراء حنكة و مراسا يخشون قوة ارادته و يحترمون أحكامه».

يقول بختاوار خان مؤلف كتاب «مرآة العالم»: «و لم تجر في بلاطه المقدس أبدا محادثات تعوزها اللياقة، كما حرم ذكر أية كلمة يشتم منها رائحة النميمة أو الكذب.

و قد فهم رجال حاشيته أنهم اذا اضطروا الى مهاجمة شخص غائب فعليهم ان يعبروا عن رايهم في لغة مهذبة و بتفصيل تام.

و كان الامبراطور يظهر مرتين أو ثلاث مرات يوميا في قاعة المستمعين، و هو في أشد حالات الغبطة و الرضا و ذلك لينظر بنفسه في شكاوى الناس الذين كانوا يهرعون إليه جماعات دون أن يجدوا ما يصدهم عنه، و كان يستمع اليه باهتمام بالغ و هم يعرضون شكاواهم دون خوف أو تردد، و كانوا دائما يجدون الانصاف على يديه».

و قد كان على عدو اورانكزيب الأكبر، سير جادونات ساركار، الذي لا يرى في آخر أباطرة المغول سوى متعصب دينى ضيق الأفق، لا يعرف السياسة أو الكرم، كان على هذا المتحامل أن يعترف بأن أورانكزيب كان نظيفا بسيطا متقشفا تقشف النساك، و أنه كان فوق هذا و ذاك يكنّ حبا للعمل و مقتا للراحة و السرور.

أنه يعترف «بأن الرحالة الأوربيين كانوا يبدون أعجابهم بذلك الامبراطور ذي اللحية البيضاء الذي كان يجلس في بلاطه كل يوم يقرأ ملتمسات الناس و يصدر أوامره بيده»، كما أنه يعترف «بأنه كان حريصا على التقيد بالنظم الرسمية و قواعد المجاملة».

ص:257

علاقته بالطوائف غير الاسلامية:

يقول س. م. جعفر في كتابه «الامبراطورية المغولية من بابر الى اورنكزيب» ان اورانكزيب لم يتخل عن سياسة التسامح الديني التي ادخلها اباطرة المغول من قبله، و يؤكد هذه الحقيقة كذلك الكسندر هاملتون الذي زار الهند في أواخر حكم اورانكزيب، و قد تحدث هذا عن المجوس فقال انهم كانوا يتمتعون بحرية العبادة و حرية العقيدة، كما قال أن المسيحيين كانوا أحرارا في بناء الكنائس و التبشير بتعاليمهم الدينية.

و يقول سير توماس ارنولد: نجد من دراسة المجموعة المشوقة التي لدينا عن أوامر اورانكزيب و تعلمياته التي لم تنشر بعد ان هذا الامبراطور قد وضع ما يمكن أن يطلق عليه «اسمى قانون للتسامح يمكن لحاكم أن يتبعه مع رعاياه الذين ينتمون الى دين آخر»، ففي يوم من الأيام بذلت بعض المحاولات لحض الامبراطور على اقصاء اثنان من غير المسلمين عن منصبيهما بحجة انهما من المجوس الكفار و انه من الأنسب أن يشغل منصبيهما اثنان من المسلمين المجربين، خدام التاج، فكان رد الامبراطور على ذلك «لا مجال للتعصب في مثل هذه الأمور» ثم أشار بعد ذلك الى قول اللّه عز و جل‏ «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» و اضاف ان مناصب الحكومة يجب أن تشغل حسب القدرة و الكفاءة لا حسب أي اعتبار آخر و فرضت الجزية على غير المسلمين من رعايا الامبراطور في العام الثاني عشر من حكم أورانكزيب، كما استوفيت الزكاة من المسلمين في نفس العام، أما الجزية فقد فرضت على تلك الطائفة من غير المسلمين التي كانت ترفض تقديم أية خدمة عسكرية للبلاد، كما انها قصرت على الذكور الأغنياء منهم، و قد روعى ان تقل هذه الجزية عن الزكاة التي كانت تستوفى من المسلمين. و كات تحصيل الجزية يتم بصورة انسانية رائعة فقد كانت تستوفى على أقساط يسيرة، و كثيرا ما كانت تلغى.

علم أورانكزيب في يوم من الأيام ان سكان حيدر آباد عاجزون عن دفع الجزية لفقرهم فاصدر أمرا باعفائهم من دفع جميع الضرائب، بما فيها الجزية، طوال هذا العام.

معاملة الهندوس:

و كان عدد كبير من كبار موظفي اورانكزيب من الهندوس، كما كان بعض هؤلاء

ص:258

الموظفين من أقرب اقرباء عدو الدولة الاسلامية الاكبر، «سيفاجي»، و كان بين قواد الجيش المغولي هندوس أدوا خدمات جليلة لامبراطورية اورانكزيب.

و كانت أماكن العبادة الهندوسية في مأمن تام زمن يخضع خضوعا تاما للقواعد و العادات المرعية، و كان يقول دائما: «اذا سمحت لقاعدة من القواعد بأن تخرق فان بقية القواعد ستقابل بالزراية».

و ورد ان عدد الهندوس الذين تقلدوا مناصب رفيعة خلال حكم أورانكزيب الذي استغرق خمسين عاما قد بلغ 148 مقابل 14 هندوسيا تقلدوا مثل هذه المناصب في خلال حكم الامبراطور اكبر.

مرسوم اورانكزيب:

و يحسن بنا في هذا المقام أن نقتطف جزءا من المرسوم الذي اصدره اورانكزيب في الخامس عشر من جمادى الآخرة عام 1069 الهجرى و وجهه الى حاكم بنارس:

«في هذه الأيام التي سادت فيها عدالتنا، وصلت الى بلاطنا الرفيع معلومات عن أشخاص دفعهم الحقد و الضغينة الى مضايقة بعض الهندوس من مواطنى بنارس و غيرها من الأماكن المجاورة و بعض البراهمة الذين يقومون بحراسة الهياكل القديمة، محاولين بذلك ابعاد هؤلاء البراهمة عن وظائفهم القديمة، و بما ان هذا العمل سيسبب الضيق لهذه الطائفة فقد أصدرنا اليكم امرا ملكيا بأن تعملوا حال وصول هذا اليكم على منع أي شخص في المستقبل من التدخل بأية صورة غير شرعية في شئون البراهمة و غيرهم من المواطنين الهندوسيين في هذه الأماكن و وقف أي انزعاج لهم حتى يظلوا في أماكنهم و وظائفهم السابقة بعيدن عن كل ما من شأنه أن يعكر عليهم صفو قيامهم بصلواتهم، و ذلك حفظا لكيان أمبراطوريتنا التي منحها لنا اللّه القدير، تلك الامبراطورية التي كتب لها أن تدوم الى الأبد، و هذا الأمر يجب أن يدرس بغاية السرعة».

و فيما يلي مرسوم آخر أصدره اورانكزيب عام 1089 هجرية:

بما ان هناك قطعتين من الأرض تبلغ مساحتهما 2/ 5881 ديرا و تقعان على ضفاف نهر الكنج في «بنى مهدوجات» في «بنارس» (احدى هاتين القطعتين تقع أمام بيت‏

ص:259

جوسان رام جيوان على مقربة من المسجد الجامع و الأخرى في مكان قريب) و هما خاليتان من أي بناء، و بما انهما ملك لبيت المال، لذا فقد قدمنا هاتين القطعتين «لجوسان رام جيوان» و أولاده منحة منا له حتى اذا ما بنى فوقها مساكن للبراهمة الورعين و «للفقراء» المقدسين داوم على عبادة اللّه و على الصلاة من أجل بقاء هذه الامبراطورية التي منحها لنا اللّه القدير و التي كتب لها أن تدوم الى الابد.

و لذا فان على أبنائنا الأفخمين و وزرائنا المبجلين و أمرائنا النبلاء و كبار موظفينا و رجال الأمن في الحاضر و المسقبل أن راعوا هذا المرسوم المبارك دائما و يسمحوا للمذكور اعلاه و ذريته من بعده جيلا بعد جيل، ان يتصرف في هاتين القطعتين من الأرض كما يشاء، و أن يعتبروها معفاة من جميع الرسوم و الضرائب و الا يطالبوه بتقديم «الوثائق» عاما بعد عام.

اورنك زيب و الشيعة

يبالغ المتعصبون المتزمتون، في الفساد العقيدي الذي يسود المجتمعات الاسلامية و يرمون طوائف الاسلام الاخرى بالمروق عن الدين و الخروج عن الاسلام و الكفر و الزندقة .. الخ و يتجاوزا عن سوء توفيقهم انهم اوقفوا اقلامهم في معاداة مذهب اهل البيت و محاربة اتباعه اينما وجدوا، و لما كان المذهب الامامي منتشرا في جميع انحاء الهند منذ القرون الهجرية الأولى حتى يوم الناس هذا فقد ازعجهم هذا التأييد المتزايد و النعم المتلاحقة التي اسبغها اللّه على اتباعه، و في الهند عدد كبير ممن اغرتهم الحياة الدنيا من انصار النحلة الوهابية الذين جعلوا همهم الأول القضاء على النجاحات المستمرة للطائفة الاسلامية الشيعة في هذا البلد و برغم المعاناة و الاضطهادات التي يعانيها شيعة الهند اليوم من الوهابية المتعصبين فانه قلما يخلوا أحد الكتب التي يصدرها شيوخهم من الدسّ و التزوير على هذه الطائفة المضطهدة و تشويه تاريخها الناصع المضئ، و قد لعب المسلمون الشيعة دورا مهما في تاريخ الوجود الاسلامي في الهند و لا سيما على عهد الامبراطورية المغولية الاخيرة و كانوا مع قلتهم العددية و في جميع العهود قادة الجيوش و علماء البلاد و ممن حازوا على الوزارات المهمة و المناصب الخطيرة و ما ذلك الا بسبب كفاءاتهم و تعاونهم‏

ص:260

و تآزرهم فيما بينهم و تأدبهم بآداب الاسلام التي تحث على الاستقامة و الالتزام و تأدية الواجب كسبا لرضا اللّه سبحانه و تعالى، و ما كان هذا الا مدعاة لمزيد من الاتهامات الجوفاء التي ينفثها اعداء الحق و دعاة التفرقة، ذلك الداء الوبيل الذي منيت به الامة الاسلامية في مختلف عصورها، لم يكن العصر المغولي استثناءا لكننا وجدنا في اقلام اولئك الشرذمة حقدا متعمدا لتشويه دور الشيعة في التاريخ الاسلامي للهند و تشويها لرجالاتها و تزييفا لكثير من الوقائع التاريخية، و من بين أهم المراكز التي تناصب العداء للشيعة في الهند مؤسسة (ندوة العلماء) و صاحبها الندوي الذي ما وجد مناسبة يكتب فيها إلّا و سخر قلمه للتشكيك و النيل من الشيعة و رموزها و أئمتها، فالشيعة و اتباع أهل بيت النبي الاطهار هم عقدة العقد لدى المتعصب الندوي و من سار على منواله من وعاظ السلاطين و في الوقت الذي يغرق فيه الندوي اسواق الكتب بشتائمه للشيعة كان اتباعها يزيدون و واسهمها تربح في مرضاة اللّه و تنتشر افكارها النيرة ممثلة للاسلام الاصيل في الهند و خارجها و هذا ما كان يقلق الندوي، يقول: .. و كانت آثار هذه الفرقة- لاسباب علمية و سياسية مختلفة تنتشر بسرعة في الهند انتشارا واسعا، و يتأثر المجتمع المسلم الذي كانت اكثريته سنية المعتقد و المذهب بعقائدها و تصوراتها و افكارها و آرائها و تقاليدها و عاداتها تأثرا كبيرا (كتاب السرهندي ص 171).

و لا يتورع ان يضع الشيعة من المؤمنين الاخيار في صف الهنادك في موضع واحد، «فقد كانت البدع و المحدثات، و كثير من تقاليد الهنادك و الشيعة و عاداتهم تسيطر على المجتمع المسلم و قد تسرّبت في حياة العامة من الناس و تغلغلت في احشائها مخالفة للاعلان القرآني الصريح- الا للّه الدين الخالص- ص 55 .. من كتاب السرهندي».

و مع اعترافه بانتشار التشيع و سيطرته على المجتمع كما يتبين من النصوص المتقدمة، و لأنه مهووس بكره الشيعة يذكر أو كأنه يتمنى و يتربص بالشيعة سوءا فيخالف ما قاله من قبل بعدم قبول هذا المذهب بين الجماهير:

«لم تكن امكانيات في الهند لقبول هذا المذهب و نجاحه على مستوى الجماهير ص 42 السرهندي».

ص:261

و يتمادى في تسفيه الفكر الشيعى الذي يحلو له و لعديد من المتسكعين على مائدة الفكر ان ينسبونه الى الفرس فيقول «لقد تعاون الذوق الايراني الذي تعود منذ قرون على صنع القبة من الحبة و تشقيق الشعرة مع هذه النزعة العقلية الفلسفية، و بث شبكة التقعير في الالفاظ و توليد الطرائف و النكات و تعقيدات الدعاوى و المفروضات من الحدود الغربية لايران الى الحدود الشرقية للهند، التي لم يكن مثلها الا كما يقال تمخض الجبل فولد فأرا (ص 31 من كتابه عن الامام الدهلوي)» و نزيد على اقواله فانجب الندوي و امثاله لأن هذا المدعي. نسي ان امامه ابي حنيفة هو سيد من عمل بالذائقة الايرانية لأنه ايراني ابن ايراني وجده المسمى (زوطي) ايراني مجوسي لا يمكن لأحد ان ينكر ذلك، اما الشيعة الذين ينسبهم الى الذوق الايراني فهم اتباع جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول اللّه (ص) سيد العرب و العجم، فنحن لا نأخذ ديننا من اولاد المجوس و لا نجعلهم قدوة لنا بل نأخذه من المنبع الاصيل و من بيت الوحي و التنزيل فانظر من يأخذ ثمة بالذوق الايراني اتباع الصادق الصدوق أم أتباع امامك ابي حنيفة بن زوطي.

و جاء في ص 14 من كتاب الدهلوي «منذ مقدم الأمير فتح اللّه الشيرازي و الحكيم علي الكيلاني في عهد الملك اكبر أصحبت الهند كليا عالة على ايران في مناهجها الدراسية و طرق التعليم و تحديد مقاييس الفضل و النبوغ، و في مجال العلوم العقلية و الحكمية تقلدها و تدين لها و تمشي في اثرها، و تمت بذلك السيطرة لايران على الهند في هذا الصدد».

و يسمى الندوى كتاب الدهلوي (السئ الصيت) ضد أهل البيت و اتباعهم يسمية المأثرة ثم يبث حقده كعادته حين يتذكر الشيعةو تهيج حينذاك سوداويته فيقول:

و أما فيما يتعلق بمأثرة الشيخ الدهلوي في مقاومة فتنة الرفض و التشيع و حماية أهل السنة و صيانتهم من تأثيره و عدواه، و التي بدأها الامام الدهلوي بكتابه المنقطع النظير (ازالة الخفاء) فقد اكملها و دعمها الشيخ الدهلوي بكتابه الرائع الجليل «تحفة اثنا عشرية» بالفارسية الذي يعدّ من الكتب التي تصنع التاريخ و تحول تيار الأحداث «الدهلوي 280.

أرأيت كيف ان شيخ الناصبة هذا يعتبر كتاب الدهلوي مأثرة (و أيّ مأثرة!)،

ص:262

و يصفه بالرائع الجليل- المنقطع النظير .. من الكتب التي تصنع التاريخ و يحول تيار الأحداث .. و اعجبي .. و هل بعد القرآن من كتاب يصنع التاريخ و يحول تيار الأحداث.

و في ص 226 يوحي بأن استشهاد الحسين عليه السلام كان انتحارا!!

و مثل هذه الشواهد المدللة على ناصبية الندوي كثيرة جدا في كتاباته و خطاباته، و قد ثبت انه يحلل الاحداث التاريخية لتوافق هواه و رغباته الانتقائية في تفسير التأريخ الاسلامي ليتماشى و افكار الفرقة الوهابية التي جعلت همها محاربة الشيعة و التشيع اينما كانوا، و قد أشاع الوهابيون ان الامبراطور اورنك زيب كان عدوا للتشيع في الهند، و وفق تفسيرات الندوي الخيالية ان هذا الامبراطور «بعد ما تولى زمام الأمور بيده وجه كل همه الى القضاء على آثار العهد الاكبري المخالفة للاسلام، و الحدّ من تأثير التشيع الذي كان اكبر مراكزه في جنوب الهند، و لذلك صرف عالم كير (اورنك زيب) الجزء الأكبر من حياته و طاقاته للسيطرة عليه، و استئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنزعات المجوسية ..».

[الامام الدهلوي ص 38]

و كل ما جاء في هذا الكلام تلفيقات لا أساس لها من الصحة اتهم فيها اورنك زيب بما هو برئ منه و سيأتى الدليل على ذلك و لكني اقول للندوي الذي يحلو له دائما استعمال كلمة (الإستئصال) لمقاومة خصومه الشيعة و من ذلك قوله (استئصال التأثيرات الحضارية لإيران المختلطة بالنزعات المجوسية) يقول هذا القول الخطير دون وازع من ضمير و هذا اذا كان له ضمير فعلا- يقول هذا و هو يعرف ان الشعب الإيراني قد دخل في الاسلام من اعماق القلوب و الافئدة و مضى على اسلامه اربعة عشرة قرنا و قدم اكبر الخدمات للاسلام و بالمناسبة كانت خدماته طيلة الف سنة خاصة بالسنة لأن الايرانيين كانوا سنة طيلة الف عام قبل تشيّعهم في العهد الصفوي أي انهم في حوزة مذهب أهل البيت منذ اربعة قرون فقط و في خلال هذه القرون ولد مئات الملايين من الايرانيين على الاسلام و الفطرة ثم قضوا حياتهم في ظل الاسلام حتى اسلموا انفسهم الى بارئهم و هم مسلمون، فكيف يجيز الندوي لنفسه ان يتهم كل هذه الملايين من المؤمنين بهذه التهمة الشنيعة و هي بالاساس تنقلب عليه و على قومه الذين نصّب نفسه مدافعا عنهم بالحق أو بالباطل. ثم كيف يستقيم قوله هذا مع ان لا سابقة للفرس في التشيع (سوى سلمان الفارسي (رض)

ص:263

و ان اكثر الذين أسلموا من الفرس ما اختاروا مذهب التشيّع من أول الأمر، بل نرى أن أكثر علماء المسلمين الايرانيين في التفسير و الحديث و الكلام و الادب من السنة لا الشيعة، بل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة، و أن هذا الأمر أستمر بهم الى ما قبل (الصفوية) فان اكثر بلدان ايران الى عهدهم كانوا سنّة لا شيعة و كان الفرس- كسائر المسلمين- يسبّون أمير المؤمنين عليا عليه السلام على منابرهم و منائرهم بتأثير من دعايات الأمويّين، حتى قيل ان بعض مدن ايران قاومت منع عمر بن عبد العزيز من ذلك فأصرّت على سبّه عليه السلام.

و ان اكابر علماء السنة الى ما قبل عهد الصفوية كانوا من الفرس، من المفسرين و الفقهاء و المحدثين و المتكلمين و الادباء و اللغويين و الفلاسفة و غيرهم.

فان أبا حنيفة- الامام الاعظم- كان فارسيا- كما تقدم قبل قليل- و البخاري صاحب الصحيح أكبر محدثي السنة فارسي، و سيبويه امام النحويين فارسي، و الجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة فارسي، و الإمام الغزالي فارسي و الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط في اللغة فارسي، و الزمخشري اكبر و اقدم المفسرين فارسي، و ابو عبيدة و واصل بن عطاء من المتكلمين فارسيان .. و هؤلاء كلهم من علماء السنة ... و هكذا كان اكثر علماء ايران و اكثر الفرس سنة، و حسب نظرية الندوي الخيالية يكون مذهب السنة اكثر المذاهب الاسلامية تمسكا [بالتأثيرات الحضارية لايران المختلطة بالنزعات المجوسية] و لا ندري من هو أحرى ب [الاستئصال‏] بعد تبيان هذه الحقائق.

و ينضم الى جوقة الندوي شيخ آخر من رؤوس الناصبة فيتهم المؤرخين الشيعة بالتهجم على اورنك زيب لأنه- بحسب زعمه- قضى على ملك الشيعة في الجنوب فاصبح مذنبا في نظرهم و متعصبا (كتاب منعم النمر 357) و على خطى هؤلاء يقول الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة أن «اورنكزيب حظر قدوم الشيعة الى بلاده»!! [ص 92 من كتاب احمد الساداتي: تاريخ الدول الاسلامية في آسيا القاهرة 1979].

و ما يدلل على جهل هذا الاستاذ بجامعة القاهرة قوله ص 94 من كتابه المذكور ضمن كلامه عن اورنكزيب «انه على تمسكه الشديد بالسنة و تعاليمها كانت امه هندوكية

ص:264

خالصة» و في كل ما قاله افتراء على التاريخ الاسلامي و لو لم تكن ام الامبراطور اورنك زيب مشهورة كل الشهرة في العالم حتى هذا اليوم لعذرت الدكتور على جهله! لكن من هنالك في هذا العالم من يجهل اليوم (تاج محل) في الهند الذي شيّد على قبر ام اورنك زيب المسلمة الطاهرة ممتاز محل ارجمند بانو زوجة الامبراطور شاه جهان؟ و ما دامت هذه المرأة المسلمة ايرانية الأصل شيعية المذهب فقد أصّم هذا الاستاذ بجامعة القاهرة اذنيه عن قول الحق و نسب تلك المؤمنة الشيعية الى دين الهنادك، لؤما و تعصبا و تشفيا بالشيعة!! و من هنا ابدأ كلامي عن الامبراطور اورنك زيب الذي اسماه المتعصبون (محي السنة) و اطلقوا عليه عشرات الالقاب الاعتبارية لمجرد انه ادعى المذهب الحنفي و مارس القسوة ضد المذاهب الاخرى، و معيار الايمان عند هؤلاء العميان هو الفتك بالخصوم حتى اذا كان هذا مخالفا للاسلام و مفرقا لشمل المسلمين، و لم يكن اورنك زيب بدعا في ملوك العالم الذين سفكوا الدماء البريئة حتى يستتب لهم الملك، و من ثم اخطأ كثيرا في تطبيق الشرع الاسلامي و التوفيق بينه و بين ميوله الاستبدادية و نزعته الدكتاتورية و لست هنا لأقيّم اعماله بمجملها فالقارئ البصير تتبين له اعماله التي اخطأ فيها أو أصاب و ما أريد تأكيده هنا أن علاقته بالشيعة في الامبراطورية التي حكمها نصف قرن، كانت علاقة طبيعية و قد تخللتها مواقف عدوانية في بعض الاحيان و لم تكن تلك الدوافع لإسباب مذهبية كما يزعم النواصب و لكن الملك اورنكزيب الذي ولد من امّ شيعية ايرانية كما أن و أمرأته اميرة ايرانية صفوية شيعية هي دلرس بانو بنت شاهوار خان الصفوي، و قد تزوج بها زواجا شرعيا إسلاميا في 8 مايو 1637 م (و توفيت في 8 أكتوبر 1657 م) و ولده الامبراطور شاه عالم الذي كان شيعيا مجاهرا بالتشيع و ابنته الاميرة زينت النساء و عاش وسط بلاط و اساتذة من الشيعة و حاشية و قادة و وزراء كثير منهم من الشيعة حتى من بين اساتذته الذين تربى على ايديهم، لكننا علينا ان نقرّ بحقيقة ان جلّ همّ هذا الملك ان يحافظ على عرشه باية وسيلة ينتهجها و لا علاقة بعد ذلك للنهج الديني الذي يسير عليه، انه دكتاتور من نوع خاص، و التزامه للسنية مذهبا تظاهر به طيلة حياته كان يدخل في صلب اهتمامه و سهره الدائم للحفاظ على العرش فالدكتاتور لا هم له الا الحفاظ على مصالحه و التلبس لكل حالة بلبوسها

ص:265

و قد نجح فعلا في تسيس الدين لركابه حتى اعتبره البعض قديسا أو كما عبر عنه الدكتور اقبال في بيت من شعره:

«كان فراشة لشمعة التوحيد، و كان في بيت الاصنام و الاوثان كابراهيم عليه السلام» و في استعراضنا لتراجم عدد من اعلام الشيعة في عهده يتبين لك ما عرضناه من رأي، و هذه لقطات تدلل على ما ذهبنا اليه، و هي مستقاة من تفاصيل التراجم التي اوردناها، فمن أهم الدلائل على حسن معاملته للشيعة و احترامه لهم ما كان يعامل به العلامة السيد سعد اللّه السلوني الموسوي المتوفى 1138 ه فقد اعطاه قريتين، و كان الامبراطور يكرمه و يجله و يتلقى اشارته بالقبول و يكتب هو للامبراطور بالشفاعات فيتقبلها و يعمل بها، و بالرغم من سطوة الامبراطور و هيبته، كان العلامة السلوني يحثه على قبول مذهب أهل البيت (ع) لكن الامبراطور يتحاشى ذلك و يتلطف عليه في ردّ هادئ محسوب بدقة متناهية، يقول خافي خان في منتخب اللباب [.. و لم يزل- السلوني- يكتب- اليه و يحثه على محبة الائمة الاثني من أهل البيت، فلما كرر الكتابة اليه في ذلك التفت السلطان الى من حضر عنده من العلماء، و قال:

ان ما يوصيني الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه و لكن الائمة لا تنحصر عند أهل السنة و الجماعة في الائمة الاثني عشر] انتهى، فالامبراطور لم يضيق ذرعا بالحاح الشيخ السلوني الذي كان في غاية الجرأة و الوضوح، كما يدل على مجاملة الامبراطور للشيعة و تقريبه لشيوخهم، و ما يدريك انه كان يختلى ايضا بهم و يسمعهم ما يرضيهم فالمدارة تقتضيه مثل هذه السياسة.

و من العلماء الذين قصدوه فرعاهم حق الرعاية و التكريم الشيخ عزيز اللّه المجلسي (ت 1074 ه) و هو شقيق محمد باقر المجلسي صاحب الموسوعة المشهورة (بحار الانوار) و قد قصده المجلسي في ايام جلوسه على العرش و استخرج تاريخ جلوسه في القرآن الكريم و هو قوله تعالى «ان الملك يوتيه من يشاء».

و ممن وفد عليه الشيخ هداية اللّه التستري (ت بعد 1078 ه) و الشيخ محمد علي‏

ص:266

الاكبر آبادي و هو الشاعر المتلقب ب (ماهر) (ت 1089) الذي اهدى اليه ديوان شعر باسمه (كل اورنك) و منهم السيد قوام الدين المرعشي الخليفة سلطاني (ت 1090) و كان فقيها اماميا معروفا و قد احتل منزلة كبيره لدى اورنك زيب فولاه على كشمير ثم على البنجاب. و السيد شمس الدين بن صدر الدين الحسيني المرعشي (ت 1112) و قد تولى عدة مناصب رفيعة في البلاط، و كان طبيبه الخاص شيعيا و هو محمد مهدي الاردستاني ت بعد 1105 و الامبراطور نفسه اطلق عليه اسم (حكيم الممالك)، أما عبد اللطيف خان الاصفهاني المتلقب ب (تنها) فقد عينه رئيسا للبلاط الملكي، ثم اصبح واليا للبنجاب، و اختار الامبراطور العلامة محمد سعيد المازندراني (ت بعد 1116) معلما و مربيا لأبنته زيب النساء بيكم.

و محمد بن فتح اللّه مقرب خان الشيرازي ت 1121 كان من امناء الخزانة الملكية و محمد مؤمن الجزائري (ت بعد 1119) هو واحد من العلماء الشعراء الذين اتصلوا به فكرمهم و لقبه بلقب (فاضل خان).

و من النجف الاشرف وفد عليه العلامة ناصر بن حسن النجفي ت 1118 ه و ألّف باسم الامبراطور كتاب الجداول النورانية و هو أشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم.

و لثقته المتزايدة بعدد من اعلامهم فقد عين بعضهم على الخراج كالشيخ حسين بن باقر الاصفهاني- 1122 ه، و محمد بن رفيع المشهدي ت 1123 ه و المشهدي هذا صاحب الملحمة شعرية المسماة (حملة حيدري) في غزوات الامام علي (ع). أما ابراهيم علي خان ت 1121 فقد كان وزيرا اثيرا لدى الامبراطور و قائدا لأحد ألوية الجيش عنده.

هذه إلمامة سريعة بدور الشيعة في عهد اورنك زيب، و التفاصيل ضمن الفصل القادم.

ص:267

من اعلام عصر الامبراطور اورنك زيب عالم كير

- زينت النساء بنت اورنك زيب (1048- 1113 ه)

- الملا طغرائي المشهدي‏

- عزيز اللّه المجلسي ت 1074 ه

- هداية اللّه التستري ت بعد 1078

- شمس الدين الاصفهاني ت 1112 ه

- محمد علي الاكبر آبادي ت 1089 ه

- ناصر بن حسن النجفي ت 1118 ه

- قوام الدين المرعشي ت بعد 1090

- عبد اللطيف الاصفهاني البنجابي ت 1116

- محمد مهدي الاردستاني ت بعد 1105

- محمد سعيد المازندراني 1050- 1116

- محمد مؤمن الجزائري 1074- بعد 1119

- محمد بن فتح اللّه مقرب خان الشيرازي ت 1121

- ابراهيم علي خان ت 1121

- حسين بن باقر الاصفهاني ت 1122

- محمد رفيع باذل المشهدي ت 1123

- القادر المشهدي ت 1135

- سعد اللّه السلوني ت 1138

- حسين الشيرازي ت 1149

- محمد رضا قزلباش خان الهمداني ت 1159

ص:268

- حسن علي خان ت 1135 ه

- حسين علي خان ت 1132 ه

- محمد باقر البيجابوري ت 1128 ه

زينت النساء بنت الامبراطور اورنك زيب (1048- 1113 ه/ 1638- 1701 م)

الاميرة العالمة السيدة زينت النساء بنت اورنك زيب، و أمها الاميرة الشيعية دلرس بانو بنت شاهوار خان الصفوي و نشأت في نعمة أبيها و حفظت القرآن على مريم أم عناية اللّه الكشميري فأعطاها عالمكير ثلاثين ألفا من النقود الذهبية، ثم تعلمت الكتابة من نسخ و تعليق و شكسته و غيرها، و قرات الكتب الدرسية على الشيخ أحمد بن ابي سعيد الحنفي الأميتهوي و على غيره من العلماء، و أخذت الشعر و الإنشاء و غيرها عن الشيخ محمد سعيد المازندراني، و أحرزت الكتب النفيسة في خزانتها و اجتمع عندها من العلماء و الشعراء ما لم يجتمع عند أحد، و كانت شاعرة ساحرة تسحر الألباب و تفلق القلوب لا تضاهيها امرأة في الهند في جودة القريحة و سلامة الفكرة و لطافة الطبع، لم تتزوج قط لغيرتها بأن تكون ضجيعة لأحد من الرجال، و أما مصنفاتها فهي لا تكاد توجد في الدنيا غير «زيب المنشأت» و هو مجموع لرسائلها، و أما ديوان الشعر المنسوب إليها فهو لواحد من شعراء الفرس، و ديوانها قد ضاع في حياتها، و أما زيب التفاسير فهو ترجمة «التفسير الكبير» للرازي بالفارسي نقله من العربية إلى الفارسية الشيخ صفي الدين الأردبيلي ثم الكشميري بامرها و لذلك سماه باسمها، و من أبياتها قولها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بشكند دستى كه خم در كردن يارى نشد |  | كور به جشمي كه لذت كير ديدارى نشد |
| صد بهار آخر شد و هر كل به فرقي جا |  | غنجه‏ء باغ دل ما زيب دستارى نشد |
|  |  |  |

ص:269

توفيت سنة ثلاث عشرة و مائة و ألف في حياة أبيها فدفنت بحديقة بناها في «لاهور».

- نزهه 6/ 94- 95 رقم 184.

الملا طغرائي المشهدي (ت حدود 1069 ه/ 1659 م)

شاعر من سكنة الهند، له ديوان بعنوان (خمسة ناقصة) و هو تشهير بخمسة أشخاص في بلاط كولكنده و قد توفي في بداية عهد اورنكزيب حوالي سنة 1069 ه/ 1659 م.

عزيز اللّه المجلسي (ت 1074 ه/ 1663 م)

الشيخ الفاضل الكبير عزيز اللّه بن محمد تقي المجلسي الشيعى الاصفهاني، المجلسي شقيق العلامة محمد باقر المجلسي، أحد الأفاضل المشهورين بايران، كان اكبر أبناء أبيه، نشأ في نعمته و قرأ عليه و على غيره من العلماء، له حاشية على المدارك للسيد محمد بن علي الحسيني العاملي، و حاشية على «من لا يحضره الفقيه» و له كتاب في أخبار الروم في الإنشاء، و هو الذي أرخ لجلوس عالمكير بن شاهجهان من قوله تعالى «ان الملك للّه يؤتيه من يشاء»، توفى سنة أربع و سبعين و ألف، كما في «نجوم السماء».

- نزهه 5/ 282- 283 رقم 451، نجوم السماء/ 129، مطلع انوار/ 322.

هداية اللّه بن نعمة اللّه التستري (ت بعد 1078 ه/ 1669 م)

هداية اللّه التستري: ابن الخواجة نعمة اللّه من الفضلاء الأدباء الشعراء، ذهب في أول أمره الى الهند و اتصل بأورنك زيب و لما رجع ذهب بصره فما تمكّن من العود الى الهند فكان يرسل إليه الهدايا و كان في عصر و اخشنوخان الحاكم بتستر (ت 1078) كذا

ص:270

ذكره عبد اللّه الجزائري في تذكرته، و قال إن أكثر أشعاره رباعيات.

- طبقات أعلام الشيعة/ القرن 11 ه/ ص 633.

شمس الدين بن صدر الدين الاصفهاني (ت 1112 ه/ 1710 م)

الامير شمس الدين بن صدر الدين بن قوام الدين الحسيني المرعشي نواب مخلص خان بن صف شكن خان العالم كيري، أحد الرجال المشهورين بالهند، ولى على العرض المكرر في ايام عالم كير ثم جعل «قروبيكي» ثم ولى على «بخشيكرى» و صار منصبه مع الأصل و الإضافة ثلاثة آلاف، و كان فاضلا كبيرا بارعا حليما متواضعا كثير الإحسان حسن المعاشرة شاعرا مجيد الشعر، من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خمار ما و در توبه و دل ساقى‏ |  | بيك تبسم مينا شكست و بست‏ |
|  |  |  |

توفي لأربع خلون من شعبان سنة اثنتي عشرة و مائة و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه 6/ رقم 217.

محمد علي الأكبر آبادي (ماهر) (ت 1089 ه/ 1678 م)

محمد علي الأكبر آبادي الهندي: الشاعر المتخلّص «ماهر» الأديب الفاضل الكامل المتوفى 1089 له كتاب في الأدب الفارسي سماه «كل اورنك» باسم السلطان اورنك زيب عالم كير بادشاه. كان من الهنادكة و اعتنق الاسلام بسعى الميرزا جعفر المعمائي الايراني و بعد وفاته اتصل بملا شفيع الملّقب ب «دانشمند خان».

- طبقات اعلام الشيعة، 6/ 376 القرن 11 ه

- الذريعة 9/ 953

ص:271

ناصر بن حسن النجفي (ت 1118 ه/ 1706 م)

من علماء عصر عالم كير، مؤلف كتاب «الجداول التورانية في استخراج الآيات القرآنية» ألفه باسم الامبراطور اورنك زيب عالم كير و هو موجود ضمن مخطوطات جامعة البنجاب كما ورد في مذكراتي.

قوام الدين المرعشي الخليفة سلطاني بن رفيع الدين (ت بعد 1090 ه/ 1679 م)

الأمير الفاضل السيد قوام بن السيد رفيع الدين محمد الصدر ابن السيد شجاع الدين محمود الحسيني المرعشي الخليفة سلطاني.

قال الأمين في ترجمة والده رفيع الدين: هو والد سلطان العلماء صاحب الحواشي على الروضة و المعالم صهر الشاه عباس و كان عالم عصره في المعقول و المنقول نال الصداره من الشاه طهماسب و من الشاه عباس أيضا ذكره جماعة من المؤرخين كصاحب عالم آرا و نجوم السماء و الرياض في خلال ترجمة ابنه السلطان في باب الحاء و تكملة الأمل و آثار الشيعة. و كان مع السيد الداماد و الشيخ البهائي شريك البحث و الدرس و جرت بينه و بين السيد الداماد رسائل و مكاتبات في المسائل العلمية و من آثار المترجم كتاب في الرد على شرعية التسمية أي تسمية القائم و كتاب في التجويد يشتمل على القراءات العشر و المرضية منها عند أهل البيت و في ترجمته في شجرته انه هو الذي بنيت مدرسة مريم بيكم باصبهان لتدريسه و له اوقاف و آثار خيرية و كان من مشاهير المدرسين في ذلك العصر و خلف السيد حسين علاء الدين سلطان العلماء الحسيني المرعشي و الميرزا قوام خان الدين نزيل الهندو المقرب عند ملكها و قيل انه خلف السيد محمد و انتقل الى بلاد الهند و بها اسس البيت و قال في ترجمة قوام الدين «هو اخو سلطان العلماء المشهور، كان عالما فاضلا بارعا شاعرا لبيبا تقلد الصدارة العظمى من قبل الشاه عباس الأول بعد وفاة والده الميرزا رفيع‏

ص:272

الدين محمد الصدر و بقي صدرا الى سنة 1075 فسعى به رجل من رجال الدولة من المتوقعين منه العطاء عند السلطان فعزله، فخرج من اصبهان الى بلاد الهند و بلغ عند سلطانها مرتبة عظيمة و بقي بها الى توفي و خلف الرئيس الشريف الأمير صف شكر خان.

اوردهما اعتماد السلطنة ..».

و في النزهه انه ورد الى الهند أيام عالم كير فولّاه على كشمير سنة ست و ثمانين و ألف، فاستقل بها ثلاث سنين، ثم ولاه على بنجاب، و كان الفقيه على أكبر الحسيني الإله آبادي قاضيا بلاهور و كان ممن لا يهاب احدا من الولاة في إجراء الحدود و التعزيزات و لا يطاطئ رأسه لأحد، فكبر ذلك على قوام الدين، فأشار إلى الشحنة أن يقبضوا على القاضي فسار إليه الشحنة برجاله ليقبض عليه، فاستنكف منه القاضي و قتل في المعركة و قتل معه ابن اخته محمد فاضل سنة تسعين و ألف، فلما سمع عالمكير عزل الوالي و الشحنة و أمر القاضي شيخ الإسلام الفتنى أن يفتش عن القضية و يقضى على وفق الشريعة، عفا عنه ورثة المقتول و مات قوام اليدن في ذاك الزمان، كما في «مآثر الأمراء».

[أعيان 8/ 451- 452، 10/ 55 و في هذا الموضع في ترجمة والد صاحب الترجمة توفي سنة 1304 و هو خطأ مطبعي و حمل نعشه الى كربلاء و دفن بها، نزهه 5/ 323 رقم 524.]

عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجابي (ت 1116 ه/ 1700 م)

الشيخ عبد اللطيف خان الاصفهاني البنجابي المتخلص بتنها و المعروف بتنهاي اصفهاني و يقال تنهاى بنجابي‏

من كبار زعماء الشيعة في الهند و مشاهير شعراء عصره. ولد في شهرستان من توابع اصفهان و نشأ و ترعرع في اصفهان. أخذ المقدمات و فنون الأدب عن أفاضل علمائها و تخرج على خاله ميرزا جلال اسير الاصفهاني الشهرستاني المتوفى سنة 1049 ثم أولع بالشعر. هاجر الى الهند، و اتصل بأمرائها و ملوكها ثم التحق ببلاط عالمكير شاه (1069- 1118) و استقبله الشاه المذكور استقبالا حافلا و عينه رئيسا الديون الملكي حتى‏

ص:273

انتهت اليه حكومة (صوبه بنجاب) و كان على جانب كبير من الورع و التقوى و الزهد مع السخاء و الكرم حيث كان ملجأ العلماء و الشعراء و الفضلاء في الهند. ذكره في كثير من أكثر كتب السير و معاجم الرجال و عبر عنه بعض المتأخرين في الهند بلقب البنجابي بدلا عن الاصفهاني و منهم صاحب كتاب تذكرة شعراي بنجاب في ص 102 و غيره و فصّل عنه الميرزا أصلح في كتابه (تذكرة شعراي كشمير) و ذكر احدى قصائده في 76 بيتا و وصفه قائلا ما هو تعريبه: «عبد اللطيف خان .. و هو ابن أخت الميرزا جلال اسير الأصفهاني الشهرستاني و تلميذه هاجر من إيران الى الهند في عصر محمد اورنك زيب عالم كير شاه و كان عابدا زاهدا صالحا متورعا متفردا قليل الكلام ..» كما ذكره آغا بزرك في الذريعة عن كتاب شمع انجمى ص 98 و قال: كانت بيده حكومة (صوبه بنجاب) و قد ترك آثارا و مآثر في الهند و له ديوان شعر لا يزال مخطوطا منه نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى في طهران كما جاء في فهرستها المجلد الثالث ص 667 قال: و عندنا نسخة من عصر المؤلف مجدولة من موقوفات مكتبة الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري في كربلاء.

توفي المترجم له في كشمير.

محمد مهدي الاردستاني (ت بعد 1105 ه/ 1693 م)

الحكيم الشيخ محمد مهدى الأردستاني حكيم الملك كان من العلماء المبرزين في الصناعة، ولد و نشأ بأرض الفرس و قرأ العلم بها ثم قدم الهند و تقرب إلى عالمكير فجعل منصبه ألفا لنفسه ثم لقبه بحكيم الملك سنة ثلاث و سبعين و ألف، و صار منصبه في آخر عمره اربعة آلاف، كما في «مآثر الأمراء» و في «مآثر عالمكيري»: أن محمد أعظم بن عالمكير لما ابتلى بامراض صعبة سنة أربع و مائة و ألف عالجه حكيم الملك فبرئ محمد أعظم من تلك الأمراض فأعطاه عالمكير اربعة آلاف منصبا رفيعا سنة خمس و مائة و ألف- انتهى.

- نزهه 6/ رقم 670، مآثر الأمراء، مآثر عالمكيري‏

ص:274

محمد سعيد المازندراني (حدود 1050- 1116 ه/ 1640- 1704 م)

الملا الشيخ محمد سعيد بن محمد صالح الشيعي المازندراني كان ابن بنت العلامة محمد تقي المجلسي المتلقب ب (اشرف) تتلمذ على والده الملا محمد صالح المازندراني ت 1081 ه و الأقا حسين الخوانساري و في الشعر على صائب و في الخط على عبد الرشيد الديلمي و كان المترجم له بالاضافة الى علمه الجم ماهرا بالخط و التصوير، قدم الهند في عهد عالمكير فجعله معلما لبنته زيب النساء بيكم فاستقام على تلك الخدمة زمانا طويلا، ثم اشتاق الى بلاده فأنشأ قصيدة في مدح زيب النساء المذكورة و قال في تلك القصيدة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يكبار از وطن نتوان بر كرفت دل‏ |  | در غربتم اكرجه فزون است اعتبار |
| بيش تو قرب و بعد تفاوت نمى‏كند |  | كو خدمت حضور نباشد مرا شعار |
| نسبت جو باطن است جه دهلي اصفهان‏ |  | دل بيش تست تن جه بكابل جه قندهار |
|  |  |  |

فذهب الى أصفهان سنة ثلاث و ثمانين و ألف و أقام بها زمانا، ثم عاد إلى الهند و دخل «عظيم آباد» فتقرب إلى عظيم الشأن بن شاه عالم و كان أميرا على تلك الناحية و خصه الأمير بالقعود في مجلسه لكبر سنه فاحتفظ بعنايته مدة، ثم عزم على سفر الحج و لما وصل الى «مونكير» مات بها، و خلف العلامة محمد أمين صاحب مباحث الامامة و العلامة و الشاعر محمد الذي كان مقيما في مرشد آباد و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| در ايران نيست جز هند آروز بسى‏ |  | تمام روز باشد حسرت شب روزه‏داران را |
|  |  |  |

توفي سنة ست عشرة و مائة و ألف، كما في «سرو آزاد».

له ديوان مخطوط بمكتبة مشهد الامام الرضا (ع) في خراسان.

ص:275

- [نزهه 6/ 312 رقم 587، سرو آزاد 117، مجلة آستان قدس العدد 19، تذكره بي بها 168، بزم تيموريه/ 269 كلمات الشعراء/ 7، مطلع أنوار 544- 545، شمع انجمن 32، سفينة خوش كو/ 17.]

محمد مؤمن الجزائري (1074- ت بعد 1119 ه/ 1663- ت بعد 1707 م)

محمد مؤمن الشيرازي الجزائري: ابن محمد قاسم بن ناصر ابن محمد الجزائري الشيرازي المولد و المنشأ، سيّاح عقلاني مؤوّل مكثر، خرج الى السند في ع 1- 1102 و عمره حدود 27 سنة فساح البلاد سبع سنين الى 1109 حيث كان في بلدة «بكر» بالسند و عمره- 35 سنة و كان يعرف هناك بمؤمن عليخان. و في الهند التقى الامبراطور عالم كير و لقبه ب (فاضل خان): الّف في تلك المدّة سبع مجلّدات سماه «مجالس الأخبار» (الذريعة 19 رقم 1596) ثم شرع هناك سنة 1110 في تأليف «تعبير طيف الخيال» و أتّمه سنة 1119 بالهند و له 45 سنة من العمر و سمى المجلد الثاني منه «سفينة العلم» (الذريعة 4 رقم 1043، الذريعة 12: 197) ثم في سنة 1130 ألّف كتاب «خزانة الخيال» (الذريعة 7 رقم 846) يقول فيه انه ولد بشيراز الضحى العالي من يوم السبت 17 رجب 1047. و ما جاء في «نجوم السماء- ص 182» من أنّه ترجم في «الأمل» فهو اشتباه بالسبزواري (القرن 11 ص 593). و قد نقل تاريخ الولادة هذا عن خط السيد هاشم ابن عبد الرؤف الأحسائي في المجلّد الأول من «تعبير طيف الخيال» المذكور. هذا و قد ذكر في «طيف الخيال» (الذريعة 15 رقم 1311) مشايخه و كذا في «زهرة الحياة الدنيا» فذكرانه تلمّذ على السيد محمد قاسم ابن خير اللّه الحسيني في النحو و الصرف و البيان و البديع و التفسير و العروض و تلمذ الفقه و الاصول على صالح الكرزكاني (القرن 11 ص 286) ابن عبد الكريم البحريني و على المير زين العابدين الانصارى الحائري و على على بن محمد التمامي ثم علي مسيح الأنام ابن محمد اسماعيل الفسوى في الحكمة و الكلام و على شاه محمد بن محمد عارف الاصطهباناتي الشيرازي (الذريعة 9: 665) في الحديث و على الحكيم محمد هادى في الطب و على المولى لطفا في الرياضيات و على شرف الدين‏

ص:276

على دست غيب و نصير الدين محمد البيضاوي الشيرازي و محمد صالح الخفري و محمد حسين المازندراني اكثر فنّى الحكمة و اصول الفقه. له «مجالس الاخبار» (الذريعة 19 رقم 1596) في سبع مجلدات ألّفها بالهند و سمى كل منها باسم خاص، فالأول في تواريخ الانبياء سماه «معارج القدس» (الذريعة 21 رقم 4518) أورد فيها الاساطير اليهودية التي تقبلها المسلمون و فسّرها بصورة يقبلها العقل الشيعى، المجلد الثاني: تواريخ الائمة المعصومين و مناقبهم، سماه «تحفة الابرار» (الذريعة 3 رقم 1459)، المجلد الثالث: تواريخ الملوك سماه «بحر المعارف» (الذريعة 3 رقم 112)، المجلد الرابع: تواريخ العلماء و الشعراء سماه «ربيع الابرار» ذكر في ذيل المجالس و قد يسمى «رجال ملا مؤمن» (الذريعة 10:

151) المجلد الخامس: سوانح عمر المؤلف نفسه (اتوبيوكرافي) سماه زهرة الحياة الدنيا (الذريعة 12 رقم 508) و هو مرتّب على جنّات. المجلد السادس: شرح ثلاثمائة حديث سماه «روح الجنان» (الذريعة 11 رقم 1611). المجلد سابع: المتفرقات من العلوم المختلفة، سماه «لطائف الظرائف» (الذريعة 18: 316 رقم 275) فرغ منه 6 رجب 1109 في (بكر) من بلاد (تتر) من (السند) و فصل منها خالية عن الحروف المعجمة سماه «درر الحكم» (الذريعة 8 رقم 457) و فصل آخر منه يحتوى على منتخبات من «نسيم الصبا» المندرج في «الفصول الانيقة» لصاحب المعالم (الذريعة 16: 237 رقم 941). عرض المجموعة على بعض امراء الهند الفضلاء إسمه النواب مخلص خان فامره في سنة 1105 بالانتخاب منه، فسمى المنتخب «مشرق السعدين» و صحّحه سنة 1111 (الذريعة 21 رقم 3907) أو «مطلع السعدين» (الذريعة 21 رقم 4386) و ذكرنا له «اربعون حديثا» (الذريعة 1: 430) و اسمه «ثمرة الحياة» (الذريعة 5 رقم 56)، «و بحر المعارف» (الذريعة 3 رقم 112) و هو ثالث المجلدات السبع من «مجالس الاخبار» (الذريعة 19 رقم 1596)، «بيان الآداب» (الذريعة 3 رقم 627) في شرح آداب «تحفة الاخوان في تحقيق الاديان» (الذريعة 3 رقم 1435)، «تحفة الغريب» في «شرح قانونجه في الطب» (الذريعة 3 رقم 1677)، «تميمة الفؤاد من ألم البعاد» (الذريعة 4 رقم 1930)، «ثمرة الفؤاد و سمر البعاد» (الذريعة 5 رقم 40) و هو «ديوان مؤمن» (الذريعة 9: 1125)، «جامع المسائل النحوية» في شرح الصمدية البهائية (الذريعة 5 رقم 277)، «جنات‏

ص:277

عدن» في الفنون الثمانية «جنّات الفردوس» في التعريف ببعض مصطلحات العلوم (الذريعة 5 رقم 649)، و ابتدأ قبل بلوغه بتعليق «الحواشي على الكتب الدرسية» (الذريعة 7 رقم 270)، «مصباح المبتدئين» (الذريعة 21 رقم 4206) «الدر المنثور» حواشى على الصمدية (الذريعة 8 رمق 270)، «زينة الحياة» (الذريعة 12 رقم 603) في شبهات الشيطان بركلس السبعة، و «زينة المجالس» في المداعبات (الذريعة 12 رقم 620) «طرب المجالس» ايضا في المداعبات (الذريعة 15 رقم 1044)، «قرة العين و سبيكة اللجين» (ألّفه سنة 1101 (الذريعة 17: 74 رقم 385)، «لمع البرق» في الفرق بين الالفاظ المتقاربة (الذريعة 18: 348 رمق 427)، «ماء الحياة» في تأويل بعض الاحاديث المشكلة (الذريعة 19 رمق 87) و مثله «مجمع البحرين» في التأويل (الذريعة 20 رقم 1769)، «مدينة العلم» (الذريعة 20 رقم 2831) «مشكاة العقول» (الذريعة 21 رقم 3945) في شرح «لغز الزبدة» للبهائي (الذريعة 18:/ 334 رقم 355) «منية اللبيب في مفاخرة المنجم و الطبيب» طبع ضمن «نفحة اليمن» للشيرواني مكررا (الذريعة 21 رقم 5231، 23، 208 و الفهرس العربي لمشار- ص 962)، «منية الفؤاد» تفسير لبعض الآيات المتشابهة (الذريعة 23 رقم 4651) و «وسيلة الغريب» (الذريعة 25: 80 رقم 434) في تفسير الآيات المتشابهة مثل «قرة العين» و كذلك سائر مؤلفاته التأويلية.

الحكيم محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري الشيرازي:

أديب ماهر سيف ذهنه باتر حكيم حاذق ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكمة و الحقائق حاز حظا وافرا من الكمالات و حير الافكار بما أبدع في صناعة السرقات مجاميعه كنوز الفوائد و مضامين رسائله فرائد فمن جيد شعره قوله مادحا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام اللّه عليه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| دع الاوطان يندبها الغريب‏ |  | و خلّ الدمع يسكبه الكئيب‏ |
| و لا تحزن لاطلال و رسم‏ |  | يهب بها شمال أو جنوب‏ |
| و لا تطرب اذا ناحت حمائم‏ |  | و لاحت ظبية و بدا كثيب‏ |
| و لا تصبو برنات المثاني‏ |  | و ألحان فقد حان المشيب‏ |
|  |  |  |

ص:278

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| و لا تعشق عذارى غانيات‏ |  | يزين بنانها كف خضيب‏ |
| و لا تلهو بحب صبيح وجه‏ |  | شبيه قوامه غصن رطيب‏ |
| و لا تشرب من الصهباء كأسا |  | يكون مديرها ساق أديب‏ |
| و لا تصحب حميما أو قريبا |  | فكل أخ يعادى أو يعيب‏ |
| و لا تأنس بخل أو صديق‏ |  | و ذرهم انهم ضبع و ذيب‏ |
| و لا تفرح و لا تحزن بشئ‏ |  | فلا فرح يدوم و لا خطوب‏ |
| و لا تجزع اذا ما ناب هم‏ |  | فكم يتلو الاسى فرج قريب‏ |
| و سكن لوعة القلب المعنى‏ |  | و أنشده اذا غلب الوجيب‏ |
| عسى الهم الذي أمسيت فيه‏ |  | يكون وراءه فرج قريب‏ |
| و لا تيأس فان الليل حبلى‏ |  | فعل ليومها شأن عجيب‏ |
| و حسبك في النوائب و البلايا |  | مغيث مفزع مولى وهوب‏ |
| جواد قبل ان يرجى يواسى‏ |  | غياث قبل أن يدعى يجيب‏ |
| تكلمت الظبا معه و شمس‏ |  | و ثعبان و حيتان و ذيب‏ |
| وردت بعد ما غربت و غابت‏ |  | له شمس السماء و لا عجيب‏ |
| كريم يستحى من مؤمن قد |  | رجاه أن يماطل أو يخيب‏ |
| أمير المؤمنين أبو تراب‏ |  | عليّ المرتضى البر الحسيب‏ |
| عليه تحيتي ما جنّ ليل‏ |  | و حنّ من النوى دنف غريب‏ |
|  |  |  |

و له في رثاء الحسين سلام اللّه عليه قصيدة مخمسة و هي من غرر قصائده و منها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جاء شهر البكاء فلتبك عينى‏ |  | بحنينى على مصاب الحسين‏ |
| و امام الانام من غير مين‏ |  | و ابن بنت الرسول قرّة عينى‏ |
| آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |  | آه فلنبك من دم قد أراقوا |
| و بدور قد اعتراهم محاق‏ |  | و سقوا طعم علقم لا يذاق‏ |
| خير رهط على البرية فاقوا |  |  |

ص:279

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |  | خطفتهم بروق بيض المنايا |
| و أصابتهم سهام البلايا |  | عن قسى القضا فدعنى الايا |
| لائمى في البكا لعظم الرزايا |  | آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |
| هم بدور و غربهم كربلاء |  | هالهم كرب أرضها و البلاء |
| خسفوا اذلهم سنا و اعتلاء |  | ما لهذي البدور منها انجلاء |
| آه وا حسرتا لرزه الحسين‏ |  | كم بها صادت البغاث نسورا |
| كم بها صارت السروج قبورا |  | كم بها استوسد الكرام صخورا |
| كم بها رضت الخيول صدورا |  | آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |
| وردته الخطوط منهم و قالوا |  | مل الينا بسرعة ثم مالوا |
| عنه اذ حلّ في فناهم فحالوا |  | بينه و الفرات ثم استطالوا |
| آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |  | و عدوا النصر ثم خانوا عهودا |
| اوثقوا عقدها و صادوا أسودا |  | بذلوا دونه النفوس سعودا |
| حيثما شاهدو الجنان شهودا |  | آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |
| غاب فتيان أهله و الكهول‏ |  | فغدا السبط يشتكى و يقول‏ |
| و له مدمع عليهم همول‏ |  | هل بقى من يعين يا قوم قولوا |
| آه وا حسرتا لرزه الحسين‏ |  | لست أنسى الحسين فردا وحيدا |
| و رضيعا له سعيدا مجيدا |  | قصدوا بالنصال منه وريدا |
| و سقوه الردى فأضحى شهيدا |  | آه وا حسرتا لرزء الحسين‏ |
|  |  |  |

(و ما ألطف قوله):

ص:280

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| معاشر اخوانى سلام عليكم‏ |  | لقد دمعت عيناى شوقا اليكم‏ |
| و لا غروان جسمى ثوى أرض غربة |  | فروحي و قلبي ثاويان لديكم‏ |
|  |  |  |

- [الكواكب المنتثرة 749 و ما بعدها، الذريعة الى تصانيف الشيعة و كل حرف ذ ورد خلال الترجمة المستقاة من آغا بزرك فهو اشارة مختصرة الى كتاب الذريعة فمن اراد التوسع في التعرف على كتب المترجم له مراجعة الكتاب المذكور، نزهه ج 6 ص 356- 357 رقم 669، معجم المؤلفين 12/ 69، أعيان الشيعة 46/ 212- 214. البغدادي: هدية العارفين 2/ 310، القمي: فوائد الرضوية 599، 600. البغدادي: ايضاح المكنون 1/ 322، 347، 428، 2/ 429، 536، بروكلمان 570: 11 و 5 ابن البيطار الدمشقي.

- مطلع انوار 614- 615 و فيه وفاته 1118 ه كما انه أحال فيه على سبحة المرجان و لم أجد للمترجم له ترجمة فيه. نجوم السماء 182.]

محمد بن فتح اللّه بن نعمة خان عالي (ت 1121 ه- 1709 م)

الأمير ميرزا محمد بن فتح الدين الحكيم الشيرازي نواب نعمة خان العالي كان من الأمراء المشهورين في قرض الشعر. ولد و نشأ بأرض الهند و سافر مع والده إلى «شيراز» و قرا العلم على من بها من العلماء ثم رجع إلى الهند و أخذ عن العلامة محمد شفيع اليزدي ثم تقرب الى عالمكير و ولى على «نعمة خانه» و لذلك لقبه عالمكير بنعمة خان سنة أربع و مائة و ألف، ثم ولاه على «جواهر خانه» (خزينة الجواهر) و لقبه بمقر خان، و لما قام بالملك شاه عالم بن عالمكير لقبه دانشمند خان، و كان رجلا هجاء متصلبا في التشيع ذا مهارة تامة في الإنشاء و قرض الشعر و الجمل و الهيئة و الهندسة و غيرها، و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كاهلي در كار خود مجنون جرا كرد |  | مردن عاشق بآهى يا نكاهى بيش‏ |
|  |  |  |

توفى سنة إحدى و عشرين و مائة و ألف، كما في «سرو آزادا»

- نزهه ج 6/ رقم 493، و له ترجمه مفصلة في مطلع/ 682- 687 و هو مذكور ضمن علماء القطب شاهية.

ص:281

[[34]](#footnote-34)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص281**

ابراهيم علي خان (ت 1121 ه/ 1709 م)

ابراهيم علي خان امير الأمراء ابن علي مردان خان‏

ولد في ابراهيم آباد و تقلب في مناصب الحكومة فيها حتى اصبح احد قادة ألوية الجيش الامبراطوري أيام اورنكزيب و في سنة 1072 اصبح حاكما لكشمير، و عرف بعلمه الجم و اصلاحاته الادارية و العمرانية كان هذا الوزير قد جمع العلماء الكبار سنة 1116 و جمع لهم ثلاثين ألف كتاب و أمرهم أن يدونوا كتابا كبيرا في فضائل أهل البيت عليهم السلام و مناقبهم من كتب أهل السنة و صحاحهم و شرعوا فيه حتى خرج منه سبعة مجلدات مهذبات و سموه (البياض الابراهيمي) الأول و الثاني و الثالث منه في الخلافة الراشدة و الرابع في عهد امير المؤمنين و الخامس في عهد معاوية و السادس في امامة الحسن و الحسين و بقية الأئمة (ع) و السابع في فروع الدين و الفقه. و جاء في كتاب لعله منتخب من كتاب البياض وصف المترجم بالأمير الوزير الجامع بين المعقول و المنقول كهف السادات الخان ابن الخان ابن الخان ابراهيم خان و عن كتاب كشف الحجب أنه رأى من مجلداته سبعة و قد رأى بعضهم المجلد السابع منه و اوله حديث امر النبي صلى اللّه عليه و سلّم بقتل ذي الثدية.

للمترجم له اولاد هم: زبردست خان و يعقوب خان.

(مستدركات 9/ 9، مطلع انوار/ 41- 42، فهرست كتب آصفية، مآثر الأمراء 1/ 288).

حسين بن باقر الاصفهاني امتياز خان (ت 1122 ه/ 1710 م)

الأمير الفاضل حسين بن باقر بن بو علي المشهدي الأصفهاني نواب امتياز خان، قدم إلى الهند في أيام عالمكير فولاه على ديوان الخراج بايالة «بتنه» و لقبه «امتياز خان» فاستقل بها زمانا ثم ولى على «كجرات» و سافر إلى بلاده في أيام شاه عالم، و كان معه مال خطير فطمع فيه خدايار خان أحد مرازبة السند و بعث إليه رجالا قتلوه غيلة.

ص:282

و كان شاعرا مجيد الشعر فطنا ذكيا دينا، سافر الى الحجاز فحج و زار، و له ديوان شعر فارسي و ابياته في غاية الرقة و المتانة منها تضمين للمصراع المشهور:

|  |
| --- |
| «اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد» |

السلطان:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شه كه اين كوكبه و اين كرو فر |  | تاج و تيغ و علم وزين و كمر ميخواهد |
| لشكر و كشور و اقبال و ظفر ميخواهد |  | اين همه از بي‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الوزير:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آن وزيريكه بسى عاقل و دانا باشد |  | كار او با همه كس رفق و مدارا باشد |
| مخلص شاه و هوا خواه رعايا باشد |  | اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الرجل العاقل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مرد عاقل كه سوى معركه جون تير |  | كاه مردى و شجاعت زبى تير رود |
| بي محابا همه تن بر دم شمشير رود |  | اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الصوفي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صوفى صاف كه در صومعه مسكن‏ |  | در بغسل مصحف وزنار بكردن دارد |
| صلح كل با همه از شيخ و برهمن‏ |  | اين همه از بي آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

ص:283

التاجر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تاجرى كو بفشارد بجكر دندان را |  | از خسيسى ببرد سيسنه بمالد نان‏را |
| وقت سودا بفروشد كهر ايمان‏را |  | اين همه از بي‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الفاضل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فاضلى كو همه در فكر فروع است و اصول‏ |  | كاه انديشه معقول كند كه منقول‏ |
| مردمان راه همه خواند بخدا و برسول‏ |  | اين همه از بئ‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الكيمياوى:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كيميا كركه همين رنج برد در عالم‏ |  | سازد از سيسة دل در نفسى كوزه دم‏ |
| ويشتن را بكذارد ز تف آتش غم‏ |  | اين همه از بئ آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الطبيب:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| طبيبى كه تراكيب و معاجين سازد |  | بعبارات حكيمانه سخن بردازد |
| هردم صبح بقاروره نظر اندازد |  | اين همه از بئ‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الخطاط:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خوشنويسى كه شب و روز كند مشق‏ |  | كردنش دال و سرش واو و تنش كردد نون‏ |
| ديده‏اش صاد و لبش با و دنش باشد خون‏ |  | اين همه از بئ‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

ص:284

العشيقة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نازنيني كه بود نادره‏ء حسن و جمال‏ |  | كه كند ناز و تغافل ز ره غنج و دلال‏ |
| كه كند خون دل عشاق باميد وصال‏ |  | اين همه از بئ آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شاعرى كو همه دم مدح و ثنا ميكويد |  | روز و شب نيك و بد شاه و كدا ميكويد |
| كاه اكر مدح كند كاه هجا ميكويد |  | اينهمه از بئ آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

خالص:

و هو اسم السيد حسين بن باقر الاصفهاني في الشعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خالص اين خفّت خوارى و غم و درد |  | در غريبي كشد و ياد نيارد ز وطن‏ |
| هر زمان تازه كند طرح دكر كونه‏ |  | اين همه از بئ‏آنست كه زر ميخواهد |
|  |  |  |

قتل ببلاد السند سنة اثنتين و عشرين و مائة و ألف، كما «مهرجهانتاب».

- [نزهه 6/ 71 رقم 139، مطلع انوار/ 190 و فيه تسميته: حسين خالص اصفهاني، و لعل (خالص) هو لقبه الشعري.]

محمد رفيع المشهدي (باذل) (ت 1123 ه- 1711 م)

الشيخ الفاضل محمد رفيع بن ميرزا بن محمود الشيعي المشهدي ولد في دهلي و كان عمه الميرزا محمد طاهر وزير خان من الامراء على عهد عالم كير تنقل في عدة مناصب في برهان بور، و اكبر آباد و مالوه و توفي آخر سنة 1083 ه، و عمه الآخر ميرزا جعفر كان اميرا على مشهد خراسان. و ولى على ديوان الخراج ايام عالم كير في أقطاع معز الدين‏

ص:285

محمد معظم بن عالمكير فاستقل بها مدة من الزمان ثم ولى على قلعة «كواليار» و أقام بحراساتها مدة من الدهر، و لما مات عالمكير عزل عنها و اعتزل بدهلي، و كان شاعرا مجيد الشعر بالفارسية يتلقب بالباذل، له «حمله حيدري» كتاب في غزوات سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، و له الغاز ديوان شعر في حدود ثمانية آلاف بيت، مخطوط في مشهد، و له منظومة تحت اسم «معارج النبوة في مدارج الفتوة».

و من شعره قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تو جنان رميدى از من كه بخواب هم نه‏ |  | بكسدام اميدوارى بروم بخواب بسى‏ |
|  |  |  |

توفى سنة ثلاث و عشرين و مائة و ألف بدهلى فدفن بها و قيل في كواليار.

- [نزهه/ رقم 577، مطلع انوار 541، فهرست كتب خطّي كتبا خانه آستان قدس 7/ 312، سرو آزاد 141، ترجمة مآثر الأمراء 3/ 767، بي بها 220، بزم تيموريه 271]

القادر المشهدي وزير خان (ت 1135 ه/ 1722 م)

من ذرية الامراء الجنكيز خانية، و كان من شعراء عالم كير و بهادر شاه و فرّخ سير.

توفي في اكبر آباد. و بعد في شعراء الفارسية

- اعيان 8/ 434.

سعد اللّه السلوني (ت 1138 ه/ 1726 م)

الشيخ العالم الكبير العلامة سعد اللّه بن عبد الشكور الحسيني السلوني البريلوي أصله من اسرة علوية يتصل نسبها بالامام موسى الكاظم عليه السلام، أحد فحول العلماء، ولد و نشأ بسلون (بفتح السين المهملة) بلدة على عشرة أميال من «بريلي» في نعمة جده لأمه‏

ص:286

الشيخ بير محمد السلوني و اخذ الطريقة عن والده عبد الشكور عن الشيخ مسعود الاسفراييني عن الشيخ علي عن الشيخ جعفر عن الشيخ إبراهيم عن الشيخ عبد اللّه عن الشيخ عبد الرزاق عن والده الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني، ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار و أقام بها اثنتي عشرة سنة و أخذ الحديث و درس العلوم مدة، أخذ عنه الشيخ عبد اللّه بن سالم البصرى و الشيخ أحمد النخلي و غيرهما من الائمة ثم رجع إلى الهند و سكن ببندر «سورت»، أعطاه الامبراطور عالمكير قريتين تحصل له منهما ثمانية آلاف ربية كل سنة و كان السلطان يكرمه و يجله و يتلقى إشارته بالقبول، و الشيخ سعد اللّه يكتب الى السلطان في الشفاعات فيقبلها السلطان و يكتب الأجوبة بيده الكريمة حتى أن الشيخ بعث إليه يشفع لواحد من العمال فأمر السلطان أن يكتب إليه أنك رجل عالم لا ينبغي لك أن تخاطبني في الذين ظلموا، ثم ترك السلطان الكتابة إليه بيده و الشيخ لم يزل يكتب إليه و يحثه على محبة الائمة الإثني عشر من أهل البيت، فلما كرر الكتابة إليه في ذلك الأمر التفت السلطان إلى من حضر عنده من العلماء و قال: إن ما يوصينى الشيخ بحب أهل البيت صحيح لا غبار عليه و لكن الإمامة لا تنحصر عند أهل السنة و الجماعة في الائمة الإثني عشر- انتهى ما ذكره خافى خان في «منتخب اللباب».

و في «الحديقة الأحمدية»: أن السلطان عالمكير كان يخاطبه في المراسلات بسيدى و سندى، و له مصنفات كثيرة منها تعليقاته على الحاشية «القديمة و الجديدة» و «آداب البحث» رسالة له في المنطق و حاشية على «يمين الوصول» في الفقه و رسالة له في اثبات مذهب الشيعة و رسالة له في شرح أربعين بيتا من «المثنوي المعنوي» و حاشية له على «هداية الحكمة» و «كشف الحق» و «تحفة الرسول» و غيرها من الرسائل، توفى لأربع ليال بقين من جمادى الأولى سنة ثمان و ثلاثين و مائة و ألف بمدينة «سورت» فدفن بها و خلف من الأولاد: سيد عبد العلي المتخلص ب- (عزلت) كان فقيها مجتهدا اماميا و شاعرا، و السيد عبد اللّه و السيد عبد الولي والد السيد ميرزا باقر المتوفى سنة 1217 ه.

و قيل في تاريخ وفاته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جناب قطب اقطاب زمان رفت‏ |  | ازين دار فناء سرى جنان رفت‏ |
| مشائخ را تفاوت در مكين شد |  | جو سعد اللّه سيد از ميان رفت‏ |
|  |  |  |

ص:287

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| زمكر و غدر كذّاب فسون‏كر |  | بحق بيوست دردار أمان رفت‏ |
| نمانده صبروطاقت زين مصيبت‏ |  | قراروصبر طيروانس‏وجان رفت‏ |
| صدائي مكريه دفه ياد و نوحه‏ |  | زبالائي زين تا آسمان رفت‏ |
| بكثرت خلق كرويده كرفتار |  | ازان روزى كه آن وحدت‏شان رفت‏ |
| زمان غم جو عاشوره قيامت‏ |  | رسيد و كرو قائم بوش ازاى رفت‏ |
| مردان سربه سنه جون نه باشند |  | كه از فرق سريشان سائبان رفت‏ |
| برائي فاتحه، بركس برآمد |  | زجشم خويشتن كو مير فشان رفت‏ |
| زبهر سال تاريخ وصالش‏ |  | به هاتف التماس اين‏وان رفت‏ |
| زواريلا كشيد و آه كفته‏ |  | ز عالم نائب صاحب زمان رفت‏ |
|  |  |  |

- [نزهه 6/ 98- 99 رقم 188، مطلع انوار 265- 267، بزم تيموريه/ 252، كتاب حقيقة السوره (اسم تاريخي كلدسته صلحائي سورت 1315 ه، تأليف الشيخ بهادر عرف شيخو ميان، مطبعة الشهابي، بومباي، ص 33- 34 و فيه نسب المترجم الى موسى الكاظم (ع).]

حسين الشيرازي (حكيم الممالك) (ت 1149 ه/ 1726 م)

الفاضل الكبير حسين الحكيم الشيرازي نواب حكيم الممالك كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، أصله من أرض العرب، نشأ في بلاد الفرس و قرأ العلم بها على الأساتذة المشهورين و سهر في الصناعة الطبية ثم قدم الهند و تقرب إلى محمد أعظم بن عالمكير فجعله طبيبا خاصا له، و لما قتل محمد أعظم تقرب الى محمد معظم و حصلت له الوجاهة العظيمة عند الملوك و الامراء عهدا بعد عند لقبه فرخ سير بحكيم الممالك، و سافر إلى الحرمين الشريفين في أيام محمد شاه فحج و زار و رجع الى الهند، و نال المنصب أربعة آلاف لذاته، و له أبيات رائقة بالفارسية منها قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نه من شهرت تمنا دارم و نى نام ميخواهم‏ |  | فلك كر واكذارد يكنفس آرام‏ |
|  |  |  |

مات سنة تسع و أربعين و مائة و ألف بمدينة «دهلي» فأرخ لوفاته غلام علي بن نوح‏

ص:288

البلكرامي من قوله: «شهرت مرد» و كان اسمه في الشعر «شهرت»، كما في «شمع أنجمن».

- نزهه 6/ 70- 71 رقم 138.

محمد رضا قزلباش خان الهمداني (ت 1159 ه/ 1746 م)

ميرزا محمد رضا الهمذاني الملقب بقزلباش خان و المشتهر في أشعاره ب (امير).

من شعراء القرن الثاني عشر، ولد في مدينة همذان بإيران، و في مطالع حياته سافر إلى أصفهان و حضر مجلس الميرزا طاهر الوحيد، و درس الأدب على مير نجاة. و في نهاية عهد أورنك زيب سافر إلى الهند فعهد إليه ببعض المناصب و في عهد قطب الدين بهادر شاه (1119- 1124) لقب ب (قزلباش خان)، و في عهد محمد معز الدين جهان دار تدخل في مشاحنات امراء الدولة بشأن الدكن ثم أصبح ملازما لمبارز خان، نظام حيدر آباد الدكن. و في حرب بين ميارز خان و نظام الملك آصف جاه أسر المترجم، و لكن آصف جاه عفا عنه و صار ملازما له. و في سنة 1150 في عهد ناصر الدين محمد شاه (1131- 1161) وافق آصف جاه إلى لقاء شاه جهان آباد. و من ثم عاش في دهلي و توفي فيها سنة 1159.

و كان إلى شاعريته من كبار الموسيقين في عصره. و مع ما حازه من مناصب في الحكم كان شديد الحنين إلى مسقط رأسه يود الرجوع اليه.

ديوانه المعروف باسم (أميد) يحتوي على قصائد في مدح النبي (ص) و الإمام علي (ع)، و ناصر الدين محمد شاه و ذو الفقار خان بن أسد خان من وزراء عهده. و فيه كذلك الغزل و الخماسيات و الرباعيات. و هو محفوظ في المكتبة البريطانية، و منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس، و لا يتجاوز ما فيه ال 4700 بيت، كما ان له منظومة باسم كارستان محفوظه في المكتبة الوطنية في باريس.

- مستدركات 6/ 271- 272.

ص:289

حسن علي خان (ت 1135 ه/ 1722 م)

الأمير الكبير حسن علي بن عبد اللّه الحسيني الواسطى البارهوى نواب عبد اللّه خان قطب الملك أحد الوزراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ولد و نشأ بأرض الهند و تقرب إلى عالمكير و خدمه مدة من الزمان، و لما توفى عالمكير لحق بولده شاه عالم و قاتل اخاه محمد أعظم و جرح في المعركة فولاه شاه عالم على «أجمير» و أعطاه أربعة آلاف منصبا رفيعا ثم ولاه على «إله آباد»، و لما توفى شاه عالم و ولى مكانه ولده معز الدين عزله عن الولاية و نصب مكانه واحدا من أصحابه فقاتله حسن على خان و هزمه ثم لحق بفرخ سير ابن عظيم الشأن بن شاه عالم و سار معه إلى «دهلى» فقاتل معز الدين و هزمه، فلما تولى المملكة فرخ سير جعله وزيرا و أعطاه سبعة آلاف لذاته و سبعة آلاف للخيل منصبا رفيعا و لقبه «يار وفادار قطب الملك عبد اللّه خان بهادر ظفر جنك» و جعل صنوه حسين علي خان أمير الأمراء.

و هما اللذان نصبا (فرخ سير) ثم اختلفا معه فنصبا (رفيع الدرجات) ثم (رفيع الدولة) ثم (محمد شاه) و قام بعض رجال الاخير بقتل حسين علي خان غيلة، فثار المترجم له لأجل ذلك و اشتبك مع رجال محمد شاه لكنه وقع في قبضتهم (و سيأتي تفصيل دوره في ترجمة السلطان فرخ سير و من بعده) و كان شجاعا مقداما باسلا صاحب جرأة و نجدة، لم يكن في زمانه مثله في الشجاعة.

مات في آخر ذي الحجة سنة 1135 ه بمدينة دهلي.

- [مآثر الأمراء، نزهه 6/ 67- 68 رقم 135. [

بختاور خان (ت 1096 ه/ 1685 م)

«بختاور خان» خصى كان مقربا من الإمبراطور أورنك زيب الذي أمره على ثلاثة

ص:290

آلاف فارس و جعله كبير حجابه (مير سامان). و ينسب إلى بختاور خان عادة كتاب «مرآت العالم» و هو تاريخ للعالم كتب باللغة الفارسية بيد أنه لا شك في أن مؤلفه هو صديقه محمد بقا الذي حبب إليه بختاور خان الانضمام الى بلاط أورنك زيب و كان سببا في توليته منصبا من المناصب الهامة.

و توفى بختاور خان عام 1096 ه/ 1685 م.

حسين علي خان (ت 1132 ه/ 1719 م)

أمير الأمراء حسين علي بن عبد اللّه الحسيني الواسطي الباهوري عمدة الملك بخشى الممالك نواب حسين على خان أحد الأمراء المتغلبين على الدولة التيمورية، ناب الحكم في «عظيم آباد، بتنه» في عهد شاه عالم و لما توفى شاه عالم و قتل ولده عظيم الشأن لحق بفرخ سير بن عظيم الشأن و سار معه إلى «دهلي» و حرض أخاه حسن على الذي كان واليا بآله آباد أن يلحق بفرخ سير، فلما جلس فرخ سير على سرير الملك جعله أمير الأمراء و جعل صنوه الكبير حسن على وزيرا فأخذا الحل و العقد بيدهما.

كان رجلا شهما باسلا شجاعا مقداما صاحب جرأة و نجدة و سخاء و كرم و غيرها من الخصال الحميدة و الفعال المحمودة .. و كان محبا لأهل العلم محسنا اليهم يجالسهم و يذاكرهم في العلوم كما صنف له محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشى كتابه «نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل بيت الأطهار» سنة 1126 ه و أثنى عليه في مفتتح كتابه، و يقول فيه السيد عبد الجليل الحسينى الواسطى البلكرامى يهنئه بعيد النحر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تهن بعيد النحر يا من عطاؤه‏ |  | أفاض على من حج جودا عوائدا |
| تنسكت هدى الجود في كل موقف‏ |  | و ألبست نحر المعتقين قلائدا |
|  |  |  |

و قال مضمنا مصراع كعب بن زهير يصف الشموع التي أذكاها أمير الأمراء في سير مولد النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم:

ص:291

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أضاء ركن الأعالي سيد الأمراء |  | شهر الرسول شموعا في غياهبه‏ |
| أمسى الشموع على الحضار منشدة |  | (أن الرسول لنور يستضاء به) |
|  |  |  |

و قال بالفارسية يمدحه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آن أمير جماعة امراء |  | جون حسين على هزبر شيم‏ |
| قرة العين حيدر كرار |  | نخبة نسخه‏ء بنى آدم‏ |
| جود أو شهره‏ء ديار عرب‏ |  | تبغ أو ضابط بلاد عجم‏ |
| نازد أز نسبتش سمو نسب‏ |  | بالد از همتش علو همم‏ |
| غوطه در جود أو خورد دريا |  | لطمه از دست أو خورد ضيغم‏ |
|  |  |  |

إلى غير ذلك من الأبيات الرائقة، و لما قتل حسين على خان قال يرثيه بالفارسي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آثار كربلا است عيان از جبين هند |  | زد جوش خون آل نبي از زمين هند |
| شد ماتم حسين على تازه در جهان‏ |  | سادات كشته آند مصيبت نشين هند |
| نيلى است زين معامله بيراهن عرب‏ |  | وزخون كريه سرخ شد است آستين‏ |
| كيتى جرا سياه نكردد ز دود غم‏ |  | خاموش شد جراغ نشاط آفرين هند |
| هند اين جنين مصيبت عظمى نديده است‏ |  | ديديم داستان شهور و سنين هند |
|  |  |  |

توفي يوم الأربعاء 6 ذي الحجة سنة 1132 ه على مسيرة خمس و ثلاثين ميلا من اكبر آباد.

- نزهه 6/ 68- 70 رقم 136.

ص:292

محمد باقر البيجابوري (حدود 1050- 1128 ه/ 1640- 1716 م)

الشيخ الفاضل محمد باقر بن محمد علي بن محمد أويس الأويسى الشيعي البيجابوري أحد الرجال المعروفين بالفضل و الكمال يرجع نسبه الى أويس القرني انتقل جده محمد اويس من المدينة المنورة إلى «بيجابور» و سكن بها و تزوج ولده محمد على بابنة الشيخ أحمد النائطى البيجابورى فولدت له محمد حيدر و محمد باقر، و نشأ محمد باقر بمدينة بيجابور و قرأ العلم ثم تقرب الى عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند فحظى بمنصب رفيع و خدمة جليلة فخدمه مدة من الزمان ثم ترك الخدمة و اعتزل بأورنك آباد. و من مصنفاته «تلخيص المرام في علم الكلام» في مجلد ضخم ذكر فيه الأصول الخمسة، سماه العلامة محمد فصيح التبريزي بروضة الأنوار و زبدة الأفكار و استحسنه جدا، توفى سنة ثمان و عشرين و مائة و ألف بمدينة «أورنك آباد» فدفن بها، كما في «خورشيد جاهي».

[نزهه 6/ 260 رقم 546، مطلع أنوار/ 488- 489 و فيه: خلف ولدا اسمه الشيخ محمد تقي جاكيران داران، حصه أول، ص 5 طبع حيدر آباد.]

حسين بن نور الدين الجزائري الحسين الجزائري (ت 1158 ه/ 1745 م)

ابن نور الدين ابن المحدّث الجزائري وصفه في «تحفة العالم- ص 117» ب [السيد الأول الأجل الفاضل الأديب الأكمل‏] و قال إنه سافر في بداية الأمر الى شاه جهان آباد من دهلي و أقام بها برهة بتكليف سلطانها محمد شاه المنسوب إليه الزيج الجديد الهندى فنافره طباع أهلها فعاد الى بنكاله و منها الى النجف و جاورها مشغولا بتحصيل المطالب العلميّة و تكمميل المراتب العمليّة الى أن توفّى بها. و له تعليقات على أكثر الكتب العلميّة و خلف ولده محمد علي. أقول: توفّى المترجم له 1158 و رأيت له مجموعة ذات‏

ص:293

فوائد كثيرة فيها عدّة رسائل علميّة كتبها أو أن اشتغاله باصفهان من 1141 الى 1143 منها «شجرة الطور» لأستاده الحزين و «معرفة التقويم لاستاذه الآخر أحمد بن محمد مهدى الشريف (ذ 21: 250 رقم 4879 و بعده) و على المجموعة تملّك ولده محمد على بخطّه في مكتبة (صالح الجزائرى في النجف) و كتب المترجم له على نسخة» شرح الغرر و الدرر تأليف الآقا جمال الدين الخوانساري الموجودة في مكتبة (سبهسالار) بعض ما يتعلّق بتشخيص مؤلّف الكتاب، كتبه في أوان إقامته بلكنهو في سنة 1148 كما في فهرس سبهسالار 2: 36 و 5: 213.

- [الكواكب المنتثرة/ 193- 194، مطلع انوار/ 205 و فيه وفاته سنة 1173 مستدركات 5/ 140، نجوم السماء ج 2، و للمترجم له ولد اسمه: السيد محمد علي.]

شاه عالم بهادر شاه‏[[35]](#footnote-35) (1053- 1124 ه/ 1643- 1712 م)

الامبراطور محمد معظم الملقب ب شاه عالم بهادر شاه ابن الامبراطور اورنك زيب من بطن رحمت النساء نواب بائي ابنة راجا راجو صاحب‏iniwjuR ajaR في كشمير

ص:294

و هو اكبر اولاد ابيه بعد سلطان محمد المتوفى في حياة أبيه، ولد في برهان بور في الثلاثين من رجب سنة 1035 ه الموافق 14 اكتوبر 1643 م و نشأ في ظل جده و ابيه، و حفظ القرآن الكريم و قرأ العلوم الدينية و تمهر في الفنون الحربية، و بعد وفاة والده 1118 ه دبت الخلافات بينه و بين اخوته فقضى عليهم و تولى العرش في سلسلة حروب سنتعرض اليها.

وصفه السيد عبد الحي بما يلي «كان عادلا رحيما كريما، سي‏ء التدبير و السياسة، شيعيا في المذاهب، بارعا في العلوم، لم يزل مشتغلا بمطالعة الكتب و المذاكرة غلب في عهده عظيم المراته فاستولى على أكثر بلاد المسلمين، و سلم له بهادر شاه ربع الخراج في الدكن، و هو أول و هن ظهر منه، فأدّى الى زوال شوكته، ثم انقراض ملكه من اولاده.

و أضاف: الملك الفاضل الحليم .. (و كان) في كل حين يزداد كمالا مع اخلاق شريفة و خصال محمودة ..

و كان شيعيا أمر أن يدخل في خطب الجمع و الأعياد لفظ الوصى عند ذكر سيدنا على المرتضى كرم اللّه وجهه فارتفع الصخب و كثر الضوضاء بمدينة «لاهور» فأمر باحضار العلماء بين يديه و باحثهم في ذلك و قرأ بعض ما روى في اثبات الوصاية لسيدنا على رضى اللّه عنه و بعض أقوال الفقهاء و المجتهدين في ذلك حتى كثر اللغط و رغب الناس كافة إلى العلماء سرا حتى أن ولده عظيم الشأن أيضا مال إليهم، فلما علم السلطان رغبة الناس امر أن يرجع الأمر إلى الأول حسبما كانت جارية في عهد عالمكير.

قال وليام ازمين‏enivrI mailliW :

«ادى ذلك الى قيام ثورتين خطيرتين في لاهور و أحمد آباد تزعمها العلماء المتعصبون في المدينتين».

و لما ذهب ابوه إلى الدكن عام 1657 م لمنازعة دارا شكوه على العرش خلف ولده محمد معظم علي أورنك آباد، و استعمل محمد مرتين على الدكن في عامى 1663 و 1667 م، و أرسل إليها مرة ثالثة عام 1678 م. و دعى الى الاشتراك في حرب راجبوت و ساعد في إخماد الثورة التي قام بها أخوه أكبر في إجمير، و في عامي 1683- 1684 م‏

ص:295

أمر على جيش كان يحارب مرهته شمباجى في كنكن. و بعيد عودته إلى معسكر الإمبراطور أنفذ في غارة على مملكة كلكنده عام 1685 م، و اشترك كذلك في قتال بيجابور عام 1686 م و في حرب كلكنده للمرة الثانية عام 1687 م. و اتهم آخر الأمر بالخيانة فألقى في السجن في شهر مارس من عام 1687 م، و لم يفرج عنه إلا في إبريل عام 694 م حينما ولى على كابل ثم أضيف إليه اقليم لاهور.

و قد أراد اورنك زيب أن يتحاشى العواقب الوخيمة المؤلمة التي كان يتوقعها بعد وفاته و أن يقسم البلاد بين اولاده الثلاثة حتى إذا ما قضى نحبه استقل كل واحد في ناحيته و عمل على إنهاضها و المحافظة عليها، فأعطى في حياته، ابنه الأكبر محمد معظم كابل و شمال الهند، و أعطى ابنه الثاني محمد أعظم وسط الهند و كجرات، و أعطى ابنه الثالث كام بخش الجنوب. و ظن أنه قد أحسن فيما صنع و أرضى أولاده و أزال أطماعهم. و لكن ما صنعه كان هباء، إذ ما كاد يغمض جفنيه و يلفظ أنفاسه الأخيرة حتى نشب الصراع بين الأخوة.

و ما ان سمع شاه عالم بوفاة والده أورنك زيب في الثامن عشر من ذى الحجة عام 1118 ه الموافق 22 مارس من عام 1077 م و كان في جمرود إلى الغرب من بشاور، حتى سار توا إلى هندستان و تسابق هو و أخوه أعظم شاه الذي كان قد خرج من أحمد نكر في أيهما يحتل دهلي و آكره قبل أخيه، و حاول شاه عالم ان يثني شقيقه عن قتاله فارسل له رسالة تذكره بوصية أبيهم اورنك زيب و لما وصلت الرساله الى أخيه المتمرد تمثل بقول سعدي الشيرازي: «ان غطاءا واحدا يتسع لعشرة من الفقراء و لكن ملكا واسعا لا يكفي ملكين» و اصر على القتال فاقتلا في 18 ربيع الأول 1119 ه الموافق يونيه 1707 م، و احتفل شاه عالم باعتلائه العرش و هو لا يزال في البنجاب، و لقب نفسه ببهادر شاه في الرابع و العشرين من المحرم عام 1119 ه الموفق 26 ابريل عام 1707 م، و لكنه اعتبر حكمه يبدأ من الثامن عشر من ذى الحجة عام 1118 ه الموافق 22 مارس عام 1707 م، أي بمناسبة ذكرى عيد الغدير الذي يحتفل به الشيعة في كافة أنحاء العالم، و احتسبت الأعوام التالية كما هي العادة اعتبارا من أول هذا الشهر.

ص:296

كان الراجبوت قد اضطروا للسكون و الخضوع أمام قوة عالمكير، فلما توفي و قامت الحرب بين الأخوين انتهزوا هذه الفرصة، و تجمع راجا جوديبور مع راجا «أوديبور» و أعلنا العصيان على سلطة الملك. فذهب الملك لأجمير، و أرسل ابنه عظيم الشأن مع القائد الشيعي منعم خان على رأس جيش لإخضاعهم، و تم لهم ذلك، و لكن شفع لهم منعم خان فعفا عنهم، ثم أرسل إليهم قاضي القضاة لتعيين الخراج و تحصيله، و لكنهم عادوا بعد ذلك للثورة، حينما كان الملك في الجنوب، و قتلوا قائد قلعة أجمير، فسارع الملك إليهم، و لكنهم أسرعوا فطلبوا العفو، فعفا عنهم أيضا.

ثم سارع للجنوب و قضى على محاولة اخيه كام بخش الاستقلال بالسلطان فجرح كام بخش مع ابنه و جئ بهما الى شاه عالم فاخذته الشفقة عليهما و حاول علاجهما حتى ماتا متأثرين بجراحهما و كان ذلك خارج حيدر آباد في الثالث من ذي القعدة 1120 ه الموافق 13 يناير عام 1709 م، و كان المراتيه قد انضموا الى شاه عالم ضد اخيه كام بخش، فلما تم النصر لشاه عالم اقطع الأمير ساهوجي الثاني مقاطعة (بونا) لتكون امارة له تابعة للسلطنة و تؤدي اليه الخراج و قد اخلص كلاهما للآخر و لكن بعد وفاته تمردت هذه الامارة تمردا خطيرا استمر الى ايام الاحتلال الانجليزي.

أما السيك الذين بدأت غارتهم تقلق المسلمين في الشمال فقد هيئ لهم جيشا كبيرا تحت قيادة ابنه عظيم الشأن فهاجم حصن (لهكره) الذي احتمى فيه بنده زعيم السيخ، و استولى عليه في التاسع عشر من شوال سنة 1122 الموافق 10 ديسمبر 1710 م لكن (بنده) فرّ خارج الحصن، و استقرت حاشية بهادر شاه خارج لاهور و فيها توفي هذا الامبراطور عن عمر يناهز السبعين بعد ست سنوات من الحكم في 19 شوال 1122، الموافق 10 ديسمبر 1710، و بعد وفاته أخذت أعراض التفكك، و الانحلال تبدو على البلاد، و لم يقم من بعده من الأسرة المغولية من يقدر على الاحتفاظ بهذا الملك العظيم، و لعله لو تسنى لشاه عالم أن يعيش في الملك ما عاش أبوه فيه لكان استطاع ان يدعم أركانه و يصون كرامته.

ص:297

من علماء عهد شاه عالم:

منعم خان خانان (ت 1122 ه/ 1710 م)

الأمير الكبير منعم بن سلطان برلاس الأكبر آبادي نواب منعم خان خانخان كان من وزراء الدولة المغولية و أمرائها المشهورين بالمعارف و البيان، نشأ في مهد أبيه و كان والده شحنة «أكبر آباد» و قد كان سافر إلى «كشمير» في مهمة سلطانية، فلما توفى والده سافر الى بلاد الدكن و تقرب إلى روح اللّه خان المير بخشى فمنحه للمنصب ثم تقرب إلى عالمكير ابن شاهجهان سلطان الهند فعلا منصبه و تدرج إلى الإمارة حتى ولّى ديوان الخراج بكابل ثم ناب الحكم ببلاد «بنجاب» مع حكومة «جمون» و كان شاه عالم بن عالمكير في «كابل» فتقرب إليه و لما قاتله صنوه محمد أعظم لحق به و بذل جهده في المعركة فصارت مساعيه مشكورة في ذلك و ولاه شاه عالم المذكور الوزارة الجليلة و أعطاه مائة مائة ألف من النقود و أثاثا يساوى مائة مائة ألف و لقبه «خانخانان» و أضاف في منصبه فصار مع الأصل و الإضافة سبعة آلاف له و سبعة آلاف للأفراس.

كان شديد التواضع كثير المراعاة للناس مشكور السيرة في الوزارة لا يألوا جهدا في انجاح الحوائج و كان كل يوم في ديوانه يعين الرجال ليتحسسوا العرائض لأهل الحاجة لئلا تبقى بغير ثبته و يتأخر على اليوم الآخر و كان أسقط مصارف العلوف من أهل المناصب، و له مآثر جميلة تذكر و تشهر، و كان عالما متقنا في العلوم له رغبة إلى التصوف، لبس الخرقة من الشيخ كليم اللّه الجهان آبادي، و له «الإلهامات المنعمية» رسالة في الحقائق، و اعترض الناس عليه و يتهمونه أنه ادعى المعراج له، توفى سنة اثنتين و عشرين و مائة و ألف أو مما يقرب ذلك في أيام شاه عالم، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه 6/ 375- 376 رقم 709.

ص:298

اسماعيل بن إبراهيم الدهلوي (ت 1124 ه/ 1712 م)

الأمير الكبير إسماعيل بن إبراهيم بن ذى الفقار الدهلوي نواب ذو الفقار خان صمصام الدولة نصرت جنك كان من الأمراء المشهورين في الهند، ولد سنة سبع و ستين و ألف من بطن مهر النساء بنت آصف جاه أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني، و نشأ بأرض الهند و تدرب على الفنون الحربية و تأدب بآداب السلطة فقربه عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند إليه و رقاه درجة بعد درجة حتى ولاه على مير بخشيكرى و لقبه «نصرت جنك» و لما تولى المملكة شاه عالم بن عالمكير لقبه «صمصام الدولة، أمير الأمراء» و أضاف في منصبه حتى صار سبعة آلاف له و سبعة آلاف للخيل و ولاه على بلاد الدكن، و لما توفى شاه عالم المذكور لحق بولده معز الدين و قاتل إخوته عظيم الشأن و رفيع الشأن و جهان شاه فقتلهم في المعركة، و كان فرخ سير بن عظيم الشأن في «بهار» فلما سمع ذلك سار إليه و كان معه حسن على خان و حسين على خان فقاتلوه فانهزم ذو الفقار خان و أراد أن يستعد للحرب مرة ثانية فنهاه والده إبراهيم عن ذلك و اشار إليه أن يحضر لدى فرخ سير و كان يعتقد إبراهيم أنه يعفو و يسامحه، فلما حضر ذو الفقار خان بين يديه أمر بقتله، فقتل في السابع عشر من محرم سنة أربع و عشرين و مائة و ألف، فعمل والده إبراهيم لوفاته تاريخا عجيبا:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هاتف شام غريبان با دو جشم خون نشان‏ |  | كفت «ابراهيم اسمعيل را قربان نمود» |
|  |  |  |

و كان ذو الفقار خان شجاعا مقداما باسلا غضوبا قوى البطش شديد الانتقام كبير المنزلة، و فيه يقول ناصر على السرهندي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أي شان حيدرى زجبين تو آشكار |  | نام تو در نبرد كند كار ذوالفقار |
|  |  |  |

- نزهه 6/ 34 رقم 62.

ص:299

ذو فقار الدولة نجف علي (القرن 12 ه)

و بعد زوال الضغط نشط الشيعة أيام عالم شاه بالكتابة و التأليف رادين على من هاجمهم و طعن في عقائدهم.

و كانت الدولة في دهلي قد أصبحت في نهاية عهودها و بدأت الانتفاضات عليها و الاستقلال عنها في المناطق و الأطراف، كما قامت المشاحنات المذهبية، و بدأت الانقلابات في العاصمة نفسها، ففي كل يوم أمير جديد يتولى الحكم ثم ينتزع منه.

و من بين هذه الزعازع نهض ذو فقار الدولة نجف علي، و كان بطلا صنديدا ذا شخصية قوية فقضى على الفتن و أصلح الفساد و أعاد النظام و وحد البلاد ورد بعض الشيعة المشردين. و عاد إلى الشيعة اطمئنانهم لأن، و عاد التأليف و الكتابة في الشيعة و إقامة الشعائر الحسينية، و بقي من أثر ذلك العصر كتاب (كربل كتا) أي قصة كربلاء و هو الكتاب الذي يمكن القول أنه أثر ابعد الأثر في تركيز اللغة الاردوية و أرساء قواعد آدابها و ايجاد نثرها الفني.

- مستدركات 1/ 42- 43.

محمد هاشم الشيرازي (1080- 1161 ه/ 1669- 1748 م)

الفاضل العلامة محمد هاشم بن محمد هادي بن مظفر الدين العلوي الشيرازي معتمد الملوك نواب علوي خان كان نادرة من نوادر الزمان و بديعة من بدائعه الحسان، ولد بشيراز في شهر رمضان سنة ثمانين و ألف و قرأ العلم بها و تطبب على والده و قدم الهند سنة إحدى عشرة و مائة و ألف فتقرب إلى عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند فأعطاه الخلعة و قربه إلى ولده محمد أعظم فصاحبه زمانا، و لما قتل محمد أعظم تقرب إلى شاه عالم بن عالمكير فلقبه بعلوى خان و جعله من ندمائه، فلم يزل يترقى درجة بعد درجة حتى قربه‏

ص:300

إليه محمد شاه الدهلوى و لقبه بمعتمد الملوك و وزنه بالفضة و أضاف في منصبه فصار ستة آلاف له منصبا رفيعا و رتبّ له ثلاثة آلاف شهرية، ثم لما جاء نادر شاه الإيراني استصحبه معه إلى إيران و وعده أن يرخصه للحج و الزيارة، فلما وصل إلى ايران أنجز وعده فسافر إلى الحرمين الشريفين فحج و زار و رجع إلى الهند سنة ست و خمسين و مائة و ألف.

و من مصنفاته حاشية على «شرح هداية الحكمة» للميبذي و حاشية على «شرح الأسباب و العلامات» و شرح على «تحرير الأقليدس» و شرح على «المجسطي» و شرح على «موجز القانون» و له كتاب في أحوال أعضاء النفس و رسالة في الموسيقى و له «التحفة العلوية و الإيضاح العلية» و له «جامع الجوامع» في الطب، قيل إنه كتاب لم ينسج على منواله قط، و له «آثار باقية» في الطب من تركيب الأدوية و هي دلائل الاعجاز لذلك الفاضل الجدير بالإعزاز.

توفى بدهلي في الاستسقاء لخمس بقين من رجب سنة ستين و مائة و ألف، كما في «بيان الواقع» أو اثنتين و ستين و مائة ألف و يدل عليه شطر من البيت على طريق الجمل:

بر فلك رفت مسيحاي جديد و قبره في مقبرة الشيخ نظام الدين البدايوني بدهلي حسب وصيته كما في مهرجا نتاب.

- [نزهه 6/ 364- 365 رقم 685.]

من اعلام عصر محمد شاه:

نعمة اللّه بن نور الدين الحائري (ت 1151 ه/ 1738 م)

السيد نعمة اللّه بن نور الدين بن نعمة اللّه الحسيني الجزائري المهندس الكبير، ذكره عبد اللطيف بن طالب بن التستري في «تحفة العالم» قال: إنه ولد و نشأ بتستر و ساح في «العراق» و «خراسان» و قرأ العلم على أساتذة عصره ثم سار إلى الهند في أيام محمد شاه الدهلوي، و كان عالما كبيرا بارعا في الفنون الرياضية و الشعر، و لوه على المرصد بدهلي ففاق أقرانه في ذلك الأمر و له ديوان الشعر الفارسى يشتمل على ثلاثة آلاف أو أربعة،

ص:301

مات بمدينة «بيشاور» سنة إحدى و خمسين و مائة و ألف، كما في «نجوم السماء».

- [نزهه 6/ 388 رقم 731، مطلع انوار/ 682 و فيه (نعمت اللّه آغائي)، نجوم السماء/ 259، بي بها 419، بي بها 419، اعيان، تحفة العالم.]

محمد بن اسحاق التستري (ت 1163 ه/ 1749 م)

الأمير الفاضل ميرزا محمد بن اسحاق بن علي الشيعي التستري نواب نجم الدولة ابن مؤتمن الدولة الدهلوي كان من الرجال المعروفين بالعقل و الدهاء، ولد و نشأ بأرض الهند و تقرب إلى محمد شاه فولاه على «بخشيكرى» مكانه والده و جعله من خاصته و ندمائه، قتل سنة ثلاث و ستين و مائة و ألف، كما في «مآثر الأمراء».

- نزهه ج/ رقم 478

محمد باقر المشهدي (ولد حدود 1100 ه/ 1688 م/ ت حدود 1151 ه/ 1738 ه)

مولانا الأمير الفاضل محمد باقر المشهدي نواب معز الدولة كان من الرجال المعروفين بالفضل و الكمال، ولد بمشهد و قرأ العلم على من بها من العلماء ثم قدم الهند و تقرب إلى فرخ سير بن عظيم الشأن الدهلوي سلطان الهند فلقبه بدانشمند خان و لما قام بالملك محمد شاه الدهلوي تقرب إليه ثم لما جاء نادر شاه و قاتله محمد شاه الدهلوى صار واسطة بينه و بين نادر شاه لأن أخاه على أكبر ملا باشى كان معه فلقبه محمد شاه بمعز الدولة و جعله قهرمانه و كان فاضلا بارعا في كثير من العلوم و الفنون، و له أبيات رائقة رقيقة بالفارسية، مات في زمان قريب من مراجعة نادر شاه إلى أيران، كما في «رياض الشعراء» لعله مات سنة إحدى و خمسين و مائة و ألف أو مما تقرب ذلك.

- (نزهه 6/ 291 رقم 547، مطلع انوار/ 489) و القهرمان أي الوكيل بالفارسية و الظاهر انه مركب من العربي قهر و من الفارسي مان أي صاحب (الألفاظ الفارسية المعربة ص 130).

ص:302

معز الدين جهان دار شاه (1072- 1125 ه/ 1661- 1713 م)

ولد في مايو عام 1661 و توفي خنقا في 12 فبراير 1713 بأمر فرخ سير و كان خلفه على العرش بقصة اختصارها انه حين مات شاه عالم اختلف ابنائه من بعده فيمن يتولى السلطنة، و كانت الانظار تتجه نحو عظيم الشان ابن شاه عالم لكنه قضى في الحرب الدائرة مع اخوته، و استطاع جهان دار شاه و كان يومها اميرا على ملتان بمساعدة (ذي الفقار خان) اكبر القواد ان يقضي على منافسة اخوته و يتسلم العرش و تلقب ب (معز الدين)، لكنه اخطأ حين أبعد شخصين هما الأبعد اثرا في المجتمع آنذاك و هما الاخوان السيدان حسن علي و حسين علي الحسينيّان البارهيان، و هما من ابناء الشريف عبد اللّه الحسيني الواسطي الباهوري و اصلهم من الأسر العلوية الشيعية التي نزحت من مدينة واسط في العراق في عصور الاضطهاد التي قلما كان يخلو منها العراق في العهود الاموية و العباسية و ما تلاهما.

و كان لهما سمعة و وجاهة، اولهم كان واليا على (إله آباد) و الثاني على (بتنه) فعزلهما جهان دار شاه، فانضّما الى أخيه فرّخ سير الذي كان مقيما قرب بتنه، فأخذ السادات (و هو اللقب الذي عرف به الاخوان المذكوران) يهيّجان الرأي العام ضد جهان دار شاه و اعدوا جيشا جرارا سرعان ما تقدم نحو العاصمة و اشتبك مع جيش جهان دار شاه و ابنه اعز الدين، و هزماه و بذلك استطاع الشريف حسن أن يصل الى الخيمة الملكية فهرب جهان دار شاه و مع معه امامهما و حقق السادات هذا النصر بجهودهما و اجلسا فروخ سير على العرش سنة (1124 ه- 1712 م)، و كانت مدة ملك جهان دار شاه أقل من سنة واحدة و في سير المتأخرين: انه كان شريرا ضعيفا جبانا جلب العار على جميع طبقات رعيته بفسقه المفضوح الذي لا تورّع فيه و باستسلامه لمحظيته لال كنور و هي راقصة هندوسية.

ص:303

فرخ سير بن عظيم الشان (ت 1131 ه/ 1718 م)

تولى الملك بعد فرار جهان دار شاه، و حكم بين (1125 ه- 1131 ه) بحدود ست سنين و اربعة أشهر. و معنى كلمة فرخ سير هو (محمود السيرة) وصف بأنه كان طيب الأخلاق، و رحب الصدر، يقدّر الناس، و كان يحاول خدمة كل أحد، و اهتمامه به أن يوليه منصبا لائقا و خدمات جيدة، و يبرزه في الأقران، و لكنه لم يكن يملك من السلطة شيئا، و لم يكن محنكا، فقد نشأ و تربى في ولاية البنغال بعيدا عن آبائه و أجداده و في غفلة عن أمور المملكة و شئون الدولة، و كان يفقد الثبات و الاستقامة و الرأي السديد، و يقتدى بآراء غيره، قد أتاه الجدّ و الحظ بالعرش و التاج، و قد كانت الأسرة التيمورية المغولية تمتاز بالبطولة و الشجاعة، أما هو فكان خلوا من ذلك جبانا ضعيفا، و لم يكن يسبر غور الكلام، و لا يتوصل الى فهم غرض المغرض، فأصبح بنفسه من بداية حكمه معول هدم لدولته.

و أخذ فرخ سير في بداية عهده تطهير الحاشية و الانتقام من اعوان الملك السابق و قرب محمد مراد الكشميرى و لقبه (اعتقاد خان) و انعم عليه بلقب ركن الدولة ثم أصبح وزيرا له و حدثت ثورة في دهلي فارسل لقمعها السادات و واقع الحال كان هذا الشريفان هما الحاكمين الحقيقيين، فقد كان فرخ سير مدينا لهما بنصره و كانا قويين فلم يستطع ان يقف أمام أية رغبة عن رغباتهما، فاما الشريف حسن علي خان فقد جعله وزيرا و اعطاه سبعة آلاف لذاته و سبعة آلاف للخيل منصبا رفيعا و لقبه «يار وفادار قطب الملك عبد اللّه خان بهادر ظفر جنك».

و اما صنوه الاصغر الشريف حسين علي خان فقد جعله امير الامراء و كان لقبه (عمدة الملك بخشي الممالك) و هكذا أصبح الحل و العقد بيديهما، و لما ثار الراجبوت سار

ص:304

اليهم الشريف حسين على رأس جيش و تمكن من هزيمتهم و فرّ راجا الراجبوت الى الجبال ثم طلب الصفح و العفو عنه و في هذا الوقت وصل إلى الشريف حسين حكم الدكن، فقبل الملك هذه الشروط و لم يكن بد من قبولها، و في الوقت نفسه ارسل سرا الى داود خان حاكم كجرات أن يتربص في طريق الشريف حسين الى الدكن و يقضي عليه، و لكن كتب على هذه المؤامرة الفشل، و قتل داود خان، و أصبح الشريف حسين سيد الدكن، و أخذ في تقريب السادات و توليتهم المناصب.

و في هذا الوقت قام السيك في الشمال بثورة جامحة، و أخذوا كعادتهم في الإعتداء على المساجد و المقابر، و قتل آلاف من المسلمين و الهندوس دون تفرقة بين الصغير و الكبير، حتى كانوا يبقرون بطون الحوامل، كما أخذوا في تدمير البيوت و إحراقها، و نهب كل ما تصل إليه ايديهم.

و كان على رأس هذه الثورة «بنده» الذي ادعى من قبل أنه «كوبند سنك» و ثار على المسلمين و استطاع الفرار من الحصار في عهد بهادور شاه، فوجه إليهم الملك جيشا بقيادة عبد الصمد خان فتعقبهم حتى حاصرهم في قلعتهم، و أخيرا اضطروا للتسليم سنة 1126 ه- 1714 م فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف، و قبض على ثمانمائة من كبارهم، و على رأسهم قائدهم (بنده) و ساقهم الى العاصمة و سار بهم في الشوارع تشهيرا بهم ثم قتلهم و خلال هذه الاحداث كانت الخلافات بين الملك و السادات تزداد حدة، و أخيرا اتفق السادات على خلعه، فجاء الشريف حسين من الدكن بجيش كبير فلم يحرك الملك ساكنا و استسلم لمصيره المحتوم فحبس أولا ثم قتل. و جاءوا بحفيد شاه عالم بهادور شاه المسمى رفيع الدرجات و اجلسوه على العرش.

رفيع الدرجات (ت 1131 ه/ 1719 م)

هو رفيع الدرجات بن رفيع القدر بن بهادور شاه عالم، كان في السجن حين و اتته الفرصة ليكون ملكا بدءا من اليوم التاسع من ربيع الأول سنة 1131 ه (1719 م)،

ص:305

لكنه لم يهنأ في هذا المنصب الذي ساقه اليه السادات، اذ عاجله مرض السل فقضى عليه بعد اربعة أشهر من توليته.

رفيع الدولة (ت 1131 ه/ 1719 م)

و لما مات، أجلسا مكانه أخاه الأكبر المسمى رفيع الدولة، و خلال فترة جلوسه القصيرة شهدت العاصمة تمردا قاده راجا جي سنك لتولية الامير نيكوسير حفيد شاه عالم مكان رفيع الدولة و سرعان ما قضى السادات على ذلك التمرد، و لم تمضي ثلاثة شهور حتى مات رفيع الدولة بمرض الاسهال.

محمد شاه (ت 1611 ه/ 1748 م)

هو روشن اختر بن جهان شاه بن شاه عالم و يعود فضل اجلاسه على العرش للسادات الذين نادوا به ملكا للبلاد في فتح بور سكري في الخامس عشر من ذي القعدة سنة 1131 ه 1719 م، تحت اسم «أبي المظفر ناصر الدين محمد شاه».

و لكن الاخوين حسن علي و حسين علي كانا المسيطرين على جميع شؤون الدولة، و كان من الطبيعي ان يكثر حسادهما و اعدائهما، و كان من اولئك أحد القادة المعروفين و هو قليج خان قمر الدين السمرقندي المشتهر باسم (نواب نظام الملك آصف خان) (1084- 1161 ه) و هو مؤسس السلالة الملكية التي حكمت حيدر آباد حتى عام 1947، و كان هذا القائد محصورا في (مالوه) بين نفوذ السادات في الشمال و الجنوب حيث كان في الدكن حاكما من قبل الاشراف، فرأى أن يتوجه بضربته أولا للجنوب، و سار بجيشه سريعا الى هناك، و استطاع ان يهزم قوات السادات، و يصبح سيد الدكن بغير منازع، و كان ذلك سنة 1133 ه- 1720 م، و بلغت هذه الأخبار «أكرا» فطار صواب السادات، و قرروا أن يقوموا بعمل سريع لإنقاذ الدكن.

ص:306

و سار الشريف حسين مع الملك الشاب على رأس جيش عظيم نحو الجنوب، و في الطريق دبر الملك مؤامرة، و قضى على خصمه الشريف حسين حيث قتله غيلة في اثناء السفر و على كثير من السادات، و ارتد بالجيش نحو الشمال ليقضى على الشريف عبد اللّه الذي أظهر الجلد و الشجاعة تجاه هذه الأنباء المفجعة، و أخذ واحدا من أبناء الأسرة المالكة و نادى به ملكا بدلا من «ناصر الدين محمد شاه» الملك الثائر عليهم. و تلاقى الجيشان بين دلهي و أكرا و انتهت بالقبض على الشريف حسن علي و ذلك في صفر سنة (1133 ه- 1720 م). و ارتفعت بعد ذلك أسهم نواب نظام الملك فاستوزره الملك سنة (1135 ه- 1722 م) و قد اشتبك هذا مع المراته في حروب عنيفة، و على ايامه هجم مبارز خان على اورنك آباد فاستطاع النظام من ردّه و السيطرة على الوضع لكنه لا هو و لا الملك محمد شاه و لا غيره من القوى الاخرى في الهند استطاعت ان تقف امام الغزو الهمجي لنادر شاه سنة 1151 ه الذي عبر عنه أحسن تعبير الملك محمد شاه بقوله في بيت من الشعر يقول فيه ما تعريبه:

«ان شئوم أعمالنا ظهر في صورة نادر».

غزو نادر شاه‏

ينتمي نادر شاه و اسمه الحقيقى (ندر قلي) الى (القرخلو) و هي أحدى الفروع الصغيرة من قبيلة أفشار التركمانية و كانت قد سكنت في ابيورد بخراسان، و نشأ (ندر قلي) يتيما في حياة بائسة و حين بلغ الثامنة عشرة صار من رجال رئيس قبيلته الاشداء و ازدادت صلته به فتزوج ابنته ثم ترقت اموره بعد ان كلفه محمود السيستاني صاحب خراسان بصد غارات الاوزبك فردهم ثم حلّ محلهم في السلب و النهب بخراسان و اتصل نبأ شقاوته بملك ايران طهماسب الثاني فاستخدمه لضرب محمود السيستاني فنفذ امر الشاه و انتصر عليه و سرعان ما كسب نادر عطف الشاه فلقبه الاخير ب (طهماسب قلي) أي تابع طهماسب و كانت علاقته بالشاه متقلبة و دخل في حروب كثيرة حالفه التوفيق في اكثرها

ص:307

و منها انتصاره على الافغان و دفعه للروس و العثمانيين و حاصر بغداد و هاجم القفقاز و داغستان و انتهى صعوده السريع بعزل الشاه عباس الثالث و اعلان نفسه ملكا لايران في 24 شوال 1148 ه، و قد سعى منذ اليوم الأول لحكمه ان يجعل سلطنة ايران وراثية في اسرته و يقضى على المذهب الشيعي فقد كان على عداوة للصفويين لأن السلطنة ارثهم الشرعي، و يدين رواج المذهب الشيعي لهم بالفضل الا ان الايرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطنا و لهذا كانوا يخفون عداوتهم لنادر لا سيما و قد اتصف بالقسوة و الفظاظة التي فاقت حدّ التصور و من ذلك عادة الاعماء (سمل اعين خصومه) التي اشتهر فيها، فكان اذا غضب على أحد سمل عيونه مثلما فعل بأحد رجاله رضا قلي ميرزا حين أمر بأخراج عينيه من حدقيتهما بالخنجر و اعجب من ذلك انه شعر بالندم بعد ذلك فقتل خمسين من امرائه بحجة انهم لم يشفعوا له يوم الحادثة!

و من جرائمه اقامته منارات من الجماجم في فارس و كرمان و غيرها و بعد غزوه لدهلي صار اكثر شراهة للؤم الطبع و حب المال و الحرص .. بهذه العقلية الاجرامية فكر نادر شاه في غزو الهند و استباحتها، و من اسباب تفكيره بالهند ان بعض الناقمين على ملك الهند محمد شاه كاتبوا نادر شاه يطلبون منه اصلاح الامور في بلاط الهند [باعتبار ان نادر شاه كان مؤمنا مصلى ..!] او هكذا كان يظنه احد علماء الهند الذين كاتبوه و طلبوا منه التحرك لنجدتهم و هو الشيخ ولي اللّه الدهلوي (الذي بلغ من تقديس الشيخ أبو الحسن الندوي له ان جعل منزلته اكبر من منزلة الانبياء و الصالحين)، و لم يكن محمد شاه بالتريه ايضا فقد افتتح امره ببذل الاموال على الناس، و اشتغل باللهو و اللعب، و لكن هذا لا يبرر الاستعانة بسلطة اجنبية من طراز نادر شاه السفاك الأشر و على كل حال فقد جعل هذا ديدنه الوصول الى الهند فارسل السفراء الى دهلي يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات مرة، و منع دخول الافغان الخلجيين مرة اخرى، و كان محمد شاه يتغافل في الرد عليه و قيل ان احد سفراء نادر مكث في دهلي سنة لينتظر ردّ محمد شاه على رسالة نادر!.

و في أوائل عام (1151 ه) أرسل نادر أمرا مؤكدا الى دهلي يطلب عودة السفير بعجلة الى ايران فقد كان غاضبا لعدم ارسال سفيره، و تحرك لفتح غزنة و كابل و ابنه نصر اللّه ميرزا للاستيلاء على شمال افغانستان. و بعد سيطرة نادر على هذه البلاد و اقامة سبعة

ص:308

شهور في كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه في جوابه على رسائله تحرك الى جلال آباد، و تمكن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل في رمضان سهول البنجاب، و كان أن بلغه في بيشاور خبر مقتل أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة بيد لزكي داغستان، فسير نادر اصلان خان قر خلو مكانه و صفى خان البغايرى لقيادة داغستان و تقدم هو الى دهلي.

معركة كرنال:

بعد عبور السند و فتح لاهور راسل نادر محمد شاه و ذكره بالاصل المشترك لأسرة أفشار و اسرة بابر و لامه على تعطيل سفرائه و قال (ان سفره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالشاه الى هذا التصرف).

و في (سرهند) سمع نادر أن محمد شاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل و ألفى عربة مدفع من دهلي و أتى (كرنال) الواقعة على ساحل نهر جمنا و على بعد عشرين فرسخا شمال دهلي و كان ذلك في الخامس عشر من ذي القعدة سنة 1151 ه.

و كان تصريف امور محمد شاه في هذه الأيام بيد ثلاثة أولهم نواب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذي لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بينه و بين الشاه و كان حليفا لنادر في الخفاء بعقيدة البعض، و ثانيهم خان دوران صمصام الدولة أمير الأمراء و القائد العام لجيش محمد شاه و الثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر المملكة الأعظم و لم يكن احد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر و يسعى كل منهم لتحطيم الآخر في السر. و استطاع نادر بسهولة في منتصف ذى القعدة أن يوقع بجنود محمد شاه الذين لا حصر لهم في سهول كرنال مستعينا بقوة حاملى البنادق الماهرين في جيشه، و قتل خان دوران و أخوه، و ذكر ان عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفا بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين و أربعين و جرحاه مائتين و كان أغلب أسباب هذا الأمر أن الهنود كانوا يحاربون بالأقواس و السهام بينما كان الايرانيون يقاتلون بالبنادق.

بعد هذا الفتح الكبير قدم نظام الملك الى معسكر نادر معتذرا و قرر أن لا يتعرض نادر الى روح محمد شاه و أمواله و حريمه و يسرّح محمد شاه جيشه و أن يأتي الى مقر نادر بألف‏

ص:309

من أتباعه، و بعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلي و يمكث أربعين يوما ضيفا على محمد، و بعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند الى محمد شاه و يعود الى ايران.

و في دخول محمد شاه خيمة نادر أرسل نصر اللّه ميرزا لاستقباله و أتى هو أيضا ليلاقيه و أجلسه على مسنده و أدى شروط الاحترام و الاستقبال بما يليق!.

و تحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرنال الى دهلي فدخلها في التاسع من ذي الحجة (1151 ه) و استقبله محمد شاه بعد أن سبقه الى دهلي لاستقباله باجلال عظيم.

و ترك نادر في مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه، و نثر محمد شاه جميع نفائس أجداده و خزائنهم احتفاء مقدم ملك ايران.

و لم يصدر عن أي هندي حركة عداء لمدة ثلاثة ايام من دخول جنود نادر دهلي بسبب الأحكام القاسية التي أصدرها الا أنه في الحادي عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالي المدينة و بضعة جنود من جيش نادر، و سرت في الأهالي شائعة أن محمد شاه دس السم لنادر في طعامه، فدفع انتشار هذا الخبر أهالي دهلي الى الثورة و قتل فيها جمع من جنود نادر.

و في صباح اليوم التالي لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم و لم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمر بقتل عامة أهل دهلي فشغل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضى هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحترق القسم الأهم من المدينة و قتل نحو عشرين ألفا و ذكر بعض المؤرخين أن القتلى من الهنديين بلغ مائة ألف و نيفا .. و في النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعة محمد شاه و نظام الملك و قمر الدين خان و عفا عن بقية الشعب.

و بعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر أحدى حفيدات اورنكزيب بنصر اللّه ميرزا و امر محمد شاه بأن بخطب لنادر في جميع بلاده و تسكّ باسمه العملة و أن يقدم الأمراء و الأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجواهر و النقد فأطاعوا طوعا أو كرها فنال نادرا من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين و نصف مليون. و قدّرت قيمة النفائس التي غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية الى سبعة و ثمانين مليونا و نصف مليون و كان من‏

ص:310

ضمنها (تخت الطاووس) و الألماسة المعروفة (كوه نور) و أنعم نادر على كافة قواد جيشه و أمراء الهند بهدايا لائقة و تجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات (و ان كان استعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك) و وضع بيده تاج السلطنة على رأس محمد شاه، و أخلى محمد شاه البلاد في غرب السند و هي غزنه و كابل و قسم من البنجاب لنادر، و تحرك ملك ايران في السابع من صفر (1152 ه) من دهلي الى السند و قد مكث بها سبعة و خمسين يوما. كانت من اشأم الايام على الهند. اذ نزلت هذه الفاجعة بأهل الهند نزول الصاعقة فأذهلت النفوس و يصور تلك الفاجعة مؤلف كتاب تاريخ هندوستان 9/ 272 بقوله:

لقد كانت المدينة (دهلي) بعد رجوع نادر شاه مليئة بالجثث و الأشلاء فارغة من الأحياء، و كانت البيوت خرابا مهدمة يخيم عليها السكوت المهيب، و كانت الأحياء و الحارات بأسرها محرقة تحولت إلى رماد، و كانت العفونة الصاعدة من الجثث و الرياح الكريهة المنتنة تكاد تشق الدماغ و تفطره، و لم يكن هناك من يكفن أحدا، أو يدفن في القبر أحدا، و قد اختلطت جثث المسلمين و الهندوس، و احترقت في ركام الى رماد، هذا حال المدينة، أما حال البلاد، فكان يغط في النوم أياما فلما هبّ من نومه، كانت القذارة تغطى عينيه حتى يتقزز من النظر اليه، و لم يكن في الخزانة فلس واحد، و لا يعرف أين الخراج و المحاصيل، و كان الجيش محطما منهوكا هالكا، و علاوة على كل ذلك كان الخوف من المرهتة لا يزال مسيطرا، و قد خربت تلك الولايات التي كانوا استولوا عليها، و رغم كل هذه المصائب و المحن كان النزاع قائما بين أهل البلاط و الحاشية، فكان فريق من الأمراء التورانيين الذين كان على رأسهم آصف جاه و قمر الدين خان الوزير، و فريق آخر للأمراء الآخرين الذين كانوا يحاولون عزلهم و إبعادهم عن البلاط، و كان الملك أيضا يعد منهم، و لو لم تقع قضية المرهتة و لم تواجههم مشكلتهم لكان هؤلاء الأمراء قد توزعوا المملكة فيما بينهم من زمان، و تركوا الأسرة التيمورية اسما بلا رسم.

و لما رجع نادر شاه من الهند كان من أولى نتائج رجوعه أن انفصلت ثلاث ولايات مخصبة، بنغاله، بهار، واريسه، من حكومة دلهي، و قامت فيها حكومة مستقلة لعلى وردى خان و في (روهيل كند) بالقرب من دهلي قام الافغانيون بمأساة فضيعة حين اعلنوا

ص:311

عصيانهم و أخذوا يعتدون على القرى و الضياع فينهبون و يسلبون، ثم أنهم اثاروا الفلاحين ثورة دموية عرفت باسم ثورة (الجات) أي الفلاحين و شهد عهد محمد شاه بعد غزو نادر شاه تمرد افغاني اكثر خطورة من اقربائهم في (روهيل كند) فقد قام احمد الابدالي زعيم القبيلة السدوزية، و هي أقوى القبائل الأبدالية، و استولى، سنة 1747، على قندهار و ما يليها من البلاد الايرانية و أعلن إمارته عليها و تلقب ب «أحمد شاه» ثم إنه اهتبل غفلة جارتيه، إيران و الهند، فاستولى على لاهور. هنالك استيقظ محمد شاه من غفلته و عزم على السير لقتاله، و لكنه، بسبب مرضه، لم يستطع تولي قيادة الجيش بنفسه، فعهد بالقيادة الى ابنه الأمير أحمد والى القائد فخر الدين خان، و التقى الفريقان في سرهند، فدارت الدائرة على أحمد شاه أبدالي و حزبه، و ارغم على طلب الصلح، فأجيب الى طلبه شريطة أن يأتي بنفسه الى الأمير أحمد يقدم خضوعه. و بدهي ألا يقبل أحمد شاه مثل هذا الشرط، فاستؤنفت الحرب و كتب النصر للجيش الهندي، و فرّ الأفغانيون من الميدان، و قد اراد الأمير احمد مطاردتهم و لكن صفدر جنك الذي تولى القيادة بعد قمر الدين، الذي قتل في المعركة، لم يسمح للأمير بالتقدم إلى ما وراء حدود البنجاب فتوقف. ثم إن السلطان محمد شاه أمر ابنه بالعودة إلى دهلي و عين «معين الملك» واليا على البنجاب و أمره بمطاردة الأفغانيين، و لم تمض أيام على رجوع الأمير الى العاصمة حتى توفي السلطان في 26 ربيع الآخر 1161 ه/ الموافق لا بريل عام 1748 م و كانت مدة حكمه تسعا و عشرين سنة و ستة أشهر، فخلفه هو و تلقب ب «مجاهد الدين»، و قد جاء الملك في وقت لا يصلح أمثاله لمثله لأنه كان سفيها خليعا لا يخرج من جناح الحرم إلا مرة في الأسبوع، و كانت أمور الدولة بين يدي أمه و خصي اسمه «جاويد».

ص:312

أحمد شاه مجاهد الدين (1138- 1167 ه/ 1725- 1754 م)

أحمد شاه بهادر مجاهد الدين أبو نصر ابن محمد شاه حكم بعد أبيه ست سنين و بضعة اشهر، و كان ضعيفا خليعا كما تقدم فلم يكن له من السلطة الا اسمها و العمل للمحيطين به من الوزراء و الحاشية، و لم تكن البلاد كما كانت بعد ان جاس نادر شاه خرابا بها و سلب خزائنها و كان من آثار ذلك الغزو ان انكمشت سلطنة دهلي على عهد مجاهد الدين الى امارة صغيرة ضعيفة مما زاد من اطماع المراتيه و السيك حتى سيطروا على الدكن و البنجاب و دخلوا العاصمة، و اثار هذا شهية احمد شاه الابدالي الذي كان مسيطرا على لاهور فاعدّ العدة لاجتياح الهند، و في هذا الوقت ازدادت حدة الخلاف بين اكبر رجال الدولة و هم صفدر جنك الحاكم الفعلي و الذي طرد المراتيه من دهلي و اراد السيطرة على العرش فتحداه عماد الملك غازي الدين حفيد نظام الملك آصف خان و اجبره على الرجوع الى اوده التي كانت شبه مستقلة و كان هو و اليها و فيها مات بعد قليل، و خلفه ابنه شجاع الدولة.

ثم نشأ خلاف بين عماد الملك بين السلطان نفسه انتهى بقبض عماد الملك على السلطان و ابنه وفقأ عينيهما سنة 1167، و اجلس مكانه على العرش عالم كير الثاني سنة 1167 ه- 1754 م.

توفي احمد شاه مجاهد الدين عام 1189 ه (1775).

ص:313

عالم كير الثاني عزيز الدين (1099- 1172 ه/ ....- 1759 م)

هو عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه تولى الملك و له سبع و ستون سنة و لقبوه بعالم كير الثاني و صار الحل و العقد بيد عماد الملك و كان عماد الملك صاحب همة و لكنه كان قليل التجارب لأنه كان شابا، و لذا فإن أعماله لم تكن قائمة على خبرة و واقعية بل على طموح و حماس، و الملك لا يساس بالعواطف وحدها بل لا بد له من التجارب و الحكمة و السداد، و لعل عماد الملك أراد أن يدعم مركزه بحرب خاطفة ثم يعود إلى الاصلاح الداخلي، و لذا فإنه عزم على استرجاع بلاد البنجاب من يدي أحمد شاه أبدالي، الذي كان يسيطر عليها، لضعف و عجز و اليها.

و لكنه لم ينشأ عداوة سافرة بينه و بين أحمد شاه، بل لجأ الى الحيلة و ذلك أن بنت معين الملك كانت مخطوبة إليه من قبل، فذهب إلى لاهور سنة 1757 فجأة، و بعد أن ضم إليه زوجته نصب أحد رجال حاشيته «آدينة بك» واليا على البنجاب، متجاهلا بذلك وجود الوالي الذي نصبه أحمد شاه، فلما سمع أحمد شاه بهذا التحدي غضب و زحف إلى لاهور، فخاف عماد الملك العواقب و طلب العفو و الصلح من أحمد شاه، و لكن هذا لم يشأ أن تفوته هذه الفرصة فاستمر في سيره حتى دخل دهلي سنة 1758 و استباحها و ارتكب فيها أفظع الآثام و الجرائم حتى جعل كثيرا من أصحاب المروء و الشرف ينتحرون إذا ما عجزوا عن الفرار بكرامتهم من وجهه. بيد أن عماد الملك لم يبال بما حدث بل استطاع أن يستثمر هذه الفاجعة، التي نزلت ببلاده، لصالحه الشخصي، إذ أنه أقنع أحمد شاه بلزوم مقاتلة أمير أوده، شجاع الدولة، فرضي أحمد شاه بذلك و وضع تحت أمرة عماد الملك جيشا أفغانيا لهذه الغاية، و لم تكن لأحمد شاه أية مصلحة في هذا العمل بل كانت مصلحته تقضي ببقاء شجاع الدولة قويا ليظل منافسا لدهلي، و لكن‏

ص:314

عماد الملك خدعه فانخدع و أدرك خطأه بعد فوات الوقت.

أما عماد الملك فقد ذهب الى أوده و أرغم خصمه شجاع الدولة، و جبى من بلاده أموالا طائلة برسم الخراج، فدعم بذلك مركزه. فلما أدرك أحمد شاه ما كان ينطوي عليه عماد الملك من حيلة و دهاء، خشي أن ينقلب عليه متى رجع الى دهلي لا سيما بعد أن لمس عجز السلطان و ضعفه، و لذا فإنه حينما أراد مغادرة دهلي، رأى من اللازم مراقبة أعمال الملك فنصب أحد أمراء الأفغان «نجيب خان» قائدا أعلى لدى السلطان عالمكير، لهذه الغاية.

فلما بلغ هذا الخبر عماد الملك حالف المرهتهيين على أحمد شاه و جاء دهلي بجيش كبير، فخافه نجيب خان و ترك دهلي و فرّ، فدخلها عماد الملك و استلم السلطة بقوة و حزم، و قد ساء ظنه بعد قليل بالسلطان عالمكير، فاخذه و قتله سنة 1172 ه بتهمة التآمر مع أحمد شاه، و لم ينصب مكانه أحد، و أصبحت بلاد الهند كلها فوضى، بحيث نستطيع القول بأن السلطة في الهند لكها لم تكن، آنذاك، لأحد من الناس بل كانت لمن غلب.

ص:315

محي السنة بن كام بخش (.....- 1172 ه/ 1758 م)

هو محي السنة بن كام بخش بن عالم كير الثاني، أجلسه على العرش عماد الملك، و لقبه (شاه جهان الثاني) و اصبح اسم السلطة له مدة قصيرة جدا، اذ لم يكد عماد الملك يفرغ من تعيين هذا السلطان حتى كان الابدالي قد وصل الى شمال الهند لطرد المراتيه من لاهور و كان عماد الملك هو المحرض للمراتيه ضد الافغان بعد ان عجز عن تحريض الملك ضدهم ايضا و هذا ما اثار حنق احمد الابدالي ضد عماد الملك فصمم الابدالي على التخلص منه نهائيا، ذلك ان الابدالي حينما غادر دهلي قاصدا افغانستان بطريق البنجاب خلف ابنه تيمور شاه واليا على لاهور، و لكن آدينه بيك، والي البنجاب من قبل عماد الملك، كان لا يزال يسيطر على شرق البنجاب و المناطق الجبلية و يحرض السيك على قتال الأفغانيين، ثم إنه لما رأى عجزه عن طرد تيمور شاه من لاهور، استنجد بالمرهتهيين، فأنجدوه بجيش كبير، فخاف تيمور شاه و فرّ من لاهور فدخلها آدينه بيك، و قنع المرهتهيون منه بخراج يؤديه اليهم جزاء مساعدتهم إياه. ثم لما توفي آدينه بيك سنة 1759 أعطى المرهتهيون أرملته منطقة «جلندهر» إقطاعا، و نصبوا على لاهور واليا من قبلهم، إذ لم يكن من يدعي السيطرة عليها أو من يستطيع أن يؤيد حقه فيها.

و حدثت اضطرابات في البنجاب فجاء أحمد أبدالي لقمعها، فترك المرهتهيون لاهور و فروا، فطاردهم حتى التقى بهم عند سرهند فهزمهم، فارتدوا إلى الوراء ينظمون صفوفهم، فلحق بهم و أوقع بهم شر هزيمة بالقرب من دهلي، ثم استولى على دهلي، إذ لم يكن فيها من يدافع عنها، و ذلك لأن عماد الملك غادرها، بعد أن سمع بهزائم حلفائه المرهتهيين، ملتجئا إلى إمارة بهرتبور، و هي الإمارة التي أنشأها الفلاحون- جات (الزط)- كما أن الأمير «عالي كهر» ابن السلطان عالمكير الثاني، و الذي كان من حقه أن‏

ص:316

يكون سلطانا على البلاد بعد مقتل أبيه، و الذي أصبح فيما بعد سلطانا باسم «شاه عالم الثاني» كان قد فرّ من البلاد، من قبل، خوفا من عماد الملك، و ذهب الى البنغال و أخذ يعمل لإقامة إمارة له فيها.

و هكذا فقد كان الجو خاليا في دهلي، و كانت بحاجة الى من يستولي عليها لكي يكفل الأمن فيها و يحميها من اللصوص و العيارين. و بعد أن أقام أحمد شاه فترة قصيرة في دهلي، خلف فيها حامية و ذهب الى سهول ما بين نهري جمنا و الغنج ينظم صفوفه للاستعداد للمعركة الحاسمة، و قد استطاع أن يستميل شجاع الدولة (ملك اود) اليه لقتال المرهتهيين الذين أخذوا يجمعون جموعا كبيرة لخوض معركة تقرير المصير، و قد استنجدوا بإخوانهم و حلفائهم في دكن، و كان جيش نظام الملك جيشا عظيما فامدهم بجنود كثيرة بلغ تعدادهم ثلثمائة الف مقاتل، تسندهم مدفعية قوية كان على رأسها ابراهيم خان كاوري المسلم الذي تعلم فنون المدفعية الحديثة من الفرنسيين في الدكن و كانت فرقة المدفعية تتكون من 12 الف رجل و 200 مدفع و على رأس الجيش كله القائد المراتي (سدى شيوكو) المعروف باسم (بهاو)، فتحرك هذا الجيش للقضاء على الابدالي و الذي كان جيشه متواضعا بالنسبة الى جيش عدوه اذ كان يتألف من اربعين الف مقاتل و 40 مدفعا و وصل المراتيه الى دهلي من غير أن يلقوا مقاومة تذكر لأن الأفغانيين لم يستطيعوا ان يدافعوا عن البلد أكثر من بضعة أيام فانسحبوا منه، و بعد أن ارتاح الجيش الهندوكي أياما في دهلي سار للقاء الأفغانيين و عسكر في سهل باني بت، و هناك وقعت المعركة الحاسمة بين الأفغانيين و حلفائهم الروهيليين، من جهة، و بين المرهتهيين و حلفائهم الدكنيين، من جهة ثانية و ذلك سنة 1174 ه- 1760 م و على الرغم من أن الروهيليين لم يشتركوا في القتال، و من أن الجيش المرهتهي كان يزيد كثيرا على الجيش الافغاني، فقد كتب النصر في هذه المعركة للأفغانيين على أعدائهم، و انهزم المرهتهيون شر هزيمة حتى ليقال أن عدد قتلاهم بلغ مئتي ألف جندي. و لاذ الباقون بالفرار. و بهذه الموقعة الفاصلة و مع ازدياد النفوذ الانكليزي فيما بعد تحمطت آمال المراتيه في النصر و السعي لنيل السلطة المركزية في جميع انحاء السلطنة المغولية التي آذنت شمسها بالغروب.

ص:317

شاه عالم الثاني (....- 1221 ه/ ....- 1806)

هو عالي كوهر بن عزيز الدين بن معز الدين جهان دار شاه، نادى به احمد الابدالي سلطانا على الهند و ذلك بعد مقتل سلفه و لكن (شاه عالم الثاني) كان في البنغال فأقام الابدالي مكانه ابنه «جوان بخت» فلما سمع بذلك قدم دهلي و جلس على سرير الملك و لقب نفسه (شاه عالم) الثاني و كان ذلك بمساعدة النواب شجاع الدولة صاحب أوده فاستوزره.

و كانت توليته الملك عام 1173 ه الموافق لعام 1759 م و لكن عودته من البنغال استغرقت وقتا طويلا و كان هذا الملك أديبا شاعرا يتلقب في شعره ب (آفتاب) لكن عهده الذي امتد الى 47 عاما اتصف بالانحطاط السياسي، و قد كانت البلاد كلها قبل عهد الشاه عالم الثاني بزمن، تحت رحمة السيخ و المرهتة، و كانت مناطق دلهي و آكره و راجبوتانه تحت رحمة الزط (الكاوليه)، الذين كانوا يعيثون فيها فسادا، و يخرجون كالطوفان و يهلكون الحرث و النسل، و لم تكن في البلاد قوة تملك أن تبسط الأمن و تفرض القانون، و قد حفظ أحمد شاه الأبدالي هذه البلاد من خطر المرهتة بعد أن هزمهم في ساحة بانى بت- كما تقدم- و حين توفي أحمد الابدالي سنة (1187- 1773 م) و لم تستعيد السلطنة و مقرها في دهلي تلك المكانة التي كانت تتمتع بها بل كانت امارة من الامارات الهندية الكثيرة التي انبعثت عن انحلال و تفكك عرى الامبراطورية المغولية، و قد عادت قوة المراتيه الى الظهور من جديد حتى ان شاه عالم الثاني نفسه استنجد بهم سنة 1771 لاخضاع ولاياته الشرقية ففسح أمامهم المجال للتدخل في شؤونه و السيطرة على بلاطه، و في سنة 1784 أصدر السلطان براءة تنص على جعل وزراء الامارة المراتيه الذين كانوا يطلقون عليه اسم «بيشوا» نائبا عنه في الهند كلها، و هي برائة لها مغزاها المعنوي، و ان لم يكن لها أي اثر فعال في الحق العملي، و نظرا لعدم تمتعه‏

ص:318

بالاستقلالية التامة فقد اختارت القوة المناهضة له منافسين له من اقربائه و نادت بهما، امبراطورين و هما شاه جهان الثالث سنة 1759، و بيدار بخت سنة 1788، على أن الحدث الأبرز في حياة هذا الرجل هو تدخله في شؤون البنغال بعد أن اصبحت مسرحا للنفوذ الانكليزي، و قد كان يحدوه الامل في استعادة شئ من هيبة السلطنة هناك و لكن فشله هناك افقده ما بقي لديه من هيبة حتى مقر حكمه بدهلي و انتهى الامر بالدسائس الانكليزيه أن صيّرته موظفا يتقاضى معاشا منهم، و نظرا لأهمية احداث البنغال و كونه الباب الذي دخل منهم الانجليز لاستعمار الهند نلقي هذه النظرة العاجلة. اذ استفرد الانكليز باحتكار التجارة في البنغال بعد غياب منافسيهم الهولنديين و الفرنسيين نظرا لانشغالهم بالحروب الاوربية، ثم قويت شوكتهم و اخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للبنغال مما اثار حفيظة الامير سراج الدولة فسار الى مركز الشركة الانجليزية بكلكته سنة 1756 بجيش كبير و اشتبك مع الحامية الانكليزية و قبض على مئة و سبعين انكليزيا اتى بها الى مرشد آباد عاصمة البنغال و كان لهذا الحدث صدى واسع في انكلترا و اجمع الانكليز امرهم على الثأر و البدء بتنفيذ مخططهم لاحتلال البنغال فهاجموا مرشد آباد و هزموا حاميتها الا ان امير مرشد آباد لم يستسلم فدرس الانكليز امر القضاء عليه مع الحاقدين على الامير من حاشيته لا سيما قريبه مير جعفر خان الذي شجعهم على اقتحام مركز الامارة فتوجه الانجليز اليه و لما اشتبك الجيشان فرّ اكثر انصار سراج الدولة و بقي يقاتل في فئة قليلة حتى انه استطاع ان يكسب المعركة اولا و لكن بعد قتل رئيس الحرس عنده تفرق انصاره و قبض الانكليز على الامير سراج الدولة ثم امروا بتقطيعه اربا اربا و هي حي، و هذه الواقعة كانت بمكان يعرف ب (بلاسي).

و قام الانجليز بتولية مير جعفر خان اميرا للبنغال، و استخدموا لقتل منافسيهم الآخرين في البنغال و جعلوا منه بقرة حلوب ترفدهم بالاموال و الغنائم حتى ليقال ان عطاياه لهم بلغت مليونين و نصف مليون روبية من الذهب، كما تنازل لهم عن مناطق ثم بدا للانكليز عزل مير جعفر خان و نصبوا مكانه مير محمد قاسم بعد ان انتزعوا من الاخير اعترافا بالتنازل عن ثلاث مناطق من البنغال لتكون اقطاعا للشركة تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش من الهنود لحمايتهم. و زادت الطلبات على مير محمد قاسم حتى ضاق ذرعا بتلبيتها و استحال عليه ارضائهم.

ص:319

و في هذه الفترة جاء السلطان شاه عالم إلى البنغال و أراد أن يظهر بمظهر السيد صاحب الأمر و النهي، كما أسلفنا، فلم يأبه له كارنك، و توترت العلاقات بين الجانبين، فأعلن كارنك الحرب على السلطان باسم مير محمد قاسم، و هو فرد من أفراد رعية السلطان، و لم يعلن عصيانه عليه، و قد حارب كارنك السلطان بهنود و انتصر عليه و ألقى القبض على قائده الافرنسي و أرغم السلطان على منح الانكليز حق الاشراف على مالية البنغال. و كان بتصرفات السلطان هذه إحراج ل «مير محمد قاسم» لأنه لم يعد يستطيع أن يقف في وجه الأطماع الانكليزية ما داموا قادرين على أن يأخذوا من السلطان ما لا يعطيهم هو إياه.

و على الرغم من أنه لم يكن للسلطان شئ من الأمر أو النهي في البلاد، إلا أنه كان رمزا، و رأى الانكليز أن مصلحتهم تقضي بأن يتخذوه درعا و أن يولوه كل أهمية لينتزعوا منه كل شئ، و لما لم يعودوا بحاجة إلى مير محمد قاسم ما دام لديهم جيش و ما داموا يتصرفون بمالية البنغال، فقد افتعلوا أسبابا للنزاع معه و قاتلوه ثلاث مرات متواليات و دحروه، و لكنه لم يجبن و لم يستسلم و كان قادرا على الاستمرار في المقاومة لو لم يخنه قائده «ميرزا نجف خان» و ينضم إلى الانكليز و يطلعهم على عورات البلاد، إذ أخذهم الى مكان مرتفع يجعل مير محمد قاسم تحت رحمة مدفعيتهم، فقصفوه ليلا قصفا ذريعا حتى شتتوا شمله ففرّ ملتجئا الى أمير اوده، شجاع الدولة، فانتصر له كما انتصر له السلطان نفسه. أما الانكليز فإنهم عادوا من جديد و نصبوا، إثر فرار مير محمد قاسم، أي سنة 1763، مير جعفر خان واليا على البنغال، فلما مات، سنة 1765، نصبوا ابنه نجم الدولة مكانه و جعلوه هيكلا لا صلاحية له حتى مات.

أما مير محمد قاسم فإنه لم يكن أسعد حظا عند شجاع الدولة منه عند الإنكليز، إذ أن شجاع الدولة، بعد أن وعده النجدة و النصرة، عاد و نكث العهد و خان الود و سجنه عنده و استولى على جيشه و أخذ يعمل ليضم جزءا من بلاد البنغال إلى أوده، و لكن الإنكليز الذين كانوا يطمعون مثله بإرث مير محمد قاسم لم يتركوه يستأثر به بل عملوا حتى استمالوا إليهم السلطان شاه عالم و حالفوه على قتال شجاع الدولة، و اشتبكوا معه سنة 1764 بمعركة في مكان يعرف باسم «بكسر» فهزموه ثم صالحوه على غرامة يؤديها

ص:320

[[36]](#footnote-36)

**12280 الشيعه فى العصر المغولى ؛ ص320**

لهم و على أن يتنازل لحليفهم السلطان عن مدن كانبور و اله آباد و فتحبور و ملحقاتها.

و خرج الانكليز من هذه الصفقة بحصة الأسد، إذ انهم عقدوا سنة 1765، مع السلطان معاهدة تعرف باسم معاهدة اله آباد، تنص على إعطائهم حق الاشراف المالي على الولايات الشرقية و على ولاية كرناتك في الجنوب الهندي، و تنازل لهم عن منطقتي «مدنابور» و «بردوان» و غيرهما من المناطق التي كانوا يدعون ملكيتها الخاصة بداعي أنها قدمت هدية شخصية إليهم من قبل أمير أوده، و تعهد الانكليز لقاء ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجا سنويا عن الولايات الشرقية: بهار و أريه و البنغال، قدره مليونان و ستمائة ألف روبية.

و إعطاء السلطان الانكليز حق الإشراف المالي لا يعني أكثر من مفهومه اللغوي، أي أن تقوم لجنة مالية من خبراء الانكليز بالإشراف على مالية البلاد لتدفع عنها العجز، و لكن المفهوم الحقيقي في ذهن السلطان و في ذهن الانكليز معا كان في الواقع بيع هذه البلاد بيعا باتا لهذه الشركة التي اصبحت دولة قائمة برأسها لها جيشها و ادارتها و منظماتها، و كان السلطان مغلوبا على امره.

و في سنة 1765 وقع معاهد خول بمقتضاها شركة الهند الشرقية، حق ديواني، أي مراقبة إيرادات البنغال و بهار و أوريسا، على أن الشركة لم تقبل الواجبات و المسئوليات التي ألفتها المعاهدة على عاتقها إلا بعد سبع سنوات. و أراد شاه عالم أن ييسر أمر عودته إلى دهلي و ألقى نفسه في احضان المراته و تنازل لهم عن ناحيتي إله آباد و كره اللتين خصصتا له ضمانا لمعاشه، و فقد بهذا الحلف صداقة الشركة و الخراج أو الراتب الذي كانت قد خصصته له و قدره 000، 600، 2 روبية. و عاد شاه عالم من إله آباد الى دهلي سنة 1771 م بعد عشر سنوات و قد فات الأوان و واجه فتنا جديدة، صراعا بين الأمراء و تحايلهم و تنازعهم، و قوة «روهيله» الجديدة، و حملات السيخ، و أخيرا استولى غلام قادر روهيله حفيد نجيب الدولة على دهلي عام 1788 م و نهب القصر الملكي و امر بضرب الأميرات بالسياط، و أخرج عينى الملك المغولي و وارث العرش التيموري بضربة الخنجر، و لم يكن قد سبق أن عومل وارث العرش المغولي بهذه المهانة و الفضيحة و العار.

ص:321

و قتل مهارجي سندهيه غلام قادر عام 1789 م بقسوة فظيعة، و أجلس شاه عالم على العرش مرة ثانية، و عين تسعمائة ألف روبية سنويا لمصروفاته، و دخل عام 1803 م اللورد ليك بجيشه الانكليزى في دلهي بعد حروب عديدة، و أجلى المرهتة، و قرر للملك المتقاعد راتب مائة ألف روبية سنويا. و لقى شاه عالم أجله عام (1221 ه/ 1806 م) قضى منها 18 عاما في العمى.

أكبر شاه بن شاه عالم (...- 1254 ه/ ...- 1837 م)

حين مات شاه عالم تولى بعده ولده اكبر شاه و منذ عام 1806 و رتب له الانكليز راتبا مقداره خمسمائة و ستا و سبعين الفا من الروبيات، ثم جعلوها مائة الف.

و بالرغم من الوجود الرمزي لهذا السلطان فقد كان هذا مما يورق المحتلين الانكليز، و على عهد الحاكم الانكليزي مركيز هيستنكز بعد عام 1813 م اراد هذا الحاكم الحدّ من تأثير السمعة التي يتمتع بها السلطان اكبر شاه و الحب الذي يتمتع به من مواطنيه فاوعز الى كل من امير حيدر آباد و امير أوده بان يتلقبا بلقب سلطان، فرفضا، ثم أن هيستنكز لم يستطع أن يمضى في خطته لتشويه سمعة السلطان لا نقضاء مدته عام 1823 و جاء من بعده ايمرست‏tsremmE ثم وليم بنتنك‏kcnitneB ثم اللورد اولكندdnolkcO عاصر اكبر شاه كل هؤلاء و قد شغلوا جميعهم باخضاع بقية انحاء الهند و بدأوا يتصرفون و كأنهم اصبحوا سادة الهند، مع ان دهلي كانت في يد السلطان و ما زالت الهند تدين له بالطاعة الاسمية و مع ان الشركة كانت تعتبر نفسها (من الناحية الشكلية) تعتبر نفسها وكيلة تعمل لصالح دهلي الذي كانت النقود تصّك باسمه حتى عام 1835 أي قبل وفاة اكبر شاه بن شاه عالم حتى سنة (1254 ه- 1837 م) و على عهد ولده السلطان بهادور شاه الثاني نفذت خططهم بنفي الملك و القضاء نهائيا على اسم السلطنة المغولية (كما سيأتي).

ص:322

محمد بهادر شاه ظفر (1190- 1279 ه/ 1773- 1862 م)

هو ابو المظفر سراج الدين محمد بهادر شاه الملقب ب (ظفر).

ثاني أبناء محمد اكبر شاه الثاني (ت 1253 ه- 1837 م) ابن شاه عالم الثاني (ت 1221 ه 1806 م) ابن عالم كير الثاني بن جهان دار بن شاه عالم بهادر شاه بن اورنك زيب بن شاه جهان ..

تولى الملك بعد وفاة والده محمد اكبر الثاني في 17 سبتمير 1837 م و هو آخر ملوك الدولة المغولية في الهند، و كان عمره حين تولى العرش ستين سنة، و كان هذا الرجل من حكماء عصره، هادئا رزينا متدينا شاعرا اديبا خطاطا، لكن جاء في زمان لا يقدر النبوغ أو العبقرية بل السيادة للقوة و التعنت و البطش الانجليزي الذي بلغ في زمانه حدا كبيرا جدا و لم يكن الرجل مبسوط اليد لأن شركة الهند الانجليزية هي التي كانت تدبّر امور الهند بما فيها نفقات هذا الملك الصوري الذي كان حكمه لا يتجاوز القلعة الحمراء التي كان يحكمها لكنه بالرغم من ذلك كان حبه يعتمر في قلوب و أفئدة الهنديين من مسلمين أو هنادك لما كانوا يعتبرونه رمزا وطنيا سياديا مقدسا، و كان الرجل يتصرف كملك في كل حركاته و سكناته و يبادل شعبه حبا بحب و لا يعطي الدنيّة من نفسه و لم يهادن الانجليز مطلقا، و لم يعد الحاكم الانجليزي يومذاك اللورد كايننك‏gninneK يطيق وجوده و في الوقت الذي بلغ كره الناس للانجليز حدا بعيدا في النفوس اصدر الحاكم المذكور امرا أبلغ بمقتضاه سلطان دهلي، بهادر شاه، و هو البقية الرمزية الباقية من ذكريات الامبراطورية المغولية، بانه يعتبره آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان، من هذه الأسرة، و آخر من يحق له عقد مجالس سلطانية و سكنى القصر السلطاني المعروف باسم «قلعة معلّى».

أو بعبارة اخرى عن جميع الامتيازات التي كان يتمتع بها، على اعتبار أنه سلطان،

ص:323

تنتهي بموته، و أن ولده و إن كان سيعتبر وريث هذه الأسرة و سيعطى رابته المخصص له، إلا أنه سيكون فردا من أفراد الشعب ليس إلا.

و قد نزل هذا الانذار على الهنود نزول الصاعقة لأنهم كانوا يعتبرون السلطان، على ضعفه و عجزه، رمز السلطة الوطنية. و لو نظرنا إلى هذا الأمر بعين مجردة لما رأيناهم على حق فيما ذهبوا إليه، إذ ماذا يفيدهم وجود السلطان في قصر و البلاد كلها قد خرجت من ايديهم؟ و لكن لا حيلة في تفكير العوام.

فلما تجمعت كل هذه الاسباب أصبحت نفوس الناس مضطرمة تنتظر من يشعل فتيلها لتنفجر، و قد هيأ الانكليز أنفسهم أسباب ذلك إذ أنهم أخذوا منذ سنة 1857 يستعملون نوعا من الرصاص له فتيل مغموس بالشحم يجب أن يقطع طرفه بالأسنان قبل استعماله، فشاع في أوساط الجند أن الفتيل مغموس بشحم البقر و الخنزير، بقصد إفساد عقائد الهنادكة، الذين يقدسون البقر و لا يجيزون ذبحها، و عقائد المسلمين الذين لا يأكلون الخنزير.

و إزاء هذه الشائعة امتنع تسعون جنديا، من حامية ميرتها «ميرت» قرب دهلي، عن استعمال هذا الرصاص، فأخذوا و حوكموا، و حكمت عليهم المحكمة بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة، و لإرهاب الجند أتى الانكليز بهؤلاء الجنود و جردوهم من لباسهم العسكري و وضعوا الأغلال في أيديهم على أعين رفاقهم ثم ساقوهم إلى السجن.

فكان لهذا الاستفزاز رد فعل في نفوس الجند، غير ما كان يتوقعه الانكليز، إذ انه لم يرهبهم بل بعث في نفوسهم حب الثأر، و في اليوم الثاني لهذا الحادث أعترضوا ضباطهم الانكليز و هم ذاهبون الى الكنيسة فأخذوهم و قتلوهم على بكرة أبيهم، و انطلقوا الى السجن فاخرجوا من كان فيه من السجناء جميعا و أعلنوا العصيان، و انضم إليهم المدنيون و أخذوا يقتلون الانكليز رجالا و نساء شيوخا و اطفالا، و أشعلوا النار في منازلهم، فكان ذلك إيذانا بنسوب ثورة شملت الهند كلها أفرغ خلالها الهنود مراجل أحقادهم، على الانكليز الذين سلبوهم بلادهم و أموالهم و كرامتهم و عقائدهم، و قد ارتكب الفريقان من الاعمال الوحشية ما لا يليق بإنسان أن يرتكبه مع حيوان أعجم بله إنسان ناطق، و لكن الإنسان كان و لا يزال أشر حيوانات الأرض طرا و أكثرها ضراوة و ضرا إذ ما استفز أو

ص:324

أثير، و القليل من الامور يستفزه و يثيره.

فلما حدث ما حدث في ميرتها فرّ من بقي من الحامية الانكليزية، يستنجدون بدهلي، و لكن أخبار الثورة كانت قد سبقتهم إلى دهلي التي اقتدت بميرتها (ميرت) و نزلت على الانكليز تقتلهم حيثما وجدوا، و طارت الانباء في الهند تحمل البشرى بقرب الخلاص، فثار الجند في كل مكان و انتشرت الثورة في الهند اتشار النار في الهشيم، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون و الهنادك سواءا بسواء، و توجه الثوار الى دهلي مقر الملك المغولي الأخير سراج الدين بهادر شاه، و جعلوه قائدا للثورة و رمزا للوطنية الموحدة و الكفاح الشعبي و نادوا به ملكا للهند شرعيا، و خليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة، و قاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته و باسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الديني و الوطني، و ينظرون إلى دهلي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة و لم يشذ عن ذلك شاذ.

و بالرغم من أن هذه الثورة أو حرب التحرير- كما يصح أن تسمى- كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون و الهنادك جنبا بجنب، و لم تعرف الهند حماسة وطنية و وحدة شعبية قبل هذه، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة و التوجيه، و كان منهم العدد الأكبر و الأهم من القادة و الزعماء.

و حيث ان الثورا نادوا باسم السلطان بهادر شاه و أرادوا أن يقاتلوا تحت رايته أو أن يتخذوه رمزا لثورتهم، على الرغم من عدم رغبته هو نفسه بذلك لقلّة همته و كبر سنه، فقد رأى الانكليز أن يقضوا على رأس الثورة في دهلي ليقضوا على آمال الثوار فيها ثم يتجهوا الى النواحي الثائرة، و هكذا كان و استولى الانكليز من جديد على زمام الامور في دهلي و لكهنو و كانبور و غيرها من المدن الرئيسية التي كانت المقاومة فيها قوية و منظمة، و ظلوا بعد ذلك نحو سنتين و هم يقاتلون الهنود في كل مكان حتى أعادوا فتح الهند من جديد و قضوا على جذور الثورة. و قد رافقت أعمالهم العسكرية أعمال انتقامية وحشية لا نستطيع تبريرها إلا بأنهم كانوا في حالة حرب مع عدو و الحرب لا تعرف قانونا و لا تقيم للاعتبارات الانسانية وزنا، و قد صبوا جام غضبهم على أهل دهلي و لكهنو و مدن كبيرة أخريات أعتبروها مراكز للثورة، و صارو يأخذون الناس بالشبهات فساقوا آلافا من الناس‏

ص:325

الى المحاكم، حكمت عليهم بالموت، بعد أن عذبوهم عذابا أليما.

و لم تكن المحاكم الا وسيلة لتبرير القتل بشكل مشروع لأن الحكام لم يكونوا يعرفون لغة من لغات الهند و المتهمون لا يعرفون الانكليزية ليدفعوا عن أنفسهم التهم، فكان مجرد إلقاء القبض على المرء و سوقه الى المحكمة يعني الحكم عليه بالموت، و كان لا بد لمن دخل المحكمة من أن يساق إلى المشنقة، إلّا من رحم ربك و قليل ما هم.

و قال أحد المؤرخين الانكليز «سألت مرة ضابطا انكليزيا، كان أيام الثورة في معسكر قريب من مدينة بنارس، قائلا: أظن إنكم كنتم تخافون أن يعتدي عليكم أهل بنارس؟

قال: بل كنا نودّ ذلك لكي يتيحوا لنا أن نوقع بهم و ننهب هذا البلد الذي لم ينهب منذ قرنين».

و يقول المؤرخ ذاته: «إن جنودنا لم يكونوا يبالون بارواح العباد و أموالهم و لا يقيمون وزنا للكرامة و الشرف».

و يقول أيضا: «إن ما كانت تذكره البلاغات عن قتل الثوار لم يكن في الواقع يعني غير أولئك الفلاحين المسالمين الذين كانوا يؤخذون من حقولهم و هم عزّل فيقتلون».

و يقول هذا المؤرخ في كتابه «بريطانيا العظمى»: «إن ما ارتكبه جنودنا من ظلم و وحشية و من حرق و تقتيل لا نجد له مثالا في أي عصر و مصر».

و قد أوجز السيد الندوي فضائع الانكليز في هذه الحرب ضمن نقاط استخلصها من المصادر الموثوق بها عن هذه الثورة، و من ذلك، ما كتبه جون لورنس الحاكم الانجليزي في ديسمبر 1857 الى القائد الانجليزي.

1- «اعتقد ان الطريقة التي انتهبنا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستصب علينا السخط العام و ستصب علينا اللعنات الى الأبد و إننا نستحق ذلك»[[37]](#footnote-37).

و قامت سوق القتل و النهب في دهلي على قدم و ساق، و الدماء تسفك، و الرقاب تضرب، و الرصاص يطلق من غير تمييز و البيوت تنهب، و قد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه و أهله و عرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد و عاصمة الهند

ص:326

مقفرة موحشة ليس فيها الا البيوت الخاوية، و الأنقاض المتراكمة و الجثث المتعفنة، أو الجنود المفترسة، و إليك تصوير الحال من قلم قائد قواد الجيوش الانجليزية

)streboR droL(

و قد كان مسافرا بجيشه من دهلي الى كانبور يقمع الثورة، و كان ذلك في اليوم الرابع و العشرين من سبتمبر 1857 م بعد ما استولى الجنود الانجليز على دهلي و تملكوا القلعة الحمراء[[38]](#footnote-38) يقول روبرتس في كتابه «إحدى و أربعون سنة في الهند»:

2- كان المسير من دهلي في نور الصباح الباكر و كان منظرا هائلا، خرجنا من القلعة من بابها الذي يسمى باب لاهور، و مررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد و أكبر أسواقها «جاندني جوك» لقد كانت دهلي في الحقيقة مدينة الأموات ليس بها داع و لا مجيب، فلا صوت إلا صوت سنابك الخيل، و لم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف، لم تكن هنالك الا جثث هامدة مبعثرة هنا و هناك، و قد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة و الموت في أدوار مختلفة من التفكك، و كنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، إن ما رأيناه من المناظر كانت هائلة مفزعة و كانت مؤسفة محزنة، و قد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، و كان عند بعضها نسر يرفرف جناحه و يحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع و الثقل، و قد كان بعض الأموات يتراءون أحياء فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار فبقيت مرفوعة كأنه يشير الى جانب، لقد كان منظرا مهيبا موحشا لا يمكن تصويره، و كأن خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت تجفل و تنتفخ مناخرها، و قد كان المحيط كله مروعا و لا يمكن تصوره، و قد كان تعفن بروائح مضرة تولد الأمراض‏[[39]](#footnote-39).

لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة، و لكن كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الاهانات و الفتك الذريع، لأن كثيرا من الانجليز المسؤولين كانوا يعتقدون أنها ثورة اسلامية، و أن المسلمين هم مصدر الثورة و أصحاب فكرتها و هم الذين تولوا قيادتها، يقول كاتب انجليزي) daeM yrneH (:

ص:327

3- «إن هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تسمى ثورة الجنود لقد انفجرت الثورة منهم و لكن سرعان ما تجلت حقيقتها و ظهر انها ثورة إسلامية».

و لذلك كانوا يخصون المسلمين بالقتل و البطش، يقول مؤرخ معاصر:

4- «قد كان شعار بعض رؤساء الانجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرا و كانوا يسألون الرجل أنت هندوكي او مسلم؟ فاذ قال مسلم قتله بالرصاص»[[40]](#footnote-40).

5- «ان هؤلاء الانجليز كلما رأوا مسلما عليه مسحة من جمال أو له جسم قوى اقتنصوه و شفوا قلوبهم بقتله، و قد قتل عدد كبير من الوجهاء و الأشراف و أصحاب البيوتات الذين بقوا في البلد، كانوا يقتلون الأبناء الشبان أمام آبائهم الشيوخ، و يقولون للوالد العجوز: أنج بنفسك، و قلما أفلت من ايديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب و وجاهة حتى أثر ذلك في النسل، و أصبح لا يولد في دهلي مولود فيه الوسامة و الجمال، فاذا قارن أحد بين المسلمين قبل الثورة و المسلمين بعدها رأى فرقا واسعا بين الجيلين في الجمال و الوسامة[[41]](#footnote-41).

ثم جاء دور الشنق، و نصبت مشانق و أعواد على الطرق العامة و الشوارع، و أصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الانجليز و يتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين و هم يدخنون و يتحدثون، فاذا تم عمل الشنق و لفظ المشنوق نفسه الأخير، استقبلوه بالضحك و الابتسام، و في هؤلاء الأشقياء أصحاب الامارات و كبار الأشراف، و قد شنق بعض الأحياء الاسلامية على بكرة أبيها، و يذكر مؤرخ معاصر:

6- إن سبعة و عشرين ألفا من المسلمين قتلوا شنقا، و استمرت المجزرة سبعة ايام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما السلالة التيمورية فقد حاول الانجليز أن يستأصلوا شأفتها، فقتلوا حتى الصبيان، و عاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود»[[42]](#footnote-42).

7- إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع، و كانوا يشنقون من غير

ص:328

رحمة و ألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة[[43]](#footnote-43).

و يقول قائد قواد الجيوش الانكليزية«streboR droL»

8- إن أهول طريقة للاعدام هو أن يرمي المجرم بالمدفع، إنه حقا منظر هائل و لكن لا نستطيع في هذا الوقت إلا أن نأخذ بالاحتياط، إن هدفنا أن نثبت للمسلمين الاشرار أن الانجليز لا يزالون- بنصر اللّه- سادة الهند[[44]](#footnote-44).

و هكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن و أغلاه لهذا الجهاد، و ظل قادة الفكر و السياسة و اقطاب الحكومة من الانجليز يعتقدون أن المسلمين هم المسؤلون عن ثورة 1857 م، لا يتخلون عن تبعاتها جيلا بعد جيل، و قد قال هنرى هملتن تامس‏samoHT notlimaH yrneH أحد كبار الموظفين الانكليز في بنغال في كتابه «ثورة الهند الماضية و سياستنا المستقبلة»yciloP erutuF ruO didnI nI noillebiR etaL () الذي ألفه في سنة 1858 م يعنى بعد الثورة بسنة فقط، و الكلمة تشرح عقيدة الانجليز و وجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة، يقول:

9- «لقد قدمت أن الهنادك لم يكونوا اصحاب الفكرة في ثورة 1857 م و لم يكونوا مصدرها، و سأثبت في هذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية و كانوا محدودين في وسائلهم لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة و ما كانوا يودونها، إن المسلمين لم يزالوا و لا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكبرين غير متسامحين، و ظالمين، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الاسلامية بأى وسيلة كانت، و أن ينشأ الناس على كراهة المسيحيين، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية و فية لحكومة تدين بغير دين الاسلام لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن».

و قد كانت هذه هي السياسة المتبوعة في الحكومة الانجليزية القائمة. و هي القاعدة التي يسير عليها موظفوها الكبار، و رؤساء المصالح، إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم و الادارة، و سد أبواب الرزق الشريف عليهم، و مصادرة الأوقاف و الأملاك التي تدر على مدارسهم و مؤسساتهم، و تأسيس مدارس و نظام تعليمي لا ينشط المسلمون للافادة منه.

ص:329

و قد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها الا الهنادك، يقول هنتر:

إن المسلمين و إن كانوا يمسكون المؤهلات و الكفاءة المطلوبة لوظيفة، و لكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي. و قد كان غضب الانجليز شديدا واضحا في قضايا المسلمين كلها، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة و أبعد و شاية، و كانوا يؤخذون بالظنة و يعاقبون أشد العقاب.

إن هذه المعاملة القاسية الشاذة التي استمرت مدة طويلة كانت سببا لتخلف المسلمين في الثقافة و العلم، و منعتهم عن أن ينالوا قسطهم في الادارة و مصالح الحكومة، و قد شغلهم الدفاع عن انفسهم و نفى التهم التي كانت توجه اليهم بين حين و آخر، عن المساهمة في سياسة البلاد و مجاراة الشعوب الأخرى التي كانت تتقدم بخطى و ساعة، و تنال من الحكومة كل تشجيع و عطف في الوعي القومي و الشعور الوطني.

امبراطورية المغول في نهايتها المفجعة:

و لما تم للإنكليز هذا النصر نفوا السلطان إلى رنكون و قضوا على آخر رمز للسلطة الوطنية، هذا مع العلم بأن السلطان لم يوح بالثورة و لا اشترك بها و لا ارادها و لا كان قادرا عليها بالنظر الى الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به. و لو تسنى لهذه الثورة زعيم يحسن قيادتها لكان لها شأن غير ما رأينا.

و على أثر هذه الثورة ألحق الإنكليز الهند بإنكلترا مباشرة من غير وساطة الشركة، و أقر البرلمان البريطاني، سنة 1858، دستورا جديدا للهند جعل من الملكة فيكتوريا ملكة إنكلترا و الهند، و أحدثت وزارة باسم وزارة الهند، و حلّ محل مجلس رقابة الشركة مجلس أسموه ملجس الهند، مهمته استشارية، و اصبح لقب حاكم الهند العام: نائب الملك، و بهذه المناسبة صدر عن الملكة بلاغ جاء فيه:

«إننا نحيط أمراء الهند علما بأننا نتقيد بجميع المعاهدات التي عقدوها مع الشركة أو عقدت في عهد حكومة الشركة، و سنعمل على تنفيذها، و نأمل من الأمراء أن يتقيدوا بها.

و نعلن باننا لا نود أن نضم إلى ممتلكاتنا الحالية بلادا آخر، كما أننا لا نسمح لأحد

ص:330

بالاعتداء على ممتلكاتنا، و إننا نعترف لسكان ممتلكاتنا الهندية بحق الرعوية التي لغيرهم من رعايانا، و سنعمل للقيام بهذا الواجب بكل صدق و إخلاص.

إننا نؤمن بالدين المسيحي إيمانا صادقا و لكننا لا نكره أحدا من رعايانا على قبول عقائدنا».

و أكد البيان في نهايته عزم حكومة الهند على تحسين حالة أهل البلاد و الترفيه عنهم و السعي في إرضائهم و سعادتهم.

و كان أول ما اتجه إليه نائب الملك، بعد صدور هذا البيان، أن اخذ بتأليف جيش جديد للهند الشمالية غير جيش الشركة الذي كان يتألف من مئة و ثمانية و عشرين ألف جندي، هلك في الثورة منهم مئة و عشرون ألفا و من سلم منهم و استطاع الفرار فرّ إلى غابات نيبال خوف العقاب فهلك فيها و من استطاع ان يقاوم عوادي الزمن و يعيش بعد أن صدر العفو و عاد الى بلاده نبذ و طرد، و لذا فقد اخذ كيننك يعمل على تنظيم جيش جديد بموجب قانون جديد ينص على ألّا يزيد عدد الجنود الهنود في اية فرقة على ثلاثة أضعاف البيض، و ألّا يعهد الى الهنود بأعمال ذات مسؤولية في المدفعية. و قسم الجيش الهندي الى ثلاثة جيوش هي: جيش بمبي، و جيش مدراس، و جيش البنغال، و يدخل في هذا الجيش الأخير كل شمال الهند.

محاكمة بهادر شاه و نفيه:

حين سقطت دهلي التجأ بهادر شاه الى ضريح جده همايون، فقبض عليه هود سون‏nosdoH و قتل اثنان من أولاده رميا بالرصاص في الطريق، و في اليوم التالي قبض على حفيده و اعدم بالنار ايضا و قطعوا رؤوسهم و قدموها في طبق الى والدهم الشيخ الذي قد نيّف على السبعين من العمر، و وضع في السجن تمهيدا لمحاكمته بتهمة التحريض على القتل، و بدأت محاكمته في دهلي في 27 يناير 1858 م و حين تليت التهم أمام الملك نفاها تماما فقدم قادة الانجليز وثائق زعموا انها تؤيد دعاواهم و شهد على ذلك بعض من جندهم الانجليز للشهادة ضد الملك، فطالب المدعي العام باعدامه، ثم استبدل الحكم بالنفي الى خارج الهند، فارسل كما تقدم الى مدينة (رنكون) عاصمة (بورما) يوم‏

ص:331

الخميس 17 اكتوبر 1858، و كان عدد المرحلين معه ينوف على الثلاثين شخصا من اقرب المقربين اليه و فيهم زوجته زينت محل و أولاده جوان بخت، و جمشيد بخت، كلثوم زماني بخت، و رونق زماني بيكم.

وفاته و قبره و مصير أسرته:

و في رنكون طيف به و باسرته في عربة مكشوفة ثم الى شارع كلكته حيث المكان المخصص لحبسه مع اسرته تحت حراسة شديدة و بقي في منفاه حتى وفاته في عصر يوم الجمعة 14 جمادى الأولى سنة 1279 ه الموافق للسابع من نوفمبر 1862، و حضر دفنه طبيبه، و حافظ محمد ابراهيم استاذ ابنه جمشيد، و لم يأذن الانجليز في تشييد مقبرة خاصة به حتى عام 1946. أما زوجته زينت محل فقد توفيت هي الاخرى في 14 شوال 1303 ه، الموافق للسابع عشر من يوليو 1886، و دفنت بجواره، و توفيت بنته رونق زماني بيكم في 30 ذى القعدى 1349، ابريل 1930 و دفنت معهم، اما الامير جوان بخت فقد سجنه الانكليز في بلدة مولمين ثم ضاعت اخباره، و الامير جمشيد بخت الذي كان مسجونا في غرفة أمام سجن ابيه، افرج عنه فيما بعد و درس و تزوج من فتاة بورمية سنة 1905 انجبت له ولدا سماه «اسكندر بخت». و قد توفي جمشيد بخت سنة 1921.

و ابنه الملك كلثوم زماني بيكم قيل انها تزوجت من امير مسلم صيني طلقها فيما بعد، و في دهلي القديمة اليوم عدد من الاسر التي تنتسب الى بهادر شاه و قد يكون من الصحيح هو انتسابها لفروع اخرى من الاسرة التيمورية.

و عند قبر الملك بهادر شاه هذا الشاهد الكتابي و قد دونت فيه العبارات التالية:

«كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام»

آخر مصباح في أسرة المغول الملكية

حضرة أبو ظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظفر رحمة اللّه عليه.

جلس على العرش من سنة 1837 م الى سنة 1858 م.

اليوم بتاريخ 7 نوفمبر سنة 1862 م 14 جمادى الأولى 1279 ه يوم الجمعة صعدت الروح التي استقرت في بهادر شاه 89 سنة، و ودعت جسده الى الأبد، فغربت‏

ص:332

شمسه، و فاضت كأس عمره، و احتضنت أرض «رنكون» آخر مصباح في الأسرة التيمورية. ولد في «جهان آباد- دهلي» و لكنه عانى سكرات الموت بعيدا عن الوطن بآلاف الأميال، على سرير بسيط حقير، و كانت حياته ربيعا حافلا بالخدم و الحشم، و لكنه مات و ما حوله إلا ثلاثة: زوجته و ولداه- و قبل أن تغرب شمس النهار فاضت روحه، بعد ما عرف العالم حالة اسرته المنكودة، فاستقر الجوهر اللامع من دهلي في أرض «رنكون» فاعتبروا يا أولي الأبصار.

و تحت هذا كتب تاريخ وفاته في بيتين من الشعر بالأوردية ترجمتها:

«في أربعة عشر من جمادى الأولى يوم الجمعة وقت العصر».

«كانت هذه اللحظة حاسمة في تاريخ الغربة و السجن».

«قال فيها ملك الموت لملك الهند، و هو بعيد عن وطنه».

«إن جنة الخلد هي وطنك يا ظفر، يا غريب الوطن».

ثم كتب تاريخ وفاته بالانجليزية هو و من دفن معه، و تحته كتب بالعربية في اسفل اللوحة:

ملكة نواب زينت محل: أعلى اللّه مقامها: تاريخ الوفاة 14 شوال سنة 1303 ه مطابق 17 يوليو سنة 1886 م. بنت الملك: رونق زماني بيكم: أعلى اللّه مقامها: تاريخ الوفاة 30 ذى القعدة سنة 1349 ه مطابق 30 ابريل سنة 1930 م.

شعره و أدبه:

مر علينا أن بهادر شاه كان عالما و شاعرا و خطاطا، و قد طبع ديوانه و شرحه لكلستان سعدي و كتب جارسان ده تاسى‏yssaT ed nicraG نبذة عن بهادر شاه باسمه الشعري «ظفر» في كتابه‏erutaretiL inatsudniH fO yrotsiH ج 3، ص 317، و أرود ترجمة لأحدى قصائده الغنائية (رخته)، و من المعروف ان استاذه و معلمه هو الشاعر الهندي الشهير أسد اللّه غالب و من المؤكد أنه هذا المعلم هو الذي غرس في (بهادر شاه) بذرة التشيع حتى نمت و اورقت و شبّ الامير على محبة أهل البيت و كتب فيهم الشعر و لما تولى الملك كان الكثير من المقربين اليه من الشيعة و على أثر ذلك حظي بمساعدة و تكريم مستمر من دولة اوده‏

ص:333

الشيعية و ملوكها في لكهنو.

و قد خلف الملك عدة دواوين المعروف منها اليوم اربعة و هي:

1- كليات ظفر- مرتبه عمر فيضى- سنك ميل بيلى كيشتر، لاهور سنة 1969.

2- بهادر شاه ظفر- فن‏اور شخصيت- از خواجه تهور حسين- مكتبه‏ء نعيمية دلهي- سنة 1962/ اردو اكيد مي سنده، كراجي سنة 1965.

3- نوائي ظفر- مرتبة خليل الرحمن اعظمي- انجمن ترقى‏ء اردو على كره سنة 1959

4- بهادر شاه ظفر- از امير احمد علوي- لكهنو سنة 1935.

و من شعره (المعرب) الذي قاله في محنته:

«ان القصر الذي اصبح الآن قفرا كان من قبل آهلا بالسكان. و المكان الذي استولى عليه ابن آوى كان عامرا بالإنسان، و المكان الذي لا نجد فيه الآن إلا الخزف و الحصى و التراب كان مملوءا بالجواهر و اليواقيت، إن أحوال العالم تتقلب دائما، فأين كنت من قبل؟! و أين أنا الآن؟! إن الذي لا يذكر اللّه في رغد العيش، أو في وقت الغضب و الطيش، لا يعد من الآدميين و له ايضا:

«يا رسول اللّه .... ما كانت امنيتي الا أن يكون بيتي في المدينة بجوارك .. و لكنه اصبح في رنكون و بقيت امنياتي مدفونة في صدري «يا رسول اللّه» كانت أمنيتي أن أمرغ عيني في تراب أعتابك و لكن‏ها أنذا اتمرغ في تراب «رنكون»

و بدلا من أن أشرب من ماء زمزم، بقيت هنا أشرب الدموع، الدامية، فهل تنجدني يا رسول اللّه، و لم يبق من حياتي إلا عدة أيام؟!!.

() () () () ()

ص:339

سلالة تيمور لنك و عقبة أباطرة المغول في الهند

() ()

ص:341

الفهرست‏

تمهيد 7

تيمور لنك 19

فتح خراسان سنة 916 ه 25

غزو ماوراء النهر سنة 918 ه 26

بابر 29

كليدن بيكم ابنة بابر شاه 32

خان زاده بيكم 33

همايون 35

جلال الدين أكبر 44

حروب أكبر 49

أكبر في أوامره و وصاياه 54

أكبر في قفص الاتهام 59

أكبر في نظر الغرب 66

دعوى الدين الإلهي 71

الخزانة الأكبرية 73

الحركة التأليفية في عهد أكبر 74

الحركة العمرانية و الفنية 76

ازدهار الشعر الفارسي في عهد أكبر 81

الشعر الهندي على عهد أكبر 83

وفاة أكبر و ذريته 86

من أعلام الشيعة في عهد أكبر 87

الأمير علي قلي خان الشيباني 88

الأمير بيرم خان خان خانان 90

الأمير عبد الرحيم بن بيرم خان 94

منعم خان بن بيرم خان خانان 95

الأميرة جانان بيكم 96

كاظم بن عبد علي الكيلاني 97

تقي الدين التستري 98

محمد رضا الأصفهاني 98

محمد علي الكشميري 98

عبد الباقي النهاوندي 99

فتح اللّه الشيرازي 100

محمد اليزدي 102

شريف الأملي 103

شمس الدين بن علاء الدين الخوافي 103

آصف خان ميرزا جعفر بيك 104

صدر الدين الشيرازي 105

مسيح الملك الشيرازي 106

همام بن عبد الرزاق الكيلاني 106

تقي الدين الشيرازي 107

خضر بن موسى اليماني 107

مبارك اللّه الناكوري اليماني 108

أبو الفيض الناكوري 112

تفسير القرآن (سواطع الإلهام) 117

أبو الفضل الناكوري 125

شجرة عائلة آل الناكوري العلمية 135

علماء السوء في عصر أكبر 137

آيين أكبري 144

ص:342

أبو المكارم بن المبارك الناكوري 151

عبد الرحمن بن أبي الفضل بن المبارك 151

أبو تراب بن المبارك 152

عبد اللّه بن علي الشيرازي 152

جهان كير نور الدين محمد سليم 155

نور جهان بيكم 160

زوجات الإمبراطور أورنك زيب 163

جهان كير في تركته الأدبية 163

صفحات من مذكرات الامبراطور جهان كير 165

اهتمام جهان كير بالتصوير 174

من أعلام عصر جهان كير 176

شجرة عائلة (آل الطهراني) أصهار الامبراطور جهان كير 177

غياث الدين الطهراني 178

اعتماد الدولة أبو الحسن آصف جاه الدهلوي 178

أبو طالب بن أبي الحسن الدهلوي 180

صفي بن بديع الزمان الأكبر آبادي 180

علي بن أبي الحكيم الكيلاني 181

نور الدين الشوشتري 182

محمد حسين المنظوري النيسابوري 189

محمد تقي الدين الأوحدي 192

محمد شريف النجفي 193

طالب الأملي 193

صالح الأصفهاني 195

محمد شريف الإيراني معتمد خان 195

شكر اللّه الشيرازي (أفضل خان) 196

محمد أشرف المشهدي 197

عبد السلام المشهدي 197

أحسن اللّه ظفر خان التربتي 198

محمد طاهر عنايت خان 200

مرشد الشيرازي 201

الإمبراطور خرم شاه جهان 203

الملكة ممتاز محل صاحبة التاج 208

بناء تاج محل 210

وصف تاج محل 212

من هو مهندس تاج محل 215

شاه جهان و النهاية المؤلمة 218

من أعلام عصر شاه جهان 219

دارا شكوه 220

دارا شكوه في معترك الأحداث 221

آثار دارا شكوه 224

جهان آرا جهان ابنة الإمبراطور شاه جهان 225

قندهاري بيكم 227

عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي 227

محمد بن جلال الدين الحسيني الكجراتي 229

علي بن علي مردان خان 230

ستي خانم 231

محمد سعيد الاردستاني مير جمله 232

محمد شفيع اليزدي 232

ص:343

محمد طاهر ظفر خان آشنا التربتي 233

علي بن محمد جواهر رقم الخطاط 234

محمود الكيلاني البهتستي 235

صادق بن صالح الأصفهاني 235

محمد جان القدسي 236

داوود بن عناية اللّه الأكبر آبادي 236

شيدا ملا 237

محمد معصوم التستري 238

محمد معصوم الهندي 238

محمد هاشم الكيلاني 238

حسن بن أبي الحسن القزويني 239

فتح اللّه الشيرازي 239

علاء الدين الشوشتري المرعشي 240

يحيى الحسيني الكاشي 240

علي رضا الشيرازي تجلّي 240

أبو المعالي الشوشتري 241

شريف الدين الشوشتري 242

اسماعيل البلكرامي 242

دانشمند خان 243

محمد سعيد الكرمرودي 243

الملا محمد الكاشف 243

الإمبراطور أورنك زيب 244

جلوسه على العرش 245

كيف كان يقضي وقته 246

حروب أورنك زيب 248

الثورة الأفغانية 248

الثورة الراجبوتانية 248

ثورات الدكن 249

ثورة المراته 250

من أعمال أورنكزيب 252

وفاته و عقبه 254

من مزايا أورنك زيب 255

علاقته بالطوائف غير الإسلامية 257

معاملة الهندوس 257

مرسوم أورانكزيب 258

أورنك زيب و الشيعة 259

من أعلام عصر الإمبراطور أورنك زيب 267

زينت النساء بنت الإمبراطور أورنك زيب 268

الملا طغرائي المشهدي 269

عزيز اللّه المجلسي 269

هداية اللّه بن نعمة اللّه التستري 269

شمس الدين بن صدر الدين الأصفهاني 270

محمد علي الأكبر آبادي (ماهر) 270

ناصر بن حسن النجفي 271

قوام الدين المرعشي الخليفة سلطاني 271

عبد اللطيف خان الأصفهاني البنجالي 272

محمد مهدي الاردستاني 273

محمد سعيد المازندراني 274

محمد مؤمن الجزائري 275

ص:344

محمد بن فتح اللّه بن نعمة خان عالي 280

إبراهيم علي خان 281

حسين بن باقر الأصفهاني امتياز خان 281

محمد رفيع المشهدي (باذل) 284

القادر المشهدي وزير خان 285

سعد اللّه السلوني 285

حسين الشيرازي (حكيم الممالك) 287

محمد رضا قزلباش خان الهمداني 288

حسن علي خان 289

بختاور خان 289

حسين علي خان 290

محمد باقر البيجابوري 292

حسين بن نور الدين الجزائري 292

الإمبراطور شاه عالم بهادر شاه 293

منعم خان خانان 297

إسماعيل بن إبراهيم الدهلوي 298

ذو فقار نجف علي 299

محمد هاشم الشيرازي 299

نعمة اللّه بن نور الدين الحائري 300

محمد بن إسحاق التستري 301

محمد باقر المشهدي 301

الإمبراطور معز الدين جهان دار شاه 302

الإمبراطور فرخ سير بن عظيم الشان 303

الإمبراطور رفيع الدرجات 304

الإمبراطور رفيع الدولة 305

الإمبراطور محمد شاه 305

غزوة نادر شاه 306

معركة كرنال 308

الإمبراطور أحمد شاه مجاهد الدين 312

الإمبراطور عالم كير الثاني‏

عزيز الدين 313

الإمبراطور محي السنة بن كام بخش 315

ص:345=PAGEص:

الإمبراطور شاه عالم الثاني 317

الإمبراطور أكبر شاه بن شاه عالم 321

الإمبراطور محمد بهادر شاه ظفر 322

إمبراطورية المغول في نهايتها المفجعة 329

محاكمة بهادر شاه و نفيه 330

وفاته و قبره و مصير أسرته 331

شعره و أدبه 332

نماذج من شعره 335

سلالة تيمور لنك و عقبه أباطرة المغول في الهند 339

الغلاف الخارجي الأول: ( (صورة المجتهد الأكبر الشهيد الشوشتري ماثلا أمام الإمبراطور أورنك زيب (1619- 1707 م) قبيل إعدامه بساعات))[[45]](#footnote-45)

ص:346=PAGEص:

1. ( 1)« أمر صلاح الدين الايوبي بحرق المكتبات الفاطمية حتى كان ينتزع جلودها العبيد و الاماء ليجعلوا منها أحذية في أرجلهم و ألقيت الكتب في العراء و سفت عليها الرياح و التراب بعد حرقها فصارت تلالا و لا تزال تعرف حتى اليوم بتلال الكتب!!» المقريزي 2/ 255. [↑](#footnote-ref-1)
2. (\*) يرى بعض العراقيين ان تيمور لنك مدفون عند جامع الطوسي في النجف الأشرف، و في اعتقاد المؤرخ العلامة محسن الأمين ان تيمور لنك كان شيعيا، لعله اعتمد في ذلك على ما ورد في كتاب( البدر الطالع) من تفضيله عليا عليه السلام خلال محاورته العلماء( راجع اعيان الشيعة 3/ 648- 671). [↑](#footnote-ref-2)
3. ( 1) تعنى كلمة اوزبك سيد نفسه و المستقل و كانت نفس هذه الكلمة شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف و هي ترى في الوثائق التي يرجع الى عام( 1150 م). و كان اوزبك هو تاسع الحكام من بيت جوجي حمل قومه على الدخول في الاسلام. فأصل الأوزبك اذن تركى مغولي و عاشت قبائلهم ما بين الفولجا و بحر آرال. و كان اسم الجغتائيين يطلق فيما سلف من الأيام على الترك المستقرين المتحضرين. في حين كان لفظ الأوزبك اذ ذاك مدلولا على البرابرة الذين يقطنون منطقة السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم و اتصالهم بالحضارة الاسلامية ببلاد ماوراء النهر فاصبح للفظ الأوزبك المدلول الذي كان للفظ جغتائي من قبل، و بين الترك البرابرة غير المتحضرين يعرفون باسم القرغيز أو القازاق( و معناها الرحل البرابرة).( انظر تاريخ بخارى 295- 298 و حواشيها). [↑](#footnote-ref-3)
4. ( 2) سمى الأوزبك بالشيبانيين نسبة الى شيباني تحريف شاهى بك و التي حرفت أيضا الى شايبك و هو الأمير محمد شاهى بك حفيد الأمير أبى الخير الذي استقل بالأوزبك و بلغ شأوا كبيرا، و كان الأمير محمد شاهى بيك قد نجح في لم شعت قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين ببلاد ما وراء النهر، و كان المظهر الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تمجيدهم لوليهم القومي الزاهد خواجه أحمد اليسوى الولى الأثير عند بدو سهوب آسيا الوسطى و كان الأوزبك و القرغيز يقدسون أشعاره و مواعظه تقديسهم للقرآن الكريم( راجع تاريخ بخارى 297- 2980). [↑](#footnote-ref-4)
5. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-5)
6. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( 1)

   : yb. nahaJ hahs dna rignahaJ fo emit eht gnirud aidnI ni erutaretiL naisreP\*.( 1970) adoraB. namhaR. L. M

   luhgom eht ta erutaretiL naisreP fo yrotsihA enworB. G. E yb aisreP fo yrotsoH yraretiL\* inahG ludba: yb truoc

   ilbihs: yb majA- lurehS\*

   dazA niasoH damamhoM; yb sraF I natsiragiN\* [↑](#footnote-ref-7)
8. ( 1)" لقبه أكبر بملك الشعراء". راجع منتخب التواريخ 2/ 248 و مآثر الأمراء 2/ 584 و سر و آزاد 2/ 15. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( 2) صنف في سنة 985. النزهة 5/ 31. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( 1) هو المير رفيع الدين حيدر المعمائي الرفيعي كان تخلصه" كاشى" و في مآثر رحيمي: أحيانا أختار تخلصه" رفيعي" ترك وطنه و قدم الهند سنة 999 هاربا من سلطان ايران، و كان ماهرا في فن المعمى و لذلك يلقب بالمعمائي و كاني يؤرخ في الشعر بطرز طريف. كان أصله من سادات طباطبا. مات سنة 1032. راجع طبقات اكبري 2/ 99، و مآثر رحيمى 3/ 620 و ميخانه للملا عبد النبي فخر الزمان القزويني( راجع هدايت حسين على حاشية مآثر رحيمي) و نتائج الأفكار: 263 و صبح صادق الورقة: 501 و مآثر الكرام ضمنا: 199. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( 2) و جازاه اكبر على هذه الخدمة بعشرة آلاف روبية( مآثر العلماء 2/ 587). [↑](#footnote-ref-11)
12. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( 1) و هي أنه كان يعطي المال الذي يفرض فيه الزكاة زوجته أو بعض أقربائه قبل حولان الحول عليه، ثم يسترده فيما بعد، و يتخلص بذلك من فريضة الزكاة و هكذا يعيد كل عام هذه الحيلة اذ ان حولان الحول على المال شرط لوجوب الزكاة. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( 2) و يذكر انه اكتشف في هذه القبور لبنات من ذهب كانت قيمتها ثلاثين ملايين روبية. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( 3) من ذلك خطأه في بعض الألفاظ البسيطة، فكان يقرأ( حجرا) بتقديم الحاء بدل حجر بتقديم الجيم فيقول جحرا و القول للبدايوني. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( 1) مير عدل، معناه رئيس العدل أو حارسه. و كان هذا لقبه الرسمي. و منصب مير عدل كان عبارة عن رئيس مصلحة الاحتساب الشرعي. و ذكر بعض المؤرخين ان مصلحة الاحتساب الشرعي قد فقدت بهاءها و اضاعت حسن سمعتها بعد محمد الامروهوي هذا. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( 1) و لما احس الملك بان مصلحة صدر الصدور لا تؤدي وظائفها كما يرجى من مثلها من المصالح الدينية: عقد العزم على التضييق من دائرة نفوذها فبدأ بتعيين ستة صدور في مقاطعات مختلفة لئلا تكون للصدر الواحد الكلمة في جميع البلاد. و ذلك سنة 989 ه/ 1561 م ثم بدأ له بعد البحث و التنقيب ان الاقطاعات و الاراضي التي منحت للعلماء كانت اوفر بكثير من حاجاتهم: و ان رئيسهم عبد النبي، صدر الصدور هو الذي استبد من دون غيره بقسط عظيم من الاقطاعات و ملك من الاراضي ما لم يملكه أحد قبله، فاضطر الى ان يدبر الامر من جديد و جعل الامر تحت حوزته رأسا. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( 2) و من غريب أعاجيب الدهر انه لما ساءت الملك اعماله و اغضبه الاعتداء على حقوق الناس نفاه الى مكة المكرمة ثم رجع الى الهند بعد قليل و شاهد ما آل اليه امر الملك من الهزء بالدين فاجترأ ذات يوم على ان يرفع عقيرته بالنكير امامه فلكمه الملك لكمة بيده .. و في مثل ذلك عبرة لمن اعتبر. قتل بأمره سنة 993 و هناك من يرى انه مات قبل لقياه أكبر- كما تقدم. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( 1) و من صنع اللّه في خلقه ان لا يمضي يوم الا و قد اتى من العجائب ما يدهش له الناس و منها ان الملك أكبر لما ساء ظنا بعيد النبي و مخدوم الملك نفاهما معا الى مكة المكرمة ليأمن الناس شرهما لكنهما ظلا يتنازعان في الطريق و في الحرم الشريف و ما استطاعا أن يمكثا بها أكثر من ثلاث سنين فرجعا معا الى الهند فذاقا و بال أمرهما فبس ما عادوا اليه بعد النفي الذي يسر لهما التوبة و الرجوع الى اللّه العزيز الغفار. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( 1) عملة من الذهب و الفضة كليهما. كانت رائجة بهذا الاسم في عصر ملوك المسلمين بالهند. و اول من أجراها محمود الغزنوي( ت 421 ه)، ثم تغير اسمها في عصر أكبر و سمي" مهر".( دائرة المعارف الاسلامية: مقالةaknat الطبعة الانكليزية). [↑](#footnote-ref-20)
21. ( 1) و هو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم 8- م تاريخ فارسي. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( 2) و هو مخطوط في مجلدين بدار الكتب برقم 50 تاريخ فارسي و هو المرجح في هذا العرض. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( 1) يذكر كثير من المؤرخين أنه كان عند أكبر أكثر من مئة مصنع ضخم للنسيح و الصباغة و الأسلحة. [↑](#footnote-ref-23)
24. ( 1)" خسرو سلطان" اكبر أبناء جهانكير من زوجة ابنة راجا بهكوان داس، ولد في لاهور عام 1587. و كان خسرو أثيرا لدى جده أكبر، و لعله رغب في أن يجعله خليفة له. و قد خرج خسرو على أبيه في السنة الأولى من حكمه، و لكنه هزم و سجن. و تآمر عليه مرة اخرى في افغانستان، و لكن كشف امره فسجن بقية حياته ما عدا فترة واحدة.

    و توفى خسرو في أسير كرة بالقرب من برهانبور بالدكن عام 1622، و الراجح أنه قتل على يد شاه جهان، و قامت أخته بدفن جثمانه في خسرو باغ عند اله آباد أما ولداه داور بخش- أو بلاقى- و كرشاسب فقد قتلهما شاه جهان عند اعتلائه العرش. انظر عمل صالح( و هو مخطوط): و مذكرات جهانكير، ج 1، 2، في المجلة الأسيوية الملكية سنة 1907 عن‏[ بيفردج‏egdireveB H ]. [↑](#footnote-ref-24)
25. (\*)" توزك جهانكيري" و هي مذكرات شيقة لها قيمتها. و قامت الجمعية الأسيوية الملكية بترجمة المجلد الأول من هذه المذكرات و نشرة( لندن عام 1909). و ثمة نسخة أخرى منها و لكنها منحولة على تفاوت في ذلك و نشرت الجمعية الأسيوية الملكية عام 1829 ترجمة الميجر برايس‏ecirP rojaM لهذه المذكرات. و نشر السيد أحمد العليكري النص الفارسي لهذه المذكرات في غازى بور عام 1863 ثم في عليكره عام 1864 و بهذا النص أخطاء كثيرة. و قد ترجم جزء كبير من هذه المذكرات في المجلد السادس من كتاب‏aidnI fo yrotsiH لمؤلفه‏toiliE . و تحتوي يوميات السير رو,lanruoJ s'eoR samohT riS و كتاب قس بيته‏yrreT drawdE إشارات طريفة عن جهانكير. و هناك أيضا سيرة فارسية لحياة جهانكير كتبها كاتب سره معتمد خان و قد نشرت في.dnI .ibiB عام 1865. [↑](#footnote-ref-25)
26. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( 1) خلف أباه في الملك بلقب" الامبراطور شاه جهان". [↑](#footnote-ref-27)
28. ( 1)" سير" واحد يساوى رطلين. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( 1) زوجته التي احبها أكثر من كل شئ في الحياة، و كانت خليقة بذلك. [↑](#footnote-ref-29)
30. ( 1) كان ذلك سياسة من آصف خان، لأن لا يخلو العرش فيطمع فيه الطامعون، و لما حضر شاهجهان إلى دار الملك تربع على سرير الملك، و تسلم زمام الحكم. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( 1) الاسم الحقيقي للبناء التاريخي( تاج محل) هو ممتاز محل و قد حرّف الهنود اسم ممتاز الى تاج لصعوبة نطق الأول في ألسنتهم و سرى الخطأ الشائع حتى يومنا هذا و قد يسميه الهنود ايضا بروضة( تاج كنج) أي قصر التاج مع أن المقصود الاصلي هو ممتاز كنج أي قصر ممتاز. [↑](#footnote-ref-31)
32. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-32)
33. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-33)
34. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( 1) بهادر: كلمة تركية مغلية الأصل مأخوذة من بخاتر و يقابلها باتور في اللغة الجغتائية. و المعنى الأصلي لبهادر هو الشجاع أ، المقدام، ثم أصبحت لقبا يطلق للتشريف في بلاط المغل العظام. و هو لقب تركستاني، في مؤلف سليمان أفندي المعروف ب" لغات جغتائي" ص 66). و إنا لنجد هذه الكلمة مستعملة منذ عام 927 م في اسم الزعيم البلغاري آلبغتور، و يقال في تفسيره إنه" ألب بغتور" أي البطل الشجاع)trauqraM .J :.taisatsO .U ruetsO ,eguzfirtS ص 156).

    و قد كان في منتصف القرن التاسع عشر فرقة بفارس جنودها من النصارى تعرف باسم" بهادران" أي الشجعان. و كانت هذه الكتيبة هي التي نيط بها إعدام علي محمد الباب. و أطلق اسم هذه الفرقة التي لم تعد تتألف من الجنود النصارى على الفرقة الأولى من الكتيبة الأولى للمشاة عام 1301 ه/ 1884 م. و هناك فرق أخرى سميت بهذا الاسم في خوى و فارهان و نهاوند و قلعة زنجيري و في غيرها من الأماكن. ببلاد فارس دائرة المعارف الاسلامية 4/ 242 عن مطلع الشمس لمحمد حسن خان 2/ 25. [↑](#footnote-ref-35)
36. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( 1)

    . 158, P- 2- V ecnerwaL droL fO efiL htimS htrowsaB [↑](#footnote-ref-37)
38. ( 2) القلعة الحمراء بناها الامبراطور شاه جهان، و كانت مركز الحكومة المغولية، و كان فيها في العهد الأخير بهادر شاه. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( 1)142 .P aidnI ni sraey eno ytroF :strebeR droL [↑](#footnote-ref-39)
40. ( 2) الأستاذ ذكاء اللّه الدهلوي" عروج سلطنت انكلشية" ص 712. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( 1) الأستاذ ذكاء اللّه الدهلوي، عروج سلطنت انكلشية" ص 712. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( 3) السيد كمال الدين حيدر في" قيصر التواريخ" المجلد الثاني ص 454. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( 3) ميلى سن، ج 3 ص 177. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( 4) تامس، ص 40. [↑](#footnote-ref-44)
45. طريحى، محمد سعيد، الشيعه فى العصر المغولى، 1جلد، أكاديمية الكوفة - هند، چاپ: اول، 1427 ه.ق. [↑](#footnote-ref-45)